مسالك الأبصار
في
ممالك الأمصار

السفر الثامن

« طوائف الفقراء – الصوفية »

تأليف

العلامة شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري

ت ٧٤٩ هجرية

تحقيق

بسام محمد بارود

٩٢/٢٦٠م
ف ض م س
ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى، ٧٠٠-٧٤٩هـ.
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: السفر الثامن «طوائف الفقراء - الصوفية» / تأليف شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري؛ تحقيق بسام محمد بارود.- أبوظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٠.
٤٢٣ ص.
ببليوجرافية: ص ٤٠٧-٤١٣.
١- الأئمة والأولياء.
٢- الصوفية.
أ- بسام محمد بارود، محقق.
أ- العنوان.

أبوظبي-الإمارات العربية المتحدة
ص.ب ٢٣٨٠-هاتف: ٦٢١٥٣٠٠
Email:nllbrary@ns1.cultural.org.ae
http:/www.cultural.org.ae

مسالك الأبصار

في ممالك الأمصار

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد لله رب العالمين ، حمداً يوافي نعمه، ويكافيء مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. فلك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد في الأولين، وصلِّ وسلِّم على سيدنا محمد في الآخرين، وصلِّ وسلم على سيدنا محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين، وصلِّ وسلم على سيدنا محمد حتى ترث الأرض ومن عليها وأنت خير الوارثين.

ورضي الله تعالى عن صحابة رسول الله أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

فبين أيدينا اليوم كتاب عظيم، لمؤلف عظيم، ذو موضوع عظيم(١)

أما كونه الكتاب كتاباً عظيماً : فلأنه جزء من موسوعة ضمت بين جنباتها وما بين دفات أجزائها موضوعات شتى في مختلف العلوم والفنون، فقد ضمت هذه الموسوعة الشاملة تراجم لأكثر علماء هذه الأمة على مرِّ سبعمائة سنة أويزيد ، فضلاً عن التعريف بأماكن كثير

---

(١) ولست في هذا التقديم بصدد التوسع في ترجمة المؤلف، ولا التعريف بالكتاب كموسوعة شاملة، فإن ذلك سيأتي مستقبلاً بعد الانتهاء من تحقيق كافة الأجزاء البالغة : (٢٧) مجلداً، سيأتي في دراسة مفصلة، وبيان وتعريف بمؤلفها بشكل واف، وفهرس شامل لكافة الموضوعات التي تناولها الكتاب بمجلداته السبع والعشرين، وربما يصل هذا الفهرس إلى ثلاث مجلدات، لكن مع ذلك لا بد من ذكر بعض النقاط حول هذا الموضوع بشكل مختصر.

من البلاد والمسالك والممالك، وتاريخ الأمم، وحضارات الدول، وما حلَّ بها، وتاريخ بنائها، والأحداث التي عصفت بها، ثم تراجم عظماء من أبنائها سواء كانوا علماء، أ و قرَّاء، أو فقهاء، أو محدِّثين، أو فلاسفة وحكماء، أو أطباء، أو مؤرخين، أو شعراء، أوكتاب إنشاء، أو ساسة وخلفاء، سواء كان ذلك في شرق الأرض أو غربها، جمع ابن فضل الله – رحمه الله تعالى مؤلف هذه المعلمة – ما وصلت إليه يده من سير أولئك الرجال، وتصرَّف بنصوصها على طريقته، حتى قدم لنا هذه الموسوعة الشاملة الكاملة في مختلف العلوم والفنون لتكون أول موسوعة تاريخية جغرافية علمية شاملة من حيث تنوع موضوعاتها، وتشعُّب عناوينها وتفريعاتها، حتى إن الإنسان ليعجب وهو يتناول تلك الموسوعة: كم أمضى صاحبها في تصنيفها من وقت؟، لا سيما وأنه قد كان من أرباب المناصب وكُتَّاب الدواوين – دواوين الإنشاء – في زمانه. لنلمس سعة اطلاعه، وعظم تجربته، وخبرته في كافة المواضيع المطروقة في هذه المعلمة التاريخية الجغرافية الأدبية الشعرية العلمية. وستجد – يا أخي القاريء الكريم – صدق ذلك أثناء تصفحك لأجزاء هذه الموسوعة بعد الانتهاء منها إن شاء الله تعالى في المستقبل القريب.

وأما عظمة هذا الكتاب من حيث مؤلفه: فلأن مؤلفه العالم الأديب المدقق والمحقق الأريب أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين، المؤرِّخ الحجَّة في معرفة المسالك والممالك، وخطوط الأقاليم والبلدان، وإمام الترسُّل والإنشاء، والعارف بأخبار رجال عصره وتراجمهم، وكان غزير المعرفة بالتاريخ ولا سيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيز خان إلى عصره. وقد ولد رحمه الله تعالى سنة ٧٠٠هجرية، وتوفي في دمشق سنة ٧٤٩ هجرية.

وتظهر لنا عظمة هذا الرجل إذا علمنا قصر عمره وما ترك من آثار جليلة لا زالت المكتبة العربية الإسلامية تفتخر بها، ولا زال كثير منها مخطوطاً ومن هذه المخطوطات هذه الموسوعة الجليلة الموسومة بـ: "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" والتي بلغ مجموع مجلداتها سبعة

وعشرين مجلداً ضخماً ، قال عنها ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات : " كتاب حافل ما أعلم أن لأحدٍ مثله " . وللأسف الشديد أن هذه الموسوعة ما زالت مخطوطة في خزائن الكتب إلى أيام الناس هذه، حتى وفق الله العلامة الدكتور فؤاد سيزكين الذي نشط في نشر مصورات نفائس مخطوطاتنا العربية والإسلامية وذلك ضمن إطار معهد فرانكفورت ألمانيا- ومن هذه النفائس مصورة مسالك الأبصار والتي اعتمدناها في هذا التحقيق فنفض عنها غبار السنين وقدَّمها هدية للمثقف العربي، بعد أن كانت ممزقة الأشلاء يأتي كل من هب ودب ليستلَّ منها بحثاً لينال به رسالة علمية أكاديمية سواء رسالة ماجستير أو غير ذلك.

ثم وفق الله سبحانه وتعالى المجمع الثقافي ليأخذ على عاتقه إخراج هذه المخطوطة العظيمة إلى النور، أداء للأمانة التي حملها منذ أن تولى طباعة كتب تراث هذه الأمة المجيدة. ولا شك أن في طبع هذه الموسوعة إضافة إلى رصيده الكبير في إخراج تراث الأمة على خير وجه ممكن، ينال به الأجر والمثوبة من الله، والذكر الحسن في دنيا الناس.

ومن مصنفات عالمنا الجليل ابن فضل الله العمري: " مختصر قلائد العقيان" ، و"الشتويات" ، عبارة عن مجموع رسائل، و" النبذة الكافية في معرفة الكتابة والقافية" ، و"ممالك عُبَّاد الصليب" ، و" الدائرة بين مكة والبلاد" ، و" التعريف بالمصطلح الشريف" ، وهو في مراسم الملك وما يتعلق به. ومن مؤلفاته أيضاً : "فواضل السمر في فضائل آل عمر" وهو في أربع مجلَّدات، و"نفحة الروض" في الأدب، و"دمعة الباكي" في الأدب، و" صبابة المشتاق" في المدائح النبوية، في أربع مجلدات، وله شعر في منتهى الرقة.

وأما عظمة موضوع هذا الجزء: فلأنه تناول في ثناياه تراجم لأشهر أولياء هذه الأمة المباركة، بدءاً من عصر التابعين إلى زمن المصنف - رحمه الله -، حيث ضم ترجمة لما يزيد عن مائة عالم عارف بالله تعالى ، ذكر في ترجمتهم ما كانت عليه أحوالهم رضي الله

عنهم، وبعضاً من أقوالهم، مما زاد الكتاب نوراً على نور، فكان هذا الجزء كتاب علم لمن يريد العلم، وكتاب تصوف لمن أراد التصوف والتعرف على سير الرجال الصالحين العظماء من هذه الأمة المباركة، ففيه كثير من رجال "الرسالة القشيرية" ، إن لم يكونوا كلهم، وكذلك ضمَّ الكثير من رجال "طبقات الأولياء" لابن الملقن، وبعضاً من تراجم رجال "طبقات الصوفية" للسلمي، ورجال من رجال" حلية الأولياء" ورجال طبقات الصوفية" للمناوي"وغيرهم كثير.

ولقد كان المصنف - رحمه الله تعالى - أميناً في نقله غاية الأمانة، فإذا ما ذكر عن كتاب نقلاً ما قال: "وقال فلان في كتاب كذا" ، وينقل النص أحياناً بتمامه،وأحياناً بتصرف بسيط، أو اختصار غير مخلّ، ولعل أمانته تلك ساعدت كثيراً في إخراج الكتاب على أحسن وجه، ضبطاً للنصوص، وتوثيقاً للمواد.

ولعلّ الفائدة الكبرى من هذا الكتاب أيضاً إضافته لتراجم كثير من رجال عصره ممن لم يرد أغلبهم في كتب التراجم، إلا في هذا الكتاب.

وهناك أمر آخر أيضاً ينبغي أن نشير إليه لبيان أهمية هذا الكتاب، وهو أن المصنف رحمه الله تعالى أضاف إلى مواد الكتاب مواد ذكر عنها أنها لا توجد في غيره، كما جاء - على سبيل المثال - في ترجمته لعمر بن الفارض - رضي الله عنه - حيث نقل بعضاً من قصائده وجد منها في ديوانه، وبعضها الآخر ذكر - هو نفسه - أنها ليست في ديوانه، وقد صدق في ذلك؛ فعندِ رجوعنا إلى ديوان ابن الفارض - بطبعاته المتعددة -لم نجد له تلك القصائد . فلله در ابن فضل الله على صنيعه ذاك! .

ومن هنا فإنه لا يرد على ابن فضل الله ما يورده البعض من أنه لم يضف في كتابه هذا شيئاً جديداً، بل أضاف أشياء لا توجد في غيره من الكتب - وستجد يا أخي القاريء الكريم مصداق قولنا عند اكتمال هذه الموسوعة طبعاً وتحقيقاً، في كل جزء منه ستجد

جديداً لا يوجد في غيره، وأدلُّ دليل على ذلك أن كتاب "مسالك الأبصار" هذا يعتبر من المصادر التي رجع إليها كثير من العلماء والمصنفين الموسوعيين أمثال القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى" وارجع إن شئت إلى فهرس "صبح الأعشى" للعلامة القلقشندي، وانظر كم استغرقت أرقام الإحالات إلى مسالك الأبصار هذا من صفحات.

ولا بد هنا من كلمة حول الموضوع الذي تناوله هذا الكتاب والذي تضمن ترجمة رجال التصوف وأقوالهم – رضي الله عنهم – ذلك أنه خلف في هذه الأمة خلقٌ أفرطوا في الإساءة إلى أهل تلك الطريقة الشريفة، وتنكبوا عنها، ونفَّروا الناس منها، وإن أمة يلعن آخرها أولها إنما هي أمة لن يكتب لها نصر ولا عز ولا تستحق الفخار، وأي مصيبة أدهى من أن تشتم أمة خيارها، وأجلاَّءها، ومعقد عزها، وبركة وجودها من سلفها الصالح؟!.

والحقيقة التي لا ريب فيها أن تلك الطريقة الشريفة – أعني التصوف – قد دخلها – كما يدخل غيرها من المدارس – من أساء إليه، وعكَّر صفوه، ومن بدَّله فإنما إثمه على الذين يبدِّلونه، لكن أصل الطريق واضح، عمادها الكتاب والسنة، وأقوال الأئمة العارفين، والمربين الصادقين، من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان.

فالصوفية الحقيقيون رهبان بالليل، فرسان بالنهار، قدوتهم وأسوتهم العليا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، فكانوا بهذه القدوة أهل الفداء، والتضحية، والجهاد في سبيل الله تعالى، وإقامة شريعته، وكانوا أهل الرباط في سبيله على مر العصور والأزمان والأجيال، فهم – رضي الله عنهم – أهل العلم والجهاد،منذ القرون الأولى وحتى أيامنا هذه، وما أصحاب الثورات ضد الاستعمار الفرنسي، والانكليزي، والإيطالي وغيره من المستعمرين في بلاد الشرق والغرب، ببعيدين عنا؛ فها هو الشهيد السعيد عمر المختار، والشيخ عبد الكريم الخطابي، والشيخ عبد القادر الجزائري،والشيخ عز الدين القسام، وشيوخ الأزهر في القاهرة، وشيوخ جامع القرويين في

فاس، وعلماء جامع الزيتونة في تونس، وشيوخ المسجد الأموي في دمشق، جميعهم – رضي الله عنهم –كانوا من شيوخ التصوف، وسيرتهم وجهادهم معروفان لكل ذي عقل.

كانوا رضي الله عنهم أهل الفتوة والزهد ، قادوا حركات التحرر، وخاضوا الحروب ضد الاستعمار، كما خاضها من قبلهم ضد التتار والصليبيين وغيرهم من أعداء الإسلام حتى رفعوا راية الدين عالية في كل أصقاع العالم.

وفي وقتنا الحاضر في البوسنة والهرسك، والشيشان، وقبلها أفغانستان – أيام الاحتلال السوفيتي البائد – ما قاوم الأعداء كما قاومتهم الطرق الصوفية، وأهل الله المجاهدين العارفين المتقين. ولست في هذا مدعياً، وما أتيت بهذا من عندي إنما أذكر ما تناقلته وكالات الأنباء من تقارير إخبارية مصورة، قيَّض الله لها من نشرها عبر الفضائيات ليراها كل ذي عين، ويسمع بها كل ذي أذن.

فكانت مدارس السادة الصوفية الصادقين، العاملين بالكتاب والسنة، كانت مدارسهم مدارس تربية روحية، وتربية إيمانية، وتربية أخلاقية، وتربية سياسية، وتربية عسكرية جهادية، خاضوا بمريديهم معارك النضال، ضد الشيطان، وأتباعه من الإنس والجان، ولولاهم لما وصل الإسلام إلى أقاصي العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، حملوا راية الإسلام بيد، وجاهدوا أعداء الله من الكفرة بيد، حتى دحروا الأعداء، وأشرقت بهم الدنيا، وعاش العالم فترة ذهبية ما عرفها إلا تحت ظل الإسلام الذي أتوا به مبشرين،وبأخلاقه عاملين، وبدعوته هادين مهتدين. فرحمهم الله وأجزل لهم المثوبة والجزاء.

ثم أتى ناس – في أيامنا – فوقعوا في أعراض أولئك الرجال القادة، والمصلحين السادة، وادعوا شبههم – ولا نسبة في الشبه –، وتقوَّلوا على سادة الأمة أقوالاً شنيعة، فكانت مقالتهم وبالاً عليهم في الدنيا والآخرة.

أما كونها وبالاً في الدنيا: فقد حرموا بها خير السلف الصالح وبركتهم، وسرهم،

والاقتداء بالمتقين الخاشعين المهتدين المصلحين من عباد الله.

وأما في الآخرة: فاستمع – يا أخي الكريم! – إلى قول الله تعالى في حديثه القدسي الشريف الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: (إن اللَّه تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه. وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه: فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وقوله سبحانه في هذا الحديث : "آذنته" أي: أعلمته بأني محارب له.وأي حرب أشد من حرب الله تعالى، ومن يطيق حربه سبحانه وتعالى؟. وما أعلن سبحانه وتعالى الحرب إلا على طائفتين:

أما الحرب الأولى ففي قوله تعالى في حق آكلي الربا:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾ سورة البقرة – الآيتان ٢٧٨-٢٧٩"

وأما الحرب الثانية : فكانت على آكلي لحوم الأولياء، الواقعين في أعراضهم، كما جاء في الحديث القدسي السابق. نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله السلامة من العصيان، والعفو والعافية إنه كريم منان.

فحذار يا أخي المسلم الحبيب! من الوقوع في أعراض إخوانك من المسلمين عامة، فضلاً عن أعراض الصالحين من عباد الله المخلصين، وأوليائه العارفين، فتقع في المحذور، وتندم حين لا ينفع الندم، فإن لحوم هذه الطائفة الشريفة مسمومة – كما قيل – لا ينالهم أحدٌ إلا وأصابه الخزي في الحال والمال والمآل، ويخشى عليه من سوء الخاتمة والعياذ بالله، فسلِّم تسلم، وإياك والاعتراض إلا على الكفر البواح، وإذا ورد عليك من كلامهم أو أحوالهم ما

أشكل عليك فهمه فأوِّله ما أمكنك التأويل، إن كنت من أهل العلم والفهم والتأويل، وإلا فردَّه إلى الله ورسوله وإلى أولي العلم من المخلصين والعلماء العاملين، الذين تربوا في مدارس الصالحين، وعاشوا في كنف الأولياء العارفين.

وتمثل قول الشاعرفي ذلك؛حيث قال:

فسلِّم لأهل الله في كل مشكل لديك، لديهم واضح بالأدلة

نفعنا الله ببركاتهم، وحشرنا معهم وفي زمرتهم مع سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك مما لا نعلمه، وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، إلى يوم الدين، آمين.

وكتبه/ بسام محمد بارود

عفا عنه الكريم المنان الودود

أبو ظبي: ٥/ شعبان/ ١٤٢١هجرية

الموافق لـ١/ ١١/ ٢٠٠٠م



صفحة العنوان

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

فاما طوائف الفقرا خلاصه ذوي القلوب وخاصه المحبوب
فقد ذكرت منهم من امكن في زماننا اذ كانت الارض لا تخلوا من قايم
لله بحجه ومهيمن على اتباع شرايع رسله وقليل ما هم ونعرفهم بسيماهم
كما قال امير المومنين علي رضي الله عنه اشخاصهم مفقوده وامثلتهم
في القلوب موجوده فاما من سلك سبيلا لا تسماه طريقه وانتحل باطلا
دعاه الحقيقه فعلى اوليك العفا وقد قال رجل القوم الجنيد رحمة الله عليه
كل حقيقه لا تضدها الشريعه فهي كفر وقد ذكرتهم من اهل الجانبين
جريا على العاده وبالله التوفيق : فمنهم اويس القرني
وهو اويس بن عامر بن جزء بن مالك المرادي القرني خير التابعين
اشرقت لياليه المقمرات ورشفت اليه القلوب رشف الجحيم الجمرات
ازهرت من تلك الثمرات وظهرت من تلك النفوس المطهرات وقد ذهب
بعض من تكلم على الحديث الشريف انه المعني بقوله صلى الله عليه وسلم اني
لاجد ريح الرحمن من قبل اليمن وكان وجهه نورا واشراقا وظهورا سبق
فما شبه به احد ولا اقترن وسبق سبق الجواد فما لزبه سابق في قرن وكان
سرا في ذلك الصدر وبدرا في التمام وعلو القدر : روى مسلم في صحيحه
ان عمر بن الخطاب كان اذا اتى عليه امداد اهل اليمن سالهم افيكم
اويس فقال انت اويس بن عامر فقال نعم قال من مراد ثم من قرن قال
نعم قال فكان بك برص فبرات منه الا موضع درهم قال نعم
قال لك والده قال نعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ياتي عليكم اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن
كان به برص فبرى منه الا موضع درهم له والده هو بها بر لو اقسم على الله
لابره فان استطعت ان تستغفر لك فافعل فاستغفر لي فاستغفر له فقال

الورقة الأولى من المخطوط

منكم يستفاد ما خذ يتكلم في تلك المسالة وفيما عليها من الايرادات
وذكر الاشكال الذي وقع في نفسي ثم شرع يجيب عن تلك الايرادات
حتى حل ذلك الاشكال وحل المسالة فسالته عن شي اخر فقال لا قم
مع السلامة والقصد قد حصل وهذه كرامة ظاهرة لا تنكر رحمه الله

∴ ومنهم الشاذلي ∴

ابو عبد الله محمد بن اللبان الشيخ شمس الدين طراز مصر المذهب ∴
وفرد اهلها في علم الحقيقة والمذهب ∴ والقمر المعلى قدحه ∴
والسيد المحلى بزاب الذهب مدحه • طابت غرسه • واشرقت
مثل المشارق والمغارب شمسه • وطال لواوه ∴ وحسن دواه
وكثرت شيعته تتوالى منه ولما يروي ابواوه • وبجود الارض
سماوه • ويعود بالفرض والنوافل نعماوه • صحب الشيخ ياقوت
الحبشي وغيره من مشايخ الاسكندرية ومصر والشام واخذ
عنهم من علوم الطريقة والحقيقة ما شد ر بمعهد العلوم الشرعية
لسلوك فيه حتى برع وبد اهل زمانه وساد على ابناء دهره واطلق
قلمه بالافتاء واشتغل عليه انواع الطلبة واخذت عنه طوايف
المريدين وتكلم على رؤوس الاشهاد وحضر مجلسه الخاص والعامة
ولم يزل يشار اليه بالاجلال ويذكر بالتعظيم وكنت اسمع به
ولا يتفق لي به لقا ثم اصبت بما لم يخل منه مثله حلى في بعض مجالسه
وقد شرع في كلام ما حمله واخذ في قول ما اتهمه فقام ابن الكاتب
المالكي وقطع عليه الكلام واخذ في الانكار عليه وقام معه
اناس ملابل وهم بحر السواد الاعظم حتى كادوا يثبون بهم
ثم حجر بين العزيقين ورفع ابن الكاتب القضية الى الحكام وكان
هلا ما يقتضي قتل بما به ما او قد حميه بعض الحكام عليه فحدث مع الفقيه

الورقة ما قبل الأخيرة من المخطوط

ثم حدثوا السلطان فيه فاستشاط غضبا وامرهم فيه بامر كاد
فارقه لا يشتد زلك فقيض له من بلغ السلطان القضيه واوصل اليه
الخبر على جليته وعرفه بمكانه الشيخ وما هو عليه من العلم
والدين فحجزه الله له وطلب تلهب غيظه عليه بردا وسلاما له
وبعث الى الحكام بالتمهل في امره ثم طلبه السلطان وادعى
عليه لديه وساله عما قال فاعترف فحكم بصحة اسلامه وقبول
دزله وابقائه على ماله وزوجته وعدالته ومناصبه بعد
استيفا الشرائط الشرعيه وفعل كما يجب شرعا ثم عقد له مجلس
بالمدرسه الصالحيه عند قاضي القضاه جلال الدين القزويني
فطلبه فنزل من القلعه اليه والناس حوله وقد ملا سواد الناس
ما بين القلعه والمدرسه فلما حضر مجلس الحكم العزيز ادعى عليه ما جا
بما حكم به السلطان واوصل حكم السلطان للقاضي القزويني
وحكم حكما اخر مستقلا للشيخ مثل ذلك وامتنع من الكلام في
المجالس العامه ثم تكلم وهو رجل قد جمع الله عليه من القلوب
وجمع له من اشتات ما لا هو في طرظان هذا الى حسن الشكل
ونور الوجه والصوره وجمال الذات والهيه وجوده الخط وحسن
اللفظ وبراعه اللسان وذكا النفس وجميل السجايا ما ماهما لذهن
فرق بيننا وبينه وزمان ابعد المدى عنه وله نظر ثاقب في الادب

الورقة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد

فأما طوائف الفقراء، خلاصة ذوي القلوب، وخاصة المحبوب، فقد ذكرت منهم من أمكن إلى زماننا، إذ كانت الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة، ومهيمن على أتباع شرائع رسله، وقليلٌ ما هم، وتعرفهم بسيماهم، كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: "أشخاصهم مفقودة، وأمثلتهم في القلوب موجودة". فأما من سلك ضلالاً سماه طريقة، وانتحل باطلاً دعاه حقيقة، فعلى الدنيا العفاء.

وقد قال رجل القوم الجنيد رحمة الله عليه: "كل حقيقة لا تصدقها الشريعة فهي كفر".

وقد ذكرتهم من أهل الجانبين[١] جرياً على العادة، وبالله التوفيق.

---

(١) أي الجانب الشرقي والجانب الغربي، على ما اختطه المصنف رحمه الله تعالى في ترجمته لأعلام المترجمين من الجهتين.

فمنهم:

١ - أُوَيـْسُ بنُ عَامِرٍ القَرَنـيّ *

وهو أويس بن عامر بن جَزء بن مالك المرادي القَرَني، خير التابعين.

أشرقت لياليه المقمرات، ورشقت إليه القلوب رشق الحجيج الجمرات، أزهر بين تلك النيرات، وظهر بين تلك النفوس المطهرات، وقد ذهب بعض من تكلم على الحديث؛ أنه المعني بقوله صلى الله عليه وسلم: (إني لأجد ريح الرحمن من قِبَلِ اليمن).(١)

وكان وضحه نوراً وإشراقاً وظهوراً، سمق(٢) فما شبه به أحد ولا أقرن وسبق، وسبق سبق الجواد فما لزَّ (٣)به سابق في قرن، وكان سراء ذلك الصدر، وبدراً في التمام وعلو القدر.

روى مسلم في صحيحه(٤) :أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن، سألهم: أفيكم أويس؟.[حتى أتى على أويس](٥)، فقال: أنت أويس بن عامر؟. قال: نعم. قال: من مراد ثم من قرن؟. قال: نعم. قال: فكان بك برص فبرأت منه

* ينظر ترجمته في: طبقات ابن سعد ٦ /١٦١–١٦٥، الزهد لابن المبارك ٢ /٢٩٣، الزهد لابن حنبل ٤١١–٤١٦، طبقات خليفة ١٤٦، التاريخ لابن معين ٢ /٤٥ – ٤٦، التاريخ الكبير ٢ /٥٥، رقم ١٦٦٦، حلية الأولياء ٢ /٧٩–٨٧، رقم ١٦٢، مشاهير علماء الأمصار ١٠٠ رقم ٧٤٣، الثقات لابن حبان ٤ /٥٢، الكامل في التاريخ ٣ /٣٢٥، سير أعلام النبلاء ٤ /١٩ – ٣٣ رقم ٥، الوافي بالوفيات ٩ /٤٥٦–٤٥٧، رقم ٤٤١١، مرآة الجنان ١ /١٠٢، الإصابة ١ /١١٥–١١٧، رقم ٥٠٠، تهذيب التهذيب ١ /٣٨٦ رقم ٧٠٧، تاريخ الإسلام للذهبي – عهد الخلفاء الراشدين ٥٥٥، وما بعدها.

(١) قال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً . انظر: " كشف الخفاء ومزيل الإلباس – العجلوني ١ / ٢٦٠ الحديث رقم ٨٠١".

(٢) سمق سموقاً، أي: علا وطال . "القاموس مادة س م ق".

(٣)أي قال: لزَّه لزَّاً ولزازاً: شدَّه وألصقه، القاموس" مادة لزز".

(٤) رواه مسلم في صحيحه ي كتاب فضائل الصحابة رقم ٢٥٤٢، وأورده الذهبي في تاريخ الإسلام عهد الخلفاء الراشدين ٥٥٦، مع خلاف في اللفظ والسياق، ورواه الإمام أحمد في المسند بلفظ مقارب ١ /٣٨

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوط الأصل استكملناه من صحيح مسلم.

إلا موضع درهم؟. قال: نعم. قال: لك والدة؟ قال: نعم. قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن[١]، من مراد، ثم من قَرَن، كان به برصٌ فبرأ منه إلا موضع درهم. له والدة هو بها بَرٌّ. لو أقسم على الله لأبرَّه. فإن استطعت أن يستغفر لك فافعلْ". فاستغفرْ لي. فاستغفرَ له.

فقال له عمر: أين تريد؟. قال: الكوفة. قال: ألا أكتب لك إلى عاملها؟. قال: أكون في غبراء[٢] الناس أحبُّ إليَّ.

فلما كان في العام المقبل، حجَّ رجلٌ من أشرافهم، فوافقَ عمرَ، فسأله عن أويس؟. قال: تركته رثَّ البيت [٣]، قليل المتاع. قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " يأتي عليكم أويس بن عامر، مع أمداد أهل اليمن، من مراد، ثم من قرن. كان به بَرَصٌ، فبرأ منه، إلا موضع درهم. له والدة هو بها بَرٌّ. لو أقسم على الله لأبرَّه. فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل". فأتى أويساً؛ فقال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهداً بسفر صالح. فاستغفر لي. قال: استغفر لي. قال: أنت أحدث عهداً بسفر صالح. فاستغفر لي. قال: لقيت عمر؟. قال: نعم. فاستغفر له. ففطن له الناس، فانطلق على وجهه.

وروى مسلم أيضاً[٤]: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن خير التابعين رجلٌ يقال له أويس، وله والدةٌ. وكان به بياض؛ فمروه فليستغفر لكم).

قال ابن الكلبي: قتل أويس مع علي رضي الله عنه يوم صفين[٥]، وكانت صِفِّين سنة

---

(١) قوله: " أمداد أهل اليمن" هم الجماعة الغزاة الذين يمدون جيوش الإسلام في الغزو، واحدهم مدد.

(٢) قوله"غبراء الناس" أي: ضعافهم وصعاليكهم، وأخلاطهم الذين لا يؤبه لهم.

(٣) قوله: " رثَّ البيت" أي بمعنى قليل المتاع، والرثاثة والبذاذة بمعنى واحد، وهو حقارة المتاع، وضيق العيش.

(٤) صحيح مسلم – كتاب فضائل الصحابة – الحديث رقم ٢٥٤٢ .

(٥)حلية الأولياء ٢ /٨٦، وتهذيب تاريخ دمشق ٣ /١٧٤ .

سبع وثلاثين للهجرة. وليس لأويس حديث مسند.[١]

ومنهم:

٢ - أبـــو مســـلم الخولاني*

(الزاهد سيد التابعين بالشام، أتى بصنو المعجزات، وجاء بالكرامات المنجزات، ولـم يبال باقتحام الضرام، وفتح فمها للالتهام والالتقام، أوقدت له النار فخاضها مشمراً عن ساقه، ومحملاً قرونها ملْ أوساقه، ويقينه يدفع عنه آلاما، ويقول: ﴿ يا نار كوني برداً وسلاما ﴾[٢].

فاض لأجلٍ موقوت، وخاض النار حتى انطفأت والياقوت ياقوت، فآب أحسن أوبة، وجاء بآية خليلية يضرب لها في أفق نوبة.

اختلف في اسمه على أقوال، أصحها: عبد الله بن ثُوَب.[٣]

قدم من اليمن، وأسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم المدينة في خلافة أبي

---

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: " روى عنه يسير بن عمرو، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وأبو عبد رب الدمشقي، وغيرهم، حكايات يسيرة، ما روى شيئاً مسنداً ولا تهيَّأ أن يحكم عليه بلين، وقد كان من أولياء الله المتقين، ومن عباده المخلصين. "سير أعلام النبلاء٤ / ٢٠".

*ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٤ /٧-١٤، وطبقات ابن سعد ٧ /٤٤٨، وطبقات خليفة ت٢٨٨٨، تاريخ البخاري ٥ /٥٨، المعرفة والتاريخ ٢ /٣٠٨ - ٣٨٢، والحلية ٢ /٢٢، والاستيعاب ت ١٤٧٩، وأسد الغابة ٣ /١٢٩، وتهذيب الكمال ١٧٠ و١٦٥٤، تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة ٦٢ - ٥ /٢٩٢، الترجمة رقم ١٣٣، وتاريخ الطبري ٤ /٣٥٢، وشذرات الذهب ١ /٧٠، وثمار القلوب ٦٨٨، وتاريخ دمشق لابن عساكر تراجم عبادة بن أوفى و عبد الله بن ثوب، وتهذيب التهذيب ١٢ /٢٣٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٧ /٣١٤، وطبقات الحفاظ ١٣، وربيع الأبرار ١ /٣٩٨، وصفة الصفوة ٤ /١٧٩ .

(٢) سورة الأنبياء - الآية ٦٩ .

(٣) وقيل: عبد الله بن عبد الله، وقيل: ابن ثواب، وقيل: ابن عبيد، وقيل: ابن مسلم، وقيل: اسمه يعقوب بن عوف." انظر الأقوال في اسمه في: "تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٧ / ١٩٠".

بكر الصديق رضي الله عنه. وروى عن عمر، ومعاذ، وأبي عبيدة، وأبي ذر، وعبادة بن الصامت. وروى عنه جماعة من التابعين. وحديثه في صحيح مسلم، والسنن الأربعة.

قال إسماعيل بن عياش: حدثنا شرحبيل بن مسلم، قال: أتى أبو مسلم الخولاني المدينة وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستُخلف أبو بكر.

ولما تنبأ الأسود(١) باليمن، بعث إلى أبي مسلم؛ فأتاه بنار عظيمة، ثم إنه ألقى أبا مسلم فيها، فلم تضرّه، فقيل للأسود: إن لم تَنْفِ هذا عنك أفسد عليك من اتّبعك. فأمره بالرحيل، فقدم المدينة، فأناخ راحلته ودخل المسجد يصلي، فبصُر به عمرُ رضي الله عنه، فقام إليه، فقال: ممّن الرجل؟.

قال: من اليمن. فقال: ما فعل الذي حرقه الكذّاب بالنار؟. قال: ذاك عبد الله ابن ثُوَب. قال: فنشدتك بالله أنت هو؟. قال: اللهم نعم. فاعتنقه عمر وبكى، ثم ذهب به حتى أجلسه فيما بينه وبين الصِّدِّيق، وقال: الحمد لله الذي لم يُمِتني حتى أراني في أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم من صُنِعَ به كما صُنِعَ بإبراهيم الخليل.(٢)

قال ابن عياش: عن شرحبيل بن مسلم، عن سعيد بن هانيء قال: قال معاوية: إنما المصيبة كل المصيبة بموت أبي مسلم الخَولاني، وكُرَيْبِ بنِ سيف الأنصاري.(٣)

---

(١) هو الأسود العنسي، واسمه عيهلة، وقيل: عبهلة بن كعب بن عوف، من مذحج، متنبّي مشعوذ من أهل اليمن، أسلم لما أسلمت اليمن، وارتد في أيام النبي صلى الله عليه وسلم، فكان أول من ارتد في الإسلام، ادعى النبوة، وضلَّ به كثير من مذحج حتى اتسع سلطانه، اغتيل قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بشهر واحد. " الأعلام ٥/٢٩٩" .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ٢٧/٢٠٠، وسير أعلام النبلاء ٤/٩، وتاريخ الإسلام - حوادث سنة ٦١-٨٠ ص٢٩٣ .

(٣) عن سعيد بن هانيء قال: توفي ابن لعتبة بن أبي سفيان، فقام ناسٌ إلى معاوية، فقالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أعظم الله أجرك في ابن أخيك، وجعل ثوابك من مصيبتك به الجنة. فاسكت عنهم، فردُّوا عليه الكلام، فقال: إن موت غلام من آل أبي سفيان قبضه الله إلى جنته وكرامته ليس بمصيبة، إن المصيبة كل المصيبة على مثل أبي مسلم الخولاني، وكريب بن سيف الأزدي. انظر: "تاريخ دمشق ٢٧/٢٣٣"، و" سير أعلام النبلاء ٤/١٤ .

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: هذا حديث حسن الإسناد، يعطي أن أبا مسلم توفي قبل معاوية.[1]

قال المفضَّل بن غسان: توفي علقمة وأبو مسلم سنة اثنتين وستين[2]، ومعاوية توفي في قول أبي معشر وغيره سنة ستين.

ومنهم:

٣ - رَابِعَةُ بنتُ إسماعيلَ العَدَوِيَّةُ*

مولاة آل عتيك، الصالحة، المشهورة.[3]

كانت آية للمبصر، وغاية لم تقصر، سبقت فحول الرجال، وبسقت عند حلول الآجال، وأُغرِمَتْ بحب السهر، وملكت نفسها ملك من قَهَر، فأصبحت لها شكيمتها[4]،

---

(١) تاريخ الإسلام ٥/٢٩٨.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٢٧/٢٣٣ وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام وسير الأعلام وعقَّب بقوله: "فعلى هذا يكون أبو مسلم مات قبل معاوية، إلا ان يكون هذا هو معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. "سير أعلام النبلاء ٤/١٤".

*ينظر ترجمتها في: الزهد الكبير للبيهقي ٢١٢ رقم ٥٣٣، وتاريخ بغداد (في ترجمة محمد بن إسماعيل عم العباس بن يوسف الشكلي، رقم ٤٣٢)، وصفة الصفوة لابن الجوزي ٤/٢٧-٣١ رقم ٥٨٨، و٣/٣٧٧ في ترجمة بشر بن منصور، ووفيات الأعيان ٢/٢٨٥-٢٨٨، ومرآة الجنان ١/٣٧٨، والوافي بالوفيات ١٤/٥١،٥٢، رقم ٥٠، والبداية والنهاية ١٠/١٨٦، والنجوم الزاهرة ١/٣٣، والطبقات الكبرى للشعراني ١/٧٧، وشذرات الذهب ١/١٩٣، ونفحات الأنس ٦١٥، والكواكب الدرية ١/١٠٨-١١٠، وجامع كرامات الأولياء ٢/١٠، ورسالة القشيري ٢٦٤، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٣٥،٤٠٨، رقم ١١٣، وسير أعلام النبلاء ٨/٢٤١ رقم ٥٣.

(٣) وقد أفرد ابن الجوزي أخبارها في جزء في الشاميات رابعة العابدة معاصرة لها، فربما تداخلت أخبارها، وتلك رابعة بنت إسماعيل زوجة أحمدبن أبي الحواري، وانظر أيضاً تاريخ الإسلام ١١/١١٧، وصفة الصفوة ٤/٣٠٠ رقم ٨٢٣.

(٤) الشكيمة هنا بمعنى الطبع " القاموس مادة شكم".

وأصبحت مثل الصباح شيمها، ودامت في أدويتها(١)هائمة، وفوق ألويتها حائمة، إلى أن دعيت فأجابت، وجالت المهامه وجابت، فتمت إرادتها، وختمت بالخير سعادتها، وبّأت الأرض المقدسة مدفناً، وحققت[أن رأي سواها كان يفنى].(٢)

كانت رضي الله عنها من أعيان عصرها، وأخبارها في الصلاح مشهورة، وذكر أبو القاسم القشيري في "الرسالة"(٣) أنها كانت تقول في مناجاتها: " إلهي! أتحرق بالنار قلباً يحبك؟" . فهتف بها مرة هاتف: " ما كنا نفعل هذا، فلا تظنّي بنا ظنَّ السوء" .

وقال سفيان الثوري رضي الله عنه عندها يوماً: واحزناه!. فقالت: لا تكذب بل قل: وا قلّة حزناه، لو كنت محزوناً لم يتهيَّأ لك أن تتنفس.(٤)

وكانت رضي الله عنها تقول: " ما ظهر من أعمالي فلا أعدُّه شيئاً" .

ومن وصاياها: " اكتموا حسناتكم كما تكتموا سيئاتكم" .

وقالت عبدة بنت أبي شوَّال(٥) - وكانت تخدم رابعة -: كانت رابعة تصلي الليل كلّه، فإذا طلع الفجر هجعت في مصلاَّها هجعة خفيفة حتى يسفر الفجر، فكنت أسمعها تقول إذا وثبت من مرقدها ذلك وهي فزعة: " يا نفس كم تنامين؟! يوشك أن تنامي نومة لا تقومين منها إلا لصرخة يوم النشور" . وكان هذا دأبها حتى ماتت.

ولما حضرتها الوفاة، دعتني وقالت: يا عبدة! لا تُؤْذِني بموتي أحداً، وكفِّنيني في جبتي هذه، وهي جبة من شَعَر، [كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون، قالت: فكفَّنَّاها في تلك

(١) مفردها "دَوِيَّة" وهي المفازة، أو الصحراء " المختار مادة دوي" .
(٢) هكذا وردت العبارة في المخطوط أثبتناها كما هي ولم أدرك معناها، والله أعلم.
(٣) الرسالة القشيرية ٢٦٤ .
(٤) صفة الصفوة ٤ /٢٩، وفيات الأعيان ٢ /٢٨٥ .
(٥) في الأصل المخطوط "بنت شوال" والتصويب من سير أعلام النبلاء ٨ /٢٤٢ .

الجبة](١)، وفي خمار صوف كانت تلبسه، ثم رأيتها بعد ذلك سنة أو نحوها في منامي عليها حلة إستبرق خضراء، وخمار من سندس أخضر، لم أر شيئاً قط أحسن منه، فقلت: يا رابعة! ما فعلتِ بالجبة التي كفَّنَّاكِ فيها والخمار الصوف؟.قالت: إنه والله! نزع عني وأبدلت به ما ترينه عليَّ. فطويت أكفاني وختم عليها، ورفعت في عليِّين ليكمل لي بها ثوابها يوم القيامة.فقلت لها :لهذا كنت تعملين أيام الدنيا.فقالت: وما هذا عند ما رأيتُ من كرامة الله عزَّ وجلَّ لأوليائه؟.فقلت لها: فما فعلت عبيدة بنت أبي كلاب؟(٢)فقالت: هيهات، هيهات! سبقتنا والله إلى الدرجات العلا، فقلت: وبم؟ وقد كنت عند الناس، أي أكبر منها؟.قالت: إنها لم تكن تبالي على أي حال أصبحت من الدنيا وأمست، فقلت لها: فما فعل أبو مالك؟. أعني ضيغماً.قالت: يزور الله عز وجلَّ متى شاء.قلت: فما فعل بشر بن منصور؟. قالت: بخٍ بخٍ، أعطي والله فوق ما كان يؤمِّل.قلت: فمريني بأمر أتقرَّب به إلى الله عز وجلَّ، قالت: "عليك بكثرة ذكره، يوشك أن تغتبطي بذلك في قبرك"، رحمها الله تعالى.

وقال بعضهم: كنت أدعو لرابعة العدوية، فرأيتها في المنام تقول: هداياك تأتينا على أطباق من نور، مخمَّرة بمناديل من نور.(٣)

قال ابن الجوزي في "شذور العقود": توفيت سنة خمس وثلاثين ومائة.

وقال غيره: سنة خمس وثمانين [ومائة](٤).وقبرها على رأس جبل يسمى "الطور" يطل على القدس، من شرقيه.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكملناه من وفيات الأعيان ٢/٢٨٧ .

(٢) كانت تتردد إلى مالك بن دينار، وسمعت شخصاً يقول: لا يبلغ المتقي حقيقة التقوى حتى لا يكون شيء أحب إليه من القدوم على الله عز وجل، فخرَّت مغشياً عليها. وكانت تقول: لا ابالي على أي حال اصبحت أو أمسيت. وكان الناس يقدِّمونها على رابعة العدوية رضي الله عنهما " طبقات الشعراني ١/٥٧" .

(٣) وفيات الأعيان ٢/٢٨٥ .

(٤) وقال الذهبي في تاريخ الإسلام ١١/١١٩: قيل توفيت سنة ثمانين ومائة عن نحو ثمانين سنة .

وأغرب ما في هذا الجبل ما سمعناه بالقدس الشريف في ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة، إن الناس احتاجوا إلى استسقاء الغيث من الله عزَّ وجلَّ، قال: فصعد المسلمون واليهود والنصارى، والسامرة، هذا الجبل، فاستقبل المسلمون الكعبة الحرام، واستقبل اليهود الصخرة المعظَّمة، واستقبل النصارى الشرق، واستقبل السامرة جهة نابلس، فصارت كل طائفة إلى ظهور(١) سائر الطوائف، وهذا لا يتفق في مكان آخر. حكى ذلك الحافظ العلاَّمة أبو سعيد العلائي.

وأورد السهروردي في "عوارف المعارف" لرابعة رحمها الله تعالى:

إني جعلتك في الفؤاد محدِّثي ... وأبحت جسمي من أراد جلوسي
فالجسم مني للجليس مؤانسٌ ... وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي

ومنهم:

٤ - حَبِيبُ العَجَمِيُّ*

أتى بخوارق مثل الإعجاز، وتدفق كالسحاب في الإنجاز، وأتى من قاصية بلاد، وجزَّ ناصية الليالي والآباد، حتى جال في كل مجال، ووصل إلى حيث حصَّل ما حصَّل، وأتى من أرض بعيد مداها، بديع هداها، لا تفهم ألسنتها الأعاجم، ولا تفهم الحُدَّاث عنها إلا التراجم(٢)، فجاد لها مسعى، وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى، فلم يغلق دونه الباب،

---

(١) أي مولّيةً ظهرها سائر الطوائف.

* انظر ترجمته في: مشاهير علماء الأمصار ١٥٢،حلية الأولياء ٦/١٤٩-١٥٥، تهذيب الكمال ٢٣٠، تاريخ الإسلام للذهبي - حوادث (١٢١-١٤٠) صفحة ٣٩٣، اللباب ٢/٣٢٦، تهذيب التهذيب ٢/١٨٩، سير أعلام النبلاء ٦/١٤٣، طبقات الأولياء لابن الملقن ١٨٢، تاريخ دمشق لابن عساكر٢١/٤٥ .

(٢) إشارة إلى قول المتنبي:

تجمع فيه كل لسنٍ وأمةٍ ... فما تفهم الحُدَّاث إلا التراجم

انظر: شرح ديوان المتنبي - تحقيق عبد الرحمن البرقوقي ٤/١٠٠

وكم تعلّق بغباره ذوو الألباب.

روي أنه كان يقول: " كل عمل لا يكون سرُّه عندك آثر عندك من علنه فهو رياء" .

قال بعضهم: صحبت في طريق الحجِّ رجالاً منهم حبيب العجمي، فكنت أظنُّه غلامهم لقيامه بخدمتهم، فسألتهم عنه؟ فإذا هو سيدهم.

وقال عبد الله القاشاني: بقيت أياماً أحدِّث نفسي: أي الرجال أفضل درجة؟ –أعني من رجال القوم– فبينا أنا نائم ليلة من الليالي، وإذا أنا أنظر إلى السماء وهي كالصحيفة، وفيها مكتوب بخط من نور، سطر من المشرق إلى المغرب، فقرأته فإذا هو: " حبيب ، حبيب، حبيب " مكرَّرةً ثلاث مرات.

وحكي عنه قال: كان حبيب بين جماعة في يوم شديد الحر في ذروة جبل مقفر، من أرض سجستان، فقالوا: لقد أضرَّت بنا هذه الظهيرة، وقد حانت الصلاة، فكيف نقوم بها ونحن نكاد نتساقط؟. قال: فدمعت عين حبيب ثم قال: "اللهم إنهم عبادك يريدون طاعتك، اللهم فاسقهم" . قال: فكأنما فتحت أبواب السماء بالمطر، وأتاهم عارض من بَرَد، فابتردوا به وشربوا، وتوضؤوا. ثم قاموا فصلّوا، فلما فرغوا أمسكت السماء.

وحكى عنه قال: حججت مرة، فلما كان يوم عرفة، صعدت الجبل حتى كنت بأعلاه، فنظرت بعيني؛ فإذا بالسهل والجبل قد فرشها الحُجَّاج، وكانت سنة جامعة، فاستكثرت أهل الموقف، فقلت في نفسي: " لعلَّ في هؤلاء من لا يغفر له!" فسمعت قائلاً يقول بصوت ملأ ما بين الجبلين: " هو أكرم من هذا" .

قلت: ويقرب من هذا ما حكاه الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي في ترجمة "سليمان ابن داود المباركي عن التتائي قال: "أفضت من عرفات وقد مضى الناس، فبينما أنا أسير وحدي، إذا أنا برجلين يقول أحدهما لصاحبه: يا حبيب! .فقال الآخر: لبيك! . قال: أترى الذي تحاببنا فيه، يعذِّبنا؟. قال: فسمعوا صوتاً: "ليس بفاعل، ليس بفاعل" .

ومنهم:

٥ - أَبُو إِسْحَاقَ إِبراهيمُ بنُ أَدْهَمَ بنِ مَنصُورٍ *

من كورة بلخ(١)،[لات] بعطفيه حلل التقوى الفاخرة، وملك الدنيا فرغب في الآخرة، بلغ ما لا يتوهم، وسبق ولا غرو له وهو ابن أدهم، وكان أي رجل، لم تجرَّه الدنيا بحبالها، ولم تغره الدنيا بخيالها، فأعرض عن الأعراض، وبقايا سورها(٢)،وقليل ميسورها، وزهد زهداً صار فيه مثلاً يضرب، ورجلاً حديثه يُسْتَغرَب، إلى أن قطع الأجل كما يقطع المسافر المسافة، وحطَّ رحله حيث أمن المخافة.

وكان من أبناء الملوك، فخرج يوماً متصيِّداً، فأثار ثعلباً، وقيل: أرنباً، فهتف به هاتف(٣): يا إبراهيم!، ألهذا خُلِقْتَ، أم بهذا أُمِرْتَ؟.

ثم هتف به من "قربوس"(٤) سرجه: والله ما لهذا خُلِقْتَ، ولا بهذا أُمِرْتَ؟.

* ينظر ترجمته في: التاريخ لابن معين ٢/٦، والورع لأحمد ٥و١١و٨٦و١٨٦، والتاريخ الكبير ١/٢٧٣ رقم ٨٧٧، ومشاهير علماء الأمصار ١٨٣ رقم ١٤٥٥، والثقات لابن حبان ٦/٢٤، وحلية الأولياء ٧/٣٦٧، حتى آخر الجزء،أول الجزء الثامن حتى ٥٨، رقم ٣٩٤، ومجابو الدعوة لابن أبي الدنيا ٩٢، وتاريخ جرجان ٩٣و٢٥٤، وطبقات الصوفية للسلمي ٢٧ وما بعدها، وطبقات ابن الملقن ٥ وما بعدها، والرسالة القشيرية ١/٣٨و٤٣٨/٢/٦٨٤، وصفة الصفوة ٤/١٥٢-١٥٨، رقم ٧٠١، وتاريخ بغداد ٦/٤٧-٤٨ في ترجمة خادمه (إبراهيم بن بشار رقم ٣٠٧٠)، ووفيات الأعيان ١/٣١وما بعدها، والتوابين ١٤٩ .

(١) بلخ مدينة مشهورة بخراسان، من أجمل مدنها، وأشهرها ذكراً، وأكثرها خيراً، بينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخاً، على الشاطيء الجنوبي لنهر جيحون، على رافده، وقد كانت بلخ القصبة السياسية لولاية خراسان القديمة، ثم أصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان. مراصد الاطلاع ١/١٦٨، دائرة المعارف الإسلامية مادة بلخ.

(٢) السؤر: البقية والفضلة.

(٣) الهاتف يكون من مَلَكٍ أو خاطر خير يقع في القلب ملهماً.

(٤) القَربوس – بفتح القاف – "كحلزون" : حنو السرج، وهما قربوسان؛ مقدم السرج ومؤخره، ويقال لهما حنواه، وجمعه قرابيس. تاج العروس ٤/٢١٤ .

فنزل عن دابَّته، وصادف راعياً لأبيه، فأخذ جُبَّته، وكانت من صوف، فلبسها، وأعطاه ثيابه، وقماشه، وفرسه.

ثم دخل مكة، وصحب بها سفيان الثوري(١)، والفضيل بن عياض(٢)، ثم ارتحل إلى الشام، وأقام بها.

وكان يأكل من عمل يده؛ مثل: الحصاد، وعمل البساتين، وغيرهما.

وصادف في بعض البراري رجلاً علَّمه "اسم الله الأعظم" فدعا به، فرأى الخضر عليه السلام.(٣)

وكان – رضي الله عنه – كبير الشان في باب الورع:

يحكى عنه أنه قال: " أطب مطعمك، ولا حرج عليك أن لا تقوم الليل ولا تصوم النهار".

(١) هو سفيان بن سعيد الثوري، ولد سنة ٩٧هجرية، وتوفي بالبصرة سنة ١٦١هجرية، وكان عالماً عابداً زاهداً، كانوا يسمونه أمير المؤمنين في الحديث، وكان لا يعلم أحداً العلم إلا إذا تعلم الأدب والتنزه. وكان يقول: إذا فسد العلماء فمن بقي في الدنيا يصلحهم؟ ثم ينشد:

يا معشر العلماء يا ملح البلد ... من يصلح الملح إذا الملح فسد

وكان إذا جلس للعلم، وأعجبه منطقه، يقطع الكلام خوفاً من الغرور، ويقوم، ويقول: أخذنا ونحن لا نشعر، وكان يملي الحديث، ويقول: والله لو رآني عمر بن الخطاب لضربني بالدرة، وأقامني، وقال: "مثلك لا يصلح للحديث". وكان يقول للناس إذا طلبوا منه الحديث: " والله ما أرى نفسي أهلاً لإملاء الحديث، ولا أنتم أهلاً لأن تسمعوه، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال القائل: " افتضحوا فاصطلحوا". وكان قد امتنع من الجلوس للعلم، فقيل له في ذلك فقال: والله لو علمت أنهم يريدون بالعلم وجه الله لأتيتهم في بيوتهم وعلَّمتهم، ولكن إنما يريدون المباهاة وقولهم حدثنا سفيان".

انظر: خلاصة تذهيب الكمال ١٢٣، وتاريخ بغداد ٩/١٥١-١٧٤.

(٢) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي شيخ الحرم، من أكابر العباد الصلحاء. كان ثقة في الحديث، أخذ عنه الإمام الشافعي، ومولده في سمرقند سنة ١٠٥هجرية، وتوفي بمكة سنة ١٨٧هجرية.

(٣) وقال له: إنما علَّمك أخي داود الاسم الأعظم، فلا تدع به على أحد بينك وبينه شحناء، فتهلكه هلاك الدنيا والآخرة، ولكن ادع الله أن يشجِّع به جبنك، ويقوِّي به ضعفك، ويجدِّد به في كل ساعة رغبتك، ثم انصرف وتركه. "طبقات الصوفية للسلمي ٣٠-٣١، الرسالة القشيرية ١/٥٥".

وكان من دعائه: " اللهمَّ! انقلني من ذلِّ معصيتك إلى عز طاعتك " .

وروي أنه كان يحفظ كرماً ؛ فمرَّ به جندي، فقال: أعطنا من هذا العنب. فقال: ما أمرني به صاحبه. فأخذ الجندي يضربه بسوطه، فطأطأ رأسه وقال: "اضرب رأساً طالما عصى الله !!" .(١)

وقيل: مرَّ إبراهيم بن أدهم بسوق البصرة، فاجتمع إليه الناس، وقالوا: يا أبا إسحاق! إن الله يقول في كتابه: ﴿ ادعوني أستجب لكم ﴾(٢)، ونحن ندعوه فلا يستجيب لنا! .

فقال: يا أهل البصرة! ماتت قلوبكم في عشرة أشياء:

أولها: عرفتم الله ولم تؤدُّوا حقه.

والثانية: قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به.

والثالثة: ادَّعيتم حبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركتم سُنَّته! .

والرابعة: ادَّعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه! .

والخامسة: قلتم: نحبُّ الجنة، وما تعملون لها! .

والسادسة: قلتم: إن الموت حق، ولم تستعدوا له! .

والسابعة: قلتم: نخاف النار[ورهنتم] أنفسكم! .

والثامنة: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم! .

والتاسعة: أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها! .

والعاشرة: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم! .

---

(١) الرسالة القشيرية ١/٥٧

(٢) سورة غافر – الآية ٦٠

وقال إبراهيم بن بشار[1]: سألت إبراهيم بن أدهم عن العبادة؟ فقال: "رأس العبادة التفكر، والصمت، إلا عن ذكر الله تعالى".

وقد بلغني إنه قيل للقمان: ما بلغ من حكمتك؟ فقال: لا أسأل عما قد كُفِيت، ولا أتكلَّفُ ما لا يعنيني.

ثم قال: يا ابن بشار! إنما ينبغي للعبد أن يصمت أو يتكلَّم بما ينتفع به أو ينفع به من موعظة، أو تنبيه، أو تخويف، أو تحذير.

يا ابن بشار! مثِّل لبصر قلبك حضور مَلَكِ الموت – عليه السلام– لقبض روحك، فانظر كيف تكون؟.

ومثِّل هول المطلع، ومساءلة منكر ونكير. فانظر كيف تكون؟.

ومثِّل القيامة وأهوالها، وأفزاعها، والعرض، والحساب، والوقوف، فانظر كيف تكون؟. ثم صرخ صرخة، ووقع مغشيّاً عليه.

وكتب عمر بن منهال القرشي إلى إبراهيم بن أدهم، وهو بالرملة: أن عظني موعظة أحفظها عنك. فكتب إليه:

"أما بعد... فإن الحزن على الدنيا طويل، والموت من الإنسان قريب، وللنقص منه في كل وقت نصيب، وللبلاء في جسمه دبيب، فبادر بالعمل قبل أن ينادى بالرحيل، واجتهد في العمل بدار الممر قبل الانتقال إلى دار المقر".

وقال أحمد بن الفضل العكي: سمعت أبي يقول: مرَّ إبراهيم بن أدهم بقيسارية[2]، وقد

---

(١) إبراهيم بن بشار بن محمد، أبو إسحاق الخراساني، الصوفي، خادم إبراهيم بن أدهم، كان ينتسب إلى ولاء معقل بن يسار، قدم بغداد، وحدَّث بها. تاريخ بغداد ٦/ ٤٧

(٢) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام، تُعَدُّ في أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، وقيسارية أيضاً مدينة كبيرة في بلاد الروم. انظر: "معجم البلدان" لياقوت ٤/ ٤٢١، و"الروض المعطار" للحميري صفحة ٤٨٦، وانظر خبر فتحها في "تاريخ خليفة بن خياط" ص ١٤١، و"تاريخ الإسلام" للذهبي ٢/ ٢٦، و"تاريخ الطبري" ٤/ ١٠٢ .

تعجَّل ديناراً من نظارة كرم، فسمع صوت امرأة تصيح، فقال: ما لهذه؟. قالوا: تلد. قال: وأي شيء نعمل لها عند ولادتها؟. قالوا: نشتري لها الدقيق، والزيت، والعسل، والسمن. فصرف ديناره، واشترى زنبيلا[١]، وملأه من هذه الأخبية، ثم حمله على رقبته إلى بابها، وقال: خذوا!. فنظروا... وإذا هم أفقر بيت من أهل قيسارية، وأعبده لله تعالى!!.

وقال بقية بن الوليد[٢]: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: تعلَّمت المعرفة من راهب يقال له: سمعان. دخلت عليه في صومعته، فقلت له: يا سمعان! منذ كم أنت ها هنا؟. فقال: منذ سبعين سنة!، فقال: يا حنيفي! وما دعاك إلى هذا؟. فقلت: أحببت أن أعلم. ثم قلت له: ما الذي تأكل؟. قال: في كل ليلة حمّصة!. قلت: فما الذي يهيج قلبك حتى يكفيك الحمّصة؟. فقال: ترى الدير الذي بحذائك؟. قلت: نعم. قال: إنهم يأتوني في كل سنة يوماً واحداً؛ فَيُزَيِّنُونَ صومعتي، ويطوفون حولها، ويعظِّموني بذلك، فكلَّما تثاقلت نفسي عن العبادة، ذكرت تلك الساعة، فأنا أحتمل جهد سنة لعزٍّ ساعة، فاحتمل أنت يا حنيفي جهد ساعة لعزٍّ الأبد. فوقعت المعرفة في قلبي. ثم قال لي: حسبك أو أزيدك؟. قلت: زدني.

فقال: انزل عن الصومعة، فنزلت، فأدلى إلي ركوة فيها عشرون حمصة، وقال لي: ادخل الدير، فقد رأوا ما أدليت لك، فلما دخلت الدير، اجتمع النصارى حولي، فقالوا: يا حنيفي! ما الذي أدلى لك الشيخ؟. قلت: من قُوته. قالوا: وما الذي تصنع به؟. نحن أحقُّ به، فبعناه. قلت: بعشرين ديناراً؛ فاشتروه، ثم رجعت إلى الشيخ، فقال: يا حنيفي! لو التمست منهم عشرين ألف دينار لأعطوك!. ثم قال: هذا عزُّ من لا تعبده، فكيف عزُّ من عبده؟. يا حنيفي! أقبِلْ على ربك، ودع المجيء والذهاب.

---

(١) قال في اللسان: الزَّبيل والزِّنبيل: الجراب، وقيل: الوعاء يُحمل فيه، فإذا جمعوا قالوا: زَنابيل، وقيل: الزِّنبيل خطأ وإنما هو زبيل، وجمعه: زُبُل، وزُبلان. " لسان العرب مادة ز ب ل ".

(٢) بقية بن الوليد الكلاعي، الحميري، أبو يحمد الحمصي، أحد الأعلام، قال ابن عدي: " إذا حدَّث عن أهل الشام، فهو ثبت، وإذا روى عن غيرهم خلط ". توفي سنة سبع وتسعين ومائة. خلاصة تذهيب الكمال: ص٤٦.

وقال إبراهيم بن أدهم: مررت براهب في صومعته، والصومعة على عمود، والعمود على قُلّة (١) جبل، كلما عصفت الريح تمايلت الصومعة. فقلت: يا راهب! فلم يجبني. ثم ناديته ثانياً، فلم يجبني. فقلت في الثالثة: بالذي حبسك في صومعتك إلا أجبتني. فأخرج رأسه من صومعته، فقال: سمَّيتني باسمٍ لم أكن له بأهل!، قلت لي: يا راهب!، ولست براهب، إنما الراهب من رهب ربه عزَّ وجلَّ. قلت: فما أنت؟. قال: سجنت سَبُعَاً من السباع. قلت: ما هو؟. قال: لساني سَبُعٌ ضارٍ، إن أنا أرسلته مزَّق الناس.

يا حنيفي! إن لله عباداً سلكوا خلال دار الظالمين، واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين، وشابوا ثمرة العلم بنور الإخلاص، هم - والله - عباد كحَّلوا أبصارهم بسهر الليل، فلو رأيتهم في ليلهم، قد نامت عيون الخلق وهم قيام على أطرافهم، يناجون من لا تأخذه سنة ولا نوم.

يا حنيفي!، عليك بطريقهم. قلت: فعلى الإسلام أنت؟. قال: ما أعرف غير الإسلام ديناً، ولكن عهد إلينا المسيح عليه السلام، ووصف لنا آخر زمانكم، فخليت الدنيا، وإن دينكم لجديد، وقد خَلِق.

وقال إبراهيم: رأيت في المنام كأن جبريل - عليه السلام - نزل إلى الأرض، فقلت له: لم نزلت؟. قال: لأكتب المحبين. فقلت: مثل من؟. فقال: مثل مالك بن دينار، وثابت البناني، وأيوب السختياني، وعدَّ جماعة. فقلت: أنا منهم؟. فقال: لا. فقلت: فإذا كتبتهم، فاكتب تحتهم: " محب المحبين" . فقال: قد أمرني الله تعالى أن أكتبك أولهم.

وقال: " نِعْمَ القوم السُّؤَّالُ (٢)، فإنهم يحملون زادنا إلى الآخرة" .

وروي عنه أنه قال: "ما سررت في إسلامي إلا ثلاث مرات:

---

(١) قُلَّة الجبل: بضم القاف أعلى الجبل." القاموس مادة قلل" .

(٢) المراد السؤَّال الحقيقيون المستحقون للصدقة والإعطاء، الذين ألجأتهم الحاجة إلى السؤال، وقليلٌ ما هم، لا الذين يتخذون المسألة مهنة لهم، وكثير ما هم، فقد ورد في أولئك الوعيد والتهديد بأنهم سيلقون الله تعالى وليس في وجه أحدهم مزعة لحم.

كنت في سفينة وفيها رجل مضحاك، كان يقول: كنا نأخذ العلج في بلاد الترك هكذا!! وكان يأخذ بشعر لحيتي، ويهزُّني، فسرَّني ذلك، لأنه لم يكن في تلك السفينة أحقر في عينه مني!.

والثانية: كنت عليلاً في مسجد، فدخل المؤذِّن، فقال: اخرجْ، فلم أُطِقْ، فأخذ برجلي، وجرَّني إلى خارج المسجد.

والثالثة: كنت بالشام، وعليَّ فرو، فنظرت فيه أميِّز بين شعره والقمل لكثرته، – وفي رواية – كنت يوماً جاء إنسان وبال عليَّ، وجاء آخر وصفعني!" .

وقال أبو عبد الله بن الفرج: اطَّلعت على إبراهيم بن أدهم بالشام وهو نائم، وعند رأسه أفعى في فمها باقة نرجس تذبُّ عنه حتى انتبه!.(١)

ومنهم:

٦ – الفُضَيْلُ بنُ عِيَاض *

أبو علي الخراساني.

(١) قال أبو سليمان الداراني: صلى إبراهيم بن أدهم خمس عشرة صلاة بوضوء واحد،وتوفي سنة ١٤٠هجرية، في الجزيرة، وحمل إلى صور فدفن هناك، رحمه الله تعالى، ونفعنا ببركاته، إنه على ما يشاء قدير." وفيات الأعيان ١/٣٢".

* **ينظر** ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/٥٠٠، والتاريخ لابن معين٢/٤٧٦، وتاريخ خليفة ٤٥٨، والتاريخ الكبير ٧/١٢٣ رقم ٥٥٠، وتاريخ الطبري ١/٢٩٤و٣٢٤، ومشاهير علماء الأمصار ١٤٩ رقم ١١٧٩، وطبقات الصوفية للسلمي ٦–١٤ ، وحلية الأولياء ٨/٨٤–١٣٩، رقم ٣٩٧، والرسالة القشيرية ١/٦٢، ووفيات الأعيان ٤/٤٧–٥٠ رقم ٥٣١، وتهذيب الأسماء واللغات ق٢ج١/٥١، ٥٢ رقم ٥٦، وسير أعلام النبلاء ٨/٣٧٢–٣٩٠ رقم ١١٤، والبداية والنهاية ١٠/١٩٨–١٩٩، والنجوم الزاهرة ٢/١٢١و١٤٣، والطبقات الكبرى للشعراني ١/٦٨،٦٩، والكواكب الدرية للمناوي ١/١٤٨،١٤٩،١٥٠، وشذرات الذهب ١/٣١٦–٣١٨، وجامع كرامات الأولياء ٢/٢٣٥، وتاريخ الإسلام وفيات سنة ١٨٧هجرية.

رجلٌ رأى بعين البصيرة واطَّبع، وتمثَّل بصفاء السريرة هول المطلَع، أسمعه النذير، وأسرعه النفير، وزجره واعظ القرآن فازدجر، وألان قلبه – وكان من حديد أو حجر –، وقد مضت عليه سنون كان سائحاً في سَنَتِها(١) طافحاً بسمتها، وشبابه مقتبل، وشأنه أنه لغُرَّة العمر مهتبل، فردَّ سيله قبل بلوغ القرآن، وأنام سيفه بعد ما فقد غراره(٢)، وذلك حين آن له المتاب، وسبق له الكتاب، فعمل بعمل أهل الجنة، وأظهر الله له من سرِّه ما أجنَّه.

وروى أبو القاسم القشيري بسنده قال: كان الفضيل شاطراً(٣) يقطع الطريق بين أبيورد(٤) وسرخس.

وكان سبب توبته: أنه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها، سمع تالياً يتلو: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾(٥)، فقال: يا رب! قد آن. فرجع، فآواه الليل إلى خَرِبَة، فإذا فيها رفقة(٦)، فقال بعضهم: نرتحل، وقال قومٌ: حتى نصبح، فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا. فتاب الفضيل(٧)، وأمَّنهم، وجاور الحرم حتى مات.

وقال الفضيل بن عياض: " إذا أحبَّ الله عبداً أكثر غمَّه(٨)، وإذا أبغض عبداً وسَّع عليه دنياه(٩) ".

وقال ابن المبارك: إذا مات الفضيل ارتفع الحزن .(١٠)

---

(١) السنت: أرضة سنتة لم تنبت " القاموس مادة سنت".

(٢) الغِرار بالكسر: حد الرمح والسيف والسهم "القاموس مادة غرر".

(٣) شطر" بضم الطاء" شطارة : اتصف بالدهاء والخباثة ، فهو شاطر، والشاطر أيضاً: من أعجز أهله بخبثه.

(٤) أبيورد: مدينة بخراسان بين نسا وسرخس، فتحت على يد عبد الله بن عامر بن كريز، سنة إحدى وثلاثين، وهذه المدينة تابعة اليوم لتركستان إحدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق.

(٥) سورة الحديد الآية /١٦ .

(٦) أي جماعة من الناس.

(٧) أي: جدَّد توبته وأظهرها.

(٨) وذلك بتذكره لأمر آخرته وما يؤول إليه، وتقصيره في أمر دينه وطاعة ربه، فيغتم لذلك.

(٩) قال الشيخ زكريا الأنصاري: " أي شغله عنه بحبه لها".

(١٠) وذلك لكونه رضي الله عنه أكثر الناس حزناً في وقته.

وقال الفضيل: " لو أن الدنيا بحذافيرها عُرِضتْ عليَّ ولا أحاسب بها لكنت أتقذَّرها، كما يتقذَّر أحدكم الجيفة إذا مرَّ بها أن تصيب ثوبه"(١)

وقال: " ترك العمل لأجل الناس هو الرياء(٢)، والعمل لأجل الناس(٣) هو الشرك".

وقال أبو علي الرازي: صحبت الفضيل ثلاثين سنة، ما رأيته ضاحكاً، ولا مبتسماً(٤)، إلا يوم مات ابنه علي، فقلت له في ذلك؟. فقال: "إن الله أحبَّ أمراً فأحببت ذلك".

وقال الفضيل: " إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي". (٥)

حكى في "مناقب الأبرار"(٦) عن سفيان بن عيينة - رضي الله عنه قال: قال لي الرشيد: أريد أن ألقى الفضيل بن عياض، لعلَّ الله أن يحدثَ لي عظةً أنتفع بها. فقلت له: والله! إنَّ ذلك لحبيب إليَّ، ولكنه رجلٌ قد أخذ نفسه بخدمة الله تعالى، فما لأحد فيه حظ، وأكره أن تراه متصوفاً في بعض حالاته من عبادة ربه - عزَّ وجلَّ - فتوهم عليه جفاء،

---

(١) ويحكى أن الرشيد قال له يوماً: ما أزهدك!، فقال الفضيل: أنت أزهد مني!. قال: وكيف ذلك؟. قال: لأني أزهد في الدنيا، وأنت تزهد في الآخرة، والدنيا فانية، والآخرة باقية.

(٢) أي أن العمل لأجل ثناء الناس يكون هو الرياء بعينه.

(٣) أي العمل حباً في المحمدة؛ أو نيلاً لعرَضٍ فانٍ.

(٤) فيه دليل على كمال حزنه في سائر أوقاته رضي الله عنه، وإنما يتكلف الضحك والسرور بموت ولده على خلاف عادته، لأنه علم أن الله تعالى يحب منه هذه الحالة، لكونه دليل الرضا بقضائه سبحانه وتعالى. قال ابن خلّكان: وكان ولده المذكور شاباً سرياً من كبار الصالحين، وهو معدود من جملة من قتلتهم محبة الباري سبحانه وتعالى، وهم مذكورون في جزء سمعناه قديماً ولا أذكر الآن من مؤلفه "انظر: وفيات الأعيان" ٤/ ٤٩.

(٥) أي بأن يتعاصى عليه حماره، وهذا يفعله الله سبحانه حفظاً لأوليائه إذا قصروا في أحوالهم فيما بينهم وبينه، أدَّبهم ليرجعوا إليه بسرعة، وتارة يعكس عليهم أسباب دنياهم، وتارة أخرى أسباب آخرتهم من تغير قلوبهم، وعدم نشاطهم، فإذا رجعوا إليه بالتذلل والسؤال منَّ عليهم بشريف نواله.

(٦) مناقب الأبرار ومحاسن الأخيار، تأليف الشيخ الإمام تاج الإسلام أبي عبد الله حسين بن نصر بن أحمد المعروف بابن خميس الموصلي الشافعي، المتوفى سنة ٥٥٢هجرية، وهو على طراز الرسالة القشيرية، وقد اختصره وذكر فيه أنه تتبع مسموعاته، ومما جمعه العلماء من أخبار الصالحين، كطبقات السلمي، والحلية، وبهجة الأسرار، وتهذيب الأسرار، والرسالة القشيرية، فجمع الجميع بحذف الأسانيد." انظر: كشف الظنون " لحاجي خليفة ٢/ ١٨٣٥".

وإن كنت والله أعرفه الرجل الكريم العِشرَة، الحسَن الخُلُق، يُوهم من شاهده من لينه أنه داخلٌ في حكم العامة.

فقال لي: ما عزمت على لقائه حتى وطَّنت نفسي على احتمال مشاهدتي أخلاقه. ثم قال: ويحك يا سفيان!، إن شَرَف التقوى شرفٌ لا يزاحم عليه بإمرةٍ ولا خلافة!. فأدَّيتُ ذلك إلى الفضيل، فقال: إنه لحسن العقل، لولا ما ضُربَ به من فتنة هذه العاجلة!. ويسوؤني أيضاً ، فأما ما يسوؤني منه فلم أرَ مثله يرفل في سوابغ النعم عرياناً من الشكر، ثم قطَّب بين عينيه، وقال: ما قدرُ من كان لله عاصيا؟. لا حاجة لي في لقائه.

فلم أزل أرفق به حتى أذن، فرجعت إلى الرشيد فأعلمته، وقلت له: ليس يطمع فيه إلا وقت إفطاره، وكان إفطاره كاختطاف الطائر حبَّهُ.

فركب الرشيد، ولبس مبطنة، وطيلساناً، وغطاء رأسه، ومعه مسرور الخادم، وأنا؛ فدققت الباب؛ فنزل وفتح، ودخل، ودخلت معه، ووقف مسرور على الباب، فسلَّم عليه الرشيد قائماً، فتشمَّ منه رائحة المسك، فقال الفضيل: " اللهمَّ! إني أسألك رائحة الخلد التي أعددتها لأوليائك المتقين في جنات النعيم " .

ثم تبادرت دموعه على لحيته، فقلت: يا أبا علي! هذا أمير المؤمنين واقفٌ يسلِّم عليك، فرفع رأسه، وقال: وإنك لهو يا حسن الوجه؟. ونظر إلى الرشيد وهو يبكي، فقال له: اعلم أن الأحكام قد سلبت فضيلة العدل، وهو في صحيفتك يدرج معك في كفنك ليوم النشور، وقد بدا إليك سرعة نفاذ ما أنت فيه من تقدَّمك من آبائك، ثم نهض، وقال: " الله أكبر " . فقلت له: يا أمير المؤمنين! أما إذا افتتح الصلاة فليس فيه حيلة. وانصرفنا. فقال الرشيد وهو خارج: لولا خجلي منك لقبَّلتُ ما بين عينيه، فقلت له: والله لوددت أن فعلت!.

ولد الفضيل بسمرقند(١)، ونشأ بأبيورد، وتوفي بمكة سنة سبع وثمانين ومائة.

ومنهم:

٧ - دَاوُدُ بنُ نُصَير الطَّائيّ*

وصل إلى الغاية وبلغها، وتجنَّب الغواية ومبلغها، تفقَّه ثم اعتزل، وتنبَّه ثم لم يَزِلْ، وقطع مدة البقاء على فرْد قدم، وفرَّ من الدنيا ولم يداخله ندم، وكان وشبابه غربيب(٢)، وجلبابه ما علق بريح حبيبة ولا حبيب، مُجِدٌّ في العلم وطَلَبِه، مجدد بما يعلم دواعي طربه، يسعى إليه ولا يتكبَّر، ويرعى ما يرد عليه ويتدبَّر، ثم لما اضطلع من ذلك البحر الرواء، انخلع من ذلك الرداء، ولبس رتق الفقراء المبرَّأ من الرياء، وطمَّ طمعه فانفطم، وأحب الخلوة فكان لا يفارق ظلَّ أطم.(٣)

---

(١) سَمَرقَنْد: بفتح السين المهملة، والميم، وسكون الراء، وفتح القاف، وسكون النون، وبعدها دال مهملة، أعظم مدينة بما وراء النهر، قال ابن قتيبة في كتاب المعارف" في ترجمة شمر بن أفريقش أحد ملوك اليمن: إنه خرج في جيش عظيم ودخل أرض العراق، ثم توجه يريد الصين فأخذ على فارس وسجستان وخراسان، وافتتح المدائن والقلاع، وقتل وسبى، ودخل مدينة الصغد فهدمها، فسميت: شمر كند، أي شمر أخربها، لأن "كند" بالعجمي معناه بالعربي أخرب، ثم عرَّبها الناس فقالوا: سمرقند، ثم أعيدت عمارتها، فبقي عليها ذلك الاسم. **انظر**: وفيات الأعيان ٤/٤٩-٥٠ .

* **ينظر** ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٦/٣٦٧، وحلية الأولياء ٧/٣٣٥-٣٦٧ رقم ٣٩٣، وطبقات الصوفية للسلمي ٨٥، وربيع الأبرار ١/٥٧،و٤/٤٦، والزهد الكبير للبيهقي رقم ٢٩و٤٥ومواضع أخرى، وتاريخ بغداد ٨/٣٤٧-٣٥٥، رقم ٤٤٥٥، والكامل في التاريخ ٦/٥٠، وصفة الصفوة ٣/١٣١-١٤٦ رقم ٤٤٢ ،ووفيات الأعيان ٢/٢٥٩-٢٦٣، و٥/٢٣٢، وتهذيب الكمال ٨/٤٥٥-٤٦١ رقم ١٧٨٩، وسير أعلام النبلاء ٧/٤٢٢-٤٢٥ رقم ١٥٨، والعبر ١/٢٣٨، والوافي بالوفيات ١٣/٤٩٥-٤٩٦ رقم ٥٩٢، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٢٠٠-٢٠٣ ،وشذرات الذهب ١/٢٨٦، وتاريخ الإسلام وفيات سنة ١٦٥هجرية.

(٢) قال في القاموس: " الغربيب: الشيخ يسوِّد شيبه بالخضاب" .

(٣) الأُطم كل بيت مربع مسطح، كناية عن لزوم بيته.

قال الذهبي: " كان إماماً فقيهاً ذا فنون عديدة ثم تعبَّد وآثر الوحدة وأقبل على شأنه، وساد أهل زمانه، توفي سنة ١٦٦هجرية بالكوفة" ومن كلامه رضي الله عنه:" إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة، حتى ينتهي بهم =

قال أبو علي الدقاق: كان سبب زهد داود: أنه كان يمرُّ ببغداد يوماً، فنحّاه[١] المطرِّقون[٢] بين يدي حميد الطوسي، فالتفت داود، فرأى حميداً، فقال داود: أفٍّ لدنيا سبقك بها حميد!. فلزم البيت، وأخذ في الجهد والعبادة.

وقال القشيري: سمعت ببغداد بعض الفقراء يقول: إن سبب زهده أنه سمع نائحة تنوح وتقول:

بأي خديك تبدّى البلى وأي عينيك إذاً سالا

وقيل: كان سبب زهده: أنه كان يجالس أبا حنيفة رضي الله عنه، فقال له أبو حنيفة يوماً: يا أبا سليمان! أما الأداة[٣] فقد أحكمناها. فقال له داود: فأي شيء بقي؟. فقال: العمل به.

قال داود: فنازعتني نفسي إلى العُزلة، فقلت لنفسي: حتى تجالسهم ولا تتكلم في مسألة. قال: فجالستهم سنة لا أتكلم في مسألة، وكانت المسألة تمرُّ بي، وأنا إلى الكلام فيها أشدُّ نزاعاً من العطشان إلى الماء البارد ولا أتكلم. ثم صار أمره إلى ما صار.[٤]

وقيل: حَجَمَ "جنيدُ الحجام" داود الطائي، فأعطاه ديناراً، فقيل له: هذا إسراف. فقال: "لا عبادة لمن لا مروءة له."[٥]

وكان يقول بالليل: " إلهي! همُّك عطَّل علي الهموم الدنيوية، وحالَ بيني وبين الرقاد" .

وقالت داية[٦] داود الطائي له: أما تشتهي الخبز؟. فقال: بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية!.

= ذلك إلى آخر سفرهم، فإن استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاداً لما بين يديها فافعل".
وقال: "لا تمهر الدنيا دينك، فمن أمهرها دينه زفت إليه الندم".

(١) أي ردُّوه إلى جانبها. (٢) أي الموسعون لها.

(٣) الأداة: يقصد العلم.

(٤) الرسالة القشيرية ١/ ٨٢.

(٥) تاريخ بغداد ٨/ ٣٥٠، وحلية الأولياء ٧/ ٣٥٤

(٦) جارية، وقالت له ذلك حينما رأته لا يأكل الخبز بل يشرب الفتيت.

ولما توفي، رآه بعض الصالحين في المنام، وهو يعدو، فقال له: مالك؟. فقال: " الساعة تخلّصت من السجن" . فاستيقظ الرجل [من منامه]، وارتفع الصيّاح [يقول الناس:]مات داود الطّائي.

وقال له رجلٌ: أوصني.

فقال له: "عسكر الموت ينتظرونك" .

ودخل عليه بعضهم، فرأى جرَّة ماء انبسطت عليها الشمس، فقال له: ألا تحوّلها إلى الظلّ؟.

فقال: " حين وضعتها لم يكن شمس، وأنا أستحي أن يراني الله أمشي لما فيه حظٌّ نفسي (١)" .

ودخل عليه بعضهم، فجعل ينظر إليه، فقال: أما علمت أنهم كانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون فضول الكلام؟.

وقال أبو الربيع الواسطي: قلت لداود الطائي: أوصني. فقال: "صُمْ عن الدنيا، واجعل فِطرَكَ الموت، وفرَّ من الناس كفرارك من الأسد(٢)" .

---

(١) حلية الأولياء ٧ / ٣٥١، ٣٥٢، الكواكب الدرية ١ / ١٠٤

(٢) وقيل: دخل عليه رجل فقال له: ما حاجتك؟ قال: زيارتك!. فقال: أما أنت فقد فعلت خيراً حين زرت، ولكن انظر ما ينزل بي أنا، إذا قال لي: من أنت لتزار؟. من الزهاد؟ لا والله؟، أنت من العبّاد؟ لا والله!، أنت من الصالحين؟ لا و الله!، ثم أقبل يوبِّخ نفسه: كنت في الشبيبة فاسقاً ، ولما شبت صرت مرائياً؟. الكواكب الدرية ١ / ١٠٤ .

فانظر يا أخي إلى ما كانوا عليه وإلى ما صار حالنا إليه، ثم يأتي أقوام في أيامنا – النحسات – هذه ويقولون بكل صفاقة وتبجح، وسوء أدب – يقولون :" نحن رجال وهم رجال" وهي مقالة لبّس الشيطان عليهم بها، وكان الأجدر أن يقولوا:" هم ذكور ونحن ذكور" اشتركنا معهم في الذكورية لا الرجولة، فيا ترى: هل فعل هؤلاء بعض ما عمله أولئك الرجال – رضي الله عنهم – من تقوى، وطاعة، وعبادة، وورع، وتلاوة للقرآن ، وصيام النهار، وقيام الليل، وغير ذلك من ضروب الطاعات، وصنوف المجاهدات؟، حتى يتجرأ البعض ممن أعمى الله بصره وبصيرته فيقول:" هم رجال ونحن رجال" !!، وكان أحرى بهم أن يعرفوا قدرهم، ويقفوا عند حدهم، لكنه الخذلان – والعياذ بالله –، ونعوذ به منه. فاللهم استرنا بسترك الجميل، واقبلنا على ما فينا، بجاه حبيبك المصطفى – صلى الله عليه وسلم – لا تردنا خائبين، فليس لنا عمل إلا شبهة محبة هؤلاء العارفين الصادقين، فوفقنا للصدق في محبتهم واجعله بين أيدينا يوم نلقاك يا رب العالمين بحرمة سيد المرسلين وآله الطيبين الطاهرين وكل من له جاه آمين.

قال ابن خُبَيق: ورث داود الطائي عشرين ديناراً ، فأكلها في عشرين سنة .(١)

وقال – رضي الله عنه –: "صاحبْ أهل التقوى فإنهم أقلُّ مؤونة، وأكثر معونة" .

وقيل له يوماً: لو تنحَّيت عن الشمس إلى الظل؟. فقال: هذه خطى لا أدري كيف تكتب؟ .(٢)

توفي داود الطائي – رضي الله عنه – سنة ستين ومائة .(٣)

---

(١) حلية الأولياء ٧/٣٤٧ .

(٢) وقيل: إنه صام اربعين سنة ما علم به أحد من أهله، فكان يحمل غداءه معه، ويتصدَّق به في الطريق، ويرجع إلى أهله يفطر عشاء، ولا يعلمون أنه صائم!. وقال له رجل: ألا تسرِّح لحيتك؟. قال: إني عنها مشغول.
قال ابو الربيع الأعرج: دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب، فقرَّب لي كسيرات يابسة، فعطشت، فقمت إلى دَنٍّ فيه ماء حار، فقلت: رحمك الله! لو اتَّخذت دَنّاً غير هذا يكون فيه الماء بارداً؟. فقال لي: إذا كنت لا اشرب إلا بارداً، ولا آكل إلا طيبا، ولا البس إلا ليِّنا، فما ابقيت لآخرتي؟.

(٣) ولما مات جاء ابن السمَّاك ووقف على قبره ثم قال: أيها الناس! إن أهل الزهد في الدنيا تعجَّلوا الراحة على ابدانهم، مع يسير الحساب غداً عليهم، وإن أهل الرغبة فيها تعجَّلوا التعب على أبدانهم مع ثقل الحساب غداً عليهم، والزهادة راحة لصاحبها في الدنيا والآخرة، والرغبة تعب لصاحبها في الدنيا والآخرة.
رحمك الله ابا سليمان! ما كان اعجب شانك! الزمت نفسك الصبر حتى قوَّمتها، اجعتها وإنما تريد شبعها، واظمأتها وإنما تريد ريَّها، اخشنت المطعم وإنما تريد طيبه، اخشنت الملبس وإنما تريد لينه.
أبا سليمان! اما كنت تشتهي من الطعام طيبه؟، ومن الماء بارده؟، ومن اللباس لينه؟، بلى، ولكن اخَّرت ذلك لما بين يديك، فما أراك إلا قد ظفرت بما طلبت، وما إليه رغبت، فما أيسر ما ضيَّعت، واحقر ما فعلت في جنب ما أمَّلت، فمن سعى مثلك عزم عزمك وصبر صبرك، آنس ما يكون إذا كنت بالله خاليا، وأوحش ما يكون آنس ما يكون الناس. سمعت الحديث ، وتركت الناس يحدثون، وتفهَّمت في دين الله، وتركتهم يفتون، لا تقبل من السلطان عطيَّة، ولا من الإخوان هديَّة، سجنت نفسك في بيتك فلا محدِّث لك، ولا ستر على بابك، فلو رأيت جنازتك وكثرة تابعك علمت انه قد شرفك وأكرمك والبسك رداء عملك، فلو لم يرغب عبدٌ في الزهد في الدنيا إلا لمحبة هذا الستر الجميل والتابع الكثير لكان حقيقاً بالاجتهاد، فسبحان من لا يضيع مطيعاً، ولا ينسى لأحد صنيعا.
ولما فرغ قام ابو بكر النهشلي فقال: يا رب! إن الناس قد قالوا ما عندهم مبلغ ما علموا، اللهم فاغفر له برحمتك، ولا تكله إلى عمله. وفرغ من دفنه وقام الناس.

ومنهم:

٨ - شَقِيق بنُ إبراهيمَ البَلْخي*

من مشايخ خراسان، وقف على الحقيقة، ورتع في حضرة القرب والحديقة، فأغرق في شيمه، وأغدق من شيمه، بعدما قضى في طلب الدنيا زمانا، وعمره خضر، وعوده نَضِر، وليل شبابه ما صابح فيه نهار المشيب، وناعم جلبابه ما طاح عنه رداؤه القشيب.

وأول كراماته، وما عرف من مقاماته، ردُّ سيل غرامه، وقد تحدَّر وأطفأ وَقْدَ ضِرامه، وقد قيل: إنه عليه لا يقدر، فقدر واحتكم، وكان شقيق النفس وإن لم يكن من حكم.

وهو أول من تكلم في علوم الأحوال بكور خراسان، وله لسان في التوكل.(١)

صحب إبراهيم(٢) وأخذ عنه الطريقة، وهو أستاذ حاتم الأصم.

وسبب توبته: أنه كان من أبناء الأغنياء خرج للتجارة إلى أرض الترك، وهو حَدَثٌ، فدخل

---

*ينظر ترجمته في: الزهد لابن المبارك ٣٤٩ رقم ٩٨٢، وطبقات الصوفية للسلمي ٦١-٦٦ رقم ٧، وحلية الأولياء ٨/٥٨-٧٣ رقم ٣٩٥، والزهد الكبير للبيهقي ٢١١ رقم ٥٣٠، وصفة الصفوة ٤/١٥٩-١٦٠ رقم ٧٠٣، الرسالة القشيرية ١٣، والتذكرة الحمدونية ١/١٧٤، وربيع الابرار ١/٦٩٦-٦٩٧، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٣٢٩-٣٣٥، ووفيات الأعيان٢/٤٧٥-٤٧٦، وسير اعلام النبلاء ٩/٣١٣-٣١٦ رقم ٩٨، ومرآة الجنان ١/٤٤٥، والوافي بالوفيات ١٦/١٧٣، رقم ٢٠٦، والنجوم الزاهرة ٢/٢١و١٤٦، والطبقات الكبرى للشعراني ١/٧٦، وشذرات الذهب ١/٣٤١، والكواكب الدرية للمناوي ١/١٢١-١٢٢، وجامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢/٤٢ .

(١) أي له توسع في معانيه، وقد أخذ الفقه عن ابي حنيفة النعمان، وقال الذهبي: سافر أبو علي شقيق البلخي، ومعه ثلاثمائة فقير، فتوسل إليه المأمون حتى اجتمع به، واجتمع به قبله أبوه الرشيد، وقال له: أنت شقيق الزاهد؟. فقال: نعم. شقيق، ولست بالزاهد!. فقال له: أوصني. قال: إن الله قد أجلسك مكان الصِّدِّيق وإنه يطلب منك مثل صدقه، ومكان الفاروق ويطلب منك الفرق بين الحق وغيره، ومكان عثمان ويطلب منك مثل حيائه وكرمه، ومقام علي، ويطلب منك مثل علمه وعدله.

(٢) أي إبراهيم بن أدهم - رضي الله عنه - وقد مرت ترجمته.

بيتاً للأصنام، فرأى خادماً للأصنام فيه، قد حلق رأسه ولحيته، ولبس ثياباً أرجوانية(١)، فقال شقيق للخادم: إن لك صانعاً، حياً، عالماً، قادراً، فاعبده ولا تعبد هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع!!.

فقال: إن كان كما تقول، فهو قادر على أن يرزقك ببلدك، فلمَ تعنَّيتَ إلى ههنا للتجارة؟(٢) فانتبه شقيق، وأخذ في طريق الزهد بعد التوبة.

وقال: " احذر أن لا تهلك بالدُّنيا. ولا تهتم! فإن رزقك لا يعطى لأحدٍ سواك".

وقال: " التوكل أن يطمئن قلبك بموعود الله".

وقال: " تعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء: في أخذه، ومنعه، وكلامه".

وقال: " الفقير هو الذي يخشى الغنى، ويغتنم الفقر".

وقال: " عملت في القرآن عشرين سنة، حتى ميَّزت الدنيا من الآخرة، فأصبته في حرفين، وهو قول الله تعالى: ﴿ وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ﴾(٣) ﴿ وما عند الله خير وأبقى ﴾(٤).

وقال: " الزاهد الذي يقيم زهده بفعله، والمتزهِّد الذي يقيم زهده بلسانه".

وقال: " إن حفظ الفقر أن ترى الفقر منَّةً من الله عليك، حيث لم يُضَمِّنْكَ رزق غيرك، ولم يُنْقِصْكَ مما قسم لك".

وقال: " ليس شيء أحبَّ إليَّ من الضيف، لأن رزقه ومؤونته على الله، ولي الأجر."(٥)

---

(١) أي مصبوغة بالأرجوان، وهو صبغ احمر شديد الحمرة.

(٢) حلية الأولياء ٨/٥٩، تهذيب تاريخ دمشق ٦/٣٣٠، الرسالة القشيرية ١٣، صفة الصفوة ٤/١٥٩، وفيات الأعيان ٢/٤٧٦.

(٣) سورة الشورى – الآية ٣٦.

(٤) سورة القصص – الآية ٦٠، وسورة الشورى – الآية /٣٦

(٥) حلية الأولياء ٨/٧١، طبقات الصوفية للسلمي ٦٥ رقم ٢١، طبقات الأولياء لابن الملقِّن ١٤.

وقال حاتم الأصم: كان شقيق البلخي موسراً، وكان يتفتّى(١)، ويعاشر الفتيان، وكان علي بن عيسى بن ماهان أمير بلخ، وكان يحب كلاب الصيد، ففقد كلباً من كلابه، فسعي برجل أنه عنده، وكان الرجل في جوار شقيق، فطلب الرجل، فهرب.. فدخل دار شقيق مستجيراً، فمضى شقيق إلى الأمير، وقال: خلّوا سبيله، فإن الكلب عندي، أردّه إليكم إلى ثلاثة أيام.

فخلّوا سبيله، وانصرف شقيق مهتمّاً لما صنع، فلما كان اليوم الثالث، كان رجل من أصدقاء شقيق غائباً من بلخ، فرجع إليها، فوجد في الطريق كلباً عليه قلادة، فأخذه، وقال: أهديه إلى شقيق، فإنه يشتغل بالتفتّي.

فحمله إليه، فنظر شقيق؛ فإذا هو كلب الأمير!. فسُرَّ به، وحمله إلى الأمير، وتخلّص من الضمان، فرزقه الله الانتباه، وتاب مما كان فيه، وسلك طريق الزهد.

وقال شقيق: لقيت إبراهيم بن أدهم بمكة في سوق الليل، وهو جالس في ناحية من الطريق يبكي، فعدلت إليه، وسلّمت عليه، وقلت له: أيش هذا البكاء يا أبا إسحاق!؟. فقال: حين عاودته مرة أو اثنتين، أو ثلاثة، فلما أكثرت عليه قال: يا شقيق! أنا أخبرك [بحديث فلا تحدِّث به أو استره علي].

فقلت: يا أخي! قل ما شئت.

فقال: اشتهت نفسي السكباج(٢) منذ ثلاثين سنة، وأنا أمنعها جهدي، فلما كان البارحة، كنت جالساً وقد غلبني النعاس، إذا أنا بفتى شاب، وبيده قدح أخضر يعلو منه بخار، ورائحة سكباج، قال: فاجتمعت بهمتي عنه، فقرب مني، وقال: يا إبراهيم! كُلْ. فقلت: ما آكل شيئاً قد تركته لله تعالى. فقال: وإن أطعمك الله فما تأكل؟. فما كان لي جواب إلا أنني بكيت. فقال لي: كُلْ يرحمك الله. فقال إبراهيم: قد أُمِرْنا أن لا نطرح في

(١) اي يفعل فعل الفتيان والشباب.

(٢) السّكباج: بالكسر، معرَّب " سنكباج" : مرق معروف فيه زعفران، ولذا يوصف بالأصفر، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما ": كان يأكل السّكباج في إحرامه". انظر" قصد السبيل للمحبي ٢ / ١٤٠".

وعائنا إلا من حيث نعلم.

فقال: كُلْ عافاك الله! فإنما أعطيت، وقيل لي: يا خضّوا اذهب بهذا، وأطعم نفس إبراهيم بن أدهم، فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من حين منعها.

توفي شقيق رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين ومائة.(١)

ومنهم:

٩ - مَعْرُوف بن فَيْرُوز الكَرْخِي: أبو محفوظ *

(١) ذكر الإمام الذهبي في تاريخه قال: " وقد ذكر عن شقيق مع انقطاعه وزهده أنه من كبار المجاهدين في سبيل الله، وكذا فَلْيكنْ زُهدُ الأولياء رضي الله عنهم. روى محمد بن عمران، عن حاتم الأصم، قال: كنا مع شقيق ونحن مصافّو العدوّ والتُّرك، في يوم لا أرى فيه إلا رؤوساً تندر، وسيوفاً تقطع، ورماحاً تُقصف، فقال لي: كيف ترى نفسك؟. هي مثل الليلة التي زُفّت إليك امرأتك؟. قلت: لا والله!. قال: ولكني أرى نفسي كذلك. ثم نام بين الصفَّين، ودَرَقَتُه تحت رأسه - أي ترسه ويكون من جلد أو خشب - حتى سمعت غطيطه، فأخذني يومئذ تركيٌّ وأضجعني للذبح، فبينا هو يطلب السكين منخُفُه إذ جاء سهمٌ عائر، فذبحه وألقاه عني.
انظر: " حلية الأولياء ٨ / ٦٤، الرسالة القشيرية ١٣، تهذيب تاريخ دمشق ٦ / ٣٣٥، صفة الصفوة ٤ / ١٦٠، طبقات الأولياء ١٣ باختصار شديد، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٣ / ٢٢٩-٢٣٠".
وذكر أبو يعقوب القرَّاب أن شقيق بن إبراهيم رحمه الله تعالى قُتِل في غزوة كُولان - بليدة طيبة في حدود بلاد الترك من ناحية ما وراء النهر.
انظر: " تهذيب تاريخ دمشق ٦ / ٣٣٥، وفي وفيات الأعيان ٢ / ٤٧٦ كانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائة، وكذا جزم ابن الجوزي".

*ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ٨٣-٩٠، وحلية الأولياء ٨ / ٣٦٠-٣٦٨ رقم ٤٣٦، والثقات لابن حبان ٩ / ٢٠٦، والزهد الكبير للبيهقي رقم ٤٧٠، ٥٢٦، والرسالة القشيرية ١ / ٧٩، وربيع الأبرار ٤ / ٣٨١، وتاريخ بغداد ١٣ / ١٩٩-٢٠٩ رقم ٧١٧٧، والكامل في التاريخ ٦ / ٣٢٠و٩ / ٤١٥، وصفة الصفوة ٢ / ٣١٨-٣٢٤ رقم ٢٦٠، ووفيات الأعيان ٥ / ٢٣١-٢٣٣، وطبقات الحنابلة ١ / ٣٨١-٣٨٩ رقم ٤٩٨، والعبر ١ / ٣٣٥، وسير أعلام النبلاء ٩ / ٣٣٩-٣٤٥ رقم ١١١، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٢٨٠ وما بعدها، رقم ٥٨، وشذرات الذهب ١ / ٣٦٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٣ / ٣٩٨-٤٠٥، ومناقب معروف الكرخي وأخباره لابن الجوزي، تحقيق عبد الله الجبوري ط دار الكتاب العربي.

أيَّ رجلٍ وَفِيّ ، وذي عملٍ خفيّ، علق بأسباب النبوة فنجا، وأشرق له شهاب الإيمان فرجا، فلم يتمسك بعصم الكوافر، ولا ضلَّ بعد الأيام السوافر، فوافى مسلما، وجفا ديناً كان كقطع الليل مظلما، فبريء من آلائه الممحوة، وربِّي في الحنيفية البيضاء لا سواداً ولا حوَّه[١]، فصدَّ وجهه عن دين أبويه، وأسلم وسلم إليه، فسعد بالدين، وصعد إلى علّيّين، فسَرَتْ في أبويه أنفاسه فأسلما، وأشركا في دحض الشرك معه وأسهما، وقد كانا جهدا على قتله، وتجرَّدا لمحنته، ثم زال عن عيونهما العشا[٢]، والله يهدي من يشا.

كان من المشايخ الكبار، مجاب الدعوة[٣]، يُستشفى بقبره. يقول البغداديون: قبر معروف ترياق مجرَّب.[٤]

وهو من موالي علي بن موسى الرِّضا[٥]، رضي الله عنه، وكان أستاذ السري السقطي،

---

(١) الحُوَّة: بالضم، سوادٌ إلى الخضرة، أو حمرة إلى السواد، واحْوَوَّت الأرض: اخضرَّت" القاموس مادة حوا".

(٢) العشا: سوء البصر بالليل والنهار، كالعشاوة أو العمى، وكنى بهذا عن عمى البصيرة فيما كانا عليه من الكفر إلى أن هداهما الله إلى الإسلام.

(٣) قال خليل الصياد: غاب ولدي، فتألَّمت، فجئت إلى معروف، فقلت: غاب ولدي، قال: وما تريد؟. قلت: رجوعه. فقال:" اللهم إن السماء سماؤك، والأرض أرضك، وما بينهما لك، ائت بمحمد". فأتيت باب الشام، فإذا هو واقف، فقلت: أين كنت؟. قال: كنت الساعة بالأنبار ولا أعلم ما صار!!.
انظر: الرسالة القشيرية ١/٦٥ ".

(٤) عن إبراهيم الحربي قال: قبر معروف التِّرياق المجرَّب.
وقال أبو عبد الرحمن الزهري: " قبره معروف لقضاء الحوائج" يقال: إنه من قرأ عنده – مائة مرة– ﴿قل هو الله احد﴾ إلى آخر السورة، وسأل الله ما يريد، قضى حاجته. " طبقات الصوفية ٨٥، مناقب معروف ٢٠٠، صفة الصفوة ٢/٣٢٤، وفيات الأعيان ٥/٢٣٢و٦/٢٣٩، ومرآة الجنان ١/٤٦١-٤٦٢، طبقات الحنابلة ١/٣٨٢، وطبقات الأولياء ٢٨١، والكواكب الدرية ١/٢٦٩ قال الإمام شمس الدين الذهبي: يريد – اي الإمام الحربي – الدعاء عنده، لأن البقاع المباركة يستجاب فيها الدعاء، كما أن الدعاء في المساجد وفي السَّحَر أفضل، ودعاء المضطرِّ مجابٌ في كل مكان. " تاريخ الإسلام ١٣/٤٠٤ .

(٥) ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أجلَّه المامون وعهد إليه بالخلافة من بعده، ومات قبل أن يمكّنه بنو العباس منها. ولد في المدينة سنة ١٤٨هجرية، ومات بطوس سنة ٢٠٣هجرية. له كرامات كثيرة: منها: =

وقد قال له يوماً: " إذا كانت لك إلى الله حاجة فأقسم عليه بي ".

قال أبو علي الدقاق – رحمه الله تعالى –: كان معروف الكرخي أبواه نصرانيان، فسلّموا معروفاً إلى المؤدِّب [وهو صبي]، فكان المؤدِّب يقول له: قل: "ثالث ثلاثة" ويقول معروف: بل هو واحد!. فضربه المعلّم يوماً ضرباً مبرِّحاً، فهرب معروف، فكان أبواه يقولان: ليته يرجع إلينا على أيِّ دينٍ يشاء، فنوافقه عليه.

ثم إنه أسلم على يدي علي بن موسى الرضا، ورجع إلى منزله، ودقَّ الباب، فقيل: من بالباب؟. فقال: معروف. فقالوا: على أيِّ دين جئت؟. فقال: على الدين الحنيفي؛ فأسلم أبواه.(١)

وقال سريٌّ السقطي: رأيت معروفاً الكرخيَّ في النوم بعد موته، فقلت: ما فعل الله بك؟. فقال: غفر لي. فقلت: بزهدك وورعك؟. قال: لا، بقبولي موعظة ابن السمَّاك، ولزوم الفقر، ومحبتي الفقراء.

وموعظة ابن السمَّاك: ما قاله معروف:

"كنت ماراً بالكوفة، فوقفت على رجلٍ يقال له: "ابن السمَّاك" وهويعظ الناس؛ فقال في

= أنه قال لرجل صحيح سليم: استعد لما لا بدَّ منه، فمات بعد ثلاثة أيام؛ وروى الحاكم ان ابا حبيب قال: رأيت المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في النوم، في المنزل الذي ينزله الحاج ببلدنا، فوجدت عنده طبقاً من خوص، فيه تمر "صيحاني"، فناولني ثماني عشرة تمرة، وبعد عشرين يوماً قدم علي الرضا من المدينة ونزل ذلك المنزل، وفزع الناس للسلام عليه، ومضيت نحوه؛ فإذا هو جالس بالموضع الذي رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم جالساً فيه، وبين يديه طبق فيه تمر صيحاني ، فناولني قبضة؛ فإذا عدتها بعدد ما ناولني المصطفى صلى الله عليه وسلم، فقلت: زدني! فقال: لو زادك رسول الله صلى الله عليه وسلم لزدناك!!.

(١) طبقات الصوفية ٨٣، ووفيات الأعيان ٥ / ٢٣١، ومرآة الجنان ١ / ٤٦٠، والرسالة القشيرية ١ /٦٦، وطبقاتالأولياء لابن الملقِّن ٢٨١، وصفة الصفوة ٢ /٣١٨،٣١٩، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية للمناوي ١ /٢٦٨، وتاريخ الإسلام ١٣ /٣٩٩ .

خلال كلامه: من أعرض عن الله بكلّيّته أعرض الله عنه جملة، ومن أقبل على الله بقلبه أقبل الله برحمته إليه، وأقبل بجميع وجوه الخلق إليه، ومن كان مرَّةً ومرَّة، فالله يرحمه وقتاً ما".

فوقع كلامه في قلبي، فأقبلت على الله تعالى، وتركت جميع ما كنت عليه، إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا. وذكرت هذا الكلام لمولاي، فقال: يكفيك بهذا موعظة إن اتَّعظت.(١)

وقيل لمعروف في مرض موته: أوصِ. فقال: "إن متُّ فتصدَّقوا بقميصي، فإني أريد أن أخرج من الدنيا عرياناً كما دخلتها عريانا."(٢)

ومرَّ بسقَّاء يقول: رحم الله من يشرب! - وكان رضي الله عنه صائماً(٣)؛ فتقدَّم فشرب، فقيل له: ألم تكن صائماً؟.

فقال: بلى، ولكني رجوت دعاءه.(٤)

توفي سنة مائتين، وقيل: سنة إحدى ومائتين(٥).

(١) وفيات الأعيان ٥/٢٣٢، والرسالة القشيرية ١/٦٨.

(٢) الرسالة القشيرية ١/٦٨، وحلية الأولياء ٨/٣٦٢، وطبقات ابن الملقن ٢٨٥.

(٣) أي صيام نفل وتطوّع، وقد قال حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم: "الصائم المتطوّع أمير نفسه إن شاء صام، وإن شاء أفطر". أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

(٤) وفيات الأعيان ٥/ ٢٣٢وحلية الأولياء ٨/٣٦٢، والرسالة القشيرية ١/٦٨.

(٥) قال محمد بن عبيد الله بن المنادي، وثعلب: مات معروف سنة مائتين" تاريخ بغداد ١٣/٢٠٨، مناقب معروف ١٨٠، طبقات الحنابلة ١/٣٨٩". وقال عبد الرزاق ابن منصور: سنة إحدى ومائتين." تاريخ بغداد ١٣/٢٠٨،ومناقب معروف ١٨٠". وشذّ يحيى بن ابي طالب فقال: مات سنة اربع ومائتين. "تاريخ بغداد ١٣/٢٠٨، مناقب معروف ١٨١".ومن كلامه رضي الله عنه: " ما أكثر الصالحين، وأقلَّ الصادقين في الصالحين!."

وقال أيضاً: " إذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل، واغلق عليه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شرَّاً، أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل".

وقال: حقيقة الوفاء إفاقة السرِّ عن رقدة الغفلات؛ وفراغ الهمِّ عن فضول الآفات".

وقال: السخاء إيثار ما يحتاج إليه عند الإعسار". وقال:"علامة مقت الله العبدَ أن تراه مشتغلاً بما لا يعنيه، من أمر نفسه" =

ومنهم:

١٠ - أبو محمد الفتح بن سعيد الموصلي *

وتعرف بلدة فتح بـ"الكاري"، وهي قرية بشرقي دجلة.

من أقران بشر الحافي.

رجلٌ نفض من الدنيا يدا، وأعرض عن السُّحُب وهي تفيض ندا، وكان لأهل الطريقة

= وقال: "طلب الجنة بلا عمل ذنبٌ من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوعٌ من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يطاع جهلٌ وحمق".

وقال أبو سليمان الداراني: سألت معروفاً الكرخيَّ عن الطائعين لله تعالى بأي شيء قدروا على الطاعة؟.

قال: "بإخراج الدنيا من قلوبهم، ولو كان منها شيء في قلوبهم ما صحَّت لهم سجدة".

وسئل: بم تُخرَجُ الدنيا من القلب؟. قال: "بصفاء الودِّ، وحُسن المعاملة".

وكان رضي الله عنه يعاتب نفسه ويقول: "يا مسكين! كم تبكي وتندب؟ أخلصْ تَخْلُصْ".

وسئل رضي الله عنه: ما علامة الأولياء؟. فقال: "ثلاثة؛ همومهم لله، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه".

وقال رضي الله عنه: "قلوب الطاهرين تُشرح بالتقوى، وتُزْهِرُ بالبِرّ، وقلوب الفُجَّار تُظلِمُ بالفجور، وتَعْمى بسوء النيَّة"

انظر: "طبقات السلمي ٨٧-٨٩"، وطبقات ابن الملقن ٢٨٠ وما بعدها، وحلية الأولياء ٨/٣٦٠-٣٦٨، وطبقات الشعراني ١/٨٤".

* **ينظر** ترجمته في: حلية الأولياء لأبي نعيم٨/ ٢٩٢-٢٩٤ رقم ٤١٥، وصفة الصفوة ٤/١٥٥-١٦١، وطبقات الشعراني ١/٩٣، والكواكب الدرية ١/١٥١، وجامع كرامات الأولياء للعلامة النبهاني يوسف ابن إسماعيل رحمه الله ٢/٢٣٣، والفهرست لابن النديم ٢٦٣، وربيع الأبرار للزمخشري ٤/٣٨٥، وتاريخ بغداد ١٢/٣٨١-٣٨٣ رقم ٦٨٤١، وسير أعلام النبلاء ٧/٣٥٠ رقم ١٢٩، النجوم الزاهرة ٢/٢٣٥، وطبقات الأولياء لابن الملقِّن ٢٧٦-٢٧٩

وأبو نصر فتح بن سعيد الموصلي، يقال له: "الكاري" أيضاً، نسبة إلى "الكار" قرية قرب الموصل، مقابلها من شرقها، قرب دجلة، وينبغي أن لا يخلط بينه وبين فتح بن محمد بن وشاح الموصلي، ويكنى أبا محمد، فهو صوفي آخر، توفي سنة سبعين ومائة هجرية، وهو فتح الموصلي الكبير - كما نعته الذهبي في سير أعلام النبلاء ٧/٣٤٩ - وأما موضوع ترجمتنا فهو "فتح الموصلي" الصغير" كما نعته الذهبي أيضاً في سير أعلامه ٧/٣٥٠.

منه فتح قريب، ومنح منه غير غريب، وكانت له الأقضية مسخّرة، والأيام المزدهية به مفتخرة، وكان لو أومأ إلى الصخر لانفلق، أو إلى الليل لأتلق، إلى حِكَمٍ تتفجَّر منابعها، وسفوحٍ تُفرِحُ السُّحُبَ مرابعُهَا، وجواهر كَلِمِهِ عند القوم(١) في مخبَّآت الصُّدُور مخزونة، وبحبَّات القلوب موزونة.

قال إبراهيم بن عبد الله[٢]: صدع فتح الموصلي؛ ففرح بذلك، وقال: يا رب! ابتليتني ببلاء الأنبياء؟!؛ فشُكْرُ هذا أن أصلي الليلة أربع مائة ركعة!.

وقال فتح: " أهل المعرفة: الذين إذا نطقوا فبه ينطقون، وإذا عملوا فله يعملون، وإذا طَلَبُوا فمنه يطلبون، وإذا رغبوا فإليه يرغبون، أولئك خواصُّ الله، السابقون المقرَّبون".

وكان - رضي الله عنه - في وقت ليالي الشتاء يجمع عياله، ويمدُّ كساءه، ثم يقول: " [اللهم!]أفقرتني وأفقرت عيالي!، وجوَّعتني، وجوَّعتَ عيالي!، وأعريتني وأعريت عيالي!، [بأي]وسيلة أتوسَّلُ إليك؟، وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبابك، فترى هل أنا منهم حتى أفرح؟."(٣)

وسئل فتح الموصلي عن الصدق ما هو؟.

فأدخل يده في كير حداد، وأخرج الحديدة المحمَّاة، ثم وضعها على كفِّه، وقال: "هذا هو الصدق".

وقال: " صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يُعَدُّون جميعهم من الأبدال، وكلُّهم أوصوني عند

---

(١) أي العارفين وأهل الطريق المعتَبَرين رضي الله عنهم وعنَّا بهم.

(٢) إبراهيم بن عبد الله بن حاتم، أبو إسحاق المعروف بالهروي، أصله من هراة، سكن بغداد، قال بعضهم: "إنه ليس بالقوي"، وقال إبراهيم الحربي: كان إبراهيم الهروي حافظاً متقناً تقياً، ما كان ههنا أحد مثله، يديم الصيام إلى أن يأتيه أحد يدعوه إلى طعامه فيفطر. مات في شهر رمضان، بسرَّ من رأى، سنة أربع وأربعين ومائتين هجرية. " تاريخ بغداد ٦ / ١٢٠".

(٣) حلية الأولياء ٨ / ٢٩٢، تاريخ بغداد ١٢ / ٣٨٣

فراقي لهم، فقالوا: " إياك ومعاشرة الأحداث" .

وقال أبو عبد الله بن الجلاَّء: كنا في غرفة سَرِيٍّ السَّقَطِي ببغداد، فلما ذهب بعض الليل، لبس قميصاً نظيفاً، وسروالاً، ورداءً، وقام ليخرج، فقلت: إلى أين في هذا الوقت؟. فقال: أعود فتحاً.

فلما مشى في طرقات بغداد، أخذه العسس، وحبسوه، فلما أصبح أمروا بضربه مع المحبوسين، فلما رفع الجلاَّد يده، وقفت فلم يقدرْ أن يحرِّكها!، فقيل للجلاَّد: اضرب. فقال: حذائي شيخ واقف يقول: لا تضربه!!. فتقف يدي لا تتحرك!!. فنظروا؛ من الرجل؟. فإذا هو " فتح الموصلي " فاطلقوه، واعتذروا إليه، لأنهم لم يعرفوه.

وقال إبراهيم بن نوح الموصلي: رجع فتح الموصلي إلى أهله بعد العتمة، وكان صائماً، فقال: عشُّوني!. فقالوا: ما عندنا شيء نعشِّيك به. قال: فما لكم جلوس في الظُّلْمة؟. قالوا: ما عندنا شيء نُسرِجُ به!. فجلس يبكي من الفرح، وقال: " إلهي! مثلي يترك بلا عشاء؟!، ولا سراج!!، فأيّ يدٍ كانت مني؟" . فما زال يبكي حتى الصباح(١)

وقال شعيب بن حرب: دخلت على فتح الموصلي أعوده، وهو مريض، فقلت له: يا أبا محمد! أوصني. فقال: أليس الإنسان إذا منع من الطعام والشراب يموت؟ قلت: نعم. قال: " فكذلك القلب إذا منع من الذكر يموت" .

وروي أنه دخل على بشر الحافي فقال له: يا أبا نصر! ابعثْ إلى السوق واشتر لنا خبزاً جيداً، وتمراً جيداً. ففعل بشر ذلك. فأكل الفتح منه، وأكثر، وحمل الباقي(٢) فقال بشر لمن كان عنده: أتدرون لم قال: اشترِ خبزاً جيداً، وتمراً جيِّداً؟. فقالوا: لا. قال: لأن الطعام الصافي الجيِّد يصفو لصاحبه عليه الشكر. ثم قال لهم: أتدرون لِمَ أكثَرَ الأكلَ؟ . قالوا: لا. قال: لأنه علم أني أفرح بأكله، فأراد أن يزيدني سروراً وفرحاً. قال: أتدرون لِمَ حمل

(١) طبقات الأولياء لابن الملقِّن ٢٧٧ .

(٢) تاريخ بغداد ١٢ / ٣٨٢، وصفة الصفوة ٤ / ١٨٥، واللمع ١٨٤-١٨٥، وطبقات الأولياء لابن الملقِّن ٢٧٦ .

الباقي؟ .قالوا: لا. قال: لأن التوكُّلَ إذا صحَّ لم يضرَّ صاحبَه الحملُ معه.

وروي أن رجلاً قال للمعافى بن عمران(١): هل كان للفتح الموصلي كبير عمل؟. فقال: كفاك بعمله تركه للدنيا!.(٢)

ومنهم:

١١ - أبو سُلَيمَانَ عَبدُ الرَّحمنِ بنُ عَطِيَّةَ الدَّارانيّ*

عابد، شقَّت به الليالي جُنَحَ ظُلُماتها، وأشرقت أعماله إشراق البدور في سمائها، وله بداريا مشهد له في السنة أيام تعدُّ مواسم، وليالٍ بالوفود بواسم، يُقصد بالزيارة من كل

---

(١) المعافى بن عمران، أبو مسعود الأزدي الموصلي، رحل في الحديث إلى البلدان النائية، وجالس العلماء، ولزم سفيان الثوري، فتفقَّه به، وتأدَّب بآدابه، وأكثر الكتابة عنه، وعن غيره، وصنَّف كتباً في السنن والزهد، والأدب، مات المعافى سنة ست وثمانين ومائة. " تاريخ بغداد ٧/٢٢٦-٢٢٩".

(٢) ومات رضي الله عنه سنة عشرين ومائتين من الهجرة .وقال أبو إسماعيل - وكان من أصحاب فتح رضي الله عنه - " دخلت عليه يوماً، وقد مدَّ كفَّه يبكي، حتى رأيت الدموع من بين أصابعه تتحدَّر، فدنوت منه لأنظر إليه، فإذا دموعه قد خالطها صفرة، فقلت: " بالله يا فتح! بكيت الدم؟ " فقال: "نعم!" ولولا أنك حلَّفتني بالله ما أخبرتك" فقلت: " على ماذا بكيت الدموع، ثم الدم؟". فقال: "بكيت الدموع على تخلُّفي عن واجب حقِّ الله، وبكيت الدم بعد الدموع حزناً ألا تكون قد صحَّت لي توبتي. فرأيته في المنام بعد موته، فقلت: " ما صنع الله بك؟" فقال: " غفر لي" فقلت: فما صنع في دموعك؟ قال: قرَّبني ربي، وقال: يا فتح! الدمع على ماذا؟ والدم على ماذا؟ فذكرت له ما سلف، فقال: يا فتح! ما أردت بهذا كلِّه؟ وعزتي! لقد صعد إليَّ حافظاك - منذ أربعين سنة - بصحيفتك، ما فيها خطيئة واحدة". رحمه الله تعالى ونفعنا به في الدارين آمين.

*ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ٧٥-٨٢ رقم ٩، وحلية الأولياء ٩/٢٥٤-٢٨٠ رقم ٤٤٨، وربيع الأبرار للزمخشري ٤/٣٣٩، وتاريخ بغداد ١٠/٢٤٨-٢٥٠ رقم ٥٣٦٧، والرسالة القشيرية ١/٩٦، وصفة الصفوة لابن الجوزي٤/٢٢٣-٢٣٤، واللباب لابن الأثير ١/٤٨٢، ووفيات الأعيان ٣/١٣١، والعبر ١/٣٤٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/١٨٢-١٨٦ رقم ٣٤، وفوات الوفيات ٢/٢٦٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/٣٠، ومرآة الجنان ٢/٢٩و٣٠، والبداية والنهاية ١٠/٢٥٥-٢٥٩، وطبقات الأولياء لابن الملقِّن ٣٨٦ وما بعدها، والنجوم الزاهرة ٢/١٧٩، والطبقات الكبرى للشعراني ١/٩٢، وشذرات الذهب ٢/١٣، وتاريخ الإسلام للذهبي وفيات ٢١١هجرية.

فجّ، وتؤتى بكل ناضجٍ وفج، وتُقذف له أبحر سواكب، وتقف حوله زُمَرٌ ومواكب، وترج تلك الساحات، وتثج[1] هنالك السماحات، في كلٌ ظلماء تحاكي سناء الليلة القمراء، وتجاوب تسبيح الملائكة أصوات القرَّاء.

ولأهل دمشق بإقامة مواسم هذه الليالي ولوع، ولأقمار أهلها مشارق ثم طلوع، لا يزال لهم هذا دأباً كل عام يأتي، وفعلاً يخالف قول من يفتي.

قال أبو سليمان الداراني: " كنت ليلة باردةً في المحراب، فأقلقني البرد، فخبَّأت إحدى يديَّ من البرد، وبقيت الأخرى ممدودة.[2]

فغلبتني عيناي، فهتف بي هاتف: يا أبا سليمان! قد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها. فآليت على نفسي أن لا أدعو إلا ويداي خارجتان، حرّاً كان الزمن أو برداً. "[3]

وقال أيضاً: " نمت [ليلة] عن وردي، فإذا أنا بحوراء تقول لي: تنام وأنا أُرَبَّى لك منذ خمسمائة عام!؟ ".

وقال: " أفضل الأعمال خلاف هوى النفس. "[4]

وقال: " لكلٌ شيءٍ عَلَم، وعَلَم الخُذلان ترك البكاء. "[5]

وقال: " لكلٌ شيء صدأ، وصدأ نور القلب شبع البطن. "[6]

وقال: " كلُّ ما شغلَكَ عن الله تعالى من أهلٍ، أو مالٍ، أو ولدٍ، فهو عليك شؤم. "[7]

---

(١) ثجَّ أي: سال.

(٢) أي ممدودة للدعاء والتضرع.

(٣) الرسالة القشيرية ٢٠، حلية الأولياء ٩/٢٥٩، طبقات الأولياء ٣٩٠.

(٤) طبقات السلمي ٨١.

(٥) الرسالة القشيرية ١٩، طبقات الصوفية ٨١/٢٤، طبقات ابن الملقّن ٣٨٧.

(٦) طبقات الصوفية للسُّلَمي ٨١/٦، الرسالة القشيرية ٢٠، طبقات الأولياء ٣٨٧.

(٧) حلية الأولياء ٩/٢٦٤، الرسالة القشيرية ٢٠، طبقات الأولياء ٣٨٧.

وقال: " من أحسن في نهاره كُوفيء في ليله، ومن أحسن في ليله كوفيء(١)في نهاره، ومن صدق في ترك شهوة، ذهب الله بها من قلبه، والله أكرم من أن يعذِّبَ قلباً بشهوةٍ تُرِكَتْ له" .(٢)

وقال: " إذا سكنت الدنيا في قلبٍ ترحَّلَت منه الآخرة."(٣)

وقال: " ربَّما يقع في قلبي النكتة من نُكَتِ القوم أياماً، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب، والسنَّة" .(٤)

وقال أحمد بن أبي الحواري: دخلت على أبي سليمان يوماً، وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟. فقال: يا أحمد! ولِمَ لا أبكي؟، وإذا جنَّ الليل، ونامت العيون، وخلا كلُّ حبيبٍ بحبيبه، افترض أهل المحبَّة أقدامهم، وجرتْ دموعهم على خدودهم، وتقطَّرت في محاريبهم، وأشرف الجليل - سبحانه وتعالى - فنادى: يا جبريل! بِعَيني مَن تلذَّذ بكلامي، واستراح إلى ذكري، وإنِّي لَمطَّلِعٌ عليهم في خلواتهم، أسمع أنينهم، وأرى بكاءهم، فلِمَ لا تنادي فيهم يا جبريل!: ما هذا البكاء؟. هل رأيتم حبيباً يُعَذِّبُ أحباءه؟!، أم كيف يجمُلُ بي أن آخذ قوماً إذا جنَّهمُ الليلُ تملَّقُوا لي(٥) فبي حلفت: أنهم إذا وردوا عليَّ يوم القيامة، لأكشفنَّ لهم عن وجهي الكريم، حتى ينظروا إليَّ، وأنظر إليهم" .(٦)

---

(١) في طبقات الأولياء لابن الملقِّن ٣٨٦و٣٨٧: " كُفِيَ" .

(٢) طبقات الصوفية للسُّلمي ٢٧/ ٥، حلية الأولياء ٩/ ٢٥٥، ٢٥٦، الرسالة القشيرية ١٩ .

(٣) طبقات السُّلمي ٧٧/ ٧ .

(٤) طبقات السلمي ٧٧/ ١٠ .

(٥) أي إذا سترهم الليل توددوا.

(٦) الرسالة القشيرية ٢٠، طبقات ابن الملقِّن ٣٨٨- ٣٨٩ .

ومن كلامه رضي الله عنه: " إذا غلب الرجاء على الخوف فسد الوقت" .

وقوله: " ليت قلبي في القلوب كثوبي في الثياب" - وكان ثوبه وسطاً -وقوله: " من صارع الدنيا صرعته" .

توفي – رضي الله عنه – سنة خمس عشرة ومائتين، وقبره بقرية داريًا، من قرى دمشق.(١)

ومنهم:

١٢ - بِشْر بنُ الحَارِثِ الحَافيّ أبو نَصْر *

زاد على الوسمي(٢)، وزان مدارعه زينة الكُمَيّ(٣)، تحلّق بمشهد الشفق بشرى، وتألّق يوم مولده الصباح فكان بشرا، طفيء به كل مشتعل، وحفي كلُّ حافٍ ومنتعل، ووقعت دونه القوادم والخوافي(٤)، واتبعت آثاره، وأثر الحافي غير خافي. سار ذكره فأوجف، وسكن

= وقوله: " إذا جاع القلب وعطش، صفا ورقَّ، وإذا شبع وروي ، عمي" .

وقوله: " اجعلْ ما طلبت من الدنيا فلم تظفرْ به، بمنزلة ما لم يخطر ببالك، ولم تطلبه" .

(١) داريًا – بتشديد الياء بعدها ألف – : وفي بعض كتب التواريخ بزيادة ألف بين الراء والياء – مخفف الياء، قرية من قرى دمشق، بالغوطة، والنسبة إليها "داراني" من شواذّ النسب، وبها قبر أبي سليمان الداراني رضي الله عنه . " معجم البلدان ٢/ ٥٣٦، ومعجم ما استعجم ١/ ٥٣٩" .

*ينظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/ ٣٤٢، وتاريخ الطبري ٩/ ١١٨، وحلية الأولياء ٦/ ٣٥٧و٨/ ٣٣٧–٣٤٠و٣٤٣–٣٥٦، وتاريخ بغداد ٧/ ٦٧–٨٠ رقم ٣٥١٧، والرسالة القشيرية ١١–١٢، وطبقات الصوفية للسلمي ٣٩، والتذكرة الحمدونية ١/ ١٨٧–١٨٩، وتهذيب تاريخ دمشق ٣/ ٢٣١–٢٤٥، والكامل في التاريخ ٦/ ٥٢٩، واللباب ١/ ٣٣١–٣٣٢، وصفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ٣٢٥–٣٣٦ رقم ٢٦١، ووفيات الأعيان ١/ ٢٧٤–٢٧٧، وسير أعلام النبلاء ١٠/ ٤٦٩–٤٧٧ رقم ١٥٣، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٩٧–٢٩٩، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٢٢، والوافي بالوفيات ١٠/ ١٤٦–١٤٨ رقم ٤٦٠٤، والروض المعطار ١٩٣، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ١٠٩–١١٨، والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٤٩–٢٥٠، وشذرات الذهب ٢/ ٦٠–٦٢، وطبقات الشعراني ١/ ٨٤–٨٩، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٣/ ٢٣٩، و٥/ ١٩٣،٢٠٢، والكواكب الدرية ١/ ٢٩ .

(٢) الوَسمي: مطر الربيع الأول، والأرض موسومة" القاموس مادة وسم" .

(٣) الكُمَيّ: الشجاع ، أو لابس السلاح . "القاموس مادة كَمَى" .

(٤) القوادم: أربع أو عشر ريشات في مقدَّم الجناح، الواحدة : قادمة . والخوافي: ريشات إذا ضمَّ الطائر جناحيه، خفيت، أو هي الأربع اللواتي بعد المناكب، أو هي سبع ريشات بعد السبع المقدَّمات، هكذا وقع في الحكاية عن ابن جبلة، وإنما حكى الناس: أربع قوادم، وأربع خوافٍ، واحدتها: خافية، انتهى " القاموس مادة خفى" .

باطن الأرض فاقشعرَّ ظاهرها وأرجف(١)، وشفع بأختٍ كانت هي وأخواتها على الخير أعوانا(٢)، وإذا ذكر أهله أعيانا، وكان لمن صحَّف نسرا، ولمن صحَّح ما في طيٍّ الطِّيب نشرا.

أصله من" مرو"(٣) وسكن بغداد، وكان كبير الشان.

وسبب توبته: أنه أصاب في الطريق "كاغدة"(٤) مكتوباً فيها اسم الله– عزَّ وجلَّ – قد وطئتها الأقدام، فأخذها واشترى بدرهم كان معه "غاليةً"(٥)، فطيَّب بها "الكاغدة"، وجعلها في شق الحائط، فرأى فيما يرى النائم: كأنَّ قائلاً يقول له: " يا بشر طيَّبْتَ اسمي، لأُطيِّبَنَّ اسمك في الدنيا والآخرة."(٦)

قال أبو علي الدقاق: مرَّ بشر ببعض الناس، فقالوا: هذا الرجل لا ينام الليل كله!، ولا يفطر إلا في كلِّ ثلاثة أيَّام مرة؛ فبكى بِشْر، فقيل له في ذلك؟. فقال: إني لا أذكر أني سهرت ليلة كاملة، ولا أني صُمتُ يوماً لم أُفطِرْ من ليلته، ولكن الله سبحانه وتعالى يلقي في القلوب أكثر مما يفعله العبد لطفاً منه – سبحانه – وكرماً.

---

(١) أرجف أي: تحرك واضطرب اضطراباً شديداً" القاموس مادة رجف".

(٢) أي كانت له أخت ورعة زاهدة عابدة تشبهه في أحواله وورعه.

(٣) مَرو – بفتح أوله، وإسكان ثانيه، بعده واو – مدينة بفارس معروفة، ومرو الروذ: مدينة قريبة من مرو الشاهجان، بينهما خمسة أيام، على نهر عظيم تنسب إليه، وهي أصغر من مرو الأخرى، أما مرو الشاهجان: فهي أشهر مدن خراسان، وهي العظمى، بينها وبين نيسابور سبعون فرسخاً، وإلى سرخس ثلاثون فرسخاً، وبها نهرا الرزيق وماجان،وهما نهران كبيران وكلها ببلاد فارس. " مراصد الاطِّلاع ٣/١١٨٥، ومعجم البلدان ٣٢٧/–٣٨، ومعجم ما استعجم ٤/١٢١٦".

(٤) أي: ورقة.

(٥) الغالية: نوع من الطيب وهي كلمة معرَّبة.

(٦) حلية الأولياء ٨/٣٣٦، الرسالة القشيرية ١١، تهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٣٢،و٢٣٣، صفة الصفوة ٢/٣٢٥، وفيات الأعيان ١/٢٧٥، طبقات الأولياء ١١٠ .

وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم: بلغني أن بشرَ بنَ الحارث الحافيَّ قال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: يا بشر! أتدري لِمَ رفعكَ الله من بين أقرانك؟. قلت: لا، يا رسول الله!.

قال: باتِّباعك لسنَّتي، وخدمتك للصالحين، ونصيحتك لإخوانك، ومحبَّتِك لأصحابي، وأهل بيتي، وهو الذي بلَّغك منازل الأبرار.(١)

وقال بلالٌ الخوَّاص: كنت في تيه بني إسرائيل، فإذا رجل يماشيني، فتعجَّبتُ منه، ثم ألهمتُ أنه الخضر عليه السلام، فقلت له: بحقِّ الحقِّ من أنت؟. فقال: أخوك الخضر؛ فقلت له: أريد أن أسألك، فقال: سل. فقلت: ما تقول في الشافعي (٢)– رحمه الله –؟. فقال: هو من الأوتاد.(٣)

فقلت: ما تقول في أحمد بن حنبل(٤) – رضي الله عنه –؟. قال: رجلٌ صدِّيق.

قال: فما تقول في بشر بن الحارث الحافي؟. قال: لم يخلق بعده مثله!!. فقلت: بأي وسيلةٍ رأيتك؟. فقال: ببرِّك لأمِّك.

وقال أبو عليّ الدَّقَّاق: أتى بشر باب المعافى بن عمران، فدقَّ الحافي عليه الباب، فقيل: مَن؟. فقال: بشر الحافي.

فقالت له بُنَيَّةٌ من داخل الدار: لو اشتريت لك نَعْلاً بدانقين لذهب عنك اسم الحافي.(٥)

---

(١) الرسالة القشيرية ١/٧٤ .

(٢) سيدنا وإمامنا وحبيبنا محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي ، أحد الأئمة الأربعة، ولد في غزة سنة ١٥٠هجرية، وقصد مصر سنة ١٩٩هجرية، وتوفي في القاهرة سنة ٢٠٤هجرية، أقبل على الفقه والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة.

(٣) قال العروسي في نتائج الأفكار القدسية: " الأوتاد : هم الرجال الأربعة الذين هم على منازل الجهات الأربع من العالم، أي الشرق والغرب والشمال والجنوب، يحفظ الله تلك الجهات كلها بهم" .

(٤) سيدنا وإمامنا وحبيبنا أبو عبد الله أحمد بن حنبل ، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، ولد في بغداد سنة ١٦٤هجرية، وتوفي سنة ٢٤١هجرية، وتفقَّه على الشافعي، وفي أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن، ومات قبل أن يناظر ابن حنبل ، وتولى المعتصم فسجن ابن حنبل قرابة سنتين لامتناعه عن القول بخلق القرآن.

(٥) تاريخ بغداد ٧/٦٩، الرسالة القشيرية ١١، تهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٣٣، وفيات الأعيان ١/٢٧٥، طبقات الأولياء ١١٦ .

وقال أبو عبد الله [بن] الجلاَّء: رأيت ذا النون وكانت له العبارة[١]، ورأيت سهلاً وكانت له الإشارة، ورأيت بشر بن الحارث، وكان له الورع. فقيل له: فإلى مَنْ كنت تميل؟ فقال: لبشر بن الحارث أستاذنا.

وقيل: إنه اشتهى الباقلاء[٢] سنين، فلم يأكله، فرؤي في المنام بعد وفاته، فقيل له: ما فعل الله بك؟.

فقال: غفر لي، وقال: كُلْ يا من لم يأكلْ، واشربْ يا من لم يشربْ![٣]

وقال بشر: "إني أشتهي الشواء منذ أربعين سنة ما صفا لي ثمنه!!"[٤]

وقيل لبشر: بأي شيء تأكل الخبز؟.

فقال: أذكر العافية وأجعلها إداماً[٥].

وقال بشر: لا يحتمل الحلال السرف.[٦]

ورئي بشر في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟.

فقال: غفر لي، وأباح لي نصف الجنة، وقال لي: يا بشر! لو سجدت لي على الجمر ما أدَّيت شكر ما جعلته لك في قلوب عبادي.

---

(١) أي النطق بالحكمة، وقوله" وكانت له" أي: اشتهر بها.

(٢) أي: الفول.

(٣) الرسالة القشيرية ١/٧٦ .

(٤) تاريخ بغداد ٧/٧٦، طبقات الصوفية للسلمي ٤٥/١٤، والرسالة القشيرية ١/٧٧، الزهد الكبير للبيهقي ١٦٦، رقم ٣٧٨، مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٥/١٩٥، تهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٣٧، صفة الصفوة ٢/٣٢٨ .

(٥) الرسالة القشيرية ١/٧٧ .

(٦) وذلك لعزَّة الحلال وقلَّته، الرسالة القشيرية ١/٧٧ .

وقال بشر: " لا يجد حلاوة الآخرة رجلٌ يحب أن يعرفه الناس."(١)

ومن دعائه: " اللهم إن كنت شهرتني في الدنيا لتفضحني في الآخرة فاسلبه عني."(٢)

وقال: " عقوبة العالم في الدنيا أن يعمي بصر قلبه" .

وقال: " من طلب الدنيا فليتهيَّأ للذُّل" .(٣)

وقال بشر لأصحاب الحديث: " أدُّوا زكاة هذا الحديث، قالوا: وما زكاته؟. قال: اعملوا من كل مائتي حديث بخمسة أحاديث" .(٤)

وكان لبشر ثلاث أخوات، وهنَّ: "مضغة" و" مخَّة" و "زبدة" ، وكنَّ زاهدات عابدات، ورعات، واكبرهنَّ "مضغة" ، ماتت قبل موت أخيها بشر، فحزن عليها حزناً شديداً، وبكى بكاءً كثيراً، فقيل له في ذلك؟. فقال: قرأت في بعض الكتب: إن العبد إذا قصَّر في خدمة ربه سلبه أنيسه. وهذه أختي "مضغة" كانت أنيستي في الدنيا" .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: دخلتِ امرأةٌ على أبي فقالت له: يا أبا عبد الله!، إني امرأة أغزل من الليل على ضوء السراج، وربما طفيء السراج، فأغزل على ضوء القمر، فهل عليَّ أن أبيِّن غزل السراج من غزل القمر؟.

فقال لها أبي: إن كان عندك بينهما فرقٌ ، فعليكِ أن تبيِّني ذلك.

فقالت له: يا أبا عبد الله! أنين المريض هل هو شكوى؟.

فقال لها: إني أرجو أن لا يكون شكوى، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى.

ثم انصرفت؛ قال عبد الله: فقال لي أبي: يا بني! ما سمعت إنساناً قط يسأل عن مثل

(١) الرسالة القشيرية ١/ ٧٧ .

(٢) وفيات الأعيان١/ ٢٧٥ .

(٣) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٥ .

(٤) تاريخ بغداد ٧/ ٦٩ .

ما سألت هذه المرأة!، اتبعها.

قال عبد الله: فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافي، فعرفت أنها أخت بشر، فأتيت أبي فقلت له: إن المرأة أخت بشر الحافي، فقال أبي: هذا والله! هو الصحيح، مُحالٌ أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافي!!![١]

وقال عبد الله أيضاً: جاءت "مُخَّةُ" أخت بشر الحافي إلى أبي فقالت: يا أبا عبد الله! رأس مالي دانقان، أشتري بهما قطناً فأغزله، وأبيعه بنصف درهم، فأنفق دانقاً من الجمعة إلى الجمعة، وقد مرَّ الطائف ليلة ومعه مِشعَل، فاغتنمت ضوء المشعل، وغزلت طاقين في ضوئه، فعلمت أن لله سبحانه وتعالى فيَّ مطالبة، فخلِّصْني من هذا خلَّصك الله تعالى[٢] فقال أبي: تخرجين الدانقين، ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوِّضك الله خيراً منه.

قال عبد الله: فقلت لأبي: لو قلت لها حتى تُخرجَ رأس مالها، فقال: يا بني! سؤالها لا يحتمل التأويل، فَمَن هذه المرأة؟. فقلت: هي "مُخَّة" أخت بشر الحافي. فقال أبي: من هنا أتيت.[٣]

وقال بشر: " تعلَّمت الورع من أختي، فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما لمخلوق فيه صنع ".[٤]

توفي – رضي الله عنه – في شهر ربيع الآخر، سنة ست وعشرين[٥] وقيل: سنة سبع وعشرين ومائتين. وقيل: في عاشر المحرم، وقيل: في رمضان، ببغداد. وقيل: بمرو.[٦]

وإنما لُقِّب بـ"الحافي" لأنه جاء إلى إسكاف يطلب منه شسعاً لأجل نعليه[٧]، وكان قد

---

(١) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٦ .

(٢) حلية الأولياء ٨/٣٥٣، وصفة الصفوة ٢/٢٩٥، والمستطرف ١/١٣٤، والتذكرة الحمدونية /١ ١٩٢ .

(٣) وفيات الأعيان ١/٢٧٦–٢٧٧ .

(٤) وقد أورد أبو نعيم في الحلية ٨/٣٢٦–٣٥٥ كثيراً من أقواله رضي الله عنه، وكذلك ابن الملقِّن في طبقات الأولياء ، السلمي في طبقات الصوفية ٤٢ وما بعدها وكذا الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٠/٤٦٩ وما بعدها.

(٥) ومائتين، قبل الخليفة المعتصم بستة أيام، وعاش خمساً وسبعين سنة ، وقد أفرد ابن الجوزي مناقبه في كتاب.

(٦) وفيات الأعيان ١/ ٢٧٦ .

(٧) قال في القاموس: الشسع بالكسر : قبال النعل.

انقطع، فقال له الإسكافي: ما أكثر كلفتكم على الناس؟!. فألقى النعل من يده، والآخر من رجله، وحلف لا يلبس نعلاً.

ومنهم:

١٣ - أَحمَـدُ بنُ أَبِي الحَـوَارِيِّ *

المعروف بـ" ريحانه الشام".

قطبٌ من الأقطاب، ورجل طار ذِكرُه وطاب، تفرَّد في الجميع، وهبَّ طيبه فقيل: أمن ريحانة الداعي السميع، فعبقت بطيبه الأردان، وعلقت من نصيبه الأخدان، وهطلت له سوافح أغرقت في يمها، ونوافح عرفت، وما تُمْدَحُ ريحانةٌ قبلَ شمِّها. رسا مقصراً بان عن إبانته، وقص قوادم النسيم، فعلق طيباً من ريحانته.

هو من أهل دمشق. صحب أبا سليمان الداراني.(١)

وكان أبو القاسم الجنيد يقول:" أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام."(٢)

وقال أحمد بن أبي الحواري:" من نظر إلى الدنيا نظرة إرادة وحبٌ لها أخرج الله نور

---

* ينظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٢/ ٤٧، طبقات الصوفية للسلمي ٩٨-١٠٢، حلية الأولياء ١٠/ ٥-٣٣،الرسالة القشيرية ٢١، طبقات الحنابلة ١/ ٧٨، صفة الصفوة ٤/ ١٢، رقم ٧٦٤، تهذيب الكمال ٢٨-٢٩، دول الإسلام ١/ ١١٥، العبر ١/ ٤٤٦، مرآة الجنان ٢/ ١٥٣، تاريخ ابن كثير ١٠/ ٣٤٢، طبقات الأولياء لابن الملقِّن ٣١-٣٦، تهذيب التهذيب ١/ ٤٩، خلاصة تذهيب الكمال ٨، طبقات الشعراني ١/ ٩٦، شذرات الذهب ٢/ ١١٠، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٨٥-٩٤، والفقيه والمتفقِّه للخطيب ٢/ ١٦٨، والأنساب لابن السمعاني ٨/ ١٠٥، ومعجم البلدان ٥/ ١٣٤، وربيع الأبرار للزمخشري ٤/ ١١٧، وتاج العروس ٨/ ٤٢.

(١) وغيره من المشايخ، مثل: سفيان بن عيينة، ومروان بن معاوية الفزاري، ومضاء بن عيسى، وبشر بن السري، وأبي عبد الله النباجي." طبقات الصوفية للسلمي.٩٨".

(٢) صفة الصفوة ٤/ ٢١٢، والرسالة القشيرية ١/ ١٠٥، وتاريخ الإسلام ١٨/ ٥٣.

اليقين والزهد من قلبه."(١)

وقال:" من عمل بلا اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فباطلٌ عملُه."(٢)

وقال:" ما ابتلى الله عبداً بشيء أشدَّ من الغفلة والقسوة."(٣)

توفي – رحمه الله تعالى – سنة ثلاثين ومائتين(٤).

ومنهم:

١٤ - أَبُو عَبدِ الرَّحمنِ حَاتِمُ بنُ عُنْوان الأَصَم*

ويقال: حاتم بن يوسف.

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ١٠٠/٢، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٦/١٠، والزهد الكبير للبيهقي ١٣٤، رقم ٢٥٠، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١٤٦/٣، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٣٢ .

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ١٠١ رقم ٤ .

(٣) الرسالة القشيرية ١٠٥/١، وطبقات السلمي ٨/١٠١ .

(٤) قال الإمام الذهبي في تاريخ الإسلام :" ثم روى السُّلَمي وفاة ابن أبي الحواري سنة ثلاثين ومائتين، وهذا غلط انظر: " تاريخ الإسلام ٥٥/١٨، وأكده في سير أعلام النبلاء ٩٤/١٢ وفي طبقات الصوفية: ٩٩سنة ثلاثين ومائتين، وبها أرَّخه ابن الجوزي في صفة الصفوة ٢٣٨/٤ قال محقق تاريخ الإسلام: والصحيح وفاته سنة ست وأربعين ومائتين.

*ينظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٢٦٠/٣، وحلية الأولياء ٦٤/٨، ٧٦–٨٣، و٤٦/١٠–٥٠، وطبقات الصوفية للسلمي ٩١، والزهد الكبير للبيهقي رقم ٣٥٥، و٥٣١، و٥٣٢، و٧٤١، وصفة الصفوة ١٦١/٤، وتاريخ بغداد ٢٤١/٨، واللباب ٥٧/١، ووفيات الأعيان ٢٦/٢–٢٩ رقم ١٤٨، والعبر ٤٢٤/١، ودول الإسلام ١٤٤/١، ومرآة الجنان ١١٨/٢، والبداية والنهاية ٣١٧/١٠، والرسالة القشيرية ٩٩/١، وسير أعلام النبلاء ٤٨٤/١١–٤٨٧ رقم ١٢٨، والوفي بالوفيات ٢٣٣/١١–٢٣٤ رقم ٣٣١، والنجوم الزاهرة ٢٩٠/٢، وشذرات الذهب ٨٧/٢، والأعلام للزركلي ١٥/٢، وطبقات الشعراني ٩٣/١، وطبقات الأولياء لابن الملقن ١٧٨–١٨١ رقم ٣٣ .

ويقال: حاتم بن عنوان بن يوسف [الأصم] .[١]

صاحب مقالات، وساحب ذيل في مقامات، وكان لأغطية الصدور كاشفا، ولتجلية البدور كاسفا، رُفِع له الحجاب، وصدع به الدجى فانجاب، وطالما غفر الزلل، وظفر بما لم يزل.

حكي أنه ستر، فستر الله عليه، وتصامم فسرَّ الله مسمعيه، وكان له جميل صنع لم يزل إليه مصروفا، ومنعٌ كان لا يراه من أنكره إلا معروفا، مع جود أضفى ذيله وأطاله.

وكان من قدماء مشايخ خراسان، من أهل بلخ.

صحب شقيق بن إبراهيم البلخي، وكان أستاذ أحمد بن خضرويه، وهو مولى للمثنى بن يحي المحاربي[٢]، وله ابنٌ يقال له: "خشنام بن حاتم".

قيل: إنه لم يكن أصمَّ، وإنما تصامم مرة؛ فسمي به.

جاءته امرأة تسأله عن مسألة، فاتَّفق أن خرج منها في تلك الحالة صوت، فخجلت، فقال حاتم: ارفعي صوتك!، فأرى من نفسه أنه أصم!، فَسُرَّت المرأة من ذلك وقالت في نفسها: إنه لم يسمع الصوت، فغلب عليه اسم الأصم .[٣]

وقال: " من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت:

موتاً أبيض ، وهو: الجوع.

وموتاً أسود، وهو: احتمال الأذى من الخلق.

---

(١) هكذا يذكر السلمي في طبقاته اسمه، ويروي أبو نعيم الخلاف فيه، وكذلك الخطيب البغدادي ، فانظره في المواضع المذكورة من قبل.

(٢) المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال، أبو علي التميمي، يعرف بالبازبدي، نسبة إلى بازبدى، قرية في قبالة جزيرة ابن عمر، في غربي دجلة، سكن بغداد، وحدَّث بها، وتوفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين." معجم البلدان ١/٤٦٦".

(٣) الرسالة القشيرية ١/٩٩، وتاريخ بغداد ٨/٢٤٤ .

وموتاً أحمر، وهو: العمل الخالص من الشوب في مخالفة الهوى.

وموتاً أخضر، وهو: طرح الرقاع بعضها على بعض.(١)

وقال: " العجلة من الشيطان إلا في خمس: " إطعام الطعام إذا حضر ضيفٌ، وتجهيز الميِّت إذا مات، وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب ، والتوبة من الذنب إذا أذنب" .(٢)

وقال: " من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فهو يتقلَّب في رضا الله تعالى:

أولها: الثقة بالله، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة؛ والأشياء كلها تتم بالمعرفة" .(٣)

[وقال:]الواثق من رزقه من لا يفرح بالغنى، ولا يهتم بالفقر، ولا يبالي أصبح في عسر أو يسر" .(٤)

وقال: " أصل الطاعة ثلاثة أشياء: الخوف، والرجاء، والحب."

وأصل المعصية ثلاثة أشياء: الكبر، والحرص والحسد"(٥). فما يأخذه المنافق يأخذه بالحرص، ويمنعه بالشك، وينفقه بالرياء. والمؤمن يأخذ بالخوف، ويمسك بالشدة، وينفق في الطاعة خالصاً لله تعالى" .

وقال: " الجهاد ثلاثة: جهادٌ في سرِّك؛ مع الشيطان حتى تكسره؛ وجهادٌ في العلانية، في أداء الفرائض حتى تؤديها، كما أمر الله تعالى؛ وجهادٌ مع أعداء الله تعالى، في غزو الإسلام."(٦)

---

(١) أي ترقيع الثياب، **انظر** : الرسالة القشيرية ١/ ١٠٠، وطبقات الصوفية للسلمي ٩٣ .

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ٩٣/ ٣ .

(٣) المرجع السابق ٩٤/ ٤ .

(٤) طبقات السلمي ٩٤/ ٥ .

(٥) طبقات السلمي ٩٥/ ٨ .

(٦) طبقات الصوفية ٩٦/ ١٤ .

و[قال :]" الشهوة ثلاثة :

شهوةٌ في الأكل، وشهوةٌ في الكلام، وشهوةٌ في النظر.

فاحفظ الأكل بالثقة، واللسان بالصدق، والنظر بالعبرة" .

وقال : " اطلبْ نفسك في أربعة أشياء : العملِ الصالح بغير رياء، والأخذ بغير طمع، والعطاء بغير منَّة، والإمساك بغير بخل" .(١)

وقال : " ما من صباح إلا والشيطان يقول لي : ما تأكلُ؟ . وما تلبسُ؟ . وأين تسكنُ؟ .

فأقول : آكل الموتَ، وألبس الكفنَ، وأسكن القبرَ" .(٢)

وقال : " الزم خدمة مولاك تأتك الدنيا راغمة، والجنة عاشقة" .(٣)

وقال : " تعهَّدْ نفسك في ثلاثة مواضع :

إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلَّمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا سكنت فاذكر علم الله فيك" .

وقال : " من ادَّعى ثلاثاً بغير ثلاث فهو كذَّاب : من ادَّعى حبَّ الله، من غير ورعٍ عن محارمه، فهو كذَّاب . ومن ادَّعى حبَّ الجنة، من غير إنفاق ماله، فهو كذَّاب . ومن ادَّعى حبَّ النبي صلى الله عليه وسلم، من غير محبَّة الفقر، فهو كذَّاب ."(٤)

وقيل له : على ما ذا بنيت أمرك في هذا الأمر؟ .

فقال : على أربع خصال : "علمت أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنَّتْ به نفسي .

وعلمت أن عملي لا يعمله غيري، فأنا مشغولٌ به .

---

(١) طبقات الصوفية ٩٥/ ١٠ .

(٢) طبقات الصوفية ٩٦/ ١٧ .

(٣) طبقات السلمي ٩٧/ ٢١ .

(٤) طبقات الصوفية ٩٧/ ٢٢و٢٥ .

وعلمت أن الموت يأتيني، فأنا أبادره.

وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت، فأنا مستحي منه."(١)

توفي - رحمه الله تعالى - سنة سبع وثلاثين ومائتين، عند رباط يقال له: "رأس سروند" على جبل فوق "واشجرد."(٢)

---

(١) طبقات الأولياء لابن الملقّن ١٧٩-١٨٠، وحلية الأولياء ٨/٧٣-٧٤، تاريخ بغداد ٨/٢٤٣، صفة الصفوة ٤/١٦١، تاريخ الإسلام ١٧/١٢٠.

وقال أبو جعفر الهروي رضي الله عنه: كنت مع حاتم مرَّةً وقد أراد الحج، فلما وصلنا إلى بغداد، قال: يا أبا جعفر! أحب أن ألقى أحمد بن حنبل، فسألنا عن منزله، ومضينا إليه، فطرقت عليه الباب، فلما خرج قلت: يا أبا عبد الله! أخوك حاتم؛ قال: فسلَّم عليه، ورحَّب به، وقال بعد بشاشته به: أخبرني يا حاتم! فيمَ أتخلَّص من الناس؟.

قال: يا أبا عبد الله! في ثلاث خصال.

قال: وما هي؟.

قال: أن تعطيهم مالك ولا تأخذ من مالهم شيئاً.

قال: وتقضي حقوقهم ولا تستقضي منهم حقاً.

قال: وتحمل مكروههم ولا تُكْرِه واحداً منهم على شيء.

قال: فأطرق أحمد ينكت بإصبعه الأرض ثم رفع رأسه، وقال: يا حاتم! إنها لشديدة!.

فقال له حاتم: وليتك تسلم، وليتك تسلم، وليتك تسلم!!. "وفيات الأعيان ٢/٢٧".

(٢) واشجرد - بالشين المفتوحة، والجيم، وراء ساكنة، ودال مهملة - من قرى ما وراء النهر، نحو ترمذ. وهي مشهورة بالزعفران، يحمل منها إلى سائر الآفاق. "معجم البلدان ١/٣٨٧".

ومنهم:

١٥ - أحمدُ بنُ خَضْرَوَيه البَلْخيّ *

من كبار مشايخ خراسان. رسا رسوَّ أبَّان، وأظهر العجائب وأبان، أرضى الخليل، ورضي بالقليل، ورمى بباع ممتد، وساعدٍ مشتد، حتى تردّى رداء الصلاح، وورد حيث يتفجَّر معين الصباح، فوطيء العلا وأكنافها، وكان منهج نُسَّاك، وجدّ إنفاق وإمساك، على أنه أفاض المواهب، وأغاض البحور والعصور الذواهب، وكان على هذا مقتصدا، وللموت ساعة فساعة مترصدا.

صحب أبا تراب النخشبي. وقدم نيسابور، وزار أبا حفص(١)، وخرج إلى بسطام في

*ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ١٠٣ رقم ١٣، وحلية الأولياء ١٠/ ٤٢-٤٣ رقم ٤٥٩(أحمد بن الخضر)، والرسالة القشيرية ١/ ١٠٣،وصفة الصفوة٤/ ١٦٣-١٦٤ رقم ٧٠٥، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٤٨٧-٤٨٩ رقم ١٢٩، والوافي بالوفيات ٦/ ٣٧٣ رقم ٢٨٧٤، ونتائج الأفكار القدسية ١/ ١٢٤، وجامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٩٠، وطبقات المناوي ١/ ١٢٤ وقال الأستاذ التدمري في تحقيقه لتاريخ الإسلام للإمام الذهبي ما نصه: " وقد أضاف محقق "سير أعلام النبلاء" السيد صالح السمر، بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ١١/ ٤٨٧ (بالحاشية) كتاب "تاريخ بغداد" إلى مصادر ترجمة أحمد بن خضرويه، وكذلك فعل السيد نور الدين شريبة، في " طبقات الأولياء" لابن الملقّن(صفحة ٣٧ بالحاشية) فوهما بذلك، لأن الذي في "تاريخ بغداد" ٤/ ١٣٧-١٣٨ هو: أحمد بن الخضر بن محمد بن أبي عمرو، أبو العباس المروزي، قدم بغداد وحدَّث بها عن محمد بن عبدة المروزي، روى عنه سعيد بن أحمد العراد، وأبو بكر النقاش المقريء وأبو القاسم الطبراني، وغيرهم، روايات أحمد بن الخضر هذا عند أهل خراسان كثيرة، منتشرة، مات في سنة خمس عشرة وثلاثمائة، فبين وفاة "أحمد ابن خضرويه" صاحب الترجمة، و"أحمد بن الخضر المروزي" الذي في تاريخ بغداد نحو ٧٥ سنة، فليُراجع وليُحرَّرْ.

انظر: " تاريخ الإسلام للذهبي بتحقيق الدكتور عمر عبد السلام التدمري -حوادث ووفيات ٢٣١-٢٤٠ صفحة٣٩ " .

(١) يعني أبا حفص النيسابوري الحداد.

زيارة أبي يزيد البسطامي، وكان كبيراً في الفتوة.(١)

قال أبو حفص: " ما رأيت أحداً أكبر همَّةً ولا أصدقَ حالاً من أحمد بن خضرويه. "(٢)

وكان أبو يزيد يقول: " أستاذنا أحمد ".

وقال محمد بن حامد(٣): " كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه وهو في النزع، وكان قد أتى عليه خمس وتسعون سنة، فسأله بعض أصحابه عن مسألة، فدمعت عيناه، وقال: " يا بني! بابٌ كنت أدقُّه منذ خمس وتسعين سنة، وهو ذا يُفْتَحُ لي الساعة، لا أدري أبالسعادة يفتح أم بالشقاوة؟ أنَّى لي أوان الجواب؟. (٤)

قال: وكان عليه سبعمائة دينار، وغرماؤه عنده، فنظر إليهم، وقال: اللهم إنك جعلت الرهون وثيقة لأرباب الأموال، وأنت تأخذ عنهم وثيقتهم، فأدِّ عني". قال: فدقَّ داقٌّ الباب، وقال: أين غرماء أحمد؟. فقضى عنه، ثم خرجت روحه.(٥)

وقال أحمد بن خضرويه: " لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رقَّ أملك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة عليك لما ظفرت بك الشهوة"(٦)

---

(١) قوة البذل للمال والجاه والعلم، وصفه بعضهم فقال: " وليٌّ عارف، سخيٌّ ببذل التالد والطارف، أيس من الفضول، فأونس بالوصول، كان يجلب القلوب بوعظه، وينثر الدرَّ برقيق لفظه، ما رآه فقيه جاحد، أو مكابر منتقد، إلا اعترف، ووقف على شاطيء التسليم، وربما اغترف" .انظر: الرسالة القشيرية ١/١٠٣.

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ١٠٣، وصفة الصفوة ٤/١٦٤، وتاريخ الإسلام ١٧/٤٠.

(٣) محمد بن حامد أبو بكر الترمذي، من أعيان مشايخ خراسان، وأطهرهم خلقاً، وأحسنهم سياسة، لقي المشايخ ببلخ، مثل شيخنا أحمد بن خضرويه، ومن دونه، وله أصحاب ينتمون إليه. " طبقات الصوفية للسلمي " ٢٨٠ وما بعدها.

(٤) حلية الأولياء ١٠/٤٢، صفة الصفوة ٤/١٦٤، الرسالة القشيرية ١/١٠٣، طبقات الأولياء ٣٨، نتائج الأفكار القدسية ١/١٢٤ وفيها شرح مفصل للقصة.

(٥) نتائج الأفكار القدسية ١/١٢٤، طبقات المناوي ١/١٢٤، حلية الأولياء ١٠/٤٢، طبقات ابن الملقِّن ٣٩.

(٦) طبقات الصوفية ١٠٦/١٧، الرسالة القشيرية ١/١٠٤، طبقات المناوي ١/٩٨، طبقات ابن الملقِّن ٣٧.

ومنهم:

١٦ - الحَارِثُ بنُ أسَدٍ المُحَاسِبيُّ*

البصريُّ، أبو عبد الله.

رجلٌ كان عن متاع الدنيا متنزِّها، وباتباع الأُلى متشبها، لم تصبه الأيام بهزَّتها، ولم تصبه الليالي منها بِتِرَتِهَا، فخصم أطماعه من طلب متاعها، وفطم آماله من حلب رضاعها، وقنع منها بالقوت الذي ألجيء إلى أكله، ووكل أباه بطول حزنه ونكله، وترك نفسه فيما لا يطيق من شجونها، وضيق سجونها، لذنب أخرجه ليكون غرضاً لنابلها، وأخرجه من الجنة بحبة من سنابلها. كان عديم النظير في زمانه، علماً، وورعاً، ومعاملةً، وحالاً(١).

قيل: إنه ورث من أبيه سبعين ألف درهم، فلم يأخذ منها شيئاً. قيل: لأن أباه كان يقول بالقدر.(٢) فرأى من الورع أن لا يأخذ من ميراثه شيئاً؛ وقال: "صحَّت الرواية عن النبي صلى الله

*ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٨/ ٢١١-٢١٦ رقم ٤٣٣٠، والزهد الكبير للبيهقي ١٤٩ رقم ٣١٢، والكامل في التاريخ ٧/ ٨٤، ووفيات الأعيان ١/ ٣٧٣، و٢/ ٥٧، و٧/ ٣١٣، وحلية الأولياء ١٠/ ٧٣-١١٠، والوفيات لابن قنفذ ١٧٨ رقم ٢٤٣، وتهذيب الكمال للمزي ٥/ ٢٠٨-٢١٢ رقم ١٠٠٧، وطبقات الصوفية للسلمي ٥٦-٦٠، والرسالة القشيرية ١٢، وصفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ٣٦٧-٣٦٩ رقم ٢٧٠، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١١٠، ودول الإسلام ١/ ١٤٧، والعبر ١/ ٤٤٠، وميزان الاعتدال ١/ ٤٣٠-٤٣١ رقم ١٦٠٦، والوافي بالوفيات رقم ٣٧٧، ١١/ ٢٥٧-٢٥٨، ومرآة الجنان لليافعي ٢/ ١٤٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٣٧-٤١، وطبقات الشافعية للاسنوي ١/ ٢٦، والنجوم الزاهرة ٢/ ٣١٦، والطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٦٤، وشذرات الذهب ١/ ١٠٣، والكواكب الدرية ١/ ٢١٨-٢١٩، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٤٥، وطبقات الأولياء لابن الملقِّن ١٧٥-١٧٧، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٢٧-٢٢٨، والأعلام للزركلي ٢/ ١٥٣ .

(١) الرسالة القشيرية ١/ ٧٨ .

(٢) ذكر أبو نعيم والخطيب البغدادي أن أباه كان واقفياً" يعني يقف في القرآن، لا يقول: مخلوق، ولا غير مخلوق" تاريخ الإسلام ١٨/ ٢٠٦ .

عليه وسلم أنه قال: (لا يتوارث أهل ملّتين).[١]

قال أحمد بن مسروق[٢]: مات الحارث بن أسد المحاسبي وهو محتاج إلى درهم، وخلّف أبوه ضياعاً وعقاراً ، فلم يأخذ منه شيئاً[٣].

وقال أبو علي الدّقّاق: كان الحارث المحاسبي إذا مدّ يده إلى طعام فيه شبهة، تحرّك على إصبعه عِرْقٌ؛ فكان يمتنع منه[٤].

وقال [أبو]عبد الله بن خفيف: اقتدوا بخمسة من شيوخنا، والباقون سلّموا لهم حالهم: الحارث بن أسد المحاسبي، والجنيد بن محمد، وأبو محمد رويم، وأبو العباس بن عطاء، وعمرو بن عثمان المكي؛ لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق .[٥]

وقال الحارث: " من صحّح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زيّن الله ظاهره بالمجاهدة، واتّباع السنة" .

ويحكى عن الجنيد أنه قال: مرَّ بي يوماً الحارث المحاسبي، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عم!، تدخل الدار، وتتناول شيئاً؟. فقال: نعم.

---

(١) حلية الأولياء ٨/٧٥، الرسالة القشيرية ١/٧٨، تاريخ بغداد ٨/٢١٤، وفيات الأعيان ٢/٥٧، وتهذيب الكمال ٥/٢٠٩، وصفة الصفوة ٢/٣٦٨،٣٦٩، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/٣٨ ، وفيه: كان أبوه رافضياً.

(٢) أبو العباس بن مسروق ، واسمه أحمد بن محمد بن مسروق، من أهل طوس ، سكن بغداد ومات بها. صحب الحارث بن أسد المحاسبي، والسري السقطي، ومحمد بن منصور الطوسي، وغيرهم، وهو من قدماء مشايخ القوم وجلّتهم، توفي ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين من الهجرة.
انظر: "طبقات السلمي ٢٣٧-٢٣٨".

(٣) التعرف ٧٣، تاريخ بغداد ٨/٢١٤، الرسالة القشيرية ١/٧٨ .

(٤) الرسالة القشيرية ١/٧٩، واللمع ٤٤ .

(٥) الرسالة القشيرية ١/٧٩ .

فدخلت الدار، وطلبت شيئاً أقدِّمه إليه، فكان في البيت شيء من طعام حُمِلَ إليَّ من عرس قوم، فقدَّمته إليه، فأخذ لقمة وأدارها في فمه مرَّات، ثم إنه قام وألقاها في الدهليز، ومرّا! . فلمَّا رأيته بعد ذلك بأيَّام، قلت له في ذلك؟. فقال: إني كنت جائعاً، وأردت أن أسرَّك بأكلي، وأحفظ قلبك، ولكن بيني وبين الله سبحانه وتعالى علامة: أن لا يسوِّغني طعاماً فيه شبهة، فلم يمكنّي من ابتلاعه، فمن أين كان لك ذلك الطعام؟. فقلت: إنه حُمِلَ إليَّ من دار قريب لي من العرس. ثم قلت: تدخل اليوم؟. فقال: نعم. فقدَّمت إليه كِسَراً يابسة كانت لنا، فأكل وقال: إذا قدَّمت إلى فقير شيئاً، فقدِّم إليه مثل هذا.(١)

وسئل الحارث عن العقل ما هو؟.

فقال: " نور الغريزة مع التجارب، يزيد ويقوى بالعلم والحلم".

وكان يقول: " فقدنا ثلاثة أشياء: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الأمانة، وحسن الإخاء مع الوفاء".(٢)

وقال السمعاني: كان أحمد بن حنبل يكرهه لنظره في علم الكلام، وتصنيفه فيه؛ وهجره، فاستخفى من العامة، فلما مات لم يصلِّ عليه إلا أربعة نفر(٣).

قال: وعرف بالمحاسبي لأنه كان يحاسب نفسه.(٤)

قال ابن خلِّكان: وهو أحد رجال الحقيقة، وهو ممن اجتمع له علم الظاهر والباطن، وله

---

(١) الرسالة القشيرية ١/ ٨٠، حلية الأولياء ١٠/ ٧٤-٧٥، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٣٨، صفة الصفوة ٢/ ٣٦٨، تاريخ الإسلام ١٨/ ٢٠٧، طبقات ابن الملقِّن ١٧٦ .

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٧٥، تاريخ بغداد ٨/ ٢١٢، تهذيب الكمال ٥/ ٢١٢، صفة الصفوة ٢/ ٣٦٧، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٤١، تاريخ الإسلام ١٨/ ٢٠٨، واللمع ٢٤٦، ووفيات الأعيان٢/ ٥٨ .

(٣) وفيات الأعيان ٢/ ٥٨ .

(٤) **انظر**: اللباب ٣/ ١٠٣، وطبقات الأولياء ١٧٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٨ .

كتب في الزهد والأصول، وكتاب "الرعاية" له[١] توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين.[٢]

ومنهم:

١٧ - أبو تُرَاب عَسْكَر بنُ حُصَين النَّخْشَبيّ*

صحب حاتم الأصم، وأبا حاتم العطار البصري.[٣]

اعتدَّ لمسيره واعتنى، وشده لمصيره البيت وابتنى، فلم تجذبه الدنيا بخطامها، ولم تسلبه بحطامها، فما زال يفرُّ من دناياها، ولا يقرُّ خوفاً من طروق مناياها، وطالما ظنَّت أنها تسوِّل له لبس ردائها المعار، وتحمل دائها والعار، والعناية قد أحاطت به من كل جانب، وأماطت

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٥٧ .

(٢) تاريخ الإسلام ١٨/ ٢٠٩، تاريخ بغداد ٨/ ٢١٥-٢١٦، وفيات الأعيان ٢/ ٥٨ .

ومن كلامه رضي الله عنه: من اجتهد في باطنه ورَّثه الله حسن معاملة ظاهره، ومن حسَّن معاملته في ظاهره، مع جُهد باطنه، ورَّثه الله تعالى الهداية إليه، لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينَّهم سبلنا ﴾ العنكبوت - الآية ٢٩ .

وقال: "خيار هذه الامة الذين لا تشغلهم آخرتهم عن دنياهم، ولا دنياهم عن آخرتهم".

وقال: " لا ينبغي أن يطلب العبد الورع بتضييع الواجب".

وقال: " صفة العبودية الأ ترى لنفسك ملكاً وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعا".

وقال: " التسليم هو الثبوت عند نزول البلاء ، من غير تغيُّر منه في الظاهر والباطن".

***ينظر** ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ١٤٦-١٥١ رقم ٢٠، وحلية الأولياء ١٠/ ٢١٩-٢٢٢ رقم ٥٥٠، والرسالة القشيرية ١/ ١٠٨، وتاريخ بغداد ١٢/ ٣١٥-٣١٨ رقم ٦٧٥٨، والأنساب ١٢/ ٦٠، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/ ٥٥-٥٦، واللباب ٣/ ٣٠٣، والكامل في التاريخ ٧/ ٩٢، وطبقات الحنابلة ١/ ٢٤٨-٢٤٩ رقم ٣٤٩، وآثار البلاد وأخبار العباد ٣٣٤، ٤٦٦، وسير أعلام النبلاء ١١/ ٥٤٥-٥٤٦ رقم ١٦١، والعبر ١/ ٤٤٥، والبداية والنهاية ١٠/ ٣٤٦، والنجوم الزاهرة ٢/ ٣٢١، ومفتاح السعادة ٢/ ١٧٤، والطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٩٦، والكواكب الدرية ١/ ٢٠٢، وتاريخ الإسلام ١٨/ ٣٤٩ رقم ٣٠٩ .

(٣) أبو حاتم العطار البصري ، سمع ابن سيرين وروى عنه وكيع." الأنساب ٣٩٣".

رُدنه[١] من كلٍّ جاذب، فشرف مقاما، وشرق[٢] عدوه ملاما، ولم يرمق الدنيا بمؤخر عين ولا مقدَّم، ولا علق بمال معاهد ولا مسلم.

قال ابن الجلاَّء: صحبت ستمائة شيخ، ما لقيت فيهم مثل أربعة: أولهم: أبو تراب النخشبي.[٣]

قال أبو تراب: " الفقير قُوتُه: ما وجده، ولباسه: ما ستره، ومسكنه: حيث نزل."[٤]

وقال أيضاً: " إذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله، فإذا أخلص فيه وجد حلاوته ولذَّته وقت مباشرة الفعل."[٥]

وقال: " ما تمنَّت نفسي عليَّ شيئاً قطُّ إلا مرَّة واحدة[٦]: تمنَّت عليَّ خبزاً وبيضاً، وأنا في سفري، فعدلت عن الطريق إلى قرية، فوثب رجل وتعلَّق بي، وقال: كان هذا مع اللصوص!. فبطحوني، وضربوني سبعين خشبة، قال: فوقف علينا رجلٌ صوفي، فصرخ، وقال: ويحكم!! هذا أبو تراب النخشبي، فخلّوني، واعتذروا إليّ، وأدخلني الرجل منزله، وقدَّم لي خبزاً وبيضاً، فقلت[٧]: كلها بعد سبعين جلدة!!.[٨]

---

(١) الرُّدن، بالضم: أصل الكم، وجمعه أردان.

(٢) يقال: شَرِق بريقه إذا غُصَّ." القاموس مادة شرق".

(٣) وفي تاريخ الإسلام ١٨ / ٣٥٠ قال أبو عبد الله بن الجلاَّء لقيت ألفي شيخ، ما لقيت فيهم من الصادقين إلا رجلين، أحدهما أبو تراب النخشبي، والآخر أبو عبيد البسري. وفي حلية الأولياء ١٠ / ٢٢٠: لقيت زيادة على خمسمائة شيخ، ما لقيت مثل أربعة.. إلخ.

(٤) طبقات الصوفية للسلمي ١٤٩ / ١٠، وطبقات الأولياء لابن الملقِّن ٣٥٦ .

(٥) الرسالة القشيرية ١ /١٠٨، وطبقات الصوفية ١٤٩ / ١١، وطبقات ابن الملقِّن ٣٥٦ .

(٦) أي منذ أخذت في الرياضة.

(٧) أي في نفسي لنفسي.

(٨) الرسالة القشيرية ١ /١٠٩ .

وقال يوماً لأصحابه: " من لبس منكم مرقَّعة فقد سأل، ومن قعد في خانقاه أو مسجد فقد سأل، ومن قرأ القرآن من المصحف، أو كيما يسمع الناس، فقد سأل.(١)

ونظر يوماً إلى صوفيّ من تلامذته قد مدَّ يده إلى قشر بطّيخ، وقد طوى ثلاثة أيام، فقال له أبو تراب: " تمدُّ يدك إلى قشر البطيخ!؟ أنت لا يصلح لك التصوف، الزم السوق.(٢)

وكان أبو تراب يقول: " بيني وبين الله عهد أن لا أمدَّ يدي إلى حرام إلا قصرت يدي عنه.(٣)

وكان – رضي الله عنه – إذا رأى من أصحابه ما يكره زاد في اجتهاده، وجدَّد توبته، ويقول: " بشؤمي دُفِعُوا إلى ما دُفِعُوا إليه، لأن الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إن الله لا يغيِّر ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسهم﴾.(٤)

وحكى ابن الجلاَّء، قال: دخل أبو تراب مكة طيِّب النفس، فقلت: أين أكلت أيها الأستاذ؟ .فقال: أكلةً بالبصرة، وأكلة بالنباج(٥)، وأكلة ههنا.

توفي سنة خمس وأربعين ومائتين . قيل: مات بالبادية، نهشته السباع.(٦)

(١) حلية الأولياء ١٠/٤٦، الرسالة القشيرية ١/١٠٩، طبقات ابن الملقِّن٣٥٧ .

(٢) حلية الأولياء ١٠/٤٩، الرسالة القشيرية ١/١٠٩، طبقات ابن الملقن ٣٥٧ .

(٣) الرسالة القشيرية ١/١٠٩ .

(٤) سورة الرعد – الآية ١١ .

(٥) النّباج: قرية من بادية البصرة، على النصف من طريق مكة؛ مثل "فيد" لأهل الكوفة، وقد ذكرها البحتري في شعره فقال:

إذا جزت صحراء النباج مغرِّباً وجارتك بطحاء السواجن يا سعد

فقل لبني الضحَّاك مهلاً فإنني أنا الأفعوان الصلُّ والضيغم الورد

(٦) طبقات الصوفية للسلمي ١٤٧، حلية الأولياء ١٠/٢٢٠، تاريخ الإسلام ١٨/٣٥١ .

ومنهم:

١٨ - السَّري بنُ مُغَلِّس السَّقَطيّ*

خال الجنيد، وأستاذه.

رمى يده من الدنيا ونفضها، وأعطى الله عهوداً ما نقضها، لم يرضَ بمتاع معار، ولا برضاع آخره إثم وعار، فتجنَّب الزخارف، وتجلبب غير ما ألبسته من المطارف، فأماط تلك الأردية، وحلَّ تلك العُقد المردية، حتى خبت لديه مواقدها، وهبَّت إليه بالإنابة مراقدها، والزهد يصفي له الموارد، ويصلي سواه كلَّ وارد، وكم اتَّجه أمثاله إلى ذلك الينبوع واشتبه حاله، حتى فضح التطبّع شيمة المطبوع.

كان تلميذ معروف الكرخي، وأوحد زمانه في الورع، وأحوال السنة، وعلوم التوحيد(١) وكان يتَّجر في السوق، فجاءه معروفٌ يوماً، ومعه صبيٌّ يتيم، فقال: أُكسُ هذا اليتيم. قال سري: فكسوته، ففرح معروف، وقال: بغَّض الله إليك الدنيا، وأراحك مما أنت فيه. فقمت من الحانوت وليس شيءٌ أبغض إليَّ من الدنيا، وكل ما أنا فيه من بركات معروف.(٢)

*ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ٤٨-٥٥، وحلية الأولياء ١٠/ ١١٦-١٢٨، وتاريخ بغداد ٩/ ١٨٧-١٩٢، والرسالة القشيرية ١/ ٦٩ تحقيق الشيخ عبد الحليم محمود، والتذكرة الحمدونية ١/ ١٩٢، وصفة الصفوة ٢/ ٣٧١-٣٨٦ رقم ٢٧٢، والكامل في التاريخ ٧/ ١٦٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/ ١٨٥-١٨٧ رقم ٦٥، والعبر ٢/ ٥، ودول الإسلام ١/ ١٥٢، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٣٠، ومرآة الجنان ٢/ ١٥٨، والبداية والنهاية ١١/ ١٣-١٤، ولسان الميزان ٣/ ١٣، ولواقح الأنوار القدسية للشعراني ١/ ٨٦-٨٧، والنجوم الزاهرة ٢/ ٣٣٩-٣٤٠، وشذرات الذهب ٢/ ١٢٧-١٢٨، وتاريخ الخلفاء ٣٦٠، وطبقات الأولياء لابن الملقِّن ١٦٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٩/ ١٥٠، والأعلام للزركلي ٣/ ١٢٩ .

(١) ملازماً بيته لا يخرج منه، ولا يراه إلا من يقصده. " طبقات السلمي ٤٨، وطبقات ابن الملقِّن ١٦٠، والرسالة القشيرية ١/ ٦٩" .

(٢) الرسالة القشيرية ١/ ٦٩، تاريخ بغداد ٩/ ١٨٨، طبقات الأولياء لابن الملقِّن ١٦٠ .

وقال الجنيد: ما رأيت أعبد من السَّريّ، أتت عليه ثمان وتسعون سنة، ما رئي مضطجعاً إلا في علّة الموت.(١)

وقال السَّريُّ: " التصوف اسمٌ لثلاثة معان(٢):

وهو الذي لا يطفيء نورُ معرفته نورَ ورعه.(٣)

ولا يتكلّم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب والسنة.

ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله.(٤)

وقال الجنيد: سالني السَّريُّ يوماً عن المحبة، فقلت: قال قومٌ: هي الموافقة، وقال قوم: الإيثار، وقال قومٌ: كذا وكذا..، فأخذ السريُّ جلدة ذراعه، ومدَّها، فلم تمتدَّ، ثم قال: "وعزَّته تعالى، لو قلت: إن هذه الجلدة يبست على هذا العظم من محبَّته لصدقت!" .ثم غشّي عليه، فدار وجهه كانه قمرٌ مشرق، وكان السري به أدمة.(٥)

ويحكى عن السريِّ أنه قال: " منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قولي: الحمد لله، مرة".

قيل: وكيف ذلك؟.

فقال: وقع ببغداد حريق، فاستقبلني رجلٌ، فقال لي: نجا حانوتك!.

فقلت: " الحمد لله"، فمنذ ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت، حيث أردت لنفسي خيراً مما حصل للمسلمين!!!.(٦)

---

(١) تاريخ بغداد ٩/١٩٢، وطبقات ابن الملقّن ١٦١، والرسالة القشيرية ١/٦٩-٧٠ .

(٢) أي: ومن قامت به هذه المعاني فهو الصوفي.

(٣) قال العروسي في نتائج الأفكار القدسية: " والمعنى انَّ نور المعرفة الذي من جملته علم ويقين، ولا يطفيء نور الورع المفيد للاجتهاد، وبذل الوسع في الطاعة، والعمل، فلا يجوز ترك العمل والاعتماد على ما سبق به القضاء".

(٤) الرسالة القشيرية ١/٧٠ .

(٥) أي سمرة، **انظر**: المرجع السابق .

(٦) تاريخ بغداد ٩/١٨٨، تاريخ الإسلام للذهبي ١٩/١٥١ .

وقال السَّريّ: صلَّيت وردي ليلة، ومددت رجلي في المحراب، فنوديت: يا سريّ!! كيف تجالس الملوك؟.قال: فضممت إليَّ رجلي، ثم قلت: وعزَّتك لا مددتُ رجلي أبداً، فما مددتها بعد ذلك.(١)

ويحكى عن السَّري أنه قال: " أنا أنظر في أنفي في اليوم كذا وكذا مرة، مخافة أن يكون قد اسودَّ، خوفاً من الله تعالى أن يسوِّد صورتي لما أتعاطاه" .(٢)

وقال السريُّ: أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة.

فقلت: ما هو؟.

فقال: لا تسأل من أحدٍ شيئاً، ولا تأخذ من أحدٍ شيئاً، ولا يكن معك شيءٌ تعطي منه أحداً.(٣)

وقال:" أشتهي أن أموت ببلدٍ غير بغداد.

فقيل له: ولم ذلك؟.

فقال: أخاف أن لا يقبلني قبري فافتضح!!.(٤)

وقال الجنيد: دخلت يوماً على السري السقطي وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟.

فقال: جاءتني البارحة الصبيَّة، فقالت: يا أبت! هذه ليلةٌ حارَّة، وهذا الكوز أعلِّقه ههنا.

ثم إني حملتني عيناي، فنمت، فرأيت جارية من أحسن الخلق، قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟.

---

(١) حلية الأولياء ١٠/١٢، وتاريخ بغداد ٩/١٨٧، وتاريخ الإسلام ١٩/١٥١ .

(٢) أي: من التقصير في كمال التعظيم لله تعالى، **انظر** : الرسالة القشيرية ١/٧١، وصفة الصفوة ٢/٣٧٦.

(٣) الرسالة القشيرية ١/٧١ .

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ١٠/١١٦، صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/٣٧٦، تاريخ الإسلام للذهبي ١٩/١٥١، الرسالة القشيرية ١/٧١-٧٢ .

فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرَّد في الكيزان.[1] فتناولت الكوز؛ فضربت به الأرض فكسرته.

قال الجنيد: فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسَّه، حتى عفا[2] عليه التراب.[3]

قال: وسمعته يقول: " اللهم مهما عذَّبتني بشيء، فلا تعذِّبني بذلِّ الحجاب.[4]

وقال السَّريُّ: غزونا أرض الروم؛ فمررت بأرض خضراء، فيها الخُبَّازَى، وحجر منقور فيه ماء المطر، فقلت في نفسي: لئن كنت أكلت يوماً حلالاً فاليوم!.

فنزلت عن دابَّتي، وجعلت آكل من ذلك الخُبَّازَى[5]، وشربت من ذلك الماء، وإذا بهاتف يهتف بي: يا سري! فالنفقة التي بلغت بها إلى هذا الموضع، من أين؟.

وقال: " أحبُّ أن آكلَ أكلة ليس لله عليَّ فيها تبعة، ولا لمخلوق علي فيها منَّة، فما أجد إلى ذلك سبيلا".[6]

ودخل عليه رجلٌ في مرضه يعوده، فقال له: كيف تجدك؟.

فقال:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي　　　والذي بي أصابني من طبيبي

فأخذ الرجل المروحة يروِّح عليه، فقال له السَّريُّ: كيف يجد رَوح المروحة مَن جوفُه يحترق من داخل؟.

---

(١) أي لم يمنع نفسه منه مع رغبته فيه.

(٢) أي درس.

(٣) الرسالة القشيرية ١/ ٧٢.

(٤) طبقات الصوفية للسلمي ٥١/ ١٠، قال الشيخ زكريا الأنصاري: أراد بالحجاب الجهل والضلال، أو كل ما يشغل العبد عن الحق، ومن أكثف الحجب: حجاب الدنيا، والخلق، والشيطان، والنفس.

(٥) قال في القاموس: " والخُبَّازى والخُبَّازُ، والخُبَّازة، والخُبَيْزُ: نبت" مادة خبز.

(٦) حلية الأولياء ١٠/ ١١٦، تاريخ بغداد ٩/ ١٩٠، صفة الصفوة ٢/ ٣٧٧، تاريخ الإسلام ١٩/ ١٥١.

ثم أنشأ يقول:

القلب محترقٌ، والدمع مستبقُ والكرب مجتمعٌ والصبر مفترقُ
كيف القرار على من لا قرارَ له مما جناه الهوى والشوق والقلقُ
يا ربٌ إن كان شيءٌ فيه لي فرجٌ فامنن عليَّ به ما دام بي رَمَقُ

ودخل عليه رجلٌ (١) وهو يجود بنفسه، فجلس عند رأسه وبكى، فسقط عليه من دموعه، ففتح عينيه، ونظر إليه، فقال له الرجل: أوصني. فقال: لا تصحب الأشرار، ولا تُشْغَلَنَّ عن الله بمجالسة الأخيار. (٢)

توفي السَّريُّ رضي الله عنه سنة سبع وخمسين ومائتين. وقيل: سنة إحدى وخمسين(٣)، وقيل: في رمضان سنة خمسين(٤). وكانت وفاته في بغداد(٥).

وكان كثيراً ما ينشد:

إذا ما شكوت الحبَّ قالت كذَبْتَني فمالي أرى الأعضاء منك كواسيا
فلا حبَّ حتى تلصق الجلد بالحشا وتذهل حتى لا تجيب المناديا
وتنحلَ حتى لا يبقي لك الهوى سوى مقلةٍ تبكي بها وتناجيا(٦)

---

(١) وهو الإمام الجنيد رضي الله عنه، كما في المصادر التالية.
(٢) حلية الأولياء ١٠/١٢٥، وتاريخ بغداد ٩/١٩٠، صفة الصفوة ٢/٣٨٥
(٣) أي ومائتين، كما في طبقات الصوفية للسلمي ٤٨، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٦٣
(٤) وقال ابن الملقّن في طبقاته: " مات سنة ثلاث وخمسين ومائتين، على الأصح. طبقات الأولياء لابن الملقّن ١٦٠.
(٥) ودفن بالشونيزية، طبقات الأولياء لابن الملقّن ١٦٠.
(٦) طبقات ابن الملقّن ١٦٣.

ومنهم:

١٩ - أَبو زَكَرِيَّا يَحيَى بنُ مُعَاذ الرَّازي الوَاعِظُ*

ترك الدنيا أنكاثا، ومرَّ فيها عابر سبيل لا إمكاثا، فما حطَّ عن قلاصه((١))، ولا حلَّ حباله لخلاصه، فلم يعلق لها بدنس، ولا خنس فيها نجمه ولا كنس[٢]، ولم نر محاطَّ الرجال إلا على ذنابي الأفاعي،وزباني العقارب السواعي(٣)، فشدَّ وانطلق، وردَّ الغيث في طلق، فلم يتَّخذ في هذه الدار مقيلا، ولا خال نفسه فيها مقيماً ولا نزيلا.

وكان نسيج وحده في وقته، له لسان(٤) في الرجاء خصوصاً، وكلام في المعرفة. خرج إلى بلخ، فأقام بها مدة، ورجع إلى نيسابور(٥).

قال يحيى بن معاذ: " كيف يكون زاهداً من لا ورع له؟ تورَّعْ عما ليس لك، ثم ازهدْ فيما لك" .(٦)

*ينظر ترجمته في: حلية الأولياء ١٠/٥١-٧٠ رقم ٤٦٣، وطبقات الصوفية للسلمي ١٠٧-١١٤ رقم ١٤، والرسالة القشيرية ١/١٠١، والفرج بعد الشدة للتنوخي ٣/١٤٣، وربيع الأبرار للزمخشري ٤/١٣٨، وتاريخ بغداد ١٤/٢٠٨ رقم ٧٤٩٧، والمنتظم لابن الجوزي ٥/١٦-١٧، رقم ٣٢، والكامل في التاريخ ٧/٢٥٨، والبداية والنهاية ١١/٣١، وصفة الصفوة ٤/٩٠-٩٨ رقم ٦٧٤، ووفيات الأعيان ٦/١٦٥-١٦٨ رقم ٧٩٤، وسير أعلام النبلاء ١٣/١٥-١٦ رقم ٨، ولواقح الأنوار القدسية للشعراني ١/٩٤، ونتائج الأفكار القدسية ١/١١٩-١٢٣، وشذرات الذهب ٢/١٣٨، والكواكب الدرية ١/٢٧٢-٢٧٣، والنجوم الزاهرة ٣/٣٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٩/٣٧٣، والأعلام للزركلي ٩/٢١٨ .

(١) جمع قلوص وهي الناقة طويلة القوائم، كناية عن تأهبه للرحيل ومتابعة سيره.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿الجوار الكُنَّس﴾ وهي الخُنَّس، لأنها تكنس في المغيب، كالظباء في الكُنُس، أو هي كل النجوم، لأنها تبدو ليلاً وتخفى نهاراً. القاموس مادة كنس.

(٣) زبانى العقرب أي إبرتها التي تلدغ بها كما نقله ابن دريد في باب (فيعل).

(٤) أي: كلام.

(٥) وبها مات سنة ثمان وخمسين ومائتين، كما في الرسالة القشيرية ١/١٠١ .

(٦) الرسالة القشيرية ١/١٠١، طبقات الصوفية للسلمي ١١١/١٠، طبقات الشعراني ١/٩٤، طبقات الأولياء ٣٢١ .

وقال: " جوع التوَّابين تجربة، وجوع الزاهدين سياسة، وجوع الصِّدِّيقين تكرمة.[١]

وقال يحيى: " الفوت أشدُّ من الموت، لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق.[٢]

وقال: " الزهد ثلاثة أشياء: القلَّة، والخلوة، والجوع.[٣]

وقال: " لا تُرْبِح على نفسك بشيء أجلّ من أن تشغلها في كل وقت بما هو أولى بها.[٤]

وقيل: " إن يحيى بن معاذ تكلَّم ببلخ في تفضيل الغنى على الفقر، فأعطي ثلاثين ألف درهم، فقال بعض المشايخ: لا بارك الله له في هذا المال؛ فخرج إلى نيسابور، فوقع عليه اللص، وأخذ ذلك المال منه.[٥]

وقال أيضاً: " من خان الله في السر، هتك الله ستره في العلانية.[٦]

وقال: " تزكية الأشرار لك هجنة بك[٧]، وحبُّهم لك عيبٌ عليك، وهانَ [عليك] من احتاج إليك.[٨]

وقال أبو بكر الخطيب: قدم يحيى بن معاذ بغداد، واجتمع إليه بها مشايخ الصوفية والنسَّاك، ونصبوا له منصَّة، وأقعدوه عليها، وقعدوا بين يديه يتحاورون، فتكلَّم الجنيد، فقال له يحيى: اسكت يا خروف!، مالك وللكلام إذا تكلَّم الناس؟.[٩]

وكانت له إشارات وعبارات حسنة؛ فمن كلامه:

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ١١١/١٣، والرسالة القشيرية١/١٠١ .

(٢) طبقات الصوفية ١١٢/١٧ .

(٣) أي: علامات الزهد. طبقات ابن الملقِّن ٣٢٢/٥، وطبقات الصوفية ١١٢/٢٤ .

(٤) الرسالة القشيرية ١/١٠١، وطبقات الصوفية للسلمي ١١٤/٣١ .

(٥) الرسالة القشيرية١/ ١٠٢ .

(٦) وفيات الأعيان لابن خلِّكان ٦/١٦٥، والرسالة القشيرية ١/١٠٢ .

(٧) أي: قبحٌ ونقص.

(٨) الرسالة القشيرية ١/١٠٢ .

(٩) تاريخ بغداد ١٤/٢٠٨-٢٠٩، ووفيات الأعيان ٦/١٦٦ .

"الكلام الحسن حسن، وأحسن من الكلام معناه، وأحسن من معناه استعماله، وأحسن من استعماله ثوابه، وأحسن من ثوابه رضا من تعمل له.(١)

وقال: " حقيقة المحبة أن لا تزيد بالبر، ولا تنقص بالجفاء".

وكان يقول: " من لم يكن ظاهره مع العوام فضة، ومع المريدين ذهباً، ومع العارفين دُرًّا، وياقوتاً، فليس من حكماء الله المؤيَّدين".(٢)

وكان يقول: "أحسن شيء كلام صحيح من لسان فصيح، في وجه صبيح، كلام دقيق يستخرج من بحر عميق، على لسان رجلٍ رفيق"(٣)

وكان يقول: " إلهي! كيف أنساك وليس لي ربٌّ سواك؟.

"إلهي! لا أقول: لا أعود، لأني أعرف من نفسي نقض العهود، ولكني أقول: لا أعود، لعلّي أموت قبل أن أعود" (٤).

"اللهمّ! سترتَ عليَّ ذنوباً في الدنيا، أنا إلى سترها في القيامة أحوج، وقد أحسنت بي إذ لم تظهرها بعصابة من المسلمين، فلا تفضحني في ذلك اليوم على رؤوس العالمين، يا أرحم الراحمين!"(٥)

ودخل على علويٌّ ببلخ زائراً له، ومسلّماً عليه، فقال له العلوي: أيَّد الله الأستاذ، ما تقول فينا أهل البيت؟.

قال: " ما أقول في طينٍ عُجنَ بماء الوحي، وغُرسَ بماء الرسالة، فهل يفوح منهما إلا مسك النُّهى، وعنبر التقى؟. فحشا العلويُّ فاه بالدُّرّ.

---

(١) وفيات الأعيان ٦/١٦٦، وتاريخ بغداد ١٤/٢٠٩.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/٢٠٩، ٤/٩٠، وحلية الأولياء ١٠/٦٩ والمستدرك منه، ووفيات الأعيان ٦/١٦٦.

(٣) حلية الأولياء ١٠/٦٩، تاريخ بغداد ١٤/٢٠٩، ووفيات الأعيان ٦/١٦٦.

(٤) تاريخ بغداد ١٤/٢١٠.

(٥) وفيات الأعيان ٦/١٦٦.

ثم زاره من الغد، فقال يحيى: إن زرتنا فبفضلك، وإن زرناك فلفضلك، فلك الفضل زائراً ومزوراً". (١)

ومن كلامه: " ما بَعُدَ طريقٌ إلى صديق، ولا استَوحَشَ في طريقٍ من سَلَكَ فيه إلى حبيب".

ومن كلامه: " مسكين ابن آدم!، لو خاف النار كما يخاف الفقرَ لدخل الجنة".

وقال: " ما صحَّتْ إرادة أحدٍ قط [فمات] حتى حنَّ إلى الموت، واشتهاه اشتهاء الجائع إلى الطعام، لارتداف الآفات، واستيحاشه من الأهل والإخوان، ووقوعه فيما يتحيَّر فيه صريح عقله".

وقال: " من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل إلى الجليل من العطاء".

وقال: " ليكن حظُّ المؤمن منك ثلاث خصال: إن لم تنفعه فلا تضرَّه، وإن لم تسرَّه فلا تغمَّه، وإن لم تمدحه فلا تذمَّه".

وقال: " عملٌ كالسراب، وقلبٌ من التقوى خراب، وذنوب بعدد الرمل والتراب، ثم تطمع في الكواعب الأتراب، هيهات!!، هيهات!!، أنت سكران بغير شراب، ما أكملك لو بادرت أملك!، ما أجلَّك لو بادرت أجلَك!!، ما أقواك لو خالفت هواك!!. (٢)

توفي – رضي الله عنه – يوم الاثنين لست عشرة خلت من جمادى الأولى، سنة ثمان وخمسين ومائتين، بنيسابور، رحمه الله تعالى. (٣)

---

(١) وفيات الأعيان ٦/١٦٧.

(٢) وفيات الأعيان لابن خلّكان ٦/١٦٧، وتاريخ بغداد ١٤/٢١١

(٣) وقال ابن خلّكان في وفياته: " قال محمد بن عبد الله: قرأت على اللوح في قبر يحيى بن معاذ الرازي: مات حكيم الزمان يحيى بن معاذ الرازي، رحمه الله تعالى، وبيَّض وجهه، وألحقه بنبيِّه محمد صلى الله عليه وسلم، يوم الاثنين لست عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين ومائتين".
انظر: وفيات الأعيان ٦/١٦٧–١٦٨.

وفي تاريخ الإسلام للذهبي: " قال الحاكم: قرأت على اللوح في قبر يحيى بن معاذ الرازي: مات حكيم الزمان يحيى بن معاذ الرازي، في جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين". تاريخ بغداد والمستدرك منه، ومن وفيات الأعيان ٦/١٦٨.

ومنهم:

٢٠ - أَبُو يَزِيد، طَيْفُورُ بنُ عِيسَى بنِ آدَمَ البَسْطَامِيُّ *

بطلٌ جاهد نفسه في الله حقَّ جهاده، وأحيا ليلَه ونهاره باجتهاده، وزهد حذراً من دنيا صِدْقُها كَذِب، وحقُّها بيد الباطِل منجذب، فكان لا يُسيم إبله في وخيم مرعاها، ولا يطلق أمله في ذميم مسعاها، أبكاه منها الجؤار، وأشجاه[١] فيها سوء الجوار،فلم ينغب[٢] من صفوها إلا رفقا، ولم يرَ من أخلاصها إلا مذقا[٣]، ففرَّ منها الفرار من المجذوم، وقطع منها الفروع والجذوم.[٤]

كانوا ثلاثة إخوة، آدم ، وطيفور، وعلي، وكلُّهم كانوا زُهَّاداً، عُبَّادا، وأبو يزيد كان

---

*ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ٦٧-٧٤ رقم ٨، وحلية الأولياء ١٠/٣٣-٤٢ رقم ٤٥٨، والرسالة القشيرية ١/٨٨، والمنتظم لابن الجوزي ٥/٢٨، رقم ٦٤، وتاريخ حلب للعظيمي ٢٦٥، وصفة الصفوة ٤/٨٩-٩٤، ومعجم البلدان ١/٦٢٣، ووفيات الأعيان ٢/٥٣١ رقم ٣١٢، والعبر ٢/٣٣، وسير أعلام النبلاء ١٣/٨٦-٨٩ رقم ٤٩، وتاريخ ابن الوردي ١/٢٣٧، والوافي بالوفيات ١٦/٥١٤-٥١٦ رقم ٥٦٣، والبداية والنهاية ١١/٣٥، وطبقات الأولياء لابن الملقِّن ٢٤٥، ٣٩٨-٤٠٢، والنجوم الزاهرة ٣/٣٥، وشذرات الذهب ٢/١٤٣-١٤٤، والطبقات الكبرى للشعراني ١/٨٩-٩٠، ونتائج الأفكار القدسية ١/١٠٤، والكواكب الدرية ١/٢٤١ .

والبَسْطامي: بالباء المفتوحة المنقوطة بواحدة، وسكون السين المهملة، وفتح الطاء المهملة، هذه النسبة إلى بَسْطام،وهي بلدة بقومس مشهورة.

انظر: " الأنساب ٢/٢١٣" . أما ابن ماكولا فقال: البِسْطامي بكسر الباء المعجمة بواحدة" الإكمال ٧/١٤٤" . وكذا ورد اسم بِسطام البلدة بالكسر في معجم البلدان ١/٦٢٣

(١) قوله:" أشجاه" أي أوقعه في حزن . القاموس مادة شجى.

(٢) النغبة الجرعة " يقال: نغب الريق إذا ابتلعه. القاموس مادة نغب.

(٣) المذيق اللبن الممزوج بالماء، يقال:مذقه فامتذق، ومذق الودَّ : لم يخلصه.

(٤) الجِذْم بالكسر: الأصل، ويفتح، جمعه :أجذام وجذوم" القاموس مادة جذم" .

أجلّهم [حالاً].(١)

سئل أبو يزيد : بأيِّ شيءٍ وجدتَ هذه المعرفة؟.

فقال : ببطنٍ جائع، وبدنٍ عارٍ(٢).

وقال أبو يزيد : " عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدتُ شيئاً أشدَّ عليَّ من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لبقيت، واختلاف العلماء رحمة، إلا في تجريد التوحيد ."(٣)

وقال : " لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل، ومؤنة النساء، ثم قلت : كيف يجوز لي أن أسأل هذا ولم يسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه؟، فلم اسأله .

ثم إن الله سبحانه وتعالى كفاني مؤنة النساء، حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط "(٤).

وسئل عن ابتداء زهده؟.

فقال : ليس للزهد منزلة .

فقلت : لماذا؟.

فقال : لأني كنت ثلاثة أيام في الزهد . فلما كان اليوم الرابع خرجت منه :

اليوم الأول : زهدت في الدنيا وما فيها .

(١) الرسالة القشيرية ١ /٨٨، وذكر ابن عربي رضي الله عنه : أن أبا اليزيد كان القطب الغوث في زمانه، وقد ألّف سيدي العارف بالله تعالى الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود – رحمه الله تعالى – كتاباً لطيفاً في ترجمته **فانظره** .

(٢) طبقات الصوفية ٧٤/٢٦، والرسالة القشيرية ١ /٨٨.

(٣) حلية الأولياء ١٠ /٣٦، وتاريخ الإسلام ٢٠ /١١٠، والرسالة القشيرية ١ /٨٨ .

(٤) الرسالة القشيرية ١ /٨٩ .

واليوم الثاني: زهدت في الآخرة وما فيها.

واليوم الثالث: زهدت فيما سوى الله.

فلما كان اليوم الرابع لم يبقَ لي سوى الله تعالى، فهمتُ، فسمعتُ هاتفاً يقول: يا أبا يزيد! لا تقوى معنا. فقلت: هذا الذي أريده.

فسمعت قائلاً يقول: وجدتَ، وجدتَ.[1]

وقيل لأبي يزيد: ما أشدُّ ما لقيت في سبيل الله؟.

فقال: لا يمكن وصفه.

فقيل له: ما أهون ما لقيتْ نفسُك منك؟.

فقال: أما هذا فنعم؛ دعوتُها إلى شيء من الطاعات، فلم تجبني، فمنعتها الماء سنة.[2]

وقال أبو يزيد: " منذ ثلاثين سنة أصلّي، واعتقادي في نفسي عند كل صلاة أصلّيها كأني مجوسي أريد أن أقطع زنّاري![3].

وقال أيضاً: " لو نظرتم إلى رجلٍ أعطي من الكرامات حتى يرتقي في الهواء، فلا تغترُّوا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود وأداء الشريعة".[4]

وذهب أبو يزيد ليلة إلى الرباط، ليذكر الله – سبحانه وتعالى– على سور الرباط، فبقي إلى الصباح لم يذكرا، فقيل له في ذلك؟. فقال: تذكّرت كلمةً جرت على لساني في حال

---

(١) الرسالة القشيرية ١/٨٩–٩٠.

(٢) الرسالة القشيرية ١/٩٠، وطبقات الأولياء لابن الملقّن – ٣/٣٩٩.

(٣) قال ذلك لأن جدّه كان مجوسيّاً. والزنّار ما يشدُّ به الوسط، أراد به كدورات الحظوظ والرغبات، انظر: "الرسالة القشيرية ١/٩٠".

(٤) حلية الأولياء ١٠/٤٠، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٠/١١١.

صباي[١]، فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالى. وقيل: لم يخرج أبو يزيد من الدنيا حتى استظهر القرآن.

توفي سنة إحدى وستين ومائتين، وقيل: سنة أربع وثلاثين.[٢]

---

(١) فيه إشعار بأنه رضي الله عنه لم يصدر منه مخالفات بعد التكليف والبلوغ، وإلا لكان أسرع تذكُّراً لها وأكثر معرفة بها." الرسالة القشيرية ١/ ٩١

(٢) وبها أرَّخه السلمي في طبقات الصوفية ٦٧، وقيل: مات سنة أربع وثلاثين ومائتين والله أعلم، وذلك عن ثلاث وسبعين سنة.

وله رضي الله عنه كلامٌ حسنٌ في المعاملات:

منها قوله رضي الله عنه: " العابد يعبده بالحال، والعارف الواصل يعبده في الحال".

ومنها قوله: " أدنى ما يجب على العارف، أن يهب له ما قد ملَّكه".

وقوله: " لا يعرف نفسه من صحبته شهوته".

وقوله: " الجنة لا خطر لها عند أهل المحبة، وأهل المحبة محجوبون بمحبَّتهم".

وقوله: " اطَّلع الله على قلوب أوليائه فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفاً، فشغلهم بالعبادة".

وقوله: " إن الله يرزق العباد الحلاوة ، فمن أجل فرحهم بها يمنعهم حقائق القرب".

وقوله: " ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير، وإنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير".

وقوله: " ما دام العبد يظنُّ أن في الخلق من هو شرٌّ منه فهو متكبر".

وقوله: " ما ذكروه إلا بالغفلة، ولا خدموه إلا بالفترة".

وقوله: " اللهم لا تقطعني بك عنك".

وقوله: " العارف فوق ما يقول، والعالم دون ما يقول" وقيل له: علِّمنا الاسم الأعظم. فقال: ليس له حدٌّ، إنما هو فراغ قلبك لوحدانيته، فإذا كنت كذلك فارفع له أيَّ اسم شئت".

وقال رضي الله عنه: " لله خلقٌ كثير يمشون على الماء، وليس لهم عند الله قيمة".

وقال رضي الله عنه: " هذا من فرحي بك وأنا أخافك، فكيف فرحي بك إذا أمنتك؟".

ومنهم:

٢١ - أَبُو حَفْصٍ عُمَرُ بنُ سَالِم الحَدَّادُ*

والأصح: عمرو بن سلمة(١)

رجلٌ كان به يستغاث، ويمطر البلد الماحل ويُغاث، استقام على الطريقة، واستدام اجتناء الأعمال الوريقة، وأقبل على الله بكُلِّيَّته، وأقبل إليه بنيَّته، وقام بالتكاليف أتمَّ قيام، وشرد عن جفنيه الكرى والناس نيام، حتى تجلَّت له الحجب ورفعت، وزادت آماله حيث شاءت ورتعت، فدعي من أقرب مكان، وقرب فخضع لله واستكان.

وهو من قرية يقال لها: " كور داباذ"(٢)، على باب مدينة نيسابور، على طريق

* **انظر** ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ١١٥-١٢٢ رقم ١٥، وحلية الأولياء ١٠/٢٢٩-٢٣٠ رقم ٥٦١، وصفة الصفوة ٤/١١٨-١٢١ رقم ٦٨٤، والمنتظم ٥/٥٣-٥٤ رقم ١٢٥، "وفيه: عمرو بن مسلم"، وهو تصحيف، وسير أعلام النبلاء ١٢/٥١٠-٥١٣ رقم ١٩٠، والعبر ٢/٣١، والبداية والنهاية ١١/٣٨، ومرآة الجنان ٢/١٧٩، ونتائج الافكار القدسية ١٢٧، والنجوم الزاهرة ٣/٤١و٦٦، وشذرات الذهب ٢/١٥٠، والطبقات الكبرى للشعراني ١/٩٦، وطبقات الأولياء ٢٤٨-٢٥١ رقم ٤٩، ونتائج الأفكار القدسية ١٢٧-١٢٩.

وقد أضاف السيد صالح السمر في تحقيقه للجزء الثاني عشر من سير أعلام النبلاء بإشراف العلامة شعيب الأرناؤوط: كتاب الجرح والتعديل إلى مصادر صاحب الترجمة، مشيراً إلى الجزء ٦ صفحة ٢٣٥-٢٣٦، وهو وهمٌ، فالمذكور في الجرح والتعديل ٦/٢٣٥-٢٣٦ هو: " عمرو بن أبي سلمة أبو حفص التنيسي" روى عن الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وزهير بن محمد، وغيرهم، وروى عنه الحسن بن عبد العزيز الجروي، ومحمد وأحمد ابنا عبد الرحيم بن البرقي، ومحمد بن مسلم الرازي..". فهذا ينسب إلى تنيس بمصر وهو من أهل الحديث، وصاحب الترجمة نيسابوري كان شيخاً للصوفية بخراسان، والتنيسي توفي بتنّيس سنة ٢١٤هجرية، فليصحح، والله أعلم.

(١) قال السلمي في طبقات الصوفية: وهو الأصح إن شاء الله." طبقات الصوفية ١١٥.

(٢) كور داباذ: بالضم وبعد الواو الساكنة راء، ودال، وباء موحدة، وآخره ذال معجمة: قرية على باب نيسابور." مراصد الاطلاع ٢/٥٢٠، و"طبقات السلمي ١٦٥".

بخارى[1] كان أحد الأئمة والسادة.[2]

قال أبو حفص: " المعاصي بريد الكفر، كما أن الحمّى بريد الموت."[3]

وقال: " إذا رأيت المريد يحب السَّماعَ فاعلم أنَّ فيه بقيَّةً من البطالة."[4]

وقال: " حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن."[5]

وقال: " الفتوَّة أداء الإنصاف، وترك مطالبة الإنصاف."[6]

وكان يقول: " من لم يزنْ أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتَّهم خواطره، فلا نعدُّه في ديوان الرجال".[7]

---

(١) بخارى، ويقال لها كذلك: بخاراء، ممدودة، والنسب إليها :بخاري، مدينة قديمة بخراسان، من أعظم مدن ما وراء النهر، وأجلّها، وكانت قاعدة ملك السامانية، فتحها عبيد الله بن زياد، في عهد سيدنا معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه، وأشهر من نُسب إليها سيدنا الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب الصحيح. **انظر**: معجم ما استعجم ١/٢٢٩، ومعجم البلدان ٢/٨١- ٨٦ .

(٢) وهو أول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور، صحب ابن خضرويه، والأبيوردي، وكان حدّاداً، فبينما غلامه ينفخ، غاب فكره في ذكر محبوبه، ففني عن الحس البشري،ونسي أن يخرج الحديد من الكير بالآلة، فاخرجه بيده، فصاح الغلام: الحديد في يدك بلا آلة! . فرماه به، وخرج سائحاً في البريّة، وهو يقول:" شرط المحبة الستر والكتمان، لا الافتضاح والإعلان" . **انظر**: حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٠ .

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ١١٦/ ١، والرسالة القشيرية ١/١٠٦، وحلية الأولياء ١٠/٢٢٩ وقوله:" بريد الكفر" أي رسله ومقدّماته.

(٤) الرسالة القشيرية ١/١٠٦، وطبقات ابن الملقّن ٢٤٩ .

(٥) لأنه صلى الله عليه وسلم قال في الحديث:"لو خشع قلبه لخشعت جوارحه". طبقات الصوفية ١٢٢/٣٣، حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٠، طبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٤٩/ ٣، والرسالة القشيرية ١/١٠٦، ونتائج الأفكار القدسية ١/١٢٧ .

(٦) أي: لا يطلب النَّصَفَةَ من أحد، فإنَّ طلبها دليلٌ على تقصيره.

(٧) أي الذين قال الله تعالى فيهم:﴿رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ الآية. **انظر**: صفة الصفوة ٤/١٢٠، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٤٩ رقم ٤، والرسالة القشيرية ١/١٠٧، وفي حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٠ بدون "الرجال".

توفي سنة نيِّفٍ وستين ومائتين(١).

ومنهم:

٢٢ - حَمْدُون بنُ أحْمَدَ بن عمارةَ القَصَّارُ النَّيسَابُوريّ أبو صالح*

خافَ من مُرِّ الفطام، وعاف من حلو الحطام، فلم يستحلَّ للدنيا ريقا، ولم يستجل لها خدًّا شريقا، وتيقَّن أن دون طنباتها ما يذم مختبره، ودون حلالها الشبهات، فسلَّ آماله منها سلاًّ، وخلع طاعتها ولم يبايع يداً شلاًّ، وترك لقاحها لنتاجها، وانفتاحها لإرتاجها، وبقي- أي صار- حتى حلَّ ساحة المقابر.

صحب سلْماً الباروسي(٢)، وأبا تراب النخشبي.(٣)

---

(١) قال الذهبي في التاريخ: توفي الزاهد أبو حفص سنة أربع وستين، وقيل: سنة خمس وستين، ووهم من قال: سنة سبعين ومائتين .- يقصد السلمي في طبقات الصوفية حيث قال أنه توفي سنة سبعين ومائتين، ويقال: سنة سبع وستين" تاريخ الإسلام ٢٠/١٤٥"، وطبقات الصوفية ١١٦، وانظر: صفة الصفوة ٤/١٢١ .

* **ينظر** ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ١٢٣-١٢٩ رقم ١٦، وحلية الأولياء ١٠/٢٣١-٢٣٢ رقم ٥٦٢، والزهد الكبير للبيهقي رقم ٢٩٣، والمنتظم لابن الجوزي ٥/٨٢ رقم ١٧٥، وصفة الصفوة ٤/١٠٠، والرسالة القشيرية ١/١١٤-١١٥، وسير أعلام النبلاء ١٣/٥٠-٥١ رقم ٣٧، وطبقات الأولياء لابن الملقِّن ٣٥٩-٣٦٠ رقم ١١، والطبقات الكبرى للإمام الشعراني ١/٩٨، ومعجم البلدان ١/٤٦٥، وكشف المحجوب ١٢٥-١٢٦، والكواكب الدرية ١/٢٢٠، ونتائج الأفكار القدسية ١/١٣٧، وتاريخ الإسلام ٢٠/٣٤٠-٣٤١ .

(٢) سَلْم بن الحسن، أبو الحسن الباروسي، نسبة إلى باروس، قرية من قرى نيسابور، على بابها، قريبٌ منها. ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في تاريخ الصوفية فقال: " من قدماء مشايخ نيسابور، أستاذ حمدون القصار،مجاب الدعوة " اللباب ١/٨٧ .

(٣) وعلياً النصراباذي وغيرهم من المشايخ، وكان رضي الله عنه عالماً فقيهاً،وهو قدوة الملامتية بخراسان، ومنه انتشر مذهبهم، وهو تخريب الظاهر وتعمير الباطن، مع التزام الشرع وواجباته ظاهراً وباطناً، وكان يذهب مذهب الثوري، وطريقته طريقة اختصَّ هو بها، ولم يأخذ عنه طريقته أحدٌ من أصحابه.

انظر: " طبقات الصوفية ١٢٣".

وسئل: متى يجوز للرجل أن يتكلَّم على الناس؟.(١)

فقال: إذا تعين عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى في علمه، أو خاف هلاك إنسان في بدعة، وهو يرجو أن ينجيه الله تعالى منها."(٢)

وقال:" من ظنَّ أنَّ نفسه خيرٌ من نفسِ فرعون فقد أظهر الكبر."(٣)

وقال:" منذ علمت أن للسلطان فراسةً في الأشرار، ما خرج خوف السلطان من قلبي."(٤)

وقال: " إذا رأيت سكراناً فتمايل، لئلاً تنعي عليه، فتبتلى بمثل ذلك."(٥)

وقيل له: أوصني.

فقال:" إن استطعت أن لا تغضب لشيء من الدنيا فافعل" .(٦)

ومات صديق له وهو عند رأسه، فلما مات، أطفأ حمدون السراج، فقالوا له: في مثل هذا الوقت يزاد في السراج الدهن!. فقال لهم: إلى هذا الوقت كان الدهن له، ومن هذا الوقت صار الدهن للورثة(٧).

وقال حمدون:" من نظر في سيرة السلف عرف تقصيره، وتخلُّفَه عن درك درجات الرجال" .(٨)

---

(١) أي يعظهم. (٢) طبقات الصوفية ١٢٤/٢، وطبقات ابن الملقِّن ٣٥٩ .

(٣) الرسالة القشيرية ١/١١٥، وطبقات الصوفية ١٢٥/٧ .

(٤) طبقات الصوفية ١٢٦/٨ .

(٥) طبقات الصوفية ١٢٦/٩، طبقات الأولياء ٣٥٩، الرسالة القشيرية ١/١١٥ والمراد من قوله ذلك ترك الكبر على العصاة ورحمتهم، وصدور الموعظة لهم على وجه الرفق بهم والخوف عليهم.

(٦) حلية الأولياء ١٠/٢٣٤، والرسالة القشيرية ١/١١٥، طبقات الصوفية ١٢٦/١٠ .

(٧) الرسالة القشيرية ١/١١٥، طبقات ابن الملقِّن ٣٦١ .

(٨) الرسالة القشيرية ١/١١٥، طبقات الصوفية ١٢٧/١٩ .

وقال: " لا تفشِ على أحد ما تحبُّ أن يكون مستوراً منك."(١)

توفي سنة إحدى وسبعين ومائتين(٢).

ومنهم:

٢٣ - أبو الحُسَين أحمدُ بنُ مُحَمَّد النُّوريُّ*

البغوي الأصل، البغدادي المولد والمنشأ.(٣)

ذو تحقيق، لم يكن أمره فرطا، ولا عقده منفرطا، ودام مرتدياً بهذا الجلباب، مهتدياً حيث تضلُّ الألباب، فرَّ إلى الحقائق بالالتجاء، وقطع من الخلائق حبل الرجاء.

صحب السري السقطي، وابن أبي الحواري، وكان من أقران الجنيد رحمه الله تعالى. كبير الشأن، حسن المعاملة واللسان (٤).

---

(١) طبقات الصوفية ١٢٨/٢٨، الرسالة القشيرية ١/١١٥.

(٢) وقد جمع السُّلمي جزءاً من حكايات هذا الشيخ الجليل، وذكر موته في سنة إحدى وسبعين ومائتين. طبقات الصوفية ١٢٣، وقال فيه: ودفن في مقبرة الحيرة.
وانظر أيضاً: تاريخ الإسلام ٢٠/٣٤١ وطبقات ابن الملقِّن ٣٥٩.

* ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ١٦٤-١٦٩ رقم ٢، وحلية الأولياء ١٠/٢٤٩-٢٥٥ رقم ٥٧٠، وتاريخ بغداد ٥/١٣٠-١٣٦ رقم ٢٥٥٨، وصفة الصفوة لابن الجوزي ٢/٤٣٩-٤٤٠ رقم ٣٠٤، وفيه: " أبو الحسن النووي"!، والمنتظم له ٦/٧٧ رقم ١٠١، وسير أعلام النبلاء ١٤/٧٠-٧٧ رقم ٣٥، والعبر ٢/١٣٨، والرسالة القشيرية ١/١٢٣، والأنساب ١٢/١٥٥، واللباب ٣/٣٣٠، والكامل في التاريخ ٨/١٣، والبداية والنهاية ١١/١٠٦، وطبقات الأولياء ٦٢-٧٠ رقم ١٥، والنجوم الزاهرة ٣/١٦٣، والطبقات الكبرى للشعراني ١/١٠٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٢/٦٦-٦٨.

(٣) يقول ابن الأثير: " النوري - بضم النون وسكون الواو، وفي آخرها راء قبل الياء- نسبة إلى نور، وهي بليدة بين بخارى وسمرقند، وعد جماعة من المنتسبين إليها، ثم قال: " وأما أبو الحسين أحمد بن محمد الصوفي المعروف بالنوري، وجماعة من أهل العراق ينسبون هذه النسبة - قال السمعاني: ولا أدري إلى أي شيء نسبوا، غير ان أبا الحسين قيل له النوري لحسن في وجهه" اللباب" ٣/٢٤٣.

(٤) الرسالة القشيرية ١/١٢٣، وطبقات الصوفية ١٦٤.

قال الجنيد: منذ مات النوري لم يخبر عن حقيقة الصدق أحد.(١)

وقال أبو أحمد المغازلي: ما رأيت أعبد من النوري، قيل: ولا الجنيد؟. قال: ولا الجنيد.(٢)

وقال أبو الحسين النوري: " التصوف: ترك كلِّ حظٍّ للنَّفس."(٣)

وقال: " أعزُّ الأشياء في زماننا شيئان: عالم يعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقة."(٤)

وقال: " من رأيته يدَّعي مع الله حالةً تخرجه عن حدٍّ العلم الشرعي، فلا تقربنَّ منه."(٥)

وقال: " كانت المراقع غطاءً على الدّر، فصارت اليوم مزابل على جيف".(٦)

وقيل: كان رحمه الله تعالى يخرج من داره كل يوم، ويحمل الخبز معه، ثم يتصدَّقُ به في الطريق، ويدخل مسجداً يصلي فيه إلى قريب من الظهر، ثم يخرج منه، ويفتح باب حانوته، ويصوم.(٧)

فكان أهله يتوهَّمون أنه يأكل في السوق، وأهل السوق يتوهَّمون أنه يأكل في بيته.

وبقي على هذا(٨) في ابتدائه عشرين سنة!!.

توفي رحمه الله تعالى سنة خمس وسبعين ومائتين(٩).

(١) الرسالة القشيرية ١/١٢. (٢) تاريخ بغداد ٥/١٣١، والرسالة القشيرية ١/١٢٣.

(٣) طبقات الصوفية ١٦٦/٣، وطبقات ابن الملقِّن ٦٣/٣.

(٤) طبقات الصوفية ٢/١٦٩. (٥)الرسالة القشيرية ١/١٢٣.

(٦)والمراقع كانت شعار الفقراء الصوفية في ذاك الوقت، وهي ما تعرف بالمرقَّعات، أي اللباس المرقَّع، وكانت لا يلبسها إلا الفقراء، لكن لما دخل على طريقهم من ليس منهم وإنما تشبَّه بهم ليأكل الدنيا، تغير حكمها، كما قال بعض العارفين:" أمرناهم بها لهدم النفوس فاستعملوها لجلب الفلوس فصارت في مذهبنا حراما".

(٧) أي يصوم بقية يومه. طبقات الأولياء ٦٤/٦، والرسالة القشيرية ١٢٤.

(٨) أي على هذا الحال من إخفاء أمره في عبادته ومجاهدته مدة عشرين سنة.

(٩) قال في الكواكب الدرية ١/٩٦: أن سبب وفاته لما سمع هذا البيت:

لا زلت أنزل من ودادك منزلاً تتحيَّر الألباب دون نزوله

فتواجد، وهام في الصحراء، فوقع في أجمة قصب قد قطع، وبقيت أصوله مثل السيوف، وكان يمشي عليها ويعيد البيت إلى الغداة، والدم يسيل من رجليه، ثم وقع مثل السكران، فورمت قدماه ومات.

ومنهم:

٢٤ - سَهْلُ بنُ عَبدِ الله التُّسْتَرِيُّ *

أحد أئمة القوم، جهد لنفسه حتى خلَّصها، وزهد فابرها بالمعارف وخصَّصها، فحلَّ البحبوحة، وحصَّل العطايا الممنوحة، وكان لله في أمره سرٌّ فيما يعلن ويسر، فلم تتقاذف به البحار، ولا استخرجته المهاق(١) فحار، بل كان إذا اتسعت له الفجاج سلكها، وإذا امتنعت عليه ملكها، فقاد نفسه بأعنَّتها، وقال(٢) بها في جنَّتها، فنعم بالثناء، وفني بالخلد في دار البقاء.

لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع.(٣)

وكان صاحب كرامات. لقي ذا النون المصري بمكة، سنة خروجه إلى الحج.

وقال سهل: " كنت ابن ثلاث سنين، وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن

---

*ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية٢٠٦-٢١١ رقم ١٠، وحلية الأولياء ١٠/١٨٩-٢١٢ رقم ٥٤٦، والرسالة القشيرية ١/٩٢-٩٥، وصفة الصفوة ٤/٦٤-٦٦ رقم ٦٤٥، والمنتظم لابن الجوزي ٥/١٦٣ رقم ٣٠٦، ومعجم البلدان مادة "تُسْتَر" ، واللباب لابن الأثير ١/٢١٦، ووفيات الأعيان ٢/٤٢٩-٤٣٠ رقم ٢٨١، والعبر ٢/٧٠، ودول الإسلام ١/١٧١، وسير أعلام النبلاء ١٣/٣٣٠-٣٣٣ رقم ١٥١، والبداية والنهاية ١١/٧٤، والوافي بالوفيات ١٦/٦١-١٧، رقم ١٩، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٣٢-٢٣٦ رقم ٤٣، والنجوم الزاهرة ٣/٩٨، وشذرات الذهب ٢/١٨٢-١٨٤، والطبقات الكبرى للإمام الشعراني ١/٩٠، ونتائج الأفكار القدسية ١/١٠٩-١١٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢١/١٨٦-١٨٩ .

والتستري: نسبة إلى تُسْتَر – بضم التاء الأولى، وإسكان السين، بعدها تاء ثانية مفتوحة، ثم راء : بلدة من كور الأهواز، من خوزستان، يقولها الناس: ششتر، بها قبر البراء بن مالك رضي الله عنه.

انظر: اللباب ١/١٧٦ .

(١) قال في القاموس: المَهَقُ محرَّكة ، خضرة الماء، وتمهَّق الماء: شربه ساعة بعد ساعة" مادة مهق" .

(٢) من القيلولة.

(٣) الرسالة القشيرية ١/٩٢، ووفيات الأعيان ٢/٤٢٩ .

سوار[١]، وكان يقوم بالليل، فربما كان يقول لي: يا سهل! اذهب فنم، فقد شغلت قلبي.[٢]

قال سهل: " قال لي خالي يوماً: ألا تذكر الله الذي خلقك؟.

فقلت: كيف أذكره؟.

فقال لي: قل بقلبك عند تقلُّبِكَ في ثيابك ثلاث مرات، من غير أن تحرِّك به لسانك: " الله معي. الله ناظرٌ إليّ. الله شاهدٌ عليّ" .

فقلت ذلك ثلاث ليال، ثم أعلمته، فقال لي: قل في كل ليلة سبع مرات، فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال لي: قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة، فقلت ذلك، فوقع في قلبي له حلاوة.

فلما كان بعد سنة، قال لي خالي: احفظ ما علَّمتك، ودُم عليه إلى أن تدخلَ القبر، فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين، فوجدت لها حلاوة في سرِّي. ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل!، من كان الله معه، وهو ناظرٌ إليه، وشاهده، أيعصيه؟. إيَّاك والمعصية .[٣]

فكنت أخلو، فبعثوا بي إلى الكُتَّاب، فقلت: إني لأخشى أن يتفرَّق عليَّ همِّي، ولكن شارطوا المعلِّم: أني أذهب إليه ساعة، فأتعلَّم، ثم أرجع. فمضيت إلى الكُتَّاب، وحفظت القرآن، وأنا ابن ست سنين، أو سبع، وكنت أصوم الدَّهر، وقُوتي خبز الشعير، إلى أن بلغت اثنتي عشرة سنة، فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة، فسألت أهلي أن يبعثوني إلى البصرة أسأل عنها، فجئت البصرة، وسألت علماءها، فلم يشْفِ أحدٌ منهم عني شيئاً!!.

(١) محمد بن سوار البصري خال سهل بن عبد الله التستري، الزاهد، روى الحديث، وهو شيخ مقبول من الطبقة العاشرة من القرن الثالث الهجري، روى عن معروف الكرخي، وجعفر بن سليمان الضبعي. "تقريب التقريب ٤٤٩".

وقال في خلاصة تذهيب الكمال ص ٢٨٠: " محمد بن سوار شيخ قديم لسهل بن عبد الله التستري وهو خاله".

(٢) الرسالة القشيرية ١/٩٢ .

(٣) الرسالة القشيرية ١/٩٢-٩٣، ووفيات الأعيان ٢/٤٢٩، وطبقات ابن الملقّن ٢٣٣ .

فخرجت إلى عبادان، إلى رجلٍ يُعرفُ بأبي حبيب، حمزة بن عبد الله العباداني، فسألته عنها، فأجابني، وأقمت عنده مدة أنتفع بكلامه، وأتأدَّب بآدابه، ثم رجعت إلى "تُسْتَر"، فجعلت قُوتي اقتصاراً على أن يشترى لي بدرهم من الشعير "الفرق"(١) فيطحن، ويخبز لي، فأفطر عند السَّحر، كل ليلة على أوقيَّةٍ واحدةٍ بحتاً، بغير ملح ولا إدام، فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة!!.

ثم عزمت على أن أطوي ثلاث ليالٍ، ثم أفطر ليلة، ثم خمساً، ثم سبعاً، ثم خمساً وعشرين ليلة، وكنت عليه عشرين سنة، ثم خرجت أسيح في الأرض سنين، ثم رجعت إلى تُستَر، وكنت أقوم الليل كلَّه.(٢)

وقال سهلٌ: " كل فِعلٍ يفعله العبد بغير اقتداء، طاعةً كان أو معصية، فهو عيش النفس، وكل فعلٍ يفعله بالاقتداء، فهو عذاب النفس."(٣)

توفي (٤) – رضي الله عنه – سنة ثلاث وثمانين ومائتين بالبصرة، في المحرَّم. وقيل: سنة ثلاث وسبعين. ومولده سنة مائتين. وقيل: سنة إحدى ومائتين، بتُسْتَر.(٥)

ومنهم:

٢٥ - أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بنُ أَحمدَ بنِ إِسماعيل الخَوَّاصُ*

(١) مكيال يكال به.

(٢) الرسالة القشيرية ١/٩٣-٩٤ .

(٣) الرسالة القشيرية ١/٩٥ .

(٤) وكانت سنُّه ثمانين سنة أو جاوزها تاريخ الإسلام للذهبي ٢١/١٨٩ .

(٥) على ما ذكره ابن الأثير في تاريخه ٧/٤٨٣، وعنه نقل ابن خلِّكان في وفياته ٢/٤٣٠ .

* **ينظر** ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ٢٨٤-٢٨٧ رقم ٧، وتاريخ بغداد ٦/٧-١٠ رقم ٣٠٣٦، والمنتظم لابن الجوزي ٦/٤٥ رقم ٦٤، وحلية الأولياء ١٠/٣٢٥-٣٣١، وصفة الصفوة ٤/٨٠-٨٤، والرسالة القشيرية ١/١٤٧، والبداية والنهاية ١١/١٢٠، والوافي بالوفيات ٥/٣٠٣-٣٠٤ رقم ٢٣٦٨، ونتائج الأفكار القدسية ١/١٧٥، والطبقات الكبرى للشعراني ١/٨٣-٨٤، وطبقات الصوفية للمناوي ١/٣٢٨-٣٣٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٢/٩١ .

عَلَم إيمان وعدم شك، مال على القلوب إيذان من شية ذلك الطّرار، وحلية ذلك السيف الجرار، دنا شبهاً بأهل إخائه، وأهلة سمائه، وأفقه لا يعد النجوم من إمائه، فأهلٌ من تلك المواقيت، وتملك ، فعُدَّ جوهره من تلك اليواقيت، وكان خالصاً من الأنضار، وخلاصاً من ذلك الذهب النضار، حتى نزل في جدثه، ونزح الشبه مما يلقى على جثته، ولم يدر بموته من فقد، ولا علم مدرج الكفن عليه على أي شيء عقد، وهيهات ... الكواكب لا تقبر، والتراب لا يكون فيه النيِّر الأكبر.

وهو آخر من سلك طريق التوكل، ودقَّقَ فيها.

وكان أوحد المشايخ في وقته، وكان من أقران الجنيد والنوري، وله في الرياضات، والسياحات مقامات يطول شرحها.

ومات في المسجد الجامع، بالري[١] سنة إحدى وتسعين ومائتين[٢]، وكان مبطوناً[٣]، وكان به علة القيام، وكان إذا قام يدخل الماء، ويغتسل، ويعود إلى المسجد، ويصلي ركعتين، فدخل الماء مرة ليغتسل، فخرجت روحه وهو في وسط الماء ، رحمه الله تعالى[٤] وتولى أمر غسله ودفنه يوسف بن الحسين.

ومن كلامه – رضي الله عنه –: " من لم يصبر لم يظفر."[٥]

وقال: " من لم تبك الدنيا عليه، لم تضحك الآخرة إليه."[٦]

---

(١) الرّيّ – بفتح أوله وتشديد يائه – مدينة مشهورة من أمهات المدن وأعلام البلاد، كانت قصبة بالجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً، فتحها عروة بن زيد الخيل الطائي، في عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سنة عشرين من الهجرة. " معجم البلدان ٢/٨٩٢

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ٢٨٤، وفي تاريخ بغداد ٦/١٠ : قيل سنة أربع وثمانين ومائتين.

(٣) أي مريضاً بداء البطن ، وهو الإسهال.

(٤) طبقات الصوفية ٢٨٤، وطبقات الأولياء لابن الملقن ١٦ .

(٥) طبقات الصوفية للسلمي ١/٢٨٤ .

(٦) حلية الأولياء ١٠/٣٢٧، وطبقات الصوفية ٢/٢٨٤، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ٢/١٧ .

وقال جعفر بن محمد: بِتُّ ليلةً مع إبراهيم، فانتبهت، فإذا هو يناجي إلى الصباح، ويقول:

برح الخفاء، وفي التلاقي راحة هل يشتفي خل بغير خليله[(١)]

وقال: " العلم كله في كلمتين: لاتتكلف ما كفيت، ولا تضيع ما استكفيت."[(٢)]

وقال: " ليكن لك قلب ساكن، وكفٌّ فارغة، وتذهب النفس حيث شاءت."[(٣)]

وقال: " دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين."[(٤)]

وقال: " من صفة الفقير أن تكون أوقاته مستوية الانبساط، صابراً على فقره، لا يظهر عليه فاقة، ولا تبدو منه حاجة، وأقلُّ أخلاقه الصبر والقناعة، مستوحشاً من الرفاهات[(٥)]، متنعماً بالخشونات، فهو بضد ما عليه الخليقة، بريء مما هي عليه معتمدة وإليه مستريحة، ليس له وقت معلوم، ولا سبب معروف، فلا تراه إلا مسروراً بفقره، فرحاً بصبره، مؤونته على نفسه ثقيلة، وعلى غيره خفيفة، يعز الفقر ويعظمه، ويخفيه جهده ويكتمه، حتى عن أشكاله يستره، قد عظمت من الله تعالى عليه فيه المنَّة، وحلَّ في قلبه قدرها، فليس يريد لما اختار الله له بدلا، ولا يبتغي له حِولا".(٦)

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ٢٨٥، وحلية الأولياء ١٠/٣٢٧.

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ٢٨٥/٧.

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ٢٨٦/٨.

(٤) الرسالة القشيرية ١/١٤٧، وطبقات ابن الملقِّن ١٧/١، وطبقات الصوفية للسلمي ٢٨٦/١٠، وطبقات المناوي ١/١٨٥.

(٥) أي: ما يترفَّه به من المتاع والأعراض الدنيوية.

(٦) حلية الأولياء ١٠/٣٢٦.

وقال: " أربع خصال عزيزة: عالم مستعمل لعلمه، وعارف ينطق عن حقيقة فعله، ورجل قائم لله تعالى بلا سبب، ومريد ذهب عنه الطمع" .(١)

وقال: "الحكمة تنزل من السماء ، فلا تسكن قلباً فيه أربعة أشياء: الركون إلى الدنيا، وهمٌّ غدٍ، وحبٌّ الفضول، وحسد أخ"(٢).

وأنشد:

عليلٌ ليس يبرئه الدواء ... طويل الضُرِّ يضنيه الشفاء
سرائره بوادٍ ليس تبدو ... خفيات إذا برح الخفاء (٣)

وقال عمران بن سنان: اجتاز بنا إبراهيم الخواص ، فقلنا: حدثنا أعجب ما رأيته في أسفارك..؟.

فقال: " لقيني الخضر عليه السلام، فسألني الصحبة، فخشيت أن يفسد علي توكلي لسكوني إليه، ففارقته."(٤)

وقال: لقيت غلاماً في التيه، كأنه سبيكة فضة، فقلت: إلى أين يا غلام؟. فقال: إلى مكة. فقلت: بلا زاد، ولا راحلة، ولا نفقة؟!. فقال لي: يا ضعيف اليقين!. الذي يقدر على حفظ السماوات والأرضين، لا يقدر أن يوصلني إلى مكة بلا عاقة؟. فلما دخلت مكة إذا أنا به في الطواف، وهو يقول:

يا عين سحِّي أبدا ... يا نفس موتي كمدا
ولا تحبي أحدا ... إلا الجليل الصمدا

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٢٦ .

(٢) حلية الأولياء ١٠/٣٢٦، وطبقات المناوي ١/٣٣٢ .

(٣) طبقات ابن الملقّن ٢٠/ ١١، وحلية الأولياء ١٠/٣٢٧ .

(٤) صفة الصفوة٤ /٣٤٨ .

فلما رآني، قال لي: يا شيخ!، أنت بعدُ على ذلك الضعف من اليقين؟.

وقال: كنت ببغداد في جامع المدينة، وهناك جماعة من الفقراء، فأقبل شاب ظريف، حسن الوجه طيب الرائحة، فقلت لأصحابنا: يقع لي أنه يهودي!، وكلُّهم كرهوا ذلك، فخرجت، وخرج الشاب، ثم رجع إليهم، وقال: أيش قال الشيخ فيّ؟. فاحتشموه، فألحَّ عليهم، فقالوا: قال: إنك يهودي!.

قال: فجاءني وأكبَّ علي يدي يقبِّلها، وأسلم!.

فقيل له: ما السبب؟. قال: نجد في كتابنا أن الصِّدِّيق لا تخطيء فراسته، فقلت: أمتحن المسلمين، فتأمَّلتهم. فقلت: إن كان فيهم صدِّيق؛ ففي هذه الطائفة، فلبَّست عليكم؛ فلما اطَّلع هذا الشيخ عليَّ، وتفرَّس فيَّ، علمت أنه صدِّيق، وصار ذلك الشاب من كبار الصوفية.

وقال الخوَّاص: تهت في البادية أياماً، فجاءني شخص، وسلَّم عليّ، وقال لي: تهتَ؟. فقلت: نعم. فقال: ألا أدلُّك على الطريق؟. ومشى بين يدي خطوات، ثم غاب عن عيني، وإذا أنا على الجادة، فبعد ذلك ما تهت، ولا أصابني في سفري جوع ولا عطش.[1]

وقال بعض الصالحين: كنت في جماعة بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، نتجارى الآيات، ورجل ضرير بقرب منا يسمع، فتقدَّم إلينا، وقال: قد أنست بكلامكم، اعلموا أنه كان لي صبية وعيال، وكنت أخرج إلى البقيع أحتطب، فخرجت يوماً، فرأيت شاباً عليه قميص كتان، ونعله في إصبعه، فتوهَّمت أنه تائه، فقصدته لأسلب ثوبه، فقلت: انزع ما عليك. فقال: مُرّ في حفظ الله. فقلت له ثانياً، وثالثاً. فقال: لا بد. فقلت: لا بد. فأشار بإصبعه من بعيد إلى عينيَّ، فسقطتا!. فقلت: بالله عليك من أنت؟. فقال: إبراهيم الخوَّاص.[2]

---

(١) الكواكب الدرية للمناوي ١/ ٣٣٢ .

(٢) الكواكب الدرية للمناوي ١/ ٣٣٠-٣٣١ .

وقال الخواص: دخلت البادية مرة، فرأيت نصرانياً على وسطه زنار، فسألني الصحبة، فمشينا سبعة أيام، فقال لي: يا راهب الحنفية!، هات ما عندك من الانبساط؛ فقد جُعنا. فقلت: إلهي! لا تفضحني مع هذا الكافر.

فرأيت طبقاً عليه خبز وشواء، ورطب، وكوز ماء؛ فأكلنا، وشربنا، ومشينا سبعة أيام.

ثم بادرت، وقلت: يا راهب النصرانية!، هات ما معك من الانبساط، فقد انتهت النوبة إليك.

فاتكأ على عصاه، ودعا؛ فإذا بطبقين عليهما أضعاف ما كان على طبقي، فتحيَّرت، وتغيَّرت، وأبيت أن آكل فألحَّ عليّ، فلم أجبه، فقال لي: كل..، فإني مبشرك ببشارتين:

إحداهما: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. وحلَّ الزنار.

والأخرى: إني قلت: " اللهم ! إن كان لهذا العبد خطراً عندك فافتح لي بهذا.."؛ ففتح!.

فأكلنا، ومشينا، وحجَّ، وأقمنا بمكة سنة، ثم مات، ودفن بالبطحاء.(١)

وقال: " دخلت البادية مرة، فأصابتني فاقة شديدة، فلما دخلت مكة، داخلني العجب...، فنادتني امرأة عجوز، وقالت: يا إبراهيم! كنت معك في البادية، ولم أكلمك، خوفاً أن أشغل سرَّك، أخرج عنك هذا الوسواس" .

وقال حامد الأسود: كنت مع إبراهيم الخوَّاص في البرِّيَّة، فبينا نحن تحت شجرة، فجاء سبع، فصعدت الشجرة إلى الصباح، لا يأخذني النوم، ونام إبراهيم الخوَّاص، والسَّبُع يشمُّ من رأسه إلى قدمه، ثم مضى، فلما كانت الليلة الثانية، بتنا في مسجد بقرية فوقع على بقة، فأنَّ أنَّة!.

(١) الكواكب الدرية للمناوي ١/ ٣٣١ .

فقلت: هذا عجب!، البارحة لم يجزع من الأسد، والليلة يصيح من البق...!.

فقال: أما البارحة فتلك حالة كنت فيها مع الله، وأما الليلة فهذه حالة أنا فيها مع نفسي.

وقال حامد أيضاً: وكنت معه في البادية سبعة أيام على حالة واحدة، فلما كان في اليوم السابع، ضعفت، فجلست، فالتفت إلي وقال: ما لك؟.

فقلت: ضعفت.

فقال: أيما أغلب عليك: الماء أو الطعام؟.

فقلت: الماء.

فقال: الماء وراءك.

فالتفت، فإذا عين ماء كاللبن الحليب، فشربت وتطهّرت، وإبراهيم ينظر، ولم يقربه، فلما أردت القيام، هممت بأن أحمل منه.

فقال: أمسك... فإنه ليس مما يتزوَّد منه.(١)

وقال الخوَّاص: عطشت في بعض أسفاري، وسقطت من العطش، فإذا أنا بماء قد رشَّ على وجهي، ففتحت عيني، فإذا أنا برجل حسن الوجه راكباً دابة شهباء، فسقاني الماء، فقال لي: كن رديفي.

وكنت بالحجاز، فما لبثت إلا يسيرا، فقال: ما ترى؟.

فقلت: أرى المدينة!.

فقال: انزل واقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام!، وقل له: أخوك الخضر يقرئك السلام.(٢)

(١) الكواكب الدرية للمناوي ١/ ٣٣١.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٣٠-٣٣١.

وقال الكتاني: سمعت الخواص يقول: كنت في البادية مرة،فسرت في وسط النهار، فوصلت إلى شجرة بقرب ماء، فنزلت ، وإذا سبع عظيم قد أقبل، فاستسلمت، فلما قرب مني إذا هو يعرج، فحمحم، وبرك بين يدي، ووضع يده في حجري، فنظرت، فإذا يده منتفخة فيها قيح ودم، فأخذت خشبة، وشققت الموضع الذي فيه القيح والدم، وشددت عليه خرقة، فمضى به، وإذا به، بعد ساعة قد عاد، ومعه شبلان يبصبصان إليّ، وحملا إليّ رغيفاً!.

وقيل له: ما بال الإنسان يتحرك عند سماع غير القرآن، ما لا يجد في غير سماع القرآن؟. فقال: " لأن سماع القرآن صدمة لا يمكن أحد أن يتحرك فيها لشدة غلبتها، وسماع القول ترويح يتحرك فيه." (١)

وقال علي بن محمد: كنت جالساً مع إبراهيم الخوَّاص، وهو يتكلم في العلم، وحوله جماعة، إلى أن طلعت عليه الشمس، وحميت، حتى وجدتّ حرَّها، وهو جالس لا يعبأ بها، فلما اشتدت قلت له: يا سيدي! ألا تقوم إلى الفي(٢)، فهو أرفق بك؟.

فقال لي: ويلك، ما تدلني إلا على الشرك!.

ثم أنشأ يقول:

لقد وضح الطريق إليك قصداً فما أحد أرادك يستدل
فإن ورد الشتاء فأنت صيف وإن ورد المصيف فأنت ظل

وقال: " آفة المريد ثلاث خصال: حب الدرهم، وحب النساء، وحب الرياسة .(٣)

فتدفع آفة حب الدرهم: باستعمال الورع.

وتدفع آفة حب النساء بترك الشهوات، ومداومة الصوم، فإنما تتولد هذه الشهوة من الشبع، وفراغ القلب.

---

(١) الكواكب الدرية للمناوي ١/ ٣٣١ .

(٢) أي إلى الظلّ.

(٣) الكواكب الدريّة للمناوي ١/ ٣٣٠ .

وتدفع آفة حب الرياسة: بإيثار الخمول.

والمريد الصادق: الله تعالى مراده وقصده، والصِّدِّيقون إخوانه، والخلوة بيته، والوحدة أنسه، والنهار غمه، والليل فرحه، ودليله قلبه، والقرآن معينه، والبكاء والجوع أدمه، والعبادة رياضة نفسه، والمعرفة قياده، والحياة سفره، والأيام مراحله، والورع طريقه، والزهد قرينه، والأحوال منازله، والصبر شعاره، والسكون دثاره، والصدق مطيته، والعبادة مركبه، وخوف الفوت مستحثه. وأنشد:

إن الذين بخير كنت تعهدهم ... مضوا عليك، وعنهم كنت أنهاك
لا تطلبنَّ حياة عند غيرهم ... فليس يحييك إلا من توفَّاكَ

ومنهم:

٢٦ - أَبُو القَاسِم الجُنَيدُ بنُ مُحَمَّد*

سيد الطائفة، وإمامهم.(١)

أفعم أودية المعارف وأفاضها، ولبس منها أسنى المطارف وفضفاضها، إلى علومٍ تُحَقَّق،

*ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية ١٥٥-١٦٣ رقم ١، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥-٢٨٧ رقم ٥٧١، الرسالة القشيرية ١/ ١١٦-١١٩، وتاريخ بغداد ٧/ ٢٤١-٢٤٩ رقم ٣٧٣٩، والمنتظم لابن الجوزي ٦/ ١٠٥-١٠٦ رقم ١٣٩، ووفيات الأعيان ١/ ٣٧٣-٣٧٥ رقم ١٤٤، والكامل في التاريخ ٨/ ٦٢، وصفة الصفوة ٢/ ٤١٦-٤٢٤رقم ٢٩٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٢/ ٢٨-٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٦-٧٠ رقم ٣٤، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٥٣، والبداية والنهاية١١/ ١١٣-١١٥، وطبقات الأولياء لابن الملقِّن ١٢٦-١٣٦ رقم ٣١، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٦٨-١٧٠، وشذرات الذهب ٢/ ٢٢٨-٢٣٠، والكواكب الدرية للمناوي ١/ ٣٧٦-٣٨٨ رقم ٢٤١، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٢/ ١١٨ .

(١) قال الشيخ محيي الدين بن عربي رضي الله عنه في الفتوحات المكية: هو سيد أهل الطائفة، كان من الفقهاء المتعبِّدين على مذهب الشافعية، وتفقه على أبي ثور، توفي في بغداد سنة ٢٩٨هجرية ،وكان الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه، والفقهاء لتقريره، والفلاسفة لدقة نظره ومعانيه، والمتكلِّمون لتحقيقه، والصوفية لإشاراته وتحقيقه.

وعلوٌ مراتب عليها أرديةُ النفوس تشقق. جمع بين الطريقتين، وتصدَّر في جميع الفريقين، ولم يكن فيهم منكراً أنه حامل لوائهم، وحامي سرحهم عند لأوائهم، فكان هو بينهم المنادى المفرد العلم، والواحد الفرد حلَّ حيث حلَّ من العظم، فاض منه بحرٌ لم يبق منه جدولٌ إلا اختطفه في تياره، واقتطفه ورق النّصال ببتَّاره. ويحكى أنه كان لا يرى إلا في زي مريد، وزيادة تواضع ما عليه مزيد.

أصله من نهاوند(١)، ومنشؤه ومولده بالعراق، وأبوه كان يبيع الزجاج فلذلك يقال له "القواريري".

وكان أبو القاسم يبيع الخزّ، فقيل له: "الخزاز"(٢) وكان فقيهاً على مذهب "أبي ثور".(٣)صحب السري، والحارث المحاسبي، ومحمد بن علي القصاب(٤)، وغيرهم.

توفي سنة سبع وتسعين ومائتين(٥).

---

(١) مثلثة النون، مع فتح الهاء والواو، بينهما الف، وإسكان النون الثانية: بلدة من بلاد الجبل قديمة، بينها وبين همذان ثلاثة أيام، فتحت سنة تسع عشرة، أو عشرين، أو إحدى وعشرين، في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه. **انظر**: معجم البلدان – ياقوت: ٨/٣٢٩وما بعدها.

(٢) تاريخ بغداد ٧/٢٤، واللباب ٣/٩.

(٣) إبراهيم بن خالد بن اليمان، أبو ثور الكلبي الفقيه، أحد الائمة المجتهدين، كان من أئمة الدنيا، قال عنه الإمام احمد بن حنبل: "أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة، وهو عندي في صلاح الثوري". مات رحمه الله سنة أربعين ومائتين. **انظر**: خلاصة تذهيب الكمال:١٥.

(٤) محمد بن علي، أبو جعفر القصاب، الصوفي، قال أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي: "محمد بن علي القصاب، بغدادي، كان أستاذ الجنيد. وكان الجنيد يقول: "الناس ينسبوني إلى سري – يعني سري السقطي – وكان أستاذي محمداً القصاب"، مات أبو جعفر القصاب سنة خمس وسبعين ومائتين. **انظر**: تاريخ بغداد: ٣/٦٢.

(٥) قال أبو بكر العطوي: كنت عند الجنيد حين احتضر، فختم القرآن، قال: ثم ابتدأ فقرأ من البقرة سبعين آية، ثم مات.

انظر: "حلية الأولياء ١٠/٢٦٤، وتاريخ بغداد ٧/٢٤٨، وتاريخ الإسلام ٢٢/١٢٢".

وقال الجنيد: " ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع؛ وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات"(١).

وقال لرجل ذكر المعرفة: " أهل المعرفة بالله: يصلون إلى ترك الحركات(٢) من باب البر، والتقرب إلى الله عزَّ وجلّ" .(٣)

فقال الجنيد: " إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهو عندي عظيم، والذي يسرق ويزني أحسن حالاً من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله تعالى أخذوا الأعمال عن الله تعالى، وإليه رجعوا فيها، ولو بقيتُ ألف عالم لم أنقص من أعمال البرِّ ذرَّة، إلا أن يحال بي دونها ."(٤)

وقال: " إن أمكنك أن لا تكون آلة في بيتك إلا خزفاً، فافعل" .(٥)

وقال: " الطرق كلها مسدودة على الخلق، إلا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم" .(٦)

وقال: " لو أقبل صادق على الله تعالى ألف، ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر مما ناله" .(٧)

---

(١) وذلك لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله العزوف عن الدنيا، كما قال حارثة رضي الله عنه: عزفت نفسي عن الدنيا، فاسهرت ليلي واظمات نهاري.

"طبقات الصوفية للسملي ١٥٨/٧، حلية الأولياء ١٠/٢٧٧-٢٧٨، تاريخ بغداد ٧/٢٤٦، والرسالة القشيرية ١/١١٧".

(٢) أي الأعمال.

(٣) الرسالة القشيرية ١/١١٧ .

(٤) الرسالة القشيرية ١/١١٧، وطبقات السلمي ١٥٨-١٥٩ .

(٥) الرسالة القشيرية ١/١١٧، وطبقات الصوفية للسلمي ١٥٩/١٣ .

(٦) " واتَّبع سنَّته، ولزم طريقته، فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه" طبقات السلمي ١٥٩/١٤، الرسالة القشيرية ١/١١٧ .

(٧) الرسالة القشيرية ١/١١٨، وطبقات السلمي ١٦١/٢٣ .

وقال: " من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر[١]، لأن علمنا هذا مقيَّدٌ بالكتاب والسنة".[٢]

وقال: " مذهبنا هذا مقيد بالأصول؛ الكتاب والسنة"[٣].

وقال: "علمنا هذا مشبَّكٌ بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٤].

وقال أبو الحسين علي بن إبراهيم الحداد: حضرت مجلس القاضي أبي العباس ابن سريج[٥] [الفقيه الشافعي]، فتكلّم في الفروع والأصول بكلام حسن عجبت منه، فلما رأى إعجابي قال: "أتدري من أين هذا؟" .

قلت: يقول به القاضي.

فقال: "هذا ببركة مجالستي أبي القاسم الجنيد."[٦]

وقيل للجنيد: ممن استفدت هذا العلم؟.

فقال: من جلوسي بين يدي الله ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة، وأومأ إلى درجة في داره.[٧]

ورؤي في يد الجنيد سبحة، فقيل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟. فقال: طريق به وصلت إلى ربي لا أفارقه.[٨]

---

(١) اي التصوف.

(٢) حلية الأولياء ١٠/٢٥٥، تاريخ بغداد ٧/٢٤٣ .

(٣) الرسالة القشيرية ١/١١٨ .

(٤) تاريخ بغداد ٧/٢٤٣، وفي الرسالة القشيرية ١/١١٨ " مشيَّدٌ" .

(٥) هو أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج القاضي البغدادي ،توفي سنة ست وثلاثمائة. " طبقات الشافعية ٢/٨٧-٩٦" .

(٦) الرسالة القشيرية ١/١١٨، وتاريخ بغداد ٧/٢٤٣، ووفيات الأعيان ١/٣٧٣، ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/٢٨،وطبقات الأولياء لابن الملقّن ١٣٠-١٣١ .

(٧) الرسالة القشيرية ١/١١٩ .

(٨) الرسالة القشيرية ١/١١٩، وتاريخ بغداد ٧/٢٤٥، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ١٢٨/١١، ووفيات الأعيان ١/٣٧٣ .

وكان الجنيد يدخل كل يوم حانوته، ويسبل الستر، ويصلي أربعمائة ركعة، ثم يعود إلى بيته.(١)

وقال أبو بكر العطوي: كنت عند الجنيد حين مات، فرأيته ختم القرآن... ثم ابتدأ من البقرة، وقرأ سبعين آية، ثم مات رحمه الله تعالى.(٢)

وقال الجنيد: " قال لي خالي سَرِيٌّ السَّقَطِيُّ رحمه الله تعالى: "تكلَّم على الناس" و[كان] في قلبي حشمة من الكلام على الناس، فإني كنت أتَّهم نفسي في استحقاق ذلك، فرأيت ليلة في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكانت ليلة جمعة - فقال لي: " تكلم على الناس! "، فانتبهت، وأتيت باب السَّريِّ قبل أن أصبح، فدققت الباب، فقال: "لم تصدِّقنا حتى قيل لك؟!". فقعدت في غدٍ للناس بالجامع، وانتشر في الناس أن الجنيد قعد يتكلم على الناس. فوقف عليَّ غلام نصراني، متنكر، وقال: " أيها الشيخ! ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤمِنِ فإنه ينظرُ بِنُورِ الله)(٣)؟.

فاطرقت، ثم رفعت رأسي، وقلت: أسلِمْ!، فقد حان وقت إسلامك!. فأسلم الغلام(٤).

وقال الجنيد: " ما انتفعت بشيء انتفاعي بأبيات سمعتها.

قيل له: وما هي؟.

قال: مررت بدرب القراطيس، فسمعت جارية تغني من دار، فانصتُّ لها، فسمعتها

(١) تاريخ بغداد ٧/٢٤٥، صفة الصفوة ٢/٤١٧-٤١٨، الرسالة القشيرية ١/١١٩، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢/٢٩، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٢/١٢١ .

(٢) الرسالة القشيرية ١/١١٩، حلية الأولياء ١٠/٢٦٤، تاريخ بغداد ٧/٢٤٨ .

(٣) قال في الدرر: رواه الطبراني والترمذي من حديث أبي أمامة، وأخرجه الترمذي أيضاً من حديث أبي سعيد. وقال في التمييز تبعاً للأصل رواه الترمذي، وقال غريب، وله روايات وزيادات ذكرها في كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني ١/٤١-٤٢ .

(٤) طبقات ابن الملقِّن ١٢٨-١٢٩/١٢، والكواكب الدرية ١/٣٨٦ .

تقول:

إذا قلت: أهدى الهجر لي حلل البلى	تقولين: لولا الهجر لم يطب الحب
وإن قلت: هذا الحب أحرقه الهوى	تقولي: بنيران الهوى شَرُفَ القلب
وإن قلت: ما أذنبت. قلتِ مجيبة	حياتك ذنب لا يقاس به ذنب

فصعقت، وصحت...!.

فبينا أنا كذلك، إذا بصاحب الدار قد خرج، فقال: ما هذا يا سيدي؟!.

فقلت له: مما سمعت.

فقال: أشهدك أنها هبة مني إليك.

فقلت: قد قبلتها، وهي حرة لوجه الله تعالى.

ثم دفعتها لبعض أصحابنا بالرباط، فولدت له ولداً نبيلاً، ونشأ أحسن نشوء، وحجَّ على قدميه ثلاثين حجة على الوحدة .(١)

"عن الحلية"(٢) الصوفية ، أنها حكت بسندها إلى الجنيد، قال: "كنت لهجاً بزيارة الرهبان، والمنقطعين إلى العبادة من سائر الأديان، فحكي لي: إن في أقصى بلاد الروم جارية فتيّة السن، قد اتخذت وتداً من حديد، وعارضة، وغلّت يدها وعنقها إليه، وتعلّقت بين السماء والأرض، لا تقرُّ من العبادة!، فاجتهدتُ إلى أن وصلتُ إلى ذلك الموضع، ورفعتُ رأسي إليها، فحين بَصُرَتْ بي قالت لي: يا أبا القاسم! إن لم يكن حقاً فهو حقيقة!!!.

و[قال أبو محمد الجريري]: كان في جوار الجنيد رجل مصاب[في خربة]، فلما مات الجنيد [ودفنّاه، تقدّمنا ذلك المصاب ، وصعد موضعاً رفيعاً وقال لي: "يا أبا محمد! تُراني أرع إلى تلك الخربة بعد أن فقدت ذلك السيد؟!" .

(١) وفيات الأعيان ١/ ٣٧٤ .

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٢٥٥- ٢٨٧، وطبقات الشعراني ١/ ٩٨،وتاريخ بغداد ٧/ ٢٤١ وما بعدها، والبداية والنهاية ١١/ ١٣ .

ثم][1]أنشأ يقول:

ووا أسفا من فراق قوم هم المصابيح والحصون
والمدن والمزن والرواسي والخير والأمن والسكون
لم تتغير لنا الليالي حتى توفتهم المنون
لم تتغير لنا الليالي وكل ماء لنا عيون

ثم غاب عنا، فكان ذلك آخر العهد منه][2]

ومنهم:

٢٧ - أَبو عُثمَانَ سَعِيدُ بنُ إسماعِيلَ الحِيرِيُّ*

المقيم بنيسابور.

عارفٌ زجر نفسه ووعظها، ورأى نفسه في مرمى كل نظرة لحظها، فحلَّ رموز آماله، والتمس كنوز القرآن في أمثاله، وصحب قوماً اتخذوا نفوساً، وشهدوا في العلياء شموسا، في فيئه قطعوا أودية الأعمار هياما، وطاولوا ألوية الليل قياما، ولم يخدع أحداً منهم متاع الدنيا ولا استجرّه، ولا حام إلا على زهر الثريا ونهر المجرة، وأمسى وتربه يستهدى طيبا، ويندى عنبراً وعوداً رطيبا.

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من طبقات الأولياء ١٣٤/ ٢٥ .

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٢٤٩،و طبقات الشعراني ١/ ١٠١،و طبقات الأولياء لابن الملقّن ١٣٤-١٣٥/ ٢٥ .

*ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي، ١٧٠-١٧٥ رقم ٣، وحلية الأولياء ١٠/ ٢٤٤-٢٤٦ رقم ٥٦٨، وتاريخ بغداد ٩/ ٩٩-١٠٢ رقم ٤٦٩٠، والرسالة القشيرية ١/ ١٢٠-١٢٢، والمنتظم لابن الجوزي ٦/ ١٠٦-١٠٨ رقم ١٤١، وصفة الصفوة ٤/ ١٠٣-١٠٧ رقم ٦٧٧، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٦٩-٣٧٠ رقم ٢٦٠، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٦٢-٦٦ رقم ٣٣، والوافي بالوفيات ١٥/ ٢٠٠، والبداية والنهاية ١١/ ١١٥، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٧٧، وشذرات الذهب ٢/ ٢٣٠، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٢٣٩-٢٤١ رقم ٤٥، ونتائج الأفكار القدسية ١/ ١٤٤-١٤٨، وجامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٦، والحيري: نسبة إلى الحيرة، قرية من قرى نيسابور وهي غير الحيرة القريبة من الكوفة بالعراق، نتائج الأفكار القدسية ١/ ١٤٤ .

كان من الري، وصحب شاه الكرماني، ويحيى بن معاذ. ثم ورد نيسابور مع شاه الكرماني، على أبي حفص الحداد(١)، وأقام عنده، وتخرَّج به، وزوَّجه أبو حفص ابنته.

ومات سنة ثمان وتسعين ومائتين(٢)، وعاش بعد أبي حفص نيفاً وثلاثين سنة.

ومن كلامه: " لا يكمل إيمان الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء: المنع، والإعطاء، والعزّ، والذل."(٣)

وقال: " الصحبة مع الله: بحسن الأدب، ودوام الهيبة، والمراقبة.

والصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم: باتباع سنته، ولزوم ظاهر العلم.

والصحبة مع أولياء الله تعالى: بالاحترام والخدمة.

والصحبة مع الأهل بحسن الخلق.

والصحبة مع الإخوان: بدوام البشر مالم يكن إثماً.

والصحبة مع الجهَّال: بالدعاء لهم، والرحمة عليهم."(٤)

وقال: " من أمَّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، قال الله تعالى: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾.(٥)

---

(١) أي: وقرأ على أبي حفص.

(٢) ليلة الثلاثاء لعشرٍ بقين من ربيع الآخر، وصلى عليه الأمير أبو صالح. " تاريخ الإسلام للذهبي ٢٢/١٥٦، وتاريخ بغداد ٩/١٠٢، وطبقات الصوفية للسلمي ١٧٠، وصفة الصفوة ٤/١٠٧".

(٣) الرسالة القشيرية ١/١٢٠، وطبقات الصوفية ١٧٢/٣، وحلية الأولياء ١٠/٢٤٤-٢٤٥، وتاريخ بغداد٩/١٠١، ووفيات الأعيان ٢/٣٦٩،وطبقات ابن الملقّن ٢٤٠/١ .

(٤) الرسالة القشيرية ١/١٢١-١٢٢ .

(٥) سورة النور - الآية /٥٤ وانظر: صفة الصفوة ٤/١٠٥، والزهد الكبير رقم ٣١٩و٣٧٥، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٢/١٥١ .

وقال أبو عثمان: " صحبت أبا حفص وأنا شاب، فطردني مرة، وقال: "لا تجلس عندي!" . فقمت ولم أُوَلِّه ظهري، وانصرفت إلى ورائي، ووجهي إلى وجهه، حتى غبتُ عن عينيه، وجعلت على نفسي: أن أحفر على بابه حفرة لا أخرج منها إلا بأمره! . فلما رأى مني ذلك أدناني، وجعلني من خواص أصحابه.(١)

و]كان يقال ":[في الدنيا ثلاثة لا رابع لهم:" أبو عثمان: بنيسابور، والجنيد: ببغداد، وأبو عبد الله بن الجلاَّء: بالشام."(٢)

وقال أبو عثمان:" منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حالة فكرهته ، ولا نقلني إلى غيره فسخطته" .(٣)

ولما تغير على أبي عثمان الحال(٤)، مزَّق ابنه أبو بكر قميصاً على نفسه، ففتح أبو عثمان عينيه، وقال: "خلاف السنة يا بني في الظاهر، علامة رياء في الباطن."(٥)

وقال:" أصل العداوة من ثلاثة أشياء:–

"من الطمع في المال، والطمع في إكرام الناس، والطمع في قبول الناس."(٦)

وقال: " صلاح القلب في أربع خصال:

"في التواضع لله، والفقر إلى الله؛ والخوف من الله، والرجاء في الله" .(٧)

---

(١) اللمع ١٧٧، الرسالة القشيرية ١ / ١٢٠، وطبقات ابن الملقِّن ٢٤٠ / ٥ .

(٢) الرسالة القشيرية ١ / ١٢١، وطبقات ابن الملقِّن ٢٣٩ .

(٣) تاريخ بغداد ٩ / ١٠١، حلية الأولياء ١٠ / ١٤٤، طبقات الأولياء لابن الملقِّن ٢٤٠ / ٣

(٤) أي حينما غشي عليه في مرض موته.

(٥) أي أن ما فعله ابنه من إظهار الحزن والألم عليه حتى لا يذم بترك الحنو على والده، إذ لم يراقب الله تعالى في أمره ونهيه عند نزول المصائل. والقول في الرسالة القشيرية ١ / ١٢١ .

(٦) طبقات الصوفية للسلمي ١٧٢ / ٢ .

(٧) طبقات الصوفية للسلمي ١٧٢ / ٤ .

وقال: " الخوف من الله يوصلك إلى الله، والكِبْرُ والعُجْبُ في نفسك يقطعك عن الله، واحتقارُ الناس في نفسك مرضٌ عظيم لا يداوى."(١)

وقال: " من جلَّ مقداره في نفسه جلَّ أقدار الناس عنده؛ ومن صغر مقداره في نفسه صغر أقدار الناس عنده" .(٢)

وقال: " تعزَّزوا بعزِّ الله كي لا تذلوا."(٣)

وقال: " العاقل من تأهَّب للمخاوف قبل وقوعها."(٤)

وقال: " التفويض ردُّ ما جهلتَ علمَه إلى عالِمِه، والتفويض مقدِّمة الرضا؛ والرضا باب الله الأعظم" .(٥)

وقال: " الفراسة ظنٌّ وافق الصواب، والظن يخطيء ويصيب؛ فإذا تحقق في الفراسة، تحقق في حكمها، لأنه إذ ذاك يحكم بنور الله تعالى لا بنفسه."(٦)

وسئل عن التوكل فقال: " هو الاكتفاء بالله تعالى مع الاعتماد عليه. والشكر: معرفة العجز عن الشكر.

وشكر العوام: على المطعم والمشرب والملبس.

وشكر الخواص: على ما يرد على قلوبهم من المعاني.

واليقين: قلة الاهتمام لغد."

(١) طبقات الصوفية للسلمي ١٧٢/٨، حلية الأولياء ١٠/٢٤٥.

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ١٧٣/١٠.

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ١٧٣/١١.

(٤) طبقات الصوفية للسلمي ١٧٣/١٣.

(٥) طبقات الصوفية للسلمي ١٧٤/١٩.

(٦) طبقات الصوفية للسلمي ١٧٤/٢١.

وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أسألك الرضاء بعد القضاء)؟.

قال: "لأن الرضاء قبل القضاء عزمٌ على الرضاء، والرضاء بعد القضاء هو الرضاء" .

وقال: " من أضرَّ به الرجاء حتى قارب الأمن فالخوف له أفضل، ومن أضرَّ به الخوف حتى قارب الإياس ، فالرجاء له أفضل(1) وأنشد في هذا المعنى:

أسأت ولم أحسنْ وجئتك هاربا ... وأين العبد من مواليه مهرب؟
يؤمِّلُ غفراناً فإن خاب ظن ... فما أحدمنه على الأرض أخيب(2)

ومنهم:

٢٨ - مُمْشاذُ الدِّينَوَرِيُّ*

زاهد قنع عفافا، وقمع هواه ليصبح ويمسي من الدنيا معافى، وتقرَّب إلى الله بالنوافل حتى أحبَّه، وملَّكه قلوب الناس فلم تدع حبَّه، وعبر مدة العمر لا تردُّ له دعوة، ولا يعدّ معه لذي قوم حظوة، وترقَّى بتجريد سرى به في الملكوت، وسما به والنجوم سكوت، ثم انتقل إلى ربه الكريم، ووُسِّد في تربه ميتاً ميتة الكليم، وطاب قبرٌ جنّه، وقربٌ نودي منه: ﴿ يا أيتها النفس المطمئنّه ﴾.(3)

صحب يحيى بن الجلاء، ومن فوقه من المشايخ، عظيم المرمى في هذه العلوم، كبير

---

(١) الكواكب الدرية للمناوي ١/٤٢١-٤٢٢

(٢) نتائج الأفكار القدسية ١/١٤٥، طبقات ابن الملقّن ٢٤٠/٤

*ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ٣١٦-٣١٨ رقم ٢٥، وحلية الأولياء ١٠/٣٥٣-٣٥٤ رقم ٦٢٥، وصفة الصفوة ٤/٧٨ رقم ٦٥٩، والرسالة القشيرية ٣٣، ونتائج الأفكار القدسية ١/١٨٣، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٨٨-٢٨٩ رقم ٦٠، والنجوم الزاهرة ٣/١٧٩، ٢٠٤، والكواكب الدرية ١/٤٩١ رقم ٢٨٥، والطبقات الكبرى للشعراني ١/١٢٠، وجامع كرامات الأولياء ٢/٢٦٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٢/٣١٢ رقم ٥٢٠ .

(٣) سورة الفجر – الآية ٢٧ .

الحال، [أحد فتيان الجبال]، ظاهر الفتوّة. مات سنة تسع وتسعين ومائتين .(١)

ومن كلامه:

قال: " طريق الحق بعيد، والصبر مع الحق شديد ."(٢)

وقال: " ما أقبح الغفلة عن طاعة من لا يغفل عن برِّك؛ وما أقبح الغفلةَ عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك ."(٣)

وقال: " ما دخلت قط على أحد من شيوخي ، إلا وأنا خالٍ من جميع مالي؛ أنظر بركات ما يرد عليّ من رؤيته أو كلامه؛ فإنّ من دخل على شيخ بحظِّه(٤)، انقطع بحظّه عن بركات رؤيته، ومجالسته، وأدبه، وكلامه ."(٥)

وقال: " أدب المريد في أشياء أربعة: التزام حرمات المشايخ؛ وخدمة الإخوان؛ والخروج عن الأسباب؛ وحفظ آداب الشرع على نفسه ."(٦)

وقال: " صحبة أهل الصلاح تورث في القلب الصلاح، وصحبة أهل الفساد تورث فيه الفساد ."(٧)

وسئل عن التوكل؟ فقال: " التوكل: حسم الطمع عن كل ما يميل إليه قلبك ونفسك ."(٨)

---

(١) الرسالة القشيرية ١/١٥٥، طبقات الصوفية للسلمي ٣١٦، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٢/٣١٣، وطبقات الاولياء لابن الملقّن ٢٨٨ .

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ٣١٦/١ .

(٣) الكواكب الدرية للمناوي ١/٤٩٢، وطبقات الصوفية للسلمي ٣١٧/٥ .

(٤) أي بنية الامتحان والاختبار، ومعرفة ما عنده.

(٥) طبقات الصوفية ٣١٧/١٠، والرسالة القشيرية ١/١٥٥، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٨٨-٢٨٩/٣ .

(٦) طبقات الصوفية ٣١٨/١٢، والرسالة القشيرية ١/١٥٥، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٨٨/٢ .

(٧) طبقات الصوفية للسلمي ٣١٨/١٤، والكواكب الدرية للمناوي ١/٤٩١ .

(٨) طبقات السلمي ٣١٨/١٥ .

وقال أبو بكر الرازي: كنت عند ممشاذ الدينوري ، فجرى حديث الدَّين، فقال لي: كان عليّ دين ، فاشتغل قلبي، فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: يا بخيلاً!، أخذت علينا هذا المقدار؟.. خذ!، عليك الأخذ وعلينا العطاء. فما حاسبت بعد ذلك بقالاً، ولا قصاباً، ولا غيرهما.

وقال: " منذ علمت أن أحوال الفقراء جدّ كلها لم أمازح فقيراً، وسبب ذلك: أن فقيراً جاءني قادماً علي، فقال لي: أيها الشيخ! أريد أن تتخذ لي عصيدة، فجرى على لساني: "إرادة وعصيدة؟!" ، فتأخر الفقير ولم أشعر، ثم أمرت باتخاذ عصيدة، وطلبت الفقير فلم أجده، فتعرفت خبره، فقيل لي: انصرف من فوره، وكان يقول في نفسه: "إرادة وعصيدة؟!" ، وهام على وجهه حتى دخل البادية، ولم يزل يقول هذه الكلمة حتى مات.(١)

وسئل عن التصوف؟.

فقال: " صفاء الأسرار، والعمل بما يرضي الجبار، وصحبة الناس بلا اختيار" .

وقال بعضهم: كنت عند ممشاذ عند وفاته، فقيل له: كيف تجد العلّة؟.

فقال: سلوا العلّة عني.

فقيل له: قل:" لا إله إلا هو"، فحوَّل وجهه إلى الجدار، وقال:

أفنيت كلي بكلك هذا جزاء من يجلّك

لا إله إلا هو، أحد، أحد.(٢)

وقيل [له] : إذا جاع الفقير أيش يعمل؟.

فقال: " يصلي. قال: فإن لم يقدر؟. قال: ينام. قال: فإن لم يقدر؟ فقال: إن الله

(١) نتائج الأفكار القدسية ١/١٨٣، وطبقات ابن الملقّن ٢٨٩/٤ .

(٢) الكواكب الدرية للمناوي ١/٤٩٢، ونتائج الأفكار القدسية ١/١٨٣ .

تعالى لا يخلي الفقير عن إحدى ثلاث: إما قوى، وإما غذاء، وإما أخذ".

وقال فارس الدينوري(١): خرج ممشاذ الدينوري يوماً من باب الدار، فنبح عليه كلب، فقال ممشاذ: "لا إله إلا الله". فمات الكلب مكانه!(٢).

وروي أنه كان إذا رأى فقيراً قدم من البادية، يقول له: تعال يا مكسور!، من أي بركة شربت؟، وعلى أي بدوي نزلت؟، وطعام من أكلت؟.

حكى بعض أصحابه، قال: اشتدّ به المرض، فاستثقله. فقيل له: مثلك يكره الموت؟!.

فقال: "أخاف لقاء الحبيب قبل الإكثار مما يرضيه"؛ فدخل عليه داخل لا يعرفه منا أحد، فناوله تفاحة لا يعرف مثلها في الدنيا، فأخذها، فشمّها، فمات...!.

ثم نظرنا فلم نر الرجل ولا التفاحة، وإنما سمعنا قائلاً يقول: "موتة موسوية والله." (٣)

رحمه الله تعالى.

ومنهم:

٢٩ - أبو محمد رُوَيْمُ بنُ أحمدَ بنِ يَزيدَ بنِ رُوَيمٍ بنِ يَزيدَ البَغْدَاديُّ*

(١) هو فارس بن عيسى الدينوري، - وقيل بن محمد - أبو الطيب الصوفي، صحب الجنيد بن محمد، وأبا العباس بن عطاء، وغيرهما، وانتقل إلى خراسان فنزلها، وكان له لسان حال، يقال إنه مات بسمرقند، قال أبو نعيم: "فارس بن عيسى الصوفي، بغدادي، وكان من المتحققين بعلوم أهل الحقائق، ومن الفقراء المجردين للفقر، وترك الشهوات، جالس الجنيد بن محمد، ويوسف بن الحسين، وأقرانهما من الشيوخ، ورد نيسابور. وخرج - على أكبر ظني - سنة أربعين ومائتين، وسكن مرو". تاريخ بغداد ١٢/٣٩٠.

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ٣١٧/٤، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٢/٣١٣، والكواكب الدرية للمناوي ٤٩٢.

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ٣١٦، حلية الأولياء ١٠/٣٥٣.

*ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ١٨٠-١٨٤ رقم ٥، وحلية الأولياء ١٠/٢٩٦-٣٠٢ رقم ٥٧٤، وتاريخ بغداد ٨/٤٣٠-٤٣٢ رقم ٤٥٣٧، والرسالة القشيرية ١/١٢٧، والمنتظم لابن الجوزي ٦/١٣٦-١٣٧ رقم ٢٠٣، وصفة الصفوة ٢/٤٤٢-٤٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٤/٢٣٤-٢٣٥ رقم ١٣٨، والبداية والنهاية ١١/١٢٥، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٢٢٨-٢٣١ رقم ٤٢، والنجوم الزاهرة ٣/١٨٩، والطبقات الكبرى للشعراني ١/١٠٣، ونتائج الأفكار القدسية ١/١٥٢-١٥٥، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٣/١٢٠.

إمام به الابتداء في الترتيب، والاقتداء للمستتيب، عَلَمٌ من الأعلام، وكرم للأخوال والأعمام. رفل من جلابيب الجنود وأنجادها، ورف ذيله على أغوار النجوم وأبجادها[١]، وطالما تلفع بالظلماء، وتشفع برب السماء، ودام على طريقه اللاحب[٢]، حتى سقاه الموت السمام المنقع، وأتاه الحِمام بما يتوقع، على أنه كان استدرك لمصيره، وتأهب لمسيره، وسبق حتى وارته حفرته ولم يفت، وأرته عين اليقين قبره وهو حي لم يمت.

كان فقيهاً على مذهب داود الأصفهاني.[٣]

مُقرِئاً على إدريس بن عبد الكريم الحداد.[٤]

قال أبو عبد الله بن خفيف: قلت لرويم: أوصني.

فقال: " ما هذا الأمر إلا ببذل الروح[٥]، فإن أمكنك الدخول فيه مع هذا، وإلا فلا تشتغل بترّهات[٦] الصوفية.[٧]

---

(١) يقال: هو ابن بجدتها للعالم بالشيء، وللدليل الهادي" القاموس مادة بجد".

(٢) أي الطريق الواضح" القاموس مادة لحب".

(٣) داود بن علي بن خلف، أبو سليمان البغدادي الأصبهاني، إمام أهل الظاهر. ولد بالكوفة، سنة مائتين، أو اثنتين ومائتين، وكان أحد أئمة المسلمين وهداتهم، ورعاً ناسكاً زاهداً، وكان من المتعصبين للشافعي رحمه الله تعالى، صنف كتابين في فضائله والثناء عليه، وإليه انتهت رياسة العلم ببغداد، وأصله من أصفهان، ومولده بالكوفة، ومنشؤه ببغداد، وبها قبره، مات رحمه الله في رمضان، سنة سبعين ومائتين من الهجرة. **انظر**: طبقات الشافعية للإمام السبكي ٢/٤٢ وما بعدها.

(٤) إدريس بن عبد الكريم، أبو الحسن الحداد، المقرىء، صاحب خلف بن هشام، ولد سنة تسع وتسعين ومائة، وكان عالماً ثقة، مات رحمه الله في يوم السبت، يوم الأضحى، في ذي الحجة، سنة اثنتين وتسعين ومائتين من الهجرة. **انظر**: تاريخ بغداد ٧/١٤.

(٥) أي بذل الجهد في الطاعات، والإعراض عن المحرمات.

(٦) جمع: تُرّهة، وهي الأباطيل والخرافات.

(٧) الكواكب الدرية ١/٥٦٢، وطبقات الصوفية ١٨٣/١٣، والرسالة القشيرية ١/١٢٧.

وقال رويم: " قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية، فإن كل الخلق قعدوا على الرسوم[١]، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق، وطالبَ الخلقُ كلُّهم أنفسَهم بظواهر الشرع، وطالبَ هؤلاء أنفسَهم بحقيقة الورع، ومداومة الصدق، فمن قعد معهم وخالفهم في شيء مما يتحققون، نزع الله نور الإيمان من قلبه."[٢]

وقال رضي الله عنه: " اجتزت ببغداد وقت الهاجرة ببعض السكك، وأنا عطشان، فاستقيت من دار، ففتحت صبية بابها، ومعها كوز، فلما رأتني قالت: صوفي يشرب بالنهار!!!. فما أفطرت بعد ذلك اليوم قط.[٣]

وقال: " قف على البساط، وإياك والانبساط، واصبر على ضرب السياط، حتى تجوز الصراط."[٤]

وسئل عن الفتوة ؟ فقال: " أن تعذُرَ إخوانك في زلاتهم، ولا تعاملهم بما تحتاج أن تعتذر منه."[٥]

وقال: " إن الله غيَّب أشياء في أشياء: غيَّب مكرَهُ في حِلمه، وغيَّب خِداعه في لُطفه، وغيَّب عقابه في كرامته."[٦]

وقيل له: هل ينفع الولد صلاح الوالدين؟ فقال: " من لم يكن بنفسه لا يكون بغيره، بل من لم يكن بربه لا يكون بنفسه".

---

(١) أي اكتفوا بالأعمال الظاهرة.

(٢) الرسالة القشيرية ١/١٢٧-١٢٨، وطبقات الصوفية للسلمي ١٨٢/٩ .

(٣) طبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٢٩/٦، والرسالة القشيرية ١/١٢٨ .

(٤) طبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٣٠-٢٣١ .

(٥) حلية الأولياء ١٠/٢٩٦، وتاريخ بغداد ٨/٤٣١، وصفة الصفوة ٢/٤٤٢، وطبقات الصوفية للسلمي ١٨٣/١١، والكواكب الدرية ١/٥٦٢ .

(٦) طبقات الصوفية ١٨٢/٥ .

ثم أنشد لابن الرومي[1]:

إذا العود لم يثمر وإن كان شعبة من المثمرات اعتدّه الناس في الحطب[2]

وسئل عن حقيقة الفقر؟.

فقال: " أخذ الشيء من جهته، واختيار القليل على الكثير عند الحاجة. "[3]

وقال: " الصبر: ترك الشكوى[4]، والرضا: استلذاذ البلوى، واليقين: هو المشاهدة. "[5]

وقال: " يعاتَب الخلقُ بالإرفاق، ويعاتب المحب بالغلظة" .

وأنشد على أثره لغيره:

لو كنتِ عاتبةً لسكّن عَبرتي أملي رضاكِ، وزرت غير مراقَب
لكن مَلَلْتِ، فلم تكن لي حيلةٌ صدُّ الملول خلاف صدٌّ العاتبِ[6]

وسئل عن المحبة؟ ؛ فقال: " الموافقة في جميع الأحوال" .

وأنشد:

ولو قلتِ لي: مت متُّ سمعاً وطاعة وقلت لداع الموت أهلاً ومرحبا[7]

وسئل عن وَجْدِ الصوفية عند السماع؟ .

---

(١) أبو الحسن، علي بن العباس، علي بن جريج، المشهور بابن الرومي، مولى عبد الله ابن عيسى بن جعفر، كان أحد الشعراء المكثرين، المجوِّدين في الغزل والمديح والهجاء والأوصاف والتشبيهات، وكان محسناً يتطرّف وله ديوان شعر مطبوع، مات سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومائتين من الهجرة. **انظر**: الأنساب ٢٦٣ .

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ١٨٢/٦ .

(٣) طبقات الصوفية ١٨٢/٨ .

(٤) طبقات الصوفية ١٨٣/١٤، حلية الأولياء ١٠/٣٠١، تاريخ بغداد ٨/٤٣١، صفة الصفوة ٢/٤٤٣ .

(٥) طبقات الصوفية ١٨٣/١٦، حلية الأولياء ١٠/٣٠١، تاريخ بغداد ٩/٤٣١ .

(٦) طبقات الصوفية ١٨٣/١٧ .

(٧) طبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٢٩/٣، وتاريخ بغداد ٨/٤٣١، وحلية الأولياء ١٠/٣٠١، وطبقات الصوفية ١٨٤/١٩، وطبقات الشعراني ١/١٠٣ .

فقال: " يشهدون المعاني التي تعزب عن غيرهم، فتشير إليه: إليّ، إليّ. فيتنعّمون بذلك من الفرح، ثم يقع الحجاب، فيعود ذلك الفرح بكاء، فمنهم من يخرق ثيابه، ومنهم من يصيح، ومنهم من يبكي، وكل إنسان على قدره" .(١)

وقال: " التصوف مبني على ثلاث خصال: التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالعدل والإيثار، وترك التعرض والاختيار" .

ودخل رويم في شيء من أمور السلطان، فدخل عليه الجنيد ومعه رجل خراساني، فلما خرج، قال الجنيد: كيف رأيته يا خراساني؟!.

قلت: لا أدري.

قال: إن الناس يتوهمون أن هذا نقصان في حاله ووقته، وما كان رويم أعمر وقتاً منه هذه الأيام.(٢)

وقال السلمي: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا العباس بن عطاء يقول: "رويم أتم حالاً من أن تغيره تصاريف الأحوال" .

وذكر الخطيب البغدادي رويماً. وذكر من كلامه قوله: "السكون إلى الحال اغترار."(٣)

وقوله: " رياء العارفين خير من إخلاص المريدين."(٤)

وقوله: " الفتوة أن تعذر إخوانك في زللهم، ولا تعاملهم بما يحوجك إلى الاعتذار إليهم."(٥)

(١)طبقات ابن الملقّن ٢٢٩/٤، ونتائج الأفكار القدسية ١/١٥٣ .

(٢) تاريخ بغداد ٨/٤٣١ .

(٣) تاريخ بغداد ٨/٤٣٠، وحلية الأولياء ١٠/٢٩٧ .

(٤) حلية الأولياء ١٠/٢٩٧، وتاريخ بغداد ٨/٤٣٠ .

(٥) طبقات الصوفية للسلمي ١٨٣/١٢، وحلية الأولياء ١٠/٢٩٦، وتاريخ بغداد ٨/٤٣١، وصفة الصفوة ٢/٤٤٢ .

وقال ابن خفيف: لما دخلت بغداد قصدت رويماً، وكان قد تولى القضاء، فلما دخلت عليه رحَّب بي وأدناني، وقال لي: من أين أنت؟.

فقلت: من فارس.

فقال: لمن صحبت؟.

قلت: جعفر الحذّاء.

فقال: ما تقول الصوفيةُ فيّ؟.

قلت: لا شيء.

قال: بلى، يقولون: إنه رجع إلى الدنيا!.

فبينا هو يحدّثني إذ جاء طفل صغير، فقعد في حجره، فقال رويم: لو كنت أرى منهم من يكفيني مؤنة هذا الطفل لما تعلّقتُ بهذا الأمر، ولا بشيء من أسباب الدنيا، ولكن شغل قلبي بهذا أوقعني فيما أنا فيه![1]

توفي - رحمه الله تعالى - ببغداد، سنة ثلاث وثلاثمائة.[2]

---

(١) طبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٢٩-٢٣٠ .

(٢) ودفن بمقبرة الخيزران، ورئي في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟. قال: ناقشني حتى أيست، فلما رآني آيساً تغمّدني برحمته. انظر: السلمي ١٨٠ وما بعدها، وتاريخ بغداد ٨/ ٤٣٠، وطبقات ابن الملقن ٢٢٨، والحلية ١٠/٢٩٦، والبداية والنهاية ١١/ ١٢٥، وطبقات الشعراني ١/ ٧٥ .

ومنهم:

٣٠ - أبــو مُغيث الحُسَينُ بنُ مَنْصُورٍ الحَلاَّجُ *

بحر لا يلجه إلا معذر، وأسد لا يخرجه إلا متضرر، شرب بقية الزجاجة، وطرب فوق قدر الحاجة، فانقلب سكراناً طافحا، وغلب عليه فمال طامحا، وكان ممن كتب الكتب وقراها، وبرأ الكتب ودراها، فكان يجني ثمر الغيوب، ويجري تارة مجرى المحاسن، وتارة مجرى العيوب، فلا يزال يأتي بالحكمة الصائبة، ويحدِّث بالكلمة الغائبة، بكشف لا يحجب، ولا يأتي بنادرة فيتعجب، لكثرة ما كان يأتي به شيئاً بعد شيء، ويمد من تخييلاتها فيا بُعْدَ فَيْ، فكان لو شاء أنه أو هَمَّ شق البحر فخاض منه طريقاً يبسا، وشهب الماء فأوقد منه شهاباً قبسا، وأومأ إلى الغوادي فأجابت سماؤها، وإلى الليالي فانجابت ظلماؤها، فخلب العقول أو سحرها، وخيّل أوقات الظهيرة عشيات الليالي أو سحرها، حتى أضلَّ جبلا، وأضاع جملا، وأصبح مثلا، وأمسى وأمثال عقد النجوم عليه منتثلا، وكاد العراق يميد لساكنه، ويميل بمساكنه، حتى كادت بغداد تخرج في ذمامها، ويخرج من يد أيامها، والناس عليه مؤتلفون، وفيه مختلفون، وهم به لا يقصرون، ﴿أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون﴾(١) ثم قتل بسيف الشرع، وسقي بسيل دمه منابت الزرع، فقرَّ الدرُّ في الضرع، واستقرَّ في ثاره الأصل والفرع، هذا بعد أن صُبَّ عليه سوط عذاب، وقتل والناس قسمان: قسم مدح، وقسم عاب، إلا أنه حكي أنه لم يحضر واقعته إلا من أصيب، وأخذ من البلوى نصيب.

---

*ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ٣٠٧-٣١١، وتاريخ بغداد ١/١١٢-١٤١ رقم ٤٢٣٢، والمنتظم لابن الجوزي ٦/١٦٠-١٦٤ رقم ٢٦٥، والكامل في التاريخ ٨/١٢٦-١٢٩، ووفيات الأعيان ٢/١٤٠-١٤٦ رقم ١٨٩، وتاريخ ابن الوردي ٩/٢٥٦-٢٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/٣١٣-٣٥٤ رقم ٢٠٥، وميزان الاعتدال ١/٥٤٨ رقم ٢٠٥٩، والبداية والنهاية ١١/١٣٢-١٤٤، وطبقات الأولياء لابن الملقن ١٨٧-١٨٨ رقم ٣٥، والنجوم الزاهرة ٣/١٨٢و٢٠٢-٢٠٣، وتاريخ الخلفاء ٣٨٠-٣٨٢، وشذرات الذهب ٢/٢٥٣-٢٥٧، والطبقات الكبرى للشعراني ١/١٢٦-١٢٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٣/٢٥٢ .

(١) سورة الطور - الآية ١٥ .

وهو من بيضاء فارس[١]، ونشأ بواسط[٢]، والعراق.

وصحب الجنيد، والنوري، وعَمْراً المكي[٣]، وغيرهم.

واختلف المشايخ في أمره: فردَّه أكثرهم ونفوه، وأبوا أن يكون له قدمٌ في التصوف.

وقَبِلَهُ [بعضهم]: من جملتهم أبو العباس بن عطاء، وأبو عبد الله محمد بن خفيف، وأبو القاسم إبراهيم بن محمد النصراباذي، وأثنوا عليه، وصححوا له حاله، وحكوا عنه كلامه، وجعلوه أحد المحققين، حتى قال محمد بن خفيف: "الحسين بن منصور: عالمٌ ربَّانيّ."[٤]

قتل بباب الطاق من بغداد، يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة، سنة تسع وثلاثمائة.

وقال الحلاج: " حجبهم بالاسم فعاشوا؛ ولو أبرز لهم علوم القدرة لطاشوا؛ ولو كشف لهم الحجاب عن الحقيقة لماتوا."[٥]

وقال: " من أسكرته أنوار التوحيد، حجبته عن عبارة التجريد، بل من أسكرته أنوار

---

(١) البيضاء، في عدة مواضع، منها مدينة مشهورة بفارس، وهي أكبر مدينة بكورة اصطخر، وإنما سميت البيضاء لأن لها قلعة تبين من بعد، ويرى بياضها، وكانت معسكراً للمسلمين، يقصدونها في فتح اصطخر،وهي تامة العمارة، خصبة جداً، بينها وبين شيراز ثمانية فراسخ. **انظر**: معجم البلدان ١ /٧٩٣ .

(٢) واسط: في عدة مواضع؛ والمراد بها هنا المدينة التي بناها الحجاج بن يوسف الثقفي، المتوفى سنة خمس وتسعين، وهي أعظمها وأشهرها، تقع بين البصرة والكوفة، وقد شرع الحجاج في عمارتها سنة أربع وثمانين،وفرغ منها سنة ست وثمانين. **انظر**: معجم البلدان ٤ /٨٨١ .

(٣) هو عمرو بن عثمان بن كرب بن غصص، وكنيته أبو عبد الله المكي، كان ينتسب إلى الجنيد في الصحبة، ولقي أبا عبد الله النباجي، وصحب أبا سعيد الخراز، وغيره من المشايخ القدماء. وهو عالم بعلوم الأصول، وله كلام حسن، مات ببغداد سنة إحدى وتسعين ومائتين، ويقال: سبع وتسعين، والأول أصح.
انظر: حلية الأولياء ١٠ /٢٩١ وما بعدها، طبقات السلمي ٢٠٠، تاريخ بغداد ١٢ /٢٢٣ .

(٤) طبقات الصوفية ٣٠٧-٣٠٨ .

(٥) طبقات الصوفية للسلمي ٣٠٨ /١، وطبقات الأولياء لابن الملقن ١٨٧ /١ .

التجريد، نطق عن حقائق التوحيد؛ لأن السكران هو الذي ينطق بكل مكتوم."(١)

وقال: " من التمس الحق بنور الإيمان، كان كمن طلب الشمس بنور الكواكب."(٢)

وقال أبو العباس الرازي: كان أخي خادماً للحسين بن منصور، فسمعته يقول: لما كانت الليلة التي وعد من الغد لقتله، قلت له: يا سيدي! أوصني.

فقال لي: " عليك بنفسك، إن لم تشغلها شغلتك".

فلما كان من الغد، وأُخرِجَ للقتل، قال: "حسب الواحد إفراد الواحد".

ثم خرج يتبختر في قيده ويقول:

نديمي غيرُ مَنسُوبٍ ... إلى شيءٍ من الحَيفِ
سقاني مثل ما يشر ... ب فعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأسُ ... دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الكأسَ ... مع التِّنِّين في الصيفِ(٣)

ثم قال: ﴿ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها، والذين آمنوا مشفقون منها، ويعلمون أنها الحق ﴾.(٤)

ثم ما نطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل.

وقال القنَّاد: لقيت الحلاج يوماً في حالة رثَّةٍ، فقلت له: كيف حالك؟. فأنشأ يقول:

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ٣١١/١٧ .

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ٣١١/١٨ .

(٣) الأبيات في " ديوان الحلاَّج" ص ٧٣، وانظر الخبر أيضاً في تاريخ بغداد ٨/ ١٣١-١٣٢، والمنتظم لابن الجوزي ٦/ ١٦٣-١٦٤، وأخبار الحلاَّج ص ٣٤-٣٥، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤٥-٣٤٦ .

(٤) سورة الشورى – الآية ١٨ .

لئن أمسيت في ثوبي عديم لقد بَليا على حُرٍّ كريم
فلا يحزنك أن أبصرت حالاً مغيَّرةً عن الحال القديم
فلي نفس ستتلف أو سترقى لعمرك بي إلى أمر جسيم (١)

وأنشد ابن فاتك(٢) للحسين بن منصور:

أنت بين الشغاف والقلب تجري مثل جري الدموع من أجفاني
وتحلّ الضمير جوف فؤادي كحلول الأرواح في الأبدان
ليس من ساكن يحرك إلا أنت حركته خفي المكان (٣)

وأنشد لنفسه(٤):

مواجيدُ حقٍ، أوجد الحقُّ كلَّها وإن عجزت عنها فُهوم الأكابر
وما الوجد إلا خطرة ثم نظرة تثير لهيباً بين تلك السرائر
إذا سكن الحق السريرة ضوعفت ثلاثة أحوالٍ، لأهل البصائر
فحالٌ يبيد السرَّ عن كنه وجده ويُحضره للوجد، في حال حائر
وحالٌ به زُمَّت ذرى السرِّ فانثنت إلى منظر أفناه عن كل ناظر

وأنشد أيضاً لنفسه(٥):

متى سهرت عيني لغيرك أو بكت فلا أُعطيَتْ ما مُنِّيَتْ وتمنَّتِ
وإن أضمرتْ يوماً سواك فلا رعتْ رياض المنى من وجنتيك وجنَّةِ

---

(١) : ديوان الحلاَّج ١١٧-١١٨ ، وتاريخ بغداد ٨/١١٧، والبداية والنهاية ١١/١٣٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/٣٢٦-٣٢٧ .

(٢) هو أبو الفاتك ابراهيم بن فاتك بن سعيد البغدادي خادم الحلاَّج كان والده شيخاً شامياً من بيت المقدس، صحب الجنيد والنوري وكان الجنيد يكرمه. كتاب الطواسين ص ٢٠٦ .

(٣): الأبيات في ديوان الحلاَّج ص ٩٦-٩٧، وطبقات الصوفية ٣٠٩/٨، وأخبار الحلاَّج ص ١١٣ .

(٤): ديوان الحلاج : د. الشيبي: ص ٣٤، وطبقات الصوفية للسلمي ٣١٠/١٦ .

(٥): ديوان الحلاج: د. سعدي ضناوي ص ٨٤، وقال: نسب البيتان للحلاج، ولسمنون المحب.

وأنشد لنفسه(١):

جُبلت روحُك في روحي كما يُجبل العنبر بالمسكِ الفَتِقْ
فإذا مسَّك شيءٌ مسَّني فإذا أنت أنا لا نفترقْ

وأنشد لنفسه(٢):

دلالٌ يا خليلي مستعار دلالٌ بعد أن شاب العذار؟
ملكت - وحُرمَةِ الخلوات - قلباً لعبت به وقرَّ به القرار
فلا عينٌ يؤرِّقها اشتياقٌ ولا قلبٌ يقلقله ادِّكار
نزلت بمنزل الأعداء مني وبِنْتَ، فلا تزور، ولا تزار
"كما ذهب الحمار بأم عمروٍ فلا رجعت ولا رجع الحمار"

وأنشد عبد الرحيم بن أحمد الحلي قال: أنشدني الحلاج لنفسه، وقد ذكرت لديه الدنيا وأحوالها:

دنيا تغالطني كأنني لست أعرف حالها
حظر المليك حرامها وأنا احتميت حلالها
فوجدتها محتاجة فوهبت لذَّتها لها

وقد حكي عنه، أنه لما خرج ليُقتل، خرج غير جازع، ولا أَسِف، وجعل يقول: " آن لقاء الحبايب".

وحكى السُّلمي عن العطوفي، قال: كنت أقرب الناس من الحلاج، فضرب كذا وكذا سوطاً، وقطعت يداه ورجلاه ...فما نطق!.

وحكي عنه: إنه لما قُدِّمَ للقتل، أسفر وجهه، ثم اربدَّ، وهمهم بشفتيه، ثم أنشد:

---

(١) ديوان الحلاج: ٤٧ د. كامل مصطفى الشيبي.

(٢) ديوان الحلاج: د. كامل الشيبي ص ٣٢.

طلبت المستقرّ بكل أرضٍ فلم أرَ لي بأرضٍ مستقرّا
وذقت من الزمان وذاق مني وكان مذاقه حُلواً ومُرّا
أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حُرّاً[(١)]

وقد ذكر الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي: أنه قال – وهو مصلوب: "إلهي! أصبحت في دار الرغائب أنظر إلى العجائب، إلهي! إنك تتودَّد إلى من يؤذيك، فكيف لا تتودد إلى من يؤذى فيك؟!"[(٢)].

ومنهم:

٣١ – أبو عبد الله أحمد بن يحيى[(٣)] الجَلاَّء *

سابقٌ بلغ المدى،وقتل أطماعه ببتٍّ العلائق وودى، وكان بَطَلَ كتيبة، ورجلاً له كراماتٌ عجيبة، وأخا غرائبَ لا تؤاخى، ولا يأتي بها الزمان وإن تراخى، طالما بهر العيون وملاها، وأظهر ما عجب الظنون وملاها، ولم يزل تبارح به غرف العرفان، ويتبلج صبح الحق حتى أدرج في الأكفان، فروِّض ثرىً حلَّه، وسقى الله دياره غير مفسدها، وساق إليها مثل أخلاق موسدها، وطاب حياً للأتراب، وميتاً في التراب مضطجعا.

---

(١) الأبيات والخبر في تاريخ بغداد ٨/ ١٣٠، والمنتظم ٦/ ١٦٤، ووفيات الأعيان ٢/ ١٤٤، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٣٤٦ .

(٢): تاريخ بغداد ٨/ ١٣١ وكان مقتل الحلاَّج سنة تسع وثلاثمائة لست بقين من ذي القعدة.

(٣) قال في طبقات الصوفية: " واسمه أحمد بن يحيى، ويقال: محمد بن يحيى، وأحمد أصح" .

* **ينظر** ترجمته في: طبقات الصوفية ١٧٦–١٧٩ رقم ٤، وحلية الأولياء ١٠/ ٣١٤–٣١٥ رقم ٥٨٥، وتاريخ بغداد ٥/ ٢١٣–٢١٥ رقم ٢٦٨٧، والرسالة القشيرية ١/ ١٢٥، والمنتظم لابن الجوزي٦/ ١٤٨–١٤٩ رقم ٢٢٧، وصفة الصفوة ٢/ ٤٤٣–٤٤٤ رقم ٣٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٥١–٢٥٢ رقم ١٥٤، والعبر ٢/ ١٣٢، والبداية والنهاية ١١/ ١٢٩، وفيه: "الجلاَّدا" ، وطبقات الأولياء ٨١–٨٣ رقم ١٩، والنجوم الزاهرة ٣/ ١٧٠و١٩٤، وشذرات الذهب ٢/ ٢٤٨–٢٤٩، والطبقات الكبرى للإمام الشعراني ١/ ١٥٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٣/ ١٨١–١٨٣ .

أقام بالرملة[١]، ودمشق،وكان من جُلّة مشايخ الشام.[٢]

صحب أباه، يحيى[الجلاء]، وأبا تراب النخشبي، وذا النون المصري، وأبا عبيد البسري[٣] وكان عالماً ورعاً، وهو أستاذ محمد بن داود الدُّقّي.[٤]

روي عنه أنه قال لأبيه وأمه: " أحبُّ أن تهباني لله عزَّ وجلَّ" فقالا: قد وهبناك لله.

فغبت عنهما مدَّة، فلما رجعت كانت ليلة مطيرة، فدققت الباب، فقال لي أبي: من ذا؟.

قلت: ولدك أحمد.

فقال: كان لنا ولد، فوهبناه لله تعالى، ونحن من العرب، لا نسترجع ما وهبناه. ولم يفتح لي.[٥]

وقال له رجل: على أي شيء أصحب الخلق؟.

فقال: " إن لم تبرَّهم فلا تؤذهم، وإن لم تسُرَّهم فلا تسؤهم."[٦]

وقال: " الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، لتصغر في عينك، فيسهل عليك الإعراض".

وقال محمد بن ياسين: سألت ابن الجلاء عن الفقر؟.

---

(١) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين، كانت قصبتها، بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا، وهي مدينة قديمة، ولما ولي الوليد بن عبد الملك الأمر، ولى أخاه سليمان بن عبد الملك جند فلسطين، فنزل اللد، ثم الرملة، ومصَّرها، وبنى فيها قصره، واختطَّ المسجد وبناه، ونقل الناس إليها، واحتفر فيها آباراً، وهي الآن بلدة على الطريق بين يافا والقدس. **انظر**: دائرة معارف البستاني ٨/٦٧٧ .

(٢) الرسالة القشيرية ١/١٢٥، وطبقات الصوفية ١٧٦، وطبقات ابن الملقّن ٨١ .

(٣) أبو عبيد، محمد بن حسان، البسري، نسبة إلى بسرى، قرية بحوران، وقد وهم السمعاني، فظن أنه منسوب في الأصل إلى بصرى، بإبدال الصاد سيناً، لان النسبة إلى بصرى: بصروي، وأبو عبيد من قدماء مشايخ الشام، صحب ابا تراب النخشبي، المتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين من الهجرة. **انظر**: نتائج الأفكار القدسية ١/١٦١ .

(٤) هو محمد بن داود الدُّقّي الصوفي بضم الدال المهملة وتشديد القاف – الدينوري، أقام ببغداد، وانتقل منها إلى دمشق ، وتوفي بها، في جمادى الأولى سنة ستين وثلاثمائة. اللباب ١/٤٢٢ .

(٥) حلية الأولياء ١٠/٣١٥، الرسالة القشيرية ١/١٢٥، صفة الصفوة ٢/٤٤٣، المنتظم لابن الجوزي٦/١٤٩ .

(٦) طبقات الصوفية للسلمي ١٧٧/٣ .

فسكت، ثم ذهب، ورجع عن قريب، ثم قال: كان عندي أربعة دوانيق، فاستحييت من الله تعالى أن أتكلم في الفقر، فأخرجتها...!. ثم قعد وتكلم في الفقر(١).

وقيل له: ما معنى الصوفي؟.

فقال: " ليس نعرفه في شرط العلم، ولكن نعرف فقيراً مجرداً من الأسباب، كان مع الله تعالى بلا مكان، ولا يمنعه العلم من علم كل مكان، يسمى صوفياً"(٢)

وقال: اشتهت والدتي على والدي يوماً سمكة، فمضى والدي إلى السوق وأنا معه، فاشترى سمكة ووقف ينظر من يحملها؟. فرأى صبياً واقفاً حذاءه، فقال: يا عم!... تريد من يحملها؟. قال: نعم. فحملها ومشى معنا، فسمعنا الأذان. فقال الصبي: أذّن المؤذن، وأحتاج أن أتوضأ وأصلي .فإن رضيت وإلا فاحمل السمكة!؛ ووضعها الصبي ومضى. فقال أبي: نحن أولى من أن نتوكل بالسمكة. فدخلنا المسجد وصلينا جميعاً، وخرجنا من المسجد. وإذا السمكة موضوعة على حالها، فحملها، ومضى معنا إلى دارنا. فذكر والدي ذاك لوالدتي، فقالت: يقيم عندنا حتى يأكل معنا. فقلنا له. فقال: إني صائم. قلنا: فتعود إلينا بالعشي؟. فقال: إذا حملت في اليوم مرة، فلا أحمل ثانياً. فأدخل المسجد إلى المساء، ثم أدخل عليكم بالعشي. فلما أمسينا دخل الصبي علينا فأكلنا، فلما فرغنا، دللناه على موضع الطهارة، ورأيناه يؤثر الخلوة، فتركناه في بيت.

وكان لقريب لنا ابنة زَمِنة، فلما كان في بعض الليل، وإذا بها قد جاءت تمشي!. فسألناها عن حالها؟. فقالت: قلت: "يا رب! بحرمة ضيفنا إلا ما عافيتني... فقمت!". قال: فمضينا نطلب الصبي؛ فإذا الأبواب مغلقة كما كانت، ولم نجده. فقال أبي: منهم كبير وصغير.(٣)

وقال: دخلت المدينة، وبي فاقة، فتقدّمت إلى القبر، وقلت: "ضيفك يا رسول الله! ،

(١): طبقات الأولياء لابن الملقّن ٨٢/٤ .

(٢) : انظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ١/٣٢٢ .

(٣) : يقصد رضي الله عنه " منهم" أي: من الأولياء والعارفين رضي الله عنهم.

ثم غفوت، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد أعطاني رغيفاً، فأكلت نصفه، وانتبهت، وبيدي النصف الآخر"(١).

وقال: كنت واقفاً أنظر إلى غلام نصراني حسن الوجه، فمر بي أبو عبد الله البلخي، فقال: أيش وقوفك؟. فقلت: يا عم! ما ترى؟ هذه الصورة الحسنة تعذَّب بالنار؟. فضرب بيده بين كتفي، وقال: لتجدنَّ غِبَّ هذا ولو بعد حين.

قال ابن الجلاء: فوجدت غبَّها، وذلك أني نسيت القرآن بعد أربعين سنة!(٢).

وقيل: لما مات أبو عبد الله بن الجلاء، نظروا إليه وهو يضحك، فقال الطبيب: إنه حي!. ثم نظر إلى مجسَّته، فقال: إنه ميت!. ثم كشف عن وجهه، فقال: لا أدري أهو ميت أم حي؟!!(٣) وكان في داخل جلده عرق على شكل كتابةٍ ﴿ الله ﴾.(٤)

ومنهم:

٣٢ - أَبُوعَبدِ الله مُحَمَّدُ بنُ الفَضْلِ البَلْخِيُّ*

أعلقته مصايد الأيام فافلت أشراكها، ورأى الراحة في تجنب الأيام فطلب إدراكها، فلم

(١) وهذا من الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه، ولا عبرة بمن أنكرها، أو لم يصدقها لانه لم يرها في نفسه، ولا في شيوخه الذين طمس الله على بصيرتهم، فحرموا منها، وازدادوا حرماناً بإنكارها.

(٢) ذكر القشيري هذه القصة في الرسالة ١/١٢٦، لكن قال: " بعشرين سنة".

(٣) الرسالة القشيرية ١/١٢٥-١٢٦.

(٤) انظر: طبقات الأولياء - ابن الملقن ٨٠ وما بعدها. وطبقات السلمي ١٧٦، حلية الأولياء ١٠/٣١٤، سير أعلام النبلاء ١٤/٢٥١، شذرات الذهب ٢/٢٤٨.

*ينظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ٢١٢-٢١٦ رقم ١١، وحلية الأولياء ١٠/٢٣٢-٢٣٣ رقم ٥٦٣، والرسالة القشيرية ١/١٢٩-١٣٠، والمنتظم ٦/٢٣٩، رقم ٣٨٧، وفي وفيات سنة ٣١٩هجرية، وصفة الصفوة ٤/١٦٥ رقم ٧٠٦، وسير أعلام النبلاء ١٤/٥٢٣-٥٢٦ رقم ٢٩٨، والبداية والنهاية ١١/١٦٧، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ٣٠٠-٣٠١ رقم ٦٥، والنجوم الزاهرة ٣/٢٣١، وشذرات الذهب ٢/٢٨٢-٢٨٣، والطبقات الكبرى للشعراني ١/١٠٣، ونتائج الأفكار القدسية ١/١٥٥-١٥٧، والكواكب الدرية ٢/٥٢، ومشايخ بلخ من الحنفية ١/١٣٧، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٣/٥٤٩-٥٥١.

يسكن إلى سكن، ولا تقيد بموضع سكن، وكانت الأفلاك له مكان الاستقلال، فجانب الدنيا فلم يرمقها إلا شزرا، ولم يرم منها إلا نزرا، وألقى أثقالها تخفيفاً لحمله، وتخليصاً له عند عرض عمله، فخلَّصها مما كادها، وخفف عنها مادها، ولم يزل على قدم ما سألها، وحول دِيَم ما يفارق أوشالها(١)، إلى أن دعاه الداعي، وأصم به الناعي.

أصله من " بَلْخ "(٢)، لكنه أخرج منها بسبب المذهب، فرحل إلى سمرقند، واستوطنها، ومات بها سنة تسع عشرة وثلاثمائة.(٣)

صحب أحمد بن خضرويه وغيره من المشايخ.

وكان من كبار مشايخ خراسان(٤) وجلّتهم، ولم يكن أبو عثمان يميل إلى أحد من المشايخ ميله إليه. وكان يقول: لو وجدت في نفسي قوة لرحلت إلى أخي محمد بن الفضل، فأستروح سري برؤيته.(٥)

وكان أبو عثمان يقول: محمد بن الفضل سمسار الرجال.(٦)

---

(١) الوشل: الماء القليل" القاموس مادة وش ل".

(٢) بلخ: مدينة مشهورة بخراسان، من أجمل مدنها، وأشهرها ذكرا، وأكثرها خيرا، بينها وبين ترمذ اثنا عشر فرسخاً، على الشاطيء الجنوبي لنهر جيحون، على رافده دهاس، وقد كانت بلخ القصبة السياسية لولاية خراسان القديمة، ثم أصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان. **انظر**: مراصد الاطلاع ١/١٦٨ .

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ٢١٢ .

(٤) خُراسان: بضم الخاء، بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق: ازاذوار، قصبة جوين، وبيهق، وآخر حدودها، مما يلي الهند: طخارستان، وغزنة، وسجستان، وكرمان. وليس ذلك منها. إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات المدن، منها: نيسابور، وهراة، ومرو، وكانت مرو قصبة خراسان، وبلخ، وطالقان، ونسا، وابيورد، وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها، ويعد ما وراء النهر منها، وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد، عنوة وصلحا، سنة إحدى وثلاثين، في أيام سيدنا عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه، بأمارة عبد الله بن عامر بن كريز. **انظر**: معجم البلدان ٢/٤٠٩ وما بعدها.

(٥) طبقات الصوفية ٤/٢١٤، وفي تاريخ الإسلام ٢٣/٥٥٠: " فاستروح بروايته"، ولعل رواية السلمي أصح، والله أعلم.

(٦) أي يعرف أقدارهم ورتبهم في الدين، كما يعرف سمسار السلع قدرها وقدر أثمانها. والخبر في الرسالة القشيرية ١/١٢٩، وطبقات ابن الملقّن ٣٠٠ .

ومن كلامه: " أعرف الناس بالله أشدهم مجاهدة في أوامره، وأتبعهم لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم" .(١)

وقال: " العلم حرزٌ، والجهل غَرَر، والصديق مؤنة، والعدوّ همّ، والصلة بقاء، والقطيعة مصيبة، والصبر قوة، والجرأة عجز، والكذب ضعف، والصدق قوة، والمعرفة صداقة، والعقل تجربة. "(٢)

وقال: " ست خصال يعرف بها الجاهل: الغضب في غير شيء، والكلام في غير نفع، والعطية في غير موضعها، وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، وألا يعرف صديقه من عدوه. "(٣)

وقال: " خطأ العالم أضرُّ من عمد الجاهل" .(٤)

وقال: " من ذاق حلاوة العلم لا يصبر عنه. "(٥)

وقال: " من ذاق حلاوة المعاملة أنس بها. "(٦)

وقال: " من عرف الله تعالى اكتفى به(٧)، بعد قوله تعالى: ﴿ أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد ﴾(٨).

وقال: " العلوم ثلاثة: علمٌ بالله، وعلم من الله، وعلم مع الله:

فالعلم بالله: معرفة صفاته ونعوته.

---

(١) طبقات الصوفية ٢١٤/٢ .

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ٢١٤/٦ .

(٣) حلية الأولياء ١٠/٢٣٣، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ٣٠١، وطبقات الصوفية للسلمي ٢١٥/٩ .

(٤) طبقات الصوفية للسلمي ٢١٥/١٠ .

(٥) طبقات الصوفية للسلمي ٢١٥/١١ .

(٦) طبقات الصوفية للسلمي ٢١٥/١٢ .

(٧) طبقات السلمي ٢١٥/١٣ .

(٨) سورة فصلت – الآية ٥٣ .

والعلم من الله: علم الظاهر والباطن، والحلال والحرام، والأمر والنهي في الأحكام.

والعلم مع الله: علم الخوف والرجاء، والمحبة والشوق"(١).

وقال: " ثمرة الشكر: الحب لله تعالى، والخوف منه"(٢).

وقال: " ذكر اللسان: كفارات ودرجات؛ وذكر القلب: زُلَفٌ وقُرُبات."(٣)

وقال: " من استوى عنده ما دون الله نال المعرفة بالله تعالى"(٤).

وقال: " الفتوة: حفظ السرِّ مع الله على الموافقة، وحفظ الظاهر مع الخلق بحسن العشرة، واستعمال الخُلُق"(٥).

وقال: " الزهد: النظر إلى الدنيا بعين النقص، والإعراض عنها تعزُّزاً وتظرُّفا، فمن استحسن من الدنيا شيئاً فقد نبَّه على قدرها"(٦).

وقال: " علامة الشقاوة ثلاثة أشياء: يرزق العلم ويحرم العمل، ويرزق العمل ويحرم الإخلاص، ويرزق صحبة الصالحين ولا يحترم لهم"(٧).

وقال: " إيثار الزهَّاد عند الاستغناء، وإيثار الفتيان عند الحاجة، قال الله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾(٨).

وقال: " المحبة: سقوط كل محبة من القلب إلا محبة الحبيب".

وروي أنه لما نفى أهل بلخ محمد بن الفضل من البلد دعا عليهم وقال: "اللهم امنعهم

(١) طبقات الصوفية ٢١٥/١٤ . (٢) طبقات الصوفية ٢١٦/١٧ .

(٣) طبقات الصوفية ٢١٦/١٨ .

(٤) طبقات الصوفية ٢١٦/٢١ .

(٥) طبقات الصوفية ٢١٦/٢٢ .

(٦) طبقات الصوفية ٢١٦/٢٣ .

(٧) الرسالة القشيرية ١/١٢٩، وطبقات ابن الملقن ٣٠٠/٢ .

(٨) سورة الحشر – الآية ٩ .

الصدق" ، فلم يخرج من بلخ بعده صِدّيق[١].

وقال: " عجبت لمن يقطع البوادي والمفاوز حتى يصل إلى بيته وحرمه، فيرى آثار النبوة، كيف لا يقطع نفسه وهواه، ليصل إلى قلبه فيرى آثار ربه عزَّ وجلَّ!" .

قال: فمات أربع نفر ممن سمعوا كلامه هذا.[٢]

وأنشد في هذا المعنى[٣]:

ومن البلاء وللبلاء علامة ... ألا يرى لك عن هواك نزوع
العبد عبد النفس في شهواتها ... والحر يشبع تارة ويجوع

ومنهم:

٣٣ - أَبُو عَمرٍو الدِّمَشْقيُّ*

أحد مشايخ الشام، بل واحدها.

زاهد كره الدنيا ولجاجها، وضاقت عليه سعة فجاجها. بطلٌ من أبطال الرجال، ورجل يكشف له الحجاب والحجال، صدق في مقاله فاسمع، وسبق في مجاله فلم يكن في اللحاق به مَطْمَع، وكان ذا قدم يقوم عليها الليل، وكرم لا تحمل النجوم منه إلا غثاء السيل، وفضل يعرف منه في لحن القول إذا قال، وفي أثناء الطول وكم استطال، ومدّ معه ذيل الفجر فما طال، إلى تحقيق للتحقيق، وطريق أهل الطريق، وعلم كان منه ناهلاً، وعلم أن الله لم يتخذ

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٢١/٥٥١ .

(٢) طبقات الصوفية ٢١٥/٩، حلية الأولياء ١٠/٢٣٣، طبقات ابن الملقن ٣٠١ .

(٣) طبقات الأولياء لابن الملقن ٣٠١/٥ .

* **ينظر** ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ٢٧٧-٢٧٩رقم ٥، وحلية الأولياء ١٠/٣٤٦-٣٤٧ رقم ٦١٤، وشذرات الذهب ٢/٢٨٧، والطبقات الكبرى للشعراني ١/١١٨، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ٨٣/٨، والنجوم الزاهرة ٣/٢٣٥، والكواكب الدرية ١/٥٣٠، وتاريخ الإسلام ٢٣/٦١٨-٦١٩ رقم ٤٩٢ .

ولياً جاهلا(١).

صحب أبا عبد الله الجلاء، وأصحاب ذي النون المصري. وهو من أفتى المشايخ. ردٌّ على من تكلم في تقدُّم(٢) الأرواح والشواهد.

مات سنة عشرين وثلاثمائة.(٣)

قال رضي الله عنه: " كما فرض الله على الأنبياء – عليهم السلام – إظهار الآيات والمعجزات، كذلك فرض على الأولياء كتمان الكرامات، حتى لا يفتتن الخلق بها."(٤)

وقال: " خواص خصال العارفين أربعة أشياء: السياسة، والرياضة، والحراسة، والرعاية. فالسياسة، والرياضة: ظاهران؛ والحراسة، والرعاية: باطنان. فبالسياسة يصل العبد إلى التطهير. وبالرياضة: يصل إلى التحقيق. والسياسة: حفظ النفس، ومعرفتها. والرياضة: مخالفة النفس ومعاداتها. والحراسة: معاينة برِّ الله في الضمائر، والرعاية: مراعاة حقوق المولى بالسرائر.

وميراث السياسة: القيام على الوفاء بالعبودية. وميراث الرياضة: الرضا عند الحكم. وميراث الحراسة: الصفوة والمشاهدة، وميراث الرعاية: المحبة والهيبة.

ثم الوفاء متصل بالصفاء، والرضا متصل بالمحبة، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَه، وجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَه."(٥)

(١) روي في بعض الآثار: " ما اتخذ الله من ولي جاهل ولو اتخذه لعلَّمه" قال في المقاصد: لم أقف عليه مرفوعاً. قال ابن حجر في فتاواه: " معنى قولهم إن الله تعالى يفيض على أوليائه الذين انتقوا الأحكام الظاهرة والأعمال الخالصة من مواقع الإلهام، والتوفيق، والأحوال، والتحقيق ما يفرقون به على من عداهم، فمن ثبتت له الولاية ثبتت له تلك العلوم والمعارف، فما اتخذ الله ولياً جاهلاً بذلك، ولو فرض انه اتخذه أي أهّله إلى أن يصير من اوليائه لعلَّمه، أي: لألهمه من المعارف ما يلحقه به غيره. فالمراد الجاهل بالعلوم الوهبية، والأحوال الخفية، لا الجاهل بمبادىء العلوم الظاهرة مما يجب تعلمه، فإن هذا لا يكون ولياً، ولا يراد للولاية ما دام جهله بذلك، انتهى، والله أعلم.

انظر: كشف الخفاء للعجلوني ٢/١٨٠و١٨١.

(٢) أي: قدم الأرواح.

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ٢٧٧.

(٤) طبقات الصوفية للسلمي ٢٧٧/١، وحلية الأولياء ١٠/٣٤٦-٣٤٧.

(٥) طبقات الصوفية للسلمي ٢٧٧-٢٧٨/٢.

وقال: " التصوف: رؤية الكون بعين النقص، بل غضُّ الطرف عن كل ناقص، ليشاهد من هو منزَّه عن كل نقص."(١)

وقال: " حقيقة الخوف ألا تخاف مع الله أحدا، والخائف الذي يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان" .(٢)

وقال: " الرضا ارتفاع الجزع في أي حكم كان."(٣)

ومنهم:

٣٤ - أَبُو عَلِيٍّ الرُّوذَبارِيُّ*

[ابن شهريار بن مُهْرذاذاز بن فُرْغُدُدَ بن كسرى].

وهو من أهل بغداد، أحيا طريقة السلف وأنعشها، وأرعد الفرائص هيبة وأرعشها، وكان يقابل منه ليث عرين، وغيث دنيا ودين، لا يقتحم عليه عاب، ولا يؤمن له رقيب حضر أو غاب، إلى دماثة خلق، وأمانة ذكر له في طرق.

هذا وقد أطرح نفسه لمن يلومها، وتركها على غاية يرومها، فألحف كل طريد فضل

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ٢٧٨/٣، طبقات ابن الملقن ٨٣ .

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ٢٧٩/٦ .

(٣) الكواكب الدرية للمناوي ١/٥٣١ .

* روذبار يقال: لمواضع عند الأنهار الكبار ،وهذا الموضع عند طوس كما قال السمعاني.
وقال الطلحي: " قرية عند بغداد" ولكن الخطيب البغدادي يذكر أنه بغدادي الأصل، ولم يذكر أن روذبار قرية عند بغداد." تاريخ بغداد ١/ ٣٣٠، واللباب ١/ ٨٠" . **وينظر** ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ٣٥٤-٣٦٠ ، وحلية الأولياء ١٠/٣٥٦-٣٥٧ رقم ٦٣٠، وتاريخ بغداد ١/٣٢٩-٣٣٣، والرسالة القشيرية ١/ ١٦٢، والمنتظم ٦/ ٢٧٢، وصفة الصفوة ٢/ ٤٥٤-٤٥٥، والكامل في التاريخ ٨/ ٢٩٦، وفيه: " محمد بن احمد بن القاسم" ، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٨١، والعبر ٢/ ١٩٥، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ٥٣٥-٥٣٦، رقم ٣٠٨، وتاريخ ابن الوردي ١/ ٢٦٧ ، والبداية والنهاية ١١/ ١٨٠-١٨١، وطبقات الأولياء ٥٠-٥٣ رقم ١٣، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٦، وشذرات الذهب ٢/ ٢٩٦-٢٩٧، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٤/ ١١٩-١٢١ .

ظله، وآوى كل شريد من محل محله، فكان عالا، وكان فوق حمام الصالح جاهاً ومالا، ولم يعدم مستجير به احتماءه واحتماله.

وهو من أهل بغداد، سكن مصر، وكان شيخَها، وبها مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

صحب الجنيد، والنوري، وأبا حمزة البغدادي، وحسناً المسوحي، ومن في طبقتهم من مشايخ بغداد. وصحب بالشام عبد الله بن الجلاَّء.

وكان عالماً، فقيهاً، حافظاً للأحاديث، ظريفاً، عارفاً بالطريقة(١) وكان يفتخر بمشايخه(٢) ويقول: " شيخي في التصوف: الجنيد. وفي الفقه: أبو العباس بن سريج(٣) وأستاذي في الأدب: ثعلب(٤). وأستاذي في الحديث: إبراهيم الحربي(٥)".

وسئل عن الإشارة؟. فقال: " الإشارة: الإبانة عما يتضمَّنه الوَجْدُ من المشار إليه، لا

(١) طبقات الصوفية ٣٥٤، وتاريخ الإسلام ٢٤ / ١٢٠.

(٢) طبقات الصوفية ٣٦٠/ ٢٤، وتاريخ بغداد ١ / ٣٣١.

(٣) هو أحمد بن عمر بن سريج، القاضي، أبو العباس البغدادي. ولي القضاء أول أمره بشيراز، وكان يفضل على جميع أصحاب الشافعي. قال أبو حامد الاسفراييني: "نحن نجري مع أبي العباس في ظواهر الفقه، دون دقائقه". وله مصنفات كثيرة، يقال: إنها بلغت أربعمائة مصنف. توفي رضي الله عنه ببغداد، لخمس بقين من جمادى الأولى، سنة ست وثلاثمائة. **انظر**: تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٢٥١وما بعدها. طبقات الشافعية ٢ /٨٧ – ٩٧.

(٤) أبو العباس أحمد بن زيد بن سيار، النحوي، مولى بني شيبان، ويعرف بثعلب، ولد سنة مائتين من الهجرة، وتلقى العلم على ابن الأعرابي، وكان حجة مشهوراً بالحفظ، وصدق اللهجة، والمعرفة بالعربية، ورواية الشعر القديم، وهو إمام الكوفيين والبصريين في زمانه، أقام ببغداد، وتوفي بها سنة إحدى وتسعين ومائتين. **انظر**: تاريخ آداب اللغة العربية ٢ / ١٨٠.

(٥) هو إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير بن عبد الله بن ديسم، أبو إسحاق الحربي، ولد سنة ثمان وتسعين ومائة، وكان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام، حافظاً للحديث، مميزاً لعلله، قيماً بالأدب، جمَّاعاً للغة، وصنف كثيراً من الكتب، منها: " غريب الحديث" وغيره، وأصله من مرو،أمه تغلبية، وأخواله نصارى أكثرهم، كان له اثنان وعشرون داراً، باعها وأنفقها في تحصيل الحديث. مات رضي الله عنه ونفعنا به – سنة خمس وثمانين ومائتين ببغداد، يوم الاثنين لتسع بقين من ذي الحجة. **انظر**: تاريخ بغداد ٦ /٢٧ – ٤٠

غير. وفي الحقيقة، إن الإشارة تصحبها العِلَل، والعِلَل بعيدةٌ من عين الحقائق."[1]

وسئل عن التصوف؟. فقال: "هذا مذهب كله جدٌّ، فلا تخلطوه بشيء من الهزل."[2]

وقال: "لا رضا لمن لا يصبر؛ ولا كمال لمن لا يشكر؛ وبالله وصل العارفون إلى محبته، وشكروه على نعمته."[3]

وقال: "لو تكلم أهل التوحيد بلسان التجريد، ما بقي محبٌّ إلا مات"[4].

وسئل عن التوبة؟.

فقال: "الاعتراف، والندم، والإقلاع."[5]

وأنشد لنفسه:

روحي إليك بكلِّها قد أجمعت ... لو أن فيك هلاكَها ما أقلعتْ
تبكي إليك بكلِّها عن كلِّها ... حتى يقال: من البكاء تقطَّعتْ
فانظر إليها نظرةً بتعطُّفٍ ... فلطالما متَّعتَها فتمتَّعتْ[6]

وقال: "من رزق ثلاثة أشياء فقد سلم من الآفات: بطنٌ جائعٌ مع قلب قانع، وفقرٌ دائمٌ مع زهد حاضر، وصبرٌ كاملٌ مع قناعة دائمة".

وقال: "اكتساب الدنيا مذلّةٌ للنفوس، وفي اكتساب الآخرة عزُّها، فيا عجباً لمن يختار المذلّة في طلب ما يفنى على العزِّ في طلب ما يبقى!."[7]

---

(1) طبقات الصوفية ٣/٣٥٦.

(2) طبقات الصوفية ٧/٣٥٧.

(3) طبقات الصوفية ٩/٣٥٧.

(4) طبقات الصوفية ١٠/٣٥٧.

(5) طبقات الصوفية ١١/٣٥٧.

(6) طبقات الصوفية للسلمي ١٢/٣٥٨.

(7) الكواكب الدرية للمناوي ٥١١/١.

وقال: " إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام: أنا جائع!، فألزموه السوق، ومروه بالكسب"(١).

وقال: " كان أربعة في زمانهم:

واحد: لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان، وهو: يوسف بن أسباط(٢)؛ ورث سبعين الف درهم فما أخذ منها شيئاً، وكان يعمل الخوص بيده.

والثاني: كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعاً، وهو: أبو إسحق الفزاري؛ فكان ما يأخذه من الإخوان ينفقه في المستورين الذين لا يتحركون، والذي يأخذه من السلطان يخرجه إلى أهل طرسوس.

والثالث: كان يقبل من الإخوان، ولا يقبل من السلطان، وهو: عبد الله بن المبارك.

والرابع: كان يقبل من السلطان ولا يأخذ من الإخوان، وهو: مخلد بن الحسين، وكان يقول: السلطان لا يمنّ، والإخوان يمنّون!".

وقالت فاطمة أخت أبي علي الروذباري: " لما قربت وفاة أخي كانت رأسه في حِجْري، ففتح عينيه، وقال: " هذه أبواب السماء قد فتحت، وهذه الجنان قد زُيِّنَتْ، وهذا قائلٌ يقول: يا أبا علي! قد بلَّغناك الرتبة القصوى وإن لم تسألها، وأعطيناك درجة الأكابر وإن لم تردها"، ثم أنشأ يقول:

وحقِّكَ لا نظرتُ إلى سواكا ... بعين مودَّةٍ حتى أراكا
أراك معذِّبي بفتور لحظ ... وبالخدُّ المورَّدِ من جناكا

ثم قال لي: " يا فاطمة! الأول ظاهر، والثاني إشكال"(٣)

(١) الكواكب الدرية ١/ ٥١١.

(٢) هو يوسف بن اسباط الشيباني ، الزاهد الواعظ، يروي عن سفيان الثوري وغيره، ويروي عنه المسيب ابن واضح، وعبد الله بن خبيق الأنطاكي، وقد وثّقه يحيى بن معين، وقال البخاري:"كان قد دفن كتبه، فكان لايجيء بحديثه كما ينبغي" . انظر: ميزان الاعتدال ٢/ ٣٢٨ .

(٣) طبقات الأولياء لابن الملقّن ٥٢/٥، والكواكب الدرية للمناوي ١/ ٥١٠، ونتائج الأفكار القدسية ١/ ١٩٠ .

وروي أن جماعة تذاكروا شيئاً في القناعة عند أبي بكر الكتاني، وأبو علي الروذباري حاضر، فأنشأ أبو علي يقول:

حـــدُّ القناعــة مــحــو الكلِّ منك إذا لاح المزيد بحـــــدّ عند مطلع
فــإن تحـقق صــفـو الودُّ مـشـتـمـلاً على الإشـــارات لم يلوِ على طمع

وقال: " التفكر على أربعة أوجه:

ففكرة في آيات الله تعالى؛ وعلامتها: تولُّد المحبة في الله عزَّ وجلَّ منها.

وفكرة في الوعد بثواب الله تعالى؛ وعلامتها: تولُّد الرغبة فيه.

وفكرة في وعيد الله في العذاب؛ وعلامتها: تولُّد الهيبة من الله تعالى.

وفكرة في جفاء النفس مع إحسان الله تعالى؛ وعلامتها: تولُّد الحياء من الله تعالى."[1]

وأنشد:

تـشـــــاغلتمُ عني فكلِّي أفكر لأنكم مني بما بيَ أخْــبَــــرُ
فــإن شـئــتمُ وصلي فــذاك أريدهُ وإن شـئـتمُ هجـري فـذلك أوثرُ
فلست أُرى إلا بحـــالٍ يسـرُّكمْ بذلك أزهو مـا حـيـيت وأفـخـرُ

ومنهم:

٣٥ - أَبو بَكرٍ مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ بنِ جَعْفَرَ الكَتَّانِيُّ*

مَلَكٌ في زي بشر، وفلَك لا ينكر نجومه ذو بصر، فردٌ رأى الدنيا تشيح عارضها، وتمد

---

(١) الكواكب الدرية للمناوي ١/٥١٢.

* **انظر** ترجمته في: حلية الأولياء ١٠/٣٥٧-٣٥٨ رقم ٦٣١، صفة الصفوة ٢/٢٥٧، الرسالة القشيرية ١/١٦٦-١٦٨، نتائج الأفكار القدسية ١/١٩٤، طبقات الشعراني ١/١٢٩، اللباب ٣/٢٨، شذرات الذهب ٢/٢٩٦، تاريخ بغداد ٣/٧٤-٧٦ رقم ١٠٤٥، الأنساب ٤٧٥، طبقات السلمي ٣٧٣ - ٣٧٧، طبقات الأولياء لابن الملقن ١٤٤-١٤٨، الكواكب الدرية ٢/٥٠، سير أعلام النبلاء ١٤/٥٣٣-٥٣٥ رقم ٣٠٧، وتاريخ ابن الوردي ١/٢٧٦، والوافي بالوفيات ٤/١١١-١١٢، والنجوم الزاهرة ٣/٢٤٨، وتاريخ الإسلام ٢٤/١١٦-١١٧ رقم ١٠٢.

بارضها، وسحبها محلولة الخيوط، وبروقها موصولة الخطوط، فخاف أن يصير القطر سيلا، والفجر ليلا، فحلَّ بذروة لا يبلغ مرقاها، ولا يصل إليها المقصر إذا انبعث أشقاها، فسلم دينه، وأوتي كتابه بيمينه، وحق له الإعتاب، وغلبه المتاب، وسُرَّ بعمله وقال: ﴿ إن وليي الله الذي نزَّل الكتاب ﴾.(١)

أصله من بغداد. صحب الجنيد، والنوري، وأبا سعيد الخراز. أقام بمكة، وجاور بها إلى أن مات سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

وكان أحد الأئمة المشار إليهم في علوم الطريقة.(٢)

وكان المرتعش يقول: " الكتاني سراج الحرم."(٣)

ومن كلامه:-

"إن لله تعالى ريحاً تسمى الصبيحة(٤)، مخزونةً تحت العرش، تهبُّ عند الأسحار، تحمل الأنين والاستغفار، إلى الملك الجبار" .(٥)

وقال: " إذا سألت الله التوفيق ، فابتديء بالعمل" .(٦)

وروي: إنه نظر إلى شيخ كبير أبيض الرأس واللحية ، يسأل الناس!، فقال: "هذا رجل أضاع أمر الله في صغره، فضيَّعه الله في كبره" .(٧)

وقال: " الشهوة زمام الشيطان؛ فمن أخذ بزمامه كان عبده"(٨).

---

(١) سورة الأعراف – الآية ١٩٦ .

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ٣٧٣، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ١٤٤-١٤٥، وتاريخ الإسلام للذهبي ١١٦/٢٤ .

(٣) طبقات الصوفية ٣٧٣ .

(٤) الصبح : أول النهار... وهو الصبيحة، والصباح، والإصباح. ولعله يريد الريح تهب في هذا الوقت من النهار. "لسان العرب" ٣٣٨/٣ .

(٥) طبقات الصوفية للسلمي ١/٣٧٣ .

(٦) طبقات الصوفية ٢/٣٧٤ .

(٧) الرسالة القشيرية ١٦٦/١، وطبقات الصوفية للسلمي ١٦/٣٧٥ .

(٨) الرسالة القشيرية ١٦٦/١ .

وقال: " الغافلون يعيشون في حِلم الله، والذاكرون يعيشون في رحمة الله، والصادقون يعيشون في قرب الله"(١).

وقال: " من حكم المريد أن يكون فيه ثلاثة أشياء: نومه غلبة؛ وأكله فاقة؛ وكلامه ضرورة."(٢)

وقال: " لولا أن ذكره فرض عليّ ما ذكرته، إجلالاً له؛ مثلي يذكره ولم يغسل فاه بألف توبة متقبلة عند ذكره؟!."(٣)

وأنشد – في المعنى –:

مـــا إن ذكـــرتُكَ إلا همّ يغلبني	قلبي وسرّي وروحي عند ذكراكا
حتى كأن رقيباً منك يهتف بي:	إياكَ ! ويحك والتذكار! إياكا!(٤)

وقال: " كنت في طريق، في وسط السنة، فإذا أنا بهميان(٥) ملآن يلمع دنانير، فهممت أن أحمله لأفرّقه بمكة على الفقراء، فهتف بي هاتفٌ: إن أخذته سلبناك فقرك!. قال: فتركته"(٦).

وقال: رأيت في الشام شاباً لم أر أحسن منه، قلت: من أنت؟ قال: أنا التقوى. قلت: فأين تسكن؟. قال: في كل قلب حزين!.

قال: ثم التفت فإذا امرأة سوداء، كأوحش ما يكون!. فقلت: من أنتِ؟. فقالت: الضحك!. قلت: فأين تسكنين؟. قالت: في كل قلبٍ فَرِحٍ مَرِحٍ.

---

(١) وقد وردت هذه الرواية في الحلية بشكل مختلف قليلاً، فقال: " عيش الغافلين في حلم الله عنهم، وعيش الذاكرين في رحمته، وعيش العارفين في ألطافه، وعيش الصادقين في قربه" . **انظر**: الحلية ١٠/٣٥٨ .

(٢) **انظر**: الكواكب الدرية ١/٥٩٨، وطبقات ابن الملقن ١٤٥ .

(٣) تاريخ بغداد ٣/٧٥، الكواكب الدرية ١/٥٩٩ .

(٤) طبقات الأولياء لابن الملقّن ١٤٨ .

(٥) الهِميان: بالكسر، التِّكَّةُ والمِنطقة، وكيسٌ للنفقة يُشَدُّ في الوسط." القاموس المحيط مادة هيمن" .

(٦) الكواكب الدرية للمناوي١/٥٩٩ .

قال: فانتبهت، واعتقدت أن لا أضحك إلا غلبة.

وقال: " العبادة اثنان وسبعون باباً؛ أحد وسبعون منها في الحياء، وواحد في أنواع البر."(١)

وقال: " وجدنا دين الله مبنياً على ثلاثة أركان: الحق، والعدل، والصدق. فالحق على الجوارح، والعدل على القلوب، والصدق على العقول".

وحكى عن نفسه أنه بقي عشرة أيام لم يأكل شيئاً، فشكا إلى بعض إخوانه الجوع. قال: ثم مررت ببعض الأزقّة، فنظرت إلى درهم مطروح، عليه مكتوب: أما كان الله تعالى بجوعك عالماً حتى قلت: إني جائع؟.

ومنهم:

٣٦ - أَبُو إِسْحَاقَ إِبراهيمُ بنُ دَاودَ القَصَّارُ الرقِّيُّ *

من كبار مشايخ الشام.(٢)

قنع بقليل المعاش، ومات فقيل: عاش، ولم يرد من الدنيا رياشاً، ولم يرد سكناً منها ولا رشاشا، فحمل على النفس ضيمها، وترك لأهوائها تقشعها وغيمها، فلم يمدّ إليها يدا، ولا عدّ فيها أصدقاء ولا عِدا، وكان يقطع الأيام مراحل، ويقذف بحر الليل ليقف على الساحل، يطلب بعنته طلاب الصائد، ويجعل تحت كل بر شركاً للمصايد، فلم يقبل معتذرا، ولا يقبِلُ إلا حَذِرا.

وكان من أقران الجنيد، وابن الجلاء، إلا أنه عُمِّر طويلا، وصحبه أكثر مشايخ الشام، وكان لازماً للفقر، مجرِّداً فيه، محبّاً لأهله.(٣)

(١) الكواكب الدرية للمناوي ١/٥٩٨.

* انظر ترجمته في: حلية الأولياء ١٠/٣٥٤ رقم ٦٢٦، صفة الصفوة ٤/١٦٩، الرسالة القشيرية ١/١٥٤، نتائج الأفكار القدسية ١/١٨٢، طبقات الشعراني ١/١١٩، طبقات المناوي ١/١٩٢، المنتظم ٦/٢٩٤، طبقات المناوي ١/١٩٢، طبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٩-٣٠ رقم ٧.

(٢) والرَّقّيّ: نسبة إلى مدينة الرَّقَّة على طرف الفرات" طبقات الأولياء ٢٩".

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ٣١٩.

ومات سنة ست وعشرين وثلاثمائة.

ومن كلامه: " قيمة كل إنسان بقدر همَّته، فإن كانت همَّتُه الدنيا فلا قيمة له، وإن كانت همته رضاء الله تعالى فلا يمكن استدراك غاية قيمته ولا الوقوف عليها."(١)

وقيل له: " هل يبدي المحبُّ حبَّه؟ أو هل ينطق به؟ ، أو يطيق كتمانه؟. فأنشأ يقول متمثلاً:

ظفِرْتم بكتمان اللسان فمن لكم ... بكتمان عين دمعها - الدهر - يذر
حملتم جبال الحب فوقي وإنني ... لأعجز عن حمل القميص وأضعُف(٢)

وقال: " الراضي لا يسأل. وليس من شرط الرضا المبالغة في الدعاء."(٣)

وقال: " حسبك من الدنيا شيئان: صحبة فقير، وحرمة ولي."(٤)

وقال: " من اكتفى بغير الكافي افتقر من حيث استغنى."(٥)

وقال: " كفايات الفقراء هي التوكل، وكفايات الأغنياء الاستناد إلى الأملاك."(٦)

وقال: " من تعزز بشيء غير الله فقد ذلّ في عزّه."(٧)

وقال: " الأولياء مرتبطون بالكرامات والدرجات، والأنبياء مكشوف لهم عن حقائق الحق؛ فالكرامات والدرجات عندهم وحشة."(٨)

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ١/٣١٨ .

(٢) حلية الأولياء ١٠/٣٥٤، وطبقات ابن الملقّن ٣٠، وطبقات الصوفية ٢/٣٢٠ .

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ٤/٣٢٠ .

(٤) حلية الأولياء ١٠/٣٥٤، وطبقات الصوفية للسلمي ٦/٣٢٠ .

(٥) طبقات الصوفية للسلمي ٩/٣٢١ .

(٦) طبقات الصوفية ١١/٣٢١ .

(٧) طبقات الصوفية ١٤/٣٢١ .

(٨) طبقات الصوفية للسلمي ١٥/٣٢١ .

وقال: " الأنبياء ينبسطون على بساط الأنس، والأولياء على درجات الكرامة."(١)

وقال إبراهيم بن المواز: دخلت يوماً على إبراهيم القصار، فقال: ادع لي فلاناً القوّال– صبياً كان بالرَّقَّة – فدعوته له، فقال له: أعد الأبيات التي كنت تغنيها بالأمس، فأخذ الصبي يغني:

إذا كنت تجفوني وأنت ذخيرتي ... وموضع شكواي فما أنا صانع؟
نهاري نهار الناس حتى إذا بدا ... لي الليل هزّتني إليك المضاجع
وأمضي نهاري بالحديث وبالمنى ... ويجمعني والليل والهمّ جامع

قال: فأخذ الشيخ يبكي ويصيح، ويقول: وا شوقاه...! إلى من هذا وصفه، وإلى زمان كشف لنا عن بوادي هذه الأحوال.

ومنهم:

٣٧ - أبو بَكرٍ الشِّبْليّ *

واسمه: دُلَف بنُ جَحْدَر. وقيل: ابن جعفر. وقيل: جعفر بن يونس.

رجلٌ كانت به الأيام هزَّة(٢)، وللأنام عزّة، وللدنيا نضارة، وللنعمى غضارة، وسم الليالي وهي بهيمة، ونسم على رياض الدنو وهي نسيمة، فحلّ بها حيث لا يدنو المحال، فجاب السماء

(١) طبقات الصوفية ٣٢١/١٧ .

*انظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ٣٣٧-٣٤٨ رقم ١، وحلية الأولياء ٣٦٦/١٠-٣٧٥، وتاريخ بغداد ٣٨٩/١٤-٣٩٧ ، والرسالة القشيرية ١٥٩/١-١٦٠، والمنتظم ٣٤٧/٦-٣٥٩ رقم ٥٦٥، وصفة الصفوة ٤٥٦-٤٦١ رقم ٣١٦، والكامل في التاريخ ٤٦٥/٨، ووفيات الأعيان ٢٧٣/٢-٢٧٦، والعبر ٢٥٠/٢، وسير أعلام النبلاء ٣٦٧/١٥-٣٦٩ رقم ١٩٠، والبداية والنهاية ٢١٥/١١-٢١٦، والديباج المذهب ١١٦-١١٧، وطبقات الأولياء ٢٠٤-٢١٣ رقم ٤٠، والنجوم الزاهرة ٢٨٩/٣-٢٩٠، وشذرات الذهب ٣٣٨/٢، والأعلام ٣٤١/٢، ونتائج الأفكار القدسية ١٨٧/١-١٨٩، وتاريخ الإسلام ١١٦/٢٥-١٢٠، رقم ١٥٩ .

(٢) الهزة: النشاط والارتياح" المختار مادة هز".

وعَيُّوقها(١)، وجاز زرع السنبلة وسوقها، وكان مَلَكاً في زي بشر، وواحداً إلا أنه ثاني النجم وثالث الشمس والقمر، فلما فقد عزّ عزاؤه، ووقد ضرام الأحشا وقلّ جزاؤه، فذهب بالأجور، ومضى وكل الناس فيه مأجور، ولم نر منذ زمان أكثر من يوم موته باكيا، وباقياً لو فدي باليا.

أصله: من أسروشنة(٢). ومولده: سُرَّ من رأى.

وقيل: إنه خراساني الأصل، بغدادي المولد والمنشأ(٣).

تاب في مجلس خير النسّاج. وصحب أبا القاسم الجنيد، ومن في عصره من المشايخ، وصار أوحد الوقت علماً، وحالاً، وظرفاً(٤).

وكان فقيهاً، عالماً، على مذهب مالك، وكتب الحديث الكثير [ورواه].(٥)

وعاش سبعة وثمانين سنة، ومات في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ودفن بمقبرة الخيزران ببغداد.(٦)

وروي أنه لما تاب في مجلس خير النساج أتى نهاوند ، وقال: كنت والي بلدكم، فاجعلوني في حِلٍّ(٧)!..

---

(١) العَيُّوق: نجم أحمر مضيء، في طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا ، لا يتقدمه، وبابها "عوق".

(٢) من قرية "شبلية" قرية من كور أسروشنة من أعمال بخارى "آثار البلاد وأخبار العباد ٥٤٠". وأسروشنة – بالفتح أو بالضم – ثم السكون، وضم الراء، وسكون الواو، وفتح الشين المعجمة، ونون – كذا ذكره أبو سعد السمعاني: بالسين المهملة بعد الهمزة. والأشهر الأعرف أن بعد الهمزة شين معجمة، وهكذا كان ينطق بها أهلها على عهد ياقوت، وهي مدينة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة، بين سيحون وسمرقند، ويقول الإصطخري إنها اسم الإقليم، وليس بها مدينة ولا مكان بهذا الاسم، ومدينتها الكبرى يقال لها: بنجيكت.

انظر: معجم البلدان: ١/ ٢٤٥ .

(٣) الرسالة القشيرية ١/ ١٥٩ .

(٤) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٨٩، وصفة الصفوة ٢/ ٤٥٦ .

(٥) طبقات الصوفية للسلمي ٣٣٨ .

(٦) طبقات الصوفية ٣٢٨، قال: وقبره اليوم ظاهر.

(٧) لانه بالتوبة تنقى من حقوق الخالق وبقي عليه حقوق المخلوقين، فالخروج من حقوق الآدميين معتبر في تحقق التوبة، وبذلك كانت توبته خالصة كاملة.

ومجاهداته في بدايته فوق الحد، ومن جملة ذلك: أنه اكتحل بكذا كذا ملح ليعتاد السهر، ولا يأخذه النوم(١). قال: فلما زاد الأمر حمّيت الميل فاكتحلت به.

وقال الشبلي: " اطّلع الحقُّ عليّ فقال: " من نام غفل، ومن غفل حجب". وأنشد:

عجباً للمحبُّ كيف ينام　　　كل نوم على المحبِّ حرامُ

وقيل له: متى يكون الرجل مريداً؟. فقال: " إذا استوت حالته في السفر والحضر، والمشهد والمغيب."(٢)

وقال عبد الله بن محمد الدمشقي: "كنت واقفاً يوماً على حلْقة الشبلي، فجعل يبكي ولا يتكلم؛ فقال رجل: يا أبا بكر! ما هذا البكاء كله؟!.

فأنشأ يقول:

إذا عاتبتُه، أو عاتبوه　　　شكا فِعْلي، وعدَّد سيئاتي
أيا من دهره غضب وسخطٌ　　　أما أحسنتُ يوماً في حياتي؟!(٣)

وقال بعض أصحابه: " رأيت الشبلي في المنام، فقلت له: يا أبا بكر! من أسعدُ أصحابك بصحبتك؟. فقال: أعظمهم لحرمات الله،وألهجهم بذكر الله، وأقومهم بحق الله، وأسرعهم مبادرة في مرضاة الله، وأعرفهم بنقصانه، وأكثرهم تعظيماً لما عظّم الله من حرمة عباده."(٤)

وقال له رجل: ادع لي. فأنشأ يقول:

مضى زمن والناس يستشفعون بي　　　فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع(٥)

(١) آثار البلاد ٥٤٠، ووفيات الأعيان ٢/٢٧٣، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٠٤ .

(٢) طبقات الصوفية ٣٤٠/٩ .

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ٣٤٠-٣٤١/١١ .

(٤) طبقات الصوفية ٣٤١/١٧ .

(٥) حلية الأولياء ١٠ / ٣٧٠، وطبقات الصوفية ٣٤٢/١٨، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٠٧/ ١١ .

وروي أن الجنيد قال له يوماً: لو رددت أمرك إلى الله لاسترحت.

فقال الشبلي: " يا أبا القاسم! لو رد الله تعالى أمرك إليك لاسترحت".

فقال الجنيد: "سيوف الشبلي تقطر دما."(١)

وقال: " سهو طرفة عين عن الله تعالى – لأهل المعرفة – شرك بالله تعالى."(٢)

وقال الشبلي: " ليس من احتجب بالخلق عن الحق كمن احتجب بالحق عن الخلق. وليس من جذبته أنوار قدسه إلى أنسه، كمن جذبته أنوار رحمته إلى مغفرته".(٣)

وكان يقول في مناجاته: " أحبَّك الخلق لنعمائك، وأنا أحبك لبلائك".(٤)

وقال عبد الله بن محمد الدمشقي: " كنت واقفاً على حلقة الشبلي، في جامع المدينة، فوقف سائل على حلقته، وجعل يقول: يا الله، يا جواد!، فتأوه الشبلي وصاح، وقال: كيف يمكنني أن أصف الحق بالجود؟، ومخلوق يقول في شكله:

تعود بسط الكف حتى لو انه	ثناها لقبض لم تجبه أنامله
تراك – إذا ما جئته – متهللاً	كأنك تعطيه الذي أنت سائله
ولو لم يكن في كفه غير روحه	لجاد بها فليتَّق الله سائله
هو البحر من اي النواحي أتيته	فلجّته المعروف والجود ساحله

ثم بكى، وقال: بلى!! يا جواد!. فإنك أوجدت تلك الجوارح، وبسطت تلك الهمم، ثم مننت – بعد ذلك – على أقوام بعزِّ الاستغناء عنهم، وعما في أيديهم بك؛ فإنك الجواد كلُّ الجواد، لأنهم يعطون عن محدود، وعطاؤك لا حدَّ له ولا صفة. فيا جواد يعلو كلَّ جواد، وبه جاد كلُّ من جاد."(٥)

---

(١) طبقات الصوفية ٣٤٣/٢٣. (٢) طبقات الصوفية ٣٤٣/٢٤.

(٣) طبقات الصوفية ٣٤٤/٢٩.

(٤) طبقات الصوفية ٣٤٤/٣١.

(٥) طبقات الصوفية ٣٤٦/٣٩.

وقال بعضهم: كنا يوماً في بيت الشبلي، فأخَّر العصر، ونظر إلى الشمس، وقد تدلَّت للغروب، فقال: الصلاة! يا سادتي!. وقام فصلى، ثم أنشأ يقول ملاعبةً، وهو يضحك: ما أحسن قول من قال:

نسيت اليوم - من عشقي - صلاتي ... فلا أدري عشائي من غدائي
فذكرك - سيدي - أكلي وشربي ... ووجهك إن رأيتُ شفاء دائي (١)

وقال له رجلٌ: إلى ماذا تستريح قلوب المشتاقين؟. قال: إلى سرور من اشتاقوا إليه، وموافقته".

وأنشد:

أُسَرُّ بمهلكي فيه، لأني ... أُسَرُّ بما يَسُرُّ الإلفَ جِداً
ولو سُئلت عظامي عن بلاها ... لأنكرتِ البلى، وسمعتُ جَحدا
ولو أُخرجتُ من سقمي لنادى ... لهيب الشوق بي يساله ردًّا (٢)

وقال عبد الله البصري: سئل الشبلي، وأنا حاضر: إلى ماذا تحِنُّ قلوب أهل المعارف؟.

فقال: " إلى بدايات ما جرى لهم في الغيب، من حسن العناية في الحضرة بغيبتهم عنها" .

وأنشأ يقول:

سقياً لمعهدك الذي لو لم يكن ... ما كان قلبي للصبابة معهدا (٣)

وقيل للشبلي: لم تصفرُّ الشمس عند الغروب؟.

فقال: "لأنها عزلت عن مكان التمام، فاصفرَّت لخوف المقام، وهكذا المؤمن إذا قارب خروجه من الدنيا اصفرَّ لونه، لأنه يخاف المقام، فإذا طلعت الشمس، طلعت مضيئة،

(١) طبقات الصوفية ٣٤٤/٣٣، طبقات الأولياء لابن الملقن ٢١٠/١٩، طبقات الشعراني ١/١٢٢ .
(٢) طبقات الصوفية ٣٤٧/٤٥ .
(٣) طبقات الصوفية ٣٤٨/٤٦ .

وكذلك المؤمن إذا بعث من قبره خرج ووجهه يشرق".

وقال: " أليس الله تعالى يقول: (أنا جليس من ذكرني)[١]؟. فما الذي استفدتم من مجالسة الحق؟". وأنشد:

ذكـرتك لا أني نسـيـتك لمحـةً ... وأيسـر مـا في الذكـر ذكـر لسـاني
وكنت بلا وَجْـدٍ أمـوت من الهـوى ... وهامَ عليَّ القلبُ بالخـفـقـان
فلمـا أراني الوَجْـدُ أنك حـاضـري ... شـهـدتكَ مـوجـوداً بكل مكان
فـخـاطبتُ مـوجـوداً بغـيـر تكلُّمٍ ... ولاحظت مـعلومـاً بغـيـر عـيـانِ[٢]

وقال: " أدنى علامات الفقير: لو كانت الدنيا بأسرها لواحد فأنفقها في يوم واحد، ثم خطر بباله أن يمسك منها قوت يوم، ما صدق في فقره!".

وقال أبو علي المغازلي: ربما يطرق سمعي آية من كتاب الله تعالى فتحدوني على ترك الأشياء، والإعراض عن الدنيا، ثم أرجع إلى أحوالي وإلى الناس، [ثم لا أبقى على هذا ولا على هذا، وأرجع إلى الوطن الأول مما كنت عليه من سماعي القرآن]

فقال الشبلي: " ما [طرق سمعك من القرآن] [٣]فاجتذبك الله إليه فهو عطف منه عليك

---

(١) أنا جليس من ذكرني: رواه الديلمي بلا سند عن عائشة مرفوعاً، وعند البيهقي في الشعب عن أبي بن كعب قال: قال موسى عليه الصلاة والسلام: يا رب! أقريب أنت فأناجيك، أو بعيد فأناديك؟ فقيل له: يا موسى! أنا جليس من ذكرني. ونحوه عند أبي الشيخ في الثواب عن كعب، والبيهقي أيضاً في موضع آخر أن أبا أسامة قال لمحمد بن النضر: أما تستوحش من طول الجلوس في البيت؟ فقال: ما لي أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني؟. وأخرجه أبو الشيخ عن محمد بن نضر الحارثي أنه قال لأبي الأحوص: أليس تروي أنه قال: أنا جليس من ذكرني، فما أرجو بمجالسة الناس؟، وعند البيهقي معناه في المرفوع، عن أبي هريرة أنه قال: سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: إن الله عز وجل قال: " أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه" ورواه الأوزاعي عن أبي هريرة موقوفاً ومرفوعاً، والمرفوع أصح. ورواه الحاكم وصححه عن أنس بلفظ قال الله تعالى: " عبدي أنا عند ظنك بي وأنا معك إذا ذكرتني". **انظر**: كشف الخفاء للعجلوني ١/٢٠١ وما بعدها.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/٣٩٠.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط وقد استكمل من الحلية ١٠/٣٧٤.

ولطف، وما رددت على نفسك فهو شفقة منه عليك، لأنه لم يصح لك التبري عن الحول والقوة في التوجه إليه". [١]

وقال أحمد بن مقاتل: كنت مع الشبلي في مسجد ليلة من رمضان، وهو يصلي خلف الإمام، فقرأ الإمام: ﴿ ولئن شئنا لنذهبنَّ بالذي أوحينا إليك ﴾[٢] فزعق زعقة، قلت: طارت روحه، وهو يرتعد، ويقول: " بمثل هذا خاطب الأحباب " يردد ذلك كثيراً.

وروي أنه سمع قائلاً يقول: " الخيار عشرة بدانق" فصاح وقال: إذا كان الخيار كل عشرة بدانق، فكيف الشرار؟!.[٣]

وسمع القوَّال يقول شيئاً، فصاح، وتواجد، فقيل له: يا أبا بكر! مالك من بين الجماعة؟. فقام وتواجد ، وقال:

لي سكرتان وللندمان واحدة ... شيء خصصت به من بينهم وحدي[٤]

وحكي أن فقيهاً من أكابر الفقهاء يكنى بأبي عمران، كانت حلقته بجنب حلقة الشبلي في جامع المنصور، وكان كلام الشبلي يعطل على ابن عمران وأصحابه كلامهم، فسأله أصحابه يوماً عن مسألة في الحيض، وقصدوا إخجاله؟. فأجاب الشبلي عنها، وذكر مقالات الناس في تلك المسألة، والخلاف فيها. فقام أبو عمران وقبَّل رأسه، وقال: يا أبا بكر! قد استفدت في هذه المسألة عشر مقالات لم أسمعها، وكان عندي من جملة ما قلتَ ثلاث أقاويل![٥]

وقال إبراهيم الحداد: " كنت يوماً عند الشبلي جالساً وقد انصرف أكثر الناس عنه،

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٤ .

(٢) سورة الإسراء - الآية ٨٦ .

(٣) الكواكب الدرية للمناوي ١/ ٥٥٣ .

(٤) ديوان ابي بكر الشبلي ١٦٠/ ٦، ومصارع العشاق ١/ ٢٤٧، والبيت لابي نواس كما لا يخفى، وهو مما تمثل به الشبلي.

(٥) تاريخ بغداد ١٤/ ٣٩٢ .

وبقي حوله جماعة، فسألوه أن يدعو؟.

فسكت ساعةً ثم قال: "اللهم اضربهم بسياط الخوف، واقتلهم بأزمَّة الشوق، وافنهم عن مؤالفات الرسوم، وأغنهم عن ملاحظات الفهوم. اغفر لهم إن انصرفوا عنك، ووفقهم إن أقبلوا عليك، خرِّبْ منازل فنائهم، واعمر منازل بقائهم، وكن لهم كما لم تزل، اشغل اللهم الكل بمفارقة الكل".

ثم أنشأ يقول:

الناس كلهم بالعيد قد فرحوا ... وما فرحت به ،والواحد الصمد
لما تثبتُّ أني لا أعاتبكم ... غضضت طرفي فلم أنظر إلى أحد(١)

ثم قال: " إلهي طموح الآمال قد خابت إلا لديك، وعكوف الهمم قد تعطَّلت إلا عليك، ومذاهب المعارف قد قصرت إلا إليك".

وكان ابن بشار نهى الناس عن الذهاب إلى الشبلي والاستماع من كلامه، فلقيه يوماً، فجعل الشبلي يكلمه ، وابن بشار يقول: كم من خمس من الإبل؟!. فلما أكثر ، قال له الشبلي: في واجب الشرع شاة، وفيما يلزمنا: كلُّها. فقال ابن بشار: لك بهذا القول إمام؟. قال: نعم، أبو بكر الصديق رضي الله عنه، حيث أخرج ماله كله، وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلَّفت لعيالك؟ . قال: الله ورسوله. فذهب ابن بشار ولم ينه عن مجلسه بعد ذلك.

وسئل الشبلي عن قوله تعالى:﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ﴾(٢)؟.

فقال: " أبصار الرؤوس: عما حرَّم الله. وأبصار القلوب: عما سوى الله عزَّ وجلَّ (٣)".

وقال الشبلي: " كنت يوماً جالساً فجرى بخاطري أني بخيل، فقلت: أنا بخيل!.

---

(١) ديوان الشبلي ٩٧، محاضرة الأبرار لابن عربي ٢/١٦٨، المخلاة لبهاء الدين العاملي ١٢٨ .

(٢) سورة النور – الآية ٣٠ .

(٣) **انظر**: ابن الملقن ٢٠٥، طبقات الشعراني ١/٨٩، اللمع ٩١ .

فقاومني خاطري، وقال: بلى! إنك بخيل!. فقلت: " مهما فتح علي اليوم، لأدفعنه إلى أول فقير يلقاني!".

قال: فبينا أنا أتفكر إذ دخل عليّ صاحب لمؤنس الخادم(١)، ومعه خمسون ديناراً، فقال: اجعل هذه في مصالحك. فأخذتها وخرجت. وإذا بفقير مكفوف بين يدي مزين، يحلق رأسه، فتقدَّمت إليه، وناولته الصرة، فقال لي: أعطها للمزين. فقلت: " إنها دنانير!". فقال: " أو ليس قد قلنا إنك بخيل؟!". فناولتها للمزيِّن، فقال: " من عادتنا أن الفقير إذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجراً!". قال: فرميتها في دجلة، وقلت: " ما أعزَّك أحد إلا أذلَّه الله".

وقال أبو محمد الحريري: مكثت عند الشبلي الليلة التي مات فيها، فكان ينشد طول ليلته هذه الأبيات(٢):

كل بيت أنت ساكنه ... غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجتنا ... يوم يأتي الناس بالحجج
لا أتاح الله لي فرجاً ... يوم أدعو منك بالفرج(٣)

ورآه بعض الصالحين بعد موته، فقال: " ما فعل الله بك؟".

فقال: " لم يطالبني بالبراهين على الدعاوي إلا على شيء واحد، وذاك أني قلت يوماً: لا خسارة أعظم من خسارة الجنة ودخول النار. فقال لي: " وأي خسارة أعظم من خسران لقائي؟".

ورآه آخر في النوم فقال: " ما فعل الله بك؟".

فقال: " ناقشني حتى أيست، فلما رأى إياسي تغمَّدني برحمته".

---

(١) مؤنس الخادم الملقب بالمظفر، ولي مصر مدة خمسة أعوام، وعزل عنها سنة ثمان وتسعين ومائتين.
انظر: النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٤.

(٢) في الأصل المخطوط قوله " هذين البيتين".

(٣) الكواكب الدرية ١/ ٥٦٠.

ومنهم:

٣٨ - أبو بكر الدُّقِّيّ*

وهو: محمد بن داود الدينوري.

أشرق كالصباح مبهجا، وطرق الفلاح منهجا، فلم يبعد به الوصول، ولم يعد إلا مخضب حكم وتصرف، وحتم على من تعزز وتشرف، هذا والخوف ملأ جوانحه، وملك جوارحه، ليلة أودعها حتى خلى كل لياليه خالية الترائب، وكل أيامه من ذهب سنابل ولجين ذائب، إذ ترك ذلك زهداً للأيام، وكرما يبخل به اللئام.

أقام بالشام، وكان من أقران أبي علي الروذباري، إلا أنه عُمِّر زيادة على مائة سنة.(١)

صحب أبا عبد الله بن الجلاء، وأبا بكر الزقّاق الكبير(٢)، وأبا بكر المصري(٣)، غير أنه كان ينتمي إلى ابن الجلاء. وكان من أجلّ مشايخ وقته، وأقدمهم صحبة للمشايخ. توفي بعد الخمسين وثلاثمائة.(٤)

---

*انظر ترجمته في: طبقات الصوفية ٤٤٨-٤٥٠ رقم ٥، طبقات الأولياء لابن الملقّن ٣٠٦-٣١٠ رقم ٦٧، البداية والنهاية ١١/ ٢٧١، تاريخ بغداد ٥/ ٢٦٦ رقم ٢٧٥٨، الرسالة القشيرية ١/ ١٨٠، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٣٨-١٣٩ رقم ٩٦، الوافي بالوفيات ٣/ ٦٣، نتائج الأفكار القدسية ٢/ ٣، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٦/ ٢١٧.

(١) الرسالة القشيرية ١/ ١٨٠، وطبقات الصوفية ٤٤٨

(٢) الزَّقّاق بفتح الزاي، والقاف المشددة، وبعد الألف قاف أخرى، هذه النسبة إلى الزِّق، وبيعه، وعمله، اشتهر بها أبو بكر، محمد بن عبد الله الزقاق، وهو أحد شيوخ الصوفية الكبار، له كرامات ظاهرة.
انظر: اللباب ١/ ٥٠٥.

(٣) هو الإمام الجليل محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر، أبو بكر بن الحداد المصري، كان كثير التعبد، يصوم يوماً ويفطر يوماً، كما كان عالماً بالحديث، والأسماء والكنى، والنحو واللغة، والاختلاف، وأيام الناس، وسير الجاهلية، ولي قضاء مصر لمحمد بن طغج الاخشيد، سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وله كثير من المؤلفات، توفي بعد عودته من الحج في شوال، سنة خمس وأربعين وثلاثمائة.
انظر: طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١١٢.

(٤) قال ابن الملقّن في طبقات الأولياء ٣٠٦: "مات بدمشق سنة ستين وثلاثمائة".

سئل عن الفرق بين الفقر والتصوف؟.

فقال: " الفقر حالٌ من أحوال التصوف. "(١)

فقيل له: ما علامة الصوفي؟.

فقال: " أن يكون مشغولاً بكل ما هو أولى به من غيره، ويكون معصوماً عن المذمومات. "(٢)

وقال: " علامة القرب: الانقطاع عن كل شيء سوى الله تعالى. "(٣)

وقال: " من عرف ربه لم ينقطع رجاؤه. ومن عرف نفسه لم يعجب بعمله، ومن عرف الله لجأ إليه. ومن نسي الله لجأ إلى المخلوقين، والمؤمن لا يسهو حتى يغفل، فإذا تفكر حزن واستغفر"(٤).

وقال: " كنت بالبادية، فوافيت قبيلة من قبائل العرب، فأضافني رجل منهم، فرأيت غلاماً أسود، مقيداً هناك، ورأيت جِمالاً ماتت بفناء البيت.

فقال الغلام: "أنت الليلة ضيف، وأنت على مولاي كريم، فتشفَّعْ لي!، فإنه لا يردُّك!" .فقلت لصاحب البيت: " لا آكل حتى تحلَّ هذا العبد".

فقال: " هذا الغلام قد أفقرني، وأتلف مالي!".

فقلت: " ما فعل!".

فقال: " له صوت طيب، وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال، فحمَّلها أحمالاً ثقيلة، وحدا لها، حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في يوم، فلما حطَّ عنها ماتت كلها!". ولكن قد وهبته لك. وأمر بالغلام فحُلَّ عنه القيد.

---

(١) طبقات الشعراني ١/١٤٠، وطبقات الأولياء ٣٠٧/٣، وطبقات الصوفية ٤٤٨/١.

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ٤٤٨/١.

(٣) طبقات الصوفية للسلمي٤٤٨/٢.

(٤) طبقات الأولياء لابن الملقن ٣٠٧/٢، وطبقات الصوفية ٤٤٩/٥.

فلما أصبحنا أحببت أن أسمع صوته، فسألته عن ذلك؟ فأمر الغلام أن يحدو على جمل كان على بئر هناك، يسقى عليه، فحدا، فهام الجمل على وجهه، وقطع حباله، ولا أظن أني سمعت صوتاً أطيب منه، ووقعت لوجهي حتى أشار عليه بالسكوت"(١).

وأنشدوا في هذا المعنى:

إن كنت تنكر إن للأصوات فائدة ونفعا

فانظر إلى الإبل اللوات هُنَّ أغلظ منك طبعا

تصغي إلى حَدْوِ الحُدا ة فتقطع الفلوات قطعا (٢)

وقال: " خرجت إلى مصر، فلما دخلتها قلت: أسلِّم على الدقاق، فقصدته وسلَّمت عليه، فقال: من أين جئت يا أبا بكر؟. قلت: من أيلة. فقال: إلى الرملة؟. قلت: لا يا سيدي إلى القلزم، وإليكم. فقال: " جزت ذلك الطريق، خذ مني حكاية : أقمت فيه ثمانية عشر يوماً تائهاً ما وجدت فيه شيئاً أرتفق به، فلما كان بعد المدة، إذا أنا بسلطان قد ولي مصر يريد أيلة، فرأوا شخصي من بعيد، فأرسلوا فارساً يحملني إليه، فلما رأيت جمالاً ورفقة طمعت نفسي، فلما تبينت أنهم جند أيست أن لي فيهم فرجا.

قال الشيخ: وما شيء من الطاعات لله تعالى إلا وهذا اليأس في هذا الوقت أحسن منه. فقال الوالي: " هذا رجل تائه، قدموا إليه السفرة" .

فقلت: " ليس إلى ذلك سبيل" .

فقال: ويحك أنت على حال التلف!.

فقلت: " إن بيعتنا مع الله تعالى بمحل هذا لا نرضى رحلكم في المدن، ولا لكم نرضاه! وذلك أن العلم يلزمنا، ولو كنا في شدة.

(١) طبقات الأولياء لابن الملقن ٣٠٧-٣٠٨، وتاريخ الإسلام ٢٦/٢١٨، وسير أعلام النبلاء ١٦/١٣٩، واللمع ٢٧٠-٢٧١.

(٢) طبقات الأولياء لابن الملقّن ٣٠٨/٥.

ففقه الأمير عني ما قلت؛ فبكى. وقال: سألتك بالله إلا ما شربت الماء فإنه من النيل، فناولني دلوه، فشربت منها شربة، وبقيت عليها إلى مصر!".

رحمه الله تعالى.

ومنهم:

٣٩ - أبو عمرو إسماعيلُ بنُ نُجَيد بنِ أحمدَ بنِ يُوسُفَ بنِ سَالمٍ ابنِ خَالد السُّلَميُّ*

سحابٌ عمَّت به الرحمة، وعظمت به في الصدور الحرمة، ردَّ على الشيطان غروره، وردى بالحرمان إفكه وزوره، وطالما أراد اختلاسه فتستر له بأذيال النسيان، وكان أن يجري منه مجرى الدم من الإنسان، إلا أنه سكّن سَورته وقمعها، وسكّت أسرته وقلعها، فخاب لديه، وخار ولم يصل إليه.

صحب أبا عثمان الحيري(١)، وكان من كبار أصحابه؛ ولقي الجنيد.

وكان من أكبر مشايخ وقته، له طريقة ينفرد بها: من تلبيس الحال، وصون الوقت. وهو آخر من مات من أصحاب أبي عثمان، في سنة ست وستين وثلاثمائة.(٢)

---

*ينظر ترجمته في: المنتظم لابن الجوزي ٧/ ٨٤ رقم ١٠٧، العبر ٢/ ٣٣٦، طبقات الصوفية ٤٥٤-٤٥٧، والبداية والنهاية ١١/ ٢٨٨، في وفيات سنة ٣٦٦هجرية، وشذرات الذهب ٣/ ٥٠، طبقات الشافعية للسبكي ٢/ ١٨٩، الوافي بالوفيات ٩/ ٢٣١ رقم ٤١٣٦، والرسالة القشيرية ١/ ١٨٢، سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤٦-١٤٨ رقم ١٠٤، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٢٧، ونتائج الأفكار القدسية ٢/ ٤ وهو جدُّ أبي عبد الرحمن السلمي - صاحب طبقات الصوفية - لأمه.

(١) هو أبو عثمان الحيري سعيد بن إسماعيل النيسابوري الحداد، توفي بنيسابور سنة ثمان وتسعين ومائتين. " طبقات الصوفية ١٧٠-١٧٥".

(٢): طبقات الصوفية للسلمي ٤٥٤ .

وسمع الحديث ورواه، وكان ثقة.

ومن كلامه:

"كل حال لا يكون عن نتيجة علم؛ فإن ضرره على صاحبه أكثر من نفعه."(١)

وقال: " المتوكل الذي يرضى بحكم الله فيه" .(٢)

وقال: " من أراد أن يعرف قدر معرفته بالله تعالى، فلينظر قدر هيبته له، وقت خدمته له."(٣)

وقيل له: " ما الذي لا بد للعبد منه؟.

فقال: ملازمة العبودية على السنة، ودوام المراقبة."(٤)

وقال: " إذا أراد الله بعبد خيراً، رزقه خدمة الصالحين والأخيار، ووفقه لقبول ما يشيرون به عليه، وسهَّل عليه سبل الخير، وحجبه عن رؤيتها"(٥).

وقال عبد الواحد بن علي السيَّاري(٦) : قلت له آخر ما فارقته: "أوصني!.

فقال لي: " إلزم مواجب العلم؛ واحترم لجميع المسلمين؛ ولا تضيِّعْ أيامك، فإنها أعزُّ شيءٍ لك؛ ولا تتصدَّرْ ما أمكنك؛ وكن خاملاً فيما بين الناس؛ فبقدر ما تتعرف إليهم، وتشتغل بهم، تضيِّع حظك من أوامر ربك"(٧).

---

(١) الرسالة القشيرية ١/١٨٢ .

(٢) طبقات الصوفية ٤٥٥/١٠ .

(٣) طبقات الصوفية ٤٥٥/٥، وطبقات ابن الملقّن ١٠٨/٣ .

(٤) طبقات الصوفية ٤٥٥/١٣ .

(٥) طبقات الصوفية للسلمي ٤٥٥/١٤، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ١٠٨/٤ .

(٦) هو عبد الواحد بن علي السيَّاري – بتشديد الياء – وفتحها، النيسابوري ، توفي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة.

(٧) طبقات الصوفية للسلمي ٤٥٦/١٨ .

وقال: " من أظهر محاسنه لمن لا يملك ضرَّه ولا نفعه، فقد أظهر جهله"(١).

وقال: " من استقام لا يعوجّ به أحد، ومن اعوجَّ لا يستقيم به أحد"(٢).

وقال: " آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه."(٣)

وقيل: " اجتمع أبو عمرو، وابن نجيد، والنصراباذي، والطائفة، في موضع فقال النصراباذي: أنا أقول: إذا اجتمع القوم، فواحد يقول شيئاً، ويسكت الباقون، خير من أن يغتابوا.

فقال أبو عمرو: " لأن تغتاب ثلاثين سنة، أنجى لك من أن تظهر في السماع ما لست به". رحمه الله تعالى.

ومنهم:

٤٠ - أَبُو القَاسِمِ إبراهيمُ بنُ مُحَمَّد النَّصْرابَاذِيُّ*

شيخ خراسان في وقته.

لا يفيض صدره الحفائظ، ولا يقدح أحشاءه المغايظ، علم زهد، وعلم حقيقة، أحلى من الشُّهد، نفض الرقاد عن جفنيه، وكحَّل بالسُّهاد ملء عينيه، تصور الدنيا قعاب، وتصوب كوكب الدنايا في أفقه فغاب، حتى دعاه داعي الحِمام، فأسرع البدار، وطلع كالقمر ليلة الإبدار، ففرَّ إلى الفردوس من وراء الجدار، ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾.(٤)

---

(١) المصدر السابق ٤٥٧/٢٠. (٢) طبقات الصوفية ٤٥٧/٢٢.

(٣) الرسالة القشيرية ١٨٢/١.

*ينظر ترجمته في: المنتظم لابن الجوزي ٨٩/٧ رقم ١١٢، تاريخ بغداد ١٦٩/٦-١٧٠، تهذيب ابن عساكر ٢٤٦/٢-٢٥٠، طبقات الصوفية للسلمي ٤٨٤-٤٨٨، الرسالة القشيرية ١٩٣/١-١٩٤، اللباب ٢٢٥/٣، نتائج الأفكار القدسية ١٣/٢-١٥، طبقات الشعراني ١٤٤/١، النجوم الزاهرة ١٢٩/٤-١٣١، شذرات الذهب ٥٨/٣، الوافي بالوفيات ١١٧/٦ رقم ٢٥٤٩، العبر ٣٤٣/٢، طبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٦-٢٨، تاريخ الإسلام للذهبي ٣٦٧/٢٦-٣٧١ والنصراباذي: نسبة إلى نصراباذ - بفتح النون، وإسكان الصاد، وراء مفتوحة، بعدها الف، ثم باء والف وذال - : علم فارسي، معناه: عمارة نصر، وتطلق على مواضع؛ منها: محلة بنيسابور، منها المترجم له؛ ومنها محلة بالري في أعلى البلد، وثالثة باصبهان." معجم البلدان ٧٨٦/٤، واللباب ٢٢٣/٣".

(٤) سورة الرعد - الآية ٢٤.

صحب أبا بكر الشبلي، وأبا علي الرُّوذباري، وأبا محمد المرتعش، وغيرهم من المشايخ. وكان أوحد المشايخ في زمانه علماً وحالاً(١).

وأقام بنيسابور، ثم خرج في آخر عمره إلى مكة، وحجَّ سنة ست وستين وثلاثمائة، وأقام بالحرم مجاوراً، ومات سنة سبع وستين وثلاثمائة(٢).

وكتب الحديث الكثير، ورواه، وكان ثقة.

ومن كلامه:

"إذا بدا لك شيء من بوادي الحق، فلا تلتفت - معه - إلى جنة ولا إلى نار، ولا تُخطِرْهما ببالك؛ وإذا رجعت عن ذلك الحال فعظِّم ما عظَّمه الله تعالى"(٣).

وقال: " أهل المحبة واقفون مع الحق على مقام، إن تقدَّموا غرقوا، وإن تأخَّروا حُجِبوا"(٤).

وقال: " من لزم التقوى اشتاق إلى مفارقة الدنيا، لأن الله تعالى قال: ﴿ وللدار الآخرة خير للذين يتقون ﴾.(٥)

وقال: " الزاهد غريب في الدنيا، والعارف غريب في الآخرة".

وقال: " الحق غيور، ومن غيرته أنه لم يجعل إليه طريقاً سواه".

وقال: " قيمة الزاهد بمعبوده، كما أن قيمة العارف بمعروفه".

وسئل عن المحبة؟.

---

(١) الرسالة القشيرية ١/١٩٣، وطبقات الصوفية ٤٨٤، طبقات ابن الملقّن ٢٦.

(٢) ودفن بقرب الفضيل بن عياض، طبقات ابن الملقّن ٢٦، وطبقات الصوفية ٤٨٤، لكن القشيري في الرسالة ١/١٩٣، والشعراني في الطبقات يذكران أنه مات سنة تسع وستين وثلاثمائة.

(٣) الرسالة القشيرية ١/١٩٣، وطبقات الصوفية للسلمي ٤٨٥/٢.

(٤) طبقات الصوفية للسلمي ٤٨٨/١٥.

(٥) سورة الأنعام - الآية ٣٢.

فقال: " محبةٌ توجب سفك الدماء، ومحبةٌ توجب حقن الدماء".

ثم قال: " المحبة : مجانبة السلوِّ على كل حال".

وأنشد:

ومن كان في طول الهوى ذاق سلوة فإني من ليلى لها غير ذائق
وأكثر شيء نلته من وصالها أمانيُّ لم تصدق، كلمحة بارق (١)

ومنهم:

٤١ - أبو الحسن عَليّ بنُ إبراهيمَ الحُصْرِيُّ*

وحيدٌ أيّ وحيد، وفريدٌ في شريعةٍ وتوحيد، لا يقرن إلا بالجنيد، ولا يقرب إلا من داود ذي الأيد(٢)، وكان مالكاً للظنون، وسالكاً حذاء المنون، حتى سما به كوكبه فتعالى، وزاحم منكبه النجم ثم احتذاه نعالا، والجِدُّ دأبه والجد يحفظ اجتذابه، والعمل ديدنه والعلم لا يفنى منه معدنه، حتى أجاب للمقدار، ونقل من دار إلى دار، ثم وَجَدَ ما قدَّم وَجَد، وودَّ لو كان تقدم.

وكان شيخ العراق ولسانها في وقته، لم يُرَ في زمانه من المشايخ أتمّ حالاً منه، ولا أحسن لساناً ولا أعلى كلاما. متوحِّداً في طريقته، ظريفاً في شمائله وحاله، له لسان في التوحيد يختص به، ومقام في التجريد والتفريد لم يشاركه فيه أحد بعده(٣).

---

(١) طبقات ابن الملقّن ٢٧/٣، وتهذيب تاريخ دمشق لابن منظور ٤/١٠٧ .

* انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٠ رقم ٦١٧٦، طبقات الصوفية للسلمي ٤٨٩ -٤٩٣ رقم ١٥، الرسالة القشيرية ١/١٩٥، ونتائج الأفكار القدسية٢/١٦، والبداية والنهاية ١١/٢٩٨، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٢١٣ رقم ٣٠، طبقات الشعراني ١/١٤٥، المنتظم ٧/١١٠، الكامل في التاريخ ٩/١٦ تاريخ الإسلام للذهبي ٢٦/٥٠٢ وفيات سنة ٣٧١هجرية.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ واذكر عبدنا داود ذا الايد إنه أوّاب ﴾ سورة ص – الآية ١٧ .

(٣) طبقات الصوفية ٤٨٩ .

وهو أستاذ العراقيين، وبه تأدَّب من تأدَّب منهم.

صحب [أبا بكر] الشبلي، وإليه كان ينتمي، وصحب غيره من المشايخ أيضاً(١). وهو بصري الأصل.

سكن بغداد، ومات بها يوم الجمعة، في ذي الحجة، سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة(٢).

وقال: " أصولنا في التوحيد خمسة أشياء: رفع الحديث، وإفراد القدم، وهجر الإخوان، ومفارقة الأوطان، ونسيان ما علم وجهل".

وقال أبو الحسين الزنجاني: كثيراً ما كنت أسمع الحصري ببغداد يقول: "عرِّضوا ولا تصرِّحوا، فإن التعريض أستر".

وينشد:

وأعرض إذا ما جئت - عنا بحيلة	وعرِّض ببعض إن ذلك أستر
فما زلت في إعمال طرفك نحونا	ولحظك حتى كاد ما بك يظهر

ومنهم:

٤٢ - أبو عبدِ الله محمدُ بنُ خَفيفِ بنِ إسفكشاذ(٣) الضَّبيُّ*

(١) الرسالة القشيرية ١/١٩٥

(٢) قال الخطيب: وقد نيّف على الثمانين" تاريخ بغداد ١١/٣٤٠".

(٣) إسْفَكْشَاذْ: هكذا ورد في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، وكذلك في طبقات الصوفية للسلمي، أما في الوافي بالوفيات مقيدة "إسفكشار" وورد "إسفكسار" والله أعلم بصحة ذلك.

* ينظر ترجمته في: الكامل في التاريخ ٩/١٦، طبقات الصوفية ١٨٣و٤٦٢- ٤٦٦، الوافي بالوفيات ٣/٤٢، رقم ٩٣٠، طبقات الشافعية للسبكي ٢/١٥٠، المنتظم ٧/١١٢، رقم ١٥٦، العبر ٢/٣٦٠-٣٦١، شذرات الذهب ٣/٧٦-٧٧، حلية الأولياء ١٠/٣٨٥-٣٨٧، طبقات الشعراني ١/١٤٢، سير أعلام النبلاء ١٦/٣٤٢-٣٤٧ رقم ٢٤٩ .

قمر جلا السدف(١)، وجلّ أن يقاس إلا بالسلف، لم يجلس في محفل إلا خلته كوكباً في المجامع يأتلق، ونشر صَبًا بالمسامع يعتلق، وكان حيث حضر تحل له الحبى(٢)، ويحل أعالي الربى، إلى أن نزل باليباب، ووسد بين أترابه، ﴿ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ﴾(٣).

أصله من إسفكشاذ، وأقام بشيراز. وكان شيخ المشايخ، وأوحدهم في وقته. عالماً بعلوم الظاهر،وعلوم الحقائق، حسن الأحوال، في المقالات والأفعال، جميل الأخلاق والأعمال(٤).

مات سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة(٥).

ومن كلامه:

"لما خلق الله الملائكة والجنّ والإنس، خلق العصمة والكفاية والحيلة: فقال للملائكة: اختاروا. فاختاروا العصمة.

ثم قال للجن: اختاروا. فاختاروا العصمة. فقال: قد سُبِقتم. فاختاروا الكفاية.

ثم قال للإنس: اختاروا. فقالوا: نختار العصمة. فقال: قد سُبِقتم. فقالوا: نختار الكفاية. فقال: قد سُبِقتم. فأخذوا الحيلة. فبنو آدم يحتالون بجهدهم."(٦)

وقال:" الخوف اضطراب القلوب بما علمت من سطوة المعبود."(٧)

---

(١) قال في القاموس: السُّدْفة، ويضم: الظُّلمة، تميميَّةٌ، والضوء: قيسيَّة، ضدٌّ، أو سمِّيا باسم، لانّ كُلاًّ يأتي على الآخر كالسَّدَف، محرَّكة، أو اختلاط الضوء والظلمة معاً.

(٢) جمع حبوة، وهي اشتمال الثوب أو جمع ما بين الظهر والساقين بعمامة ونحوها" القاموس مادة حبو".

(٣) سورة الرعد – الآية ٢٣ .

(٤) طبقات الصوفية للسلمي ٤٦٢ .

(٥) توفي ليلة ثالث رمضان عن خمس وتسعين سنة، وقيل: عاش مائة سنة وأربع سنين، وازدحم الخلق على جنازته، وكان أمراً عظيماً، وصلّوا عليه نحواً من مائة مرة. **انظر**: " طبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٩٤، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٦/ ٥١١ .

(٦) طبقات الصوفية للسلمي ٤٦٤/ ٤ .

(٧) حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٦، وطبقات الصوفية ٤٦٥/ ١٠ .

وقال: " الرياضة: كسر النفوس بالخدمة، ومنعها عن الفترة. "(١)

وقال: " التقوى: مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى " .(٢)

وقالَ: " لَيسَ شيء أضرُّ بالمريد من مسامحته النفس في ركوب الرخص، وقبول التأويلات. "(٣)

وقال: " الدَّنِفُ: من احترق في الأشجان، ومنع من بث الشكوى. "(٤)

وقال: " الزهد: سُلُوُّ القلب عن الأسباب، ونفض الأيدي عن الأملاك" . وحقيقة الزهد: التبرم بالدنيا، ووجود الراحة في الخروج منها . "(٥)

و[قال]: "القناعة: الاكتفاء بالبلغة. وحقيقة القناعة: ترك التشوق إلى المفقود، والاستغناء عن الموجود"(٦).

وقال: " الشوق: ارتياح القلوب بالوجد، ومحبة اللقاء للقرب" .

وقال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، وهو يقول: "من عرف طريقاً إلى الله فسلكه ثم رجع عنه عذَّبه الله تعالى عذاباً لم يعذِّبْ به أحداً من العالمين. "(٧)

وقال: " المشاهدة: اطِّلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الله تعالى عنه من الغيوب"(٨)

وقال: " الرجاء: ارتياح القلوب إلى كرم الموجود. "(٩)

---

(١) حلية الأولياء ١٠/٣٨٦، وطبقات الصوفية ٤٦٤/٦ .

(٢) حلية الأولياء ١٠/٣٨٦، وطبقات الصوفية ٤٦٥/١١ .

(٣) طبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٩٠/١، وطبقات الصوفية ٤٦٥/١٥ ، الرسالة القشيرية ١/١٨٤، وطبقات الشعراني ١/٣٤٥ .

(٤) طبقات الصوفية ٤٦٦/٢١ .

(٥) حلية الأولياء ١٠/٣٨٦ .

(٦) حلية الأولياء ١٠/٣٨٦ .

(٧) طبقات الأولياء لابن الملقّن ٢٩٢/٦ .

(٨) طبقات الصوفية ٤٦٥/١٧، وحلية الأولياء ١٠/٣٨٦ .

(٩) في الحلية :" لرؤية كرم الموجود" ١٠/٣٨٦ .

ومنهم:

٤٣ - ابن سمعون(١): مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ إسماعيلَ بنِ عَنْبَس*

أبو الحسين البغدادي الواعظ.

واحدٌ رُدَّ به العدو، ورجي به الهُدُوّ، ورُدَّت به النوائب شبحاً في حلوقها، وسحباً لما تدعيه من باطل حقوقها، وكانت محرجة به صدور برحائها، محرقة بلهبه صدور روائها، رامها فقصف النِّصَال على النِّصَال، وقصد الرماح ودعم بها الآصال، حتى طال بها الأمن ودام، وطب فحل الليل عن الشفق الفدام، بتوجه يتقهقر له الجيش المطل، ويقهر أسد الخميس المدل، ويظهر أن الله لا يحارَب له ولي، ولا يغالب له قَدَر له سيل تحدُّر من علي.

وقنع مدة بالعيش الزهيد، وعمل ليوم ياتي كل نفس معها سائق وشهيد، وكان أمةً قانتاً، ونعمة لم تدع فائتاً، فأجزلت له المواهب، وسهلت له العطايا من أصعب المذاهب، فرفع على الرؤوس مقاما، وسمع منه ما داوى للنفوس داءً عقاما، ثم كان إلى أن مات من الحلال يكتسب، ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾(٢)

---

(١) وسمعون هو لقب جده إسماعيل" سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٠٥" .

* وعنبس : بفتح العين المهملة وسكون النون وفتح الباء الموحدة، وبعدها سين مهملة، وهو في الأصل اسم الأسد، وبه سمي الرجلُ، وهو فَنْعَل، من العبوس، والنون زائدة. " وفيات الأعيان ٤/ ٣٠٥" .

ينظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١/ ٢٧٤ - ٢٧٧، المنتظم ٧/ ١٩٨-٢٠٠ رقم ٣١٤، مرآة الجنان ٢/ ٤٣٢، البداية والنهاية ١١/ ٣٢٣، الكامل في التاريخ ٩/ ١٣٧، النجوم الزاهرة ٤/ ١٩٨، العبر ٣/ ٣٦-٣٧، الوافي بالوفيات ٢/ ٥١-٥٢ رقم ٣٣٦، وفيات الاعيان٤/ ٣٠٤-٣٠٥ رقم ٦٣١، تبيين كذب المفتري ٢٠٠، صفة الصفوة ٢/ ٢٦٦، طبقات الحنابلة ٢/ ١٥٥-١٦٢ رقم ٦٢٤، سير اعلام النبلاء ١٦/ ٥٠٥ -٥١١ رقم ٣٧٦، شذرات الذهب ٣/ ١٢٤، الإكمال لابن ماكولا ٤/ ٣٦٢، طبقات الحنابلة ٢/ ١٥٥-٥٢، تاريخ الإسلام للذهبي ٢٧/ ١٥٢-١٥٦ .

(٢) سورة الطلاق - الآية رقم ٣ .

قال السلمي: هو من مشايخ بغداد، له لسان عال في هذه العلوم، لا ينتمي إلى أستاذ، وهو لسان الوقت، والمرجوع إليه في آداب المعاملات، ويرجع إلى فنون من العلم.(١)

وقال أبو محمد السني – صاحب ابن سمعون –: " كان ابن سمعون في أول أمره ينسخ بالأجرة، وينفق على نفسه وأمه، فقال لها يوماً: أحبُّ أن أحجَّ. قالت: وكيف يمكنك؟. فغلب عليها النوم، فنامت وانتبهت بعد ساعة، وقالت: يا ولدي! حُجَّ. رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يقول: "دعيه يحج، فإن الخير له في حجه" . ففرح وباع دفاتره، ودفع إليها من ثمنها، وخرج مع الوفد، فأخذت العربُ الوفدَ، قال: فبقيت عرياناً، ووجدت مع رجل عباءة، فقلت: هبها لي أشتريها، فاعطانيها، قال: فجعلت إذا غلبني الجوع، ووجدت قوماً من الحاج يأكلون، وقفت أنظر إليهم، فيدفعون إلي كسرة فأقتنع بها، وأحرمت في العباءة، ورجعت إلى بغداد، وكان الخليفة قد حرَّم جارية وأراد إخراجها من الدار.

قال أبو محمد السني: فقال الخليفة: اطلبوا رجلاً مستوراً يصلح[أن تزوج هذه الجارية به](٢)؛ فقال بعضهم: قد جاء ابن سمعون من الحج. فاستصوب الخليفة قوله، فزوَّجه بها.

فكان ابن سمعون يجلس على الكرسي ، فيعظ ويقول: " خرجت حاجّاً، ويشرح حاله، وها أنا اليوم عليَّ من الثياب ما ترون"(٣).

قال البرقاني: " قلت له يوماً: تدعو الناس إليالزهد ، وتلبس أحسن الثياب!، وتأكل أطيب الطعام، فكيف هذا؟!.

فقال: " كُلُّ ما يصلحك لله فافعله، إذا صلح حالك مع الله."(٤)

"ولما دخل عضد الدولة بغداد، وقد هلك أهلها، قتلاً وخوفاً وجوعاً، للفتن التي اتصلت

(١) سير اعلام النبلاء ١٦/٥٠٦ .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الاصل، استكمل من " سير اعلام النبلاء ١٦/٥٠٧" .

(٣) سير أعلام النبلاء ١٦/٥٠٦–٥٠٧، وتبيين كذب المفتري ٢٠٢–٢٠٣ .

(٤) تاريخ بغداد ١/٢٧٥، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٧/١٥٢–١٥٣، وسير أعلام النبلاء ١٦/٥٠٦ .

فيها بين الشيعة والسنة، فقال: آفة هؤلاء: القُصَّاص. فنادى: لا يقصّ أحدٌ في الجامع، ولا الطرق، ولا يتوسَّل بأحد من الصحابة. ومن أحب التوسل قرأ القرآن، فمن خالف فقد أباح دمه.

فوقع في الخبر: أن ابن سمعون جلس على كرسيه بجامع المنصور.

قال أبو الثناء العضدي: فأمرني أن أطلبه؛ فأُحْضِر. فدخل عليّ رجلٌ له هيبة وعليه نور. فلم أملك أن قمت إليه، وأجلسته إلى جنبي، فجلس غير مكترث، فقلت: إن هذا الملك جبارٌ عظيم، وما أوثر لك مخالفة أمره، وإني موصلك إليه، فقبِّلِ الأرضَ وتلطَّفْ له، واستعِنْ بالله عليه.

فقال: الخَلْقُ والأمرُ لله. فمضيت به إلى حجرة، وقد جلس فيها وحده، فأوقفته، ثم دخلت لأستاذن، فإذا هو إلى جانبي قد حوَّل وجهه إلى نحو دار فخر الدولة، ثم استفتح وقرأ: ﴿ وكذلك أَخْذُ ربِّك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ﴾.(١)

قال: ثم حوَّل وجهه، وقرأ: ﴿ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴾.(٢)

[ثم أخذ في وعظه](٣)؛ فأتى بالعجب؛ فدمعت(٤) عين الملك، وما رأيت ذلك منه قط، وترك كُمَّه على وجهه.

فلما خرج أبو الحسين – رحمه الله تعالى – قال الملك: اذهب إليه بثلاثة آلاف درهم، وعشرة أثواب من الخزانة، فإن امتنع فقل له: فرِّقها في أصحابك، وإن قبلها، فجئني برأسه، ففعلت، فقال: إن ثيابي هذه من نحو أربعين سنة، ألبسها يوم خروجي إلى الناس، وأطويها

(١) سورة هود – الآية ١٠٢ .

(٢) سورة يونس – الآية ١٤ .

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط ، استكمل من "تاريخ الإسلام للذهبي ٢٧ / ١٥٤" .

(٤) في تاريخ الإسلام ٢٧ / ١٥٤: " ففتح" .

عند رجوعي، وفيها مُتْعَةٌ وبقيَّةٌ ما بقيت، ونَفَقَتي من أجرة دار خلَّفها أبي، فما أصنع بهذا؟.

فقلت: فرِّقها على أصحابك.

فقال: ما في أصحابي فقير.

فعدت فأخبرته. فقال: الحمد لله الذي سلَّمه منا، وسلَّمنا منه[١].

وسئل ابن سمعون عن التصوف؟.

فقال: " أما الاسم: فترك الدنيا وأهلها، وأما حقيقة التصوف: فنسيان الدنيا، ونسيان أهلها" .[٢]

وقال ابن سمعون في قوله تعالى: ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ﴾[٣]، قال: "مواعيد الأحبة – وإن اختلفت – فإنها تؤنس" . كنا صبياناً ندور على الشطِّ ونقول:

ماطِليني وسوِّفي وعِديني ولا تفي
واتركيني مولَّهاً أو تجودي وتعطفي[٤]

وذكر ابن سمعون أنه أتى بيت المقدس ومعه تمر، فطالبته نفسه برطب، فلامها، فعمد إلى التمر وقت إفطاره فوجده رطباً، فلم يأكل منه وتركه، فلما كان ثاني ليلة وجده تمراً[٥]

وقال أبو الفتح القوَّاس: لحقتني ضائقة، فأخذت قوساً وخُفَّين، وعزمت على بيعهما، فقلت: أحضر مجلس ابن سمعون، ثم أبيعهما، فحضرت، فلما فرغ ناداني: يا أبا الفتح!

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٠٩–٥١٠، وتاريخ الإسلام ٢٧/ ١٥٣–١٥٤ .

(٢) تاريخ الإسلام ٢٧/ ١٥٤ .

(٣) سورة الأعراف – الآية ١٤٢ .

(٤) سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٠٨، وتاريخ الإسلام ٢٧/ ١٥٥ .

(٥) تاريخ بغداد ١/ ٢٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٠٨، وتاريخ الإسلام ٢٧/ ١٥٥ .

لا تبع الخُفَّين والقوسَ، فإن الله سيأتيك برزق" . أو كما قال(١).

وقال أبو طاهر العلاف: حضرت أبا الحسين يوماً وهو يعظ، وأبو الفتح القوَّاس إلى جنب الكرسي، فنعس، فأمسك أبو الحسين عن الكلام ساعة، ثم استيقظ أبو الفتح، ورفع رأسه، فقال له أبو الحسين: "رأيتَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في نومك؟. قال: نعم. فقال: لذلك أمسكتُ خوفاً من أن تنزعج."(٢)

وحكى مولى الطائع لله: أن الطائع أمره فأحضر ابن سمعون، فرأيت الطائع غضباناً، وكان ذا حِدَّة، فأحضرت ابن سمعون، فأذِنَ له الطائع في الدخول، فدخل وسلَّم بالخلافة، ثم أخذ في وعظه، فقال:

"روي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه" ، ثم روى عن أمير المؤمنين وترضَّى عنه، ووعظ حتى بكى الطائع، وسُمِعَ شهيقه، وابتلَّ منديل من دموعه، فلما انصرف، سألت عن سبب طلبه؟.

فقال: رُفِعَ إليَّ أنه ينتقص علياً رضي الله عنه، فأردت أقابله، فلما حضر افتتح بذكر علي، والصلاة عليه، وأعاد وأبدى في ذكره، فعلمت أنه وُفِّق، ولعلَّه كوشف بذلك"(٣).

توفي رضي الله عنه سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، في ذي القعدة(٤).

---

(١) تاريخ بغداد ١/٢٧٥-٢٧٦ ، وسير اعلام النبلاء ١٦/٥٠٨ .

(٢) تاريخ بغداد ١/٢٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٦/٥٠٨ .

(٣) تاريخ بغداد ١/٢٧٦- ٢٧٧، وسير اعلام النبلاء ١٦/٥٠٨ وما بعدها. قال المناوي في الكواكب الدرية ٢/١٣٧، بعد سوقه لتلك الحكاية ما نصه: " قال الجلال السيوطي: وهذا يشعر بأن ابن سمعون رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة لما حضر، ورآه ابو الفتح في نومه" .

(٤) ودفن في داره، ثم نقل بعد ثلاث وثلاثين سنة فوجد كفنه لم يبل!. وقال بعضهم: اخرج إلى قبر احمد بن حنبل واكفانه تتقعقع كما دفن." الكواكب الدرية للمناوي ٢/١٣٧ تحقيق محمد اديب الجادر، ط دار صادر" .

وولد سنة ثلاثمائة. وسمعون: هو جده إسماعيل.

قال أبو بكر الخطيب: كان بعض شيوخنا إذا حدَّثنا عنه قال: "حدَّثنا الشيخ الجليل المُنطّق بالحكمة."(١)

سمع أبا بكر بن أبي داود(٢)، ومحمدَ بن مخلد العطار، وأبا جعفر بن البَخْتري(٣).

وبدمشق: أحمد بن سليمان بن زبَّان، ومحمد بن محمد بن أبي حذيفة، وجماعة، وأملى عنهم.

وروى عنه: أبو عبد الرحمن السلمي، وعلي بن طلحة المقريء، والحسن ابن محمد الخلال، وأبو طالب العشاري، [وأبو الحسين بن الأبنوسي]، وخديجة بنت محمد الشاهجانيَّة الواعظة، [وأبو بكر أحمد بن محمد بن حمَّدوه الحنبلي]، وغيرهم(٤).

وكان أوحد دهره، وفرد عصره في الكلام، على علم الخواطر والإشارات، ولسان الوعظ، دوَّن الناسُ حِكَمَه، وجمعوا كلامه. رحمه الله تعالى.

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٢٧٤، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٠٦ .

(٢) وهو أعلى شيخ له – كما في سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٠٥ .

(٣) هو محمد بن عمرو بن البختري ، المرجع السابق.

(٤) تاريخ الإسلام ٢٧/ ١٥٢، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٠٦ .

ومنهم:

٤٤ - أبوالقاسم عبدُ الكريم بنُ هوازنَ بن عبد الملك بن طَلْحَةَ ابن محمد القُشَيريُّ*

الفقيه، الشافعي.

كان ليومه من أمسه آخذا، وبلومه من نفسه مؤاخذا، فكان لا يزال دمعه ينهمل، ومدمعه محمراً، كأن إماقه جرحٌ لا يندمل، لم تستمله الأغصان وقد مالت قدودها، ولا أمالت ليلى قلبه وقد طال صدودها، فلم يشكُ جفا ودود، حتى فاء إلى صديد ودود.

وإنما يعرف أكثر أحوال القوم من "رسالته"(١)، ويعترف الفُضَّل(٢) بقدمه وبسالته، وهو معدودٌ من أهل سيادتهم، وذوي حظوتهم في الدارين وسعادتهم.

---

* انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١١/٨٣، وتبيين كذب المفتري ٢٧١، ودمية القصر ٢/٢٤٣، والمنتظم ٨/٢٨٠ رقم ٣٢٨، والكامل في التاريخ ١٠/٨٨، واللباب ٣/٣٨، وإنباه الرواة ٢/١٩٣، ووفيات الأعيان ٣/٢٠٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٩٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/٢٢٧، والإعلام بوفيات الأعلام ١٩٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣/٢٤٣ - ٢٤٨، وطبقات الشافعية للأسنوي ٢/٣١٣ - ٣١٥، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٢٥٧- ٢٦١، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/٢٦١، ٢٦٢، رقم ٢١٧ وشذرات الذهب ٣/٣١٩-٣٢٢ ، وتاريخ الإسلام للإمام الذهبي ٣١/١٧١- وفيات سنة ٤٦٥- ، وانظر مقدمة كتاب" الرسالة القشيرية" للعلامة العارف بالله تعالى المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق، والدكتور محمود بن الشريف" طبع دار الكتب الحديثة - القاهرة " .والقشيري: بضم القاف وفتح الشين وسكون الياء وفي آخرها راء: نسبة إلى قُشَير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. تاريخ الإسلام ٣١/١٧١ .

(١) المسماة بـ"الرسالة القشيرية" وقد صنَّفها رضي الله عنه في الكلام على رجال الطريقة، وأحوالهم، وأخلاقهم، وقد طبعت أكثر من مرة، وطبعت مع شرحها أيضاً للشيخ زكريا الأنصاري المسمى بنتائج الأفكار القدسية في مجلدين، وقد ترجمت إلى الفرنسية أيضاً.

(٢) أي الأفاضل من الرجال والعلماء والصلحاء والعارفين.

وكان علاَّمة في الفقه والتفسير، والحديث، والأصول، والأدب، والشعر، والكتابة، وعلم التصوف، وجمع بين الشريعة والحقيقة.

وأصله من ناحية "أُسْتوا"(١)، من العرب الذين قدموا خراسان.

توفي أبوه وهو صغير، وقرأ الأدب في صباه، وكانت له ضيعة مثقلة الخراج بنواحي "أستوا"، فرأى من الرأي أن يحضر إلى نيسابور، يتعلم طرفاً من "الاستيفاء" ويحمي الضيعة من الخراج، فحضر نيسابور على هذا العزم، فاتفق حضوره مجلس الشيخ أبي عليّ الحسين بن علي النيسابوري المعروف بـ"الدقاق" – وكان إمام وقته – فلما سمع كلامه أعجبه، ووقع في قلبه، فرجع عن ذلك العزم، وسلك طريق الإرادة، فقبله الدقاق، وأقبل عليه، وتفرّس فيه النجابة، فجذبه بهمَّته، وأشار عليه بالاشتغال بالعلم، فخرج إلى درس أبي بكر محمد بن أبي بكر الطوسي، وشرع في الفقه حتى فرغ من تعليقه.

ثم اختلف إلى الأستاذ أبي إسحق الاسفرائيني، وقعد يسمع درسه أياماً، فقال الأستاذ: هذا العلم لا يحصل بالسماع، ولا بدَّ من الضبط بالكتابة، فأعاد عليه جميع ما سمعه تلك الأيام، فعجب منه، وعرف محلَّه فأكرمه، وقال له: ما تحتاج إلى درس بل يكفيك أن تطَّلع على مصنفاتي(٢). فقعد وجمع بين طريقته، وطريقة ابن فورك(٣). ثم نظر في كتب القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني(٤)،وهو مع ذلك يحضر مجلس أبي علي الدقاق. وزوّجه ابنته، مع كثرة أقاربها.

(١) أُسْتوا: بضم أوله وسكون السين المهملة، وضم التاء المثناة من فوقها، أو فتحها وبعدها واو ثم ألف، وهي ناحية بنيسابور كثيرة القرى، خرج منها جماعة من العلماء " وفيات الأعيان لابن خلّكان ٣/٢٠٨".

(٢) تبيين كذب المفتري ٢٧٣، ووفيات الأعيان ٣/٢٠٦ .

(٣) هو الإمام أبو بكر محمد بن الحسن الفوركي، الشهير: بابن فورك، الاصبهاني ، الفقيه، المتكلم، كان إماماً عالماً، استدعي إلى نيسابور، وتخرَّج به جماعة في الأصول، والكلام، وله فيها تصانيف، وكان رجلاً صالحاً، سمع الحديث، وروى عنه أبو بكر البيهقي، وأبو القاسم القشيري، وغيرهما. قتله محمد بن سبكتكين بالسم، سنة ست وأربعمائة. **انظر**: النجوم الزاهرة ٤/٢٤٠ .

(٤) هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري، المتكلم على مذهب الأشعري. سكن بغداد ، وله التصانيف المشهورة، مات ببغداد سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة، والباقلاني: نسبة إلى الباقلا وبيعه. **انظر**: اللباب ١/٩ .

وبعد وفاة أبي علي، سلك مسلك المجاهدة والتجريد، وأخذ في التصنيف، فصنف: " التفسير الكبير" قبل سنة عشر وأربعمائة، وسمَّاه: "التيسير في علم التفسير"، وهو من أجود التفاسير. وصنَّف: "الرسالة" في رجال الطريقة(١).

وخرج إلى الحج في رفقة فيها الشيخ أبو محمد الجويني(٢)، وأحمد بن حسين البيهقي(٣)، وجماعة من المشاهير؛ فسمع منهم الحديث ببغداد والحجاز.

وكان له في الفروسية واستعمال السلاح يد بيضاء(٤).

وأما مجالس الوعظ والتذكير فهو إمامها، عقد لنفسه مجلس الإملاء في الحديث سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وحدَّث ببغداد، وكتبنا عنه(٥)، وكان ثقة، وكان يقص، وكان حسن الموعظة، مليح الإشارة، وكان يعرف الأصول(٦) على مذهب الأشعري، والفروع على مذهب الشافعي.

وذكره أبو الحسن الباخرزي في " دمية القصر" (٧)وقال: لو قرع الصخر بسوط(٨) تحذيره لذاب، ولو رُبِط(٩) إبليس في مجلسه لتاب.

---

(١) انظر مؤلفاته في: هدية العارفين للبغدادي ١/٦٠٧و٦٠٨ .

(٢) هو الشيخ أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف الجويني، والد أبي المعالي الجويني، إمام الحرمين الشهير، توفي الوالد بنيسابور سنة أربع وثلاثين وأربعمائة. انظر: اللباب ٢٥٧ .

(٣) هو الإمام أبو بكر احمد بن الحسين بن علي بن موسى بن عبد الله البيهقي، الحافظ، الفقيه الشافعي، ولد في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وأخذ عن أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وهو صاحب "السنن"، وغيرها، توفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة. انظر: اللباب ١/١٦٥ .

(٤) تبيين كذب المفتري ٢٧٣ .

(٥) الضمير هنا يعود للخطيب البغدادي كما في تاريخ بغداد ١١/٨٣ .

(٦) أي علم أصول العقائد، أو اصول الدين كما كان معروفا.

(٧) انظر: دمية القصر ٢/٢٤٣-٢٤٥ طبعة بغداد.

(٨) تحرَّفت في "وفيات الأعيان" إلى :"بصوت".

(٩) وفي الدمية: ولو ارتبط.

وقال أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي: أنشدنا عبد الكريم بن هوازن القشيري لنفسه:

سقى الله وقتاً كنت أخلو بوجهكم ... وثغر الهوى في روضة الأنس ضاحك
أقمنا زماناً والعيون قريرةٌ ... وأصبحتُ يوماً والجفون سوافكُ(١)

ومن شعره أيضاً:

إذا ساعدتك الحال فارقب زوالها ... فما هي إلا مثل حلبة أشطر
وإن قصدتك الحادثات ببوسها ... فوسِّع لها ذرع التجلُّد واصبرْ

وكان أبو القاسم كثيراً ما ينشد لبعضهم، وهو: ذو القرنين بن حمدان

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا ... وشهدت كيف نُكرِّرُ التوديعا
أيقنتَ أن من الدموع محدِّثاً ... وعلمتَ أن من الحديث دموعا(٢)

ولد في ربيع الأول سنة ست وسبعين وثلاثمائة.

وتوفي صبيحة يوم الأحد السادس عشر شهر ربيع الآخر، سنة: خمس وستين وأربعمائة، بمدينة نيسابور.

ودفن بالمدرسة تحت شيخه أبي علي الدقاق.

وكان له فرسٌ أهدي إليه، فركبه نحو عشرين سنة، فلما مات الشيخ،لم يأكل الفرس شيئاً، ومات بعد أسبوع(٣).

---

(١) البيتان في: وفيات الاعيان ٣/٢٠٧، وسير أعلام النبلاء ١٨/٢٣٢، وطبقات الأولياء ٢٦٠.

(٢) انظر بعض نظمه في طبقات الشافعية للسبكي ٥/١٦٠-١٦٢، ودمية القصر ٢/٩٩٤-٩٩٦، ووفيات الاعيان لابن خلكان ٣/٢٠٧.

(٣) ذكره المؤيد في تاريخه: " المختصر في اخبار البشر" ٢/١٩٠، والذهبي في سير أعلام النبلاء ١٨/٢٣٣.

ومنهم:

٤٥ - أبو الفُتُوح أحمَد بنُ مُحَمَّدِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أحمدَ الطُّوسيُّ الغَزَاليُّ*

مجد الدين، أخو الإمام الغزالي، الفقيه الشافعي.

رُشدٌ لضُلاَّل، ورفدٌ لحلاَّل، سرت غواديه فظلت، وسرت أياديه فحلّت، وكان يتخلل بالمواعظ، ويتوصَّل إلى ما لم يبلغه كلم واعظ، فملأ أوعية القلوب تذكارا، وترك أودية الخواطر لها أو كارا، ولم يزل زينة العصر، وحلية الأيام أيام النضر، يقوم مقام الجيوش الخضارم، ويرد الأعداء وما طليت بالدماء ظباه الصوارم.

قال ابن خَلِّكان: "كان واعظاً مليح الوعظ، حسن المنظر، صاحب كرامات وإشارات، وكان من الفقهاء، غير أنه مال إلى الوعظ فغلب عليه، ودرَّس بالمدرسة النظامية نيابة عن أخيه أبي حامد لما ترك التدريس زهادةً فيه، واختصر كتاب أخيه أبي حامد المسمى بـ: "إحياء علوم الدين"، في مجلد واحد، وسمَّاه: "لباب الإحياء"، وله تصنيف آخر سماه: "الذخيرة في علم البصيرة"[١]. وطاف البلاد، وخدم الصوفية بنفسه، وكان مائلاً إلى الانقطاع والعزلة.

---

* **ينظر** ترجمته في: المنتظم لابن الجوزي ٩/ ٢٦٠، الكامل في التاريخ ١٠/ ٢٢٨، طبقات ابن الصلاح ١/ ٣٩٧، وفيات الأعيان لابن خلّكان ١/ ٩٧، العبر ٤/ ٤٥، سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٤٣، و٤٩٦، ميزان الاعتدال ١/ ١٥٠، مرآة الجنان ٣/ ٢٢٤، مرآة الزمان ٨/ ١١٩، طبقات الشافعية للسبكي ٦/ ٦٠، الوافي بالوفيات ٨/ ١١٥، طبقات الإسنوي ٢/ ٢٤٥، البداية والنهاية ١٢/ ١٩٦، طبقات الأولياء لابن الملقّن ١٠٢، لسان الميزان ١/ ٢٩٣، النجوم الزاهرة ٥/ ٢٣٠، شذرات الذهب ٤/ ٦٠ .

(١) كتاب الذخيرة: جمع فيه صاحب الترجمة ما فرَّقه أخوه حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في تصانيفه الكثيرة من العلوم، وحصرها في أربعة أصول: في معرفة النفس، وفي معرفة الرب، وفي معرفة الدنيا، وفي معرفة الآخرة. **انظر** "كشف الظنون" لحاجي خليفة ٨٢٥ .

وذكره ابن النجَّار في "تاريخ بغداد" فقال: كان قد قرأ القاريء بحضرته: ﴿ يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ﴾ الآية(١)، فقال: شرَّفهم بياء الإضافة، إلى نفسه بقوله: "يا عبادي!"، ثم أنشد يقول:-

وهانَ عليَّ اللوم في جنب حبِّها ... وقولُ الأعادي: إنه لخليعُ
أصمُّ إذا نُوديتُ باسمي، وإنني ... إذا قيل لي: يا عبدها!، لسميعُ

قال ابن خلّكان: ومثل هذا قول بعضهم:-

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرفُ أسمائي(٢)

وحكي: أنه اجتمع هو وأخوه أبو حامد ليلة، فأذَّن مؤذن العشاء، فتقدم الشيخ أبو حامد فصلَّى إماماً، وصلَّى الشيخ أحمد خلفه، فمرَّ بخاطر أبي حامد وهو واقف يصلي مسائل في الحيض في كتاب كان يصنفه، فلما أتمَّ الصلاة، قام الشيخ أحمد يعيد صلاته!، فقيل له في ذلك؟.

فقال: كيف أصلي خلف رجل منغمس في دم الحيض إلى شحمة أذنيه؟. فسمع قوله أخوه أبو حامد، فقال: صدق والله أخي، لقد مرَّ بخاطري – وأنا قائم أصلي – مسائل في الحيض، واستغرقت في ذلك.

قلت: وليس هذا بمبطل لصلاته حتى يحتاج إلى إعادتها، ولكنه تورّع عن خطرات الخواطر(٣). وتوفي رحمه الله تعالى بقزوين(٤)؛ سنة عشرين وخمسمائة.

---

(١) سورة الزمر – الآية ٥٣ .

(٢) انظر: وفيات الأعيان – ابن خلكان: ١/ ٩٨ .

(٣) قال المناوي: وقد رماه ابن طاهر، وابن الجوزي بأشياء على عادة المحدِّثين والفقهاء مع السادة الصوفية. "الكواكب الدرية للمناوي ٢/ ٢١٧".

(٤) قَزْوين: بفتح القاف وسكون الزاي المعجمة، وكسر الواو، وسكون الياء المثناة من تحتها، وبعدها نون: وهي مدينة كبيرة في عراق العجم عند قلاع الاسماعيلية. ذكره في الوفيات ١/ ٩٨ .

ومنهم:

٤٦ - يُوسُفُ بنُ أيُّوبَ بنِ يُوسُفَ بنِ الحُسَيْنِ بنِ وَهْرَةَ، أبو يعقوب الهمذاني*

الفقيه، الزاهد، ذو الكرامات، ليس يجحدها البهوت، ومقامات ليس يشهدها السكوت، بفمٍ كأنما طبع عليه بخاتم، وكرم طمع لديه حاتم، وصلاح كان شقيق شقيقٍ إخاء، وقرين القرني إذا هبَّ رخاء. له أمور تغني عن الإيضاح، وأسرار مثل الشمس في الإيضاح، فانتهى إليه السؤدد، وإلى رواق العلياء أنه على غيره لم يمدد، لتفرُّده في مانه، وورده الروي من إيمانه.

قال أبو سعد السمعاني: يوسف بن أيوب الهمذاني: من قرية "بُوزَنْجِرْد": قرية من قرى همذان، مما يلي الري(١). الإمام الورع التقي، المتنسِّك، العامل بعلمه، والقائم بحقه، صاحب الأحوال والمقامات الجليلة، وإليه انتهت تربية المريدين الصادقين، واجتمع برباطه بمدينة مرو جماعة من المنقطعين إلى الله تعالى، ما لا يتصور أن يكون في غيره من الرُّبُط مثلهم.

وكان من صغره إلى كبره على طريقة مرضية، وسداد واستقامة، خرج من قريته إلى بغداد، وقصد الإمام أبا إسحاق الشيرازي، وتفقَّه عليه، ولازمه مدة حتى برع في الفقه، وفاق أقرانه خصوصاً في علم النظر.

---

*انظر ترجمته في: الأنساب ٢/ ٣٣٠ (البوزنجردي)، والمنتظم ٩/ ١٧١و١٠/ ٩٤، ٩٥، اللباب ١/ ١٨٦، الكامل ١١/ ٨٠، مرآة الزمان ٨/ ١٠٩، وفيات الأعيان ٧/ ٧٨، ٨١، العبر ٤/ ٩٧، دول الإسلام ٥٢/ ٥٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ٢٦٨، وطبقات الشعراني ١/ ١٥٩، وشذرات الذهب ٤/ ١١٠، ومرآة الزمان ٨/ ١/ ١٨٠، وهدية العارفين ٢/ ٥٥٢، جامع كرامات الأولياء ٢/ ٢٨٩ - ٢٩١.

(١) قال ابن خلِّكان: "بوزنجرد" فهو بضم الباء الموحدة، وسكون الواو، وفتح الزاي والنون، وكسر الجيم، وسكون الراء، وبعدها دال مهملة: وهي قرية من قرى همذان، على مرحلة منها، مما يلي ساوة، كذا قاله أبو سعد السمعاني في كتاب الأنساب (٢/ ٣٥٦).

وكان الشيرازي يقدمه على جماعة كثيرة من أصحابه، مع صغر سنه، لعلمه بزهده، وحسن سيرته، واشتغاله بما يعنيه.

ثم ترك كل ما كان فيه من المناظرة وخلا بنفسه، واشتغل بما هو الأهم من عبادة الله تعالى، ودعوة الخلق إليها، وإرشاد الأصحاب إلى الطريق المستقيم(١).

نزل مرو وسكنها، وخرج إلى هراة وأقام بها مدة، ثم سئل الرجوع إلى مرو في آخر عمره، وخرج منها متوجهاً إلى هراة ثانياً، وعزم إلى الرجوع إلى مرو في آخر عمره، وخرج منها متوجهاً إلى مرو، فأدركته منيته بـ: "يامَيَين" بين "هراة" و"بَغْشُور" (٢)، في شهر ربيع الأول، سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، ودفن، ثم نقل بعد ذلك إلى مرو(٣).

وقال غير السمعاني: قدم يوسف الهمذاني بغداد في سنة خمس عشرة وخمسمائة، وحدَّث بها، وعقد بها مجلس الوعظ بالمدرسة النظامية، وصادف بها قبولاً عظيماً من الناس.

قال أبو الفضل صافي بن عبد الله الصوفي الشيخ الصالح: حضرت مجلس شيخنا يوسف الهمذاني في النِّظاميَّة، وكان قد اجتمع العالم، فقام فقيه يعرف بابن السقاء، وآذاه، وسأله عن مسألة؟، فقال له الإمام يوسف: "اجلس فإني أجد من كلامك رائحة الكفر!". ولعلك تموت على غير دين الإسلام!.

قال أبو الفضل: فاتفق أنه بعد هذا القول بمدة، قدم رسول نصراني من ملك الروم إلى الخليفة، فمضى إليه ابن السقاء وسأله أن يستصحبه، وقال له: يقع لي أن أترك دين الإسلام

---

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/٦٧، وتاريخ الإسلام ٣٦/٣٩٧، ووفيات الأعيان ٧/٧٩-٨٠.

(٢) ضبطها ابن خلّكان بفتح الباء الموحدة، وسكون العين المعجمة، وبعد الواو الساكنة راء، وقال: "هي بليدة بخراسان بين مرو وهراة"، وانظر الخبر في "الوفيات" ٧/٧٩،٨٠.

(٣) وفيات الأعيان ٧/٨٠ وقال: "وكان مولده - تقديراً لا تحقيقاً في سنة أربعين أو إحدى وأربعين وأربعمائة ببوزنجرد، رحمه الله تعالى".

وأدخل في دينكم!. فقبله النصراني، وخرج معه إلى القسطنطينية، والتحق بملك الروم، وتنصَّر ومات على النصرانية، والعياذ بالله تعالى من الضلال(١).

وقال ابن النجار في ترجمة يوسف المذكور:

"سمعت أبا الكرم عبد السلام بن أحمد المقرىء يقول: كان ابن السقاء قارئاً للقرآن الكريم، مجوِّداً لتلاوته، حدثني من رآه بالقسطنطينية ملقى على دكة مريضاً، وبيده خلق مروحة يدفع بها الذباب عن وجهه. قال فسألته: هل القرآن باق على حفظك؟.

فقال: ما أذكر منه إلا آية واحدة: ﴿رُبَمَا يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾(٢)، والباقي أنسيته!(٣).

نعوذ بالله من سوء القضاء، وزوال نعمته، وحلول نقمته، ونسأله الثبات [على دين الإسلام]، والعصمة، آمين(٤).

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا(٥).

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١١ / ٨٠، وتاريخ الإسلام ٣٦ / ٣٩٨، وسير أعلام النبلاء ٢٠ / ٦٧-٦٨ .

(٢) سورة الحجر – الآية ٢ .

(٣) انظر الخبر في: وفيات الأعيان ٧ / ٧٩، و" طبقات الأسنوي" ٢ / ٥٣٢، و" النجوم الزاهرة" ٤ / ١١١ .

(٤) سئل أبو الحسين المقدسي: هل رأيت ولياً لله ؟، فقال: رأيت في سياحتي أعجمياً بمرو يعظ، ويدعو إلى الله تعالى، يقال له: يوسف .قال أبو سعد: ولما عزمت على الرحلة، دخلت على شيخنا يوسف مودِّعاً، فصوَّب عزمي، وقال: أوصيك:" أن لا تدخل على السلاطين، وأبصر ما تأكل، لا يكون حراما" .

(٥) قال العلامة المناوي في طبقاته " الكواكب الدرية" : مات الشيخ صاحب الأحوال والكرامات سنة خمس وثلاثين وخمسمائة " .

انظر: الكواكب الدرية في طبقات الصوفية ٢ / ٣١٥،و ذكره السمعاني في "الأنساب " ٢ / ٣٣١ .

ومنهم:

٤٧ - عَدِيّ بنُ مُسافر بنِ إسماعيلَ بن موسى بنِ مروانَ بنِ الحَسَنِ ابنِ مروانَ الهَكَّاريُّ*

من ولد معاوية بن أبي سفيان(١).

ولي لله عرف أيامه من أمسها، وقدم له يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، قصر جناح النسر عن تدويمه، وقصر طماح الطرف دون تحويمه، وخالف الأماني في مرادها، وخلف وراءه وكبد الآمال مرادها، فما ألهاه من الدنيا غرورها، ولا ازدهاه حزنها ولا سرورها، وشكته الأيام إذ كان من أدوائها، وجفته إذ لم يكن من أودائها، ثم جاءت إليه بالجميل منقادة، وانقادت له بالرعيل ومن قاده، وله في آل حرب نسب سالمته القبائل، وحاكمته فلم يقض لها معه بطائل، هذا إلى كرم بدين، وفضل كان يراه على ذمته كالدين، وكان فيه أمل، وله عمل ما عليه مزيد إلا أن طائفته غلوا فيه فغووا، ونووا فيه نية فغووا، وغلب عليهم الهوى فاضلهم، ودلاهم المغرور ودلّهم، ولكل معزّ مذلّ، ومن يهد الله فما له من مضل.

---

*انظر ترجمته في: الكامل في التاريخ ١١ /٢٩٨، وتاريخ إربل ١ /١١٤، ١١٥ رقم ٤١، وفيه "عدي بن سافر"، ووفيات الأعيان ٣ /٢٥٤،٢٥٥، والحوادث الجامعة ٢٧١ - ٢٧٤، وبهجة الأسرار ١٠٠ - ١٠٥، والمختصر في أخبار البشر ٣ /٤٠، ودول الإسلام ٢ /٧٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠ /٣٤٢ - ٣٤٤، رقم ٢٣٣، والمعين في طبقات المحدثين ١٦٧ رقم ١٧٩٦، والعبر ٤ /١٦٣، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٢٩، وتاريخ ابن الوردي ٢ /١٠٠ - ١٠٣، ومرآة الجنان ٣ /٣٩، والبداية والنهاية ١٢ /٢٤٣، وروضة المناظر ١٢ /٦٨، والكواكب الدرية ٢ /٩٣، والنجوم الزاهرة ٥ /٢٦١، والطبقات الكبرى للشعراني ١ /٨١، وشذرات الذهب ٤ /١٧٩، وجامع كرامات الأولياء للنبهاني ٢ /١٤٧، وهدية العارفين ١ /٦٦٢، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ق٢ ج ٢ /٣١٣،٣١٤، رقم ٦٦٩، والأعلام ٥ /١١، وفهرس دار الكتب المصرية ٢ /٧٢ .

(١) والهكّاري: نسبة إلى جبل الهكارية من أعمال الموصل. " انظر: تاريخ ابن الوردي ٢ /٦٤، وعبر الذهبي ٤ /١٦٣، والشذرات ٤ /١٧٩، والأعلام للزركلي٥ /١١".

وسار ذكره في الآفاق، وتبعه خلق كثير، وهم "الطائفة العَدَوِيَّة"، وجاوز حسن اعتقادهم فيه الحدَّ، حتى جعلوه قبلتهم التي يصلُّون إليها،وذخيرتهم في الآخرة التي يعوِّلون عليها.

وكان قد صحب جماعة كثيرة من أعيان المشايخ، والصلحاء المشاهير، مثل عقيل المنبجي، وحماد الدباس، وأبي النجيب عبد القاهر السهروردي، وعبد القادر الجيلي، وأبي الوفاء الحلواني.

ثم انقطع إلى جبل الهَكَّارِيَّة، من أعمال الموصل، وبنى له هناك زاوية، ومال إليه أهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لأرباب الزوايا مثله.

قلت: وقد هاجر زين الدين ابن أخي الشيخ إلى البلاد، فأكرمت ملوكنا مقدمه، وأمر إمرة كثيرة، وانقطع في قرية تعرف ببيت فار(١). وكان بها، وكان منغمساً في النعم والملاذ، يعيش عيش الملوك من اقتناء الغلمان والجواري والملابس، وتمد لديه أسمطة ملوكية.

وحكي أن بعض نساء القياصرة كانت مغراة بالشيخ زين الدين، مطنبة في تعظيمه، متغالية في الاعتقاد لصلاحه، وأنفقت عليه أموالاً جليلة، وكانت غير مصغية إلى عَذول يعذلها في حبه، وخواصُّها يلومونها على تبذير أموالها، ويذكرون لها ما كان يتعاطاه من الأمور القبيحة، ولا يزداد إلا غياً وتماديا، فتوصلوا إلى أن حملوها في قفة، وأشرفوا بها عليه وهو عاكف على المنكرات، فما زادها ذلك إلا ضلالا، وقالت: أنتم تنكرون هذا عليه، إنما الشيخ يتدلل على ربه!، وضاعفت له الإنفاق، ولم تمسك خشية الإملاق.

وحكى لي شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي الكاتب رحمه الله تعالى، قال: بعثت مع الأمير الكبير علم الدين سنجر الدواداري(٢)، ليحلفه في أول الدولة الأشرفية؛

---

(١) وهي مكان مولد الشيخ، من أعمال بعلبك." وفيات الاعيان ٣ / ٢٥٤".

(٢) هو علم الدين وسيف الدين سنجر بن عبد الله الدواداري، أو الدويداري، التركي، توفي بحصن الاكراد بالقرب من حمص، في رجب سنة ٦٩٩هجرية، وذلك أثر جراحة أصابته في وقعة وادي الخزندار من السنة المذكورة.

انظر: العبر للذهبي ٣/٣٩٩، وتذكرة النبيه لابن حبيب ١/٢٢٩، وعقد الجمان للعيني ٢٩/١٩٦ .

فأتيناه وهو في قريته، مثل الملك في قلعته، للتجمل الظاهر، والحشمة الزائدة، والفرش الأطلس، وآنية الذهب والفضة، والعصار الصيني، وأشياء تفوت العد، إلى غير ذلك من الأشربة المختلفة الألوان، والأطعمة المنوعة، فلما دخلنا عليه لم يحتفل بنا، وأتاه الأمير علم الدين، فقبل يده، وهو جالس لم يقم، فبقي الدواداري قائماً قدامه يحدثه، وزين الدين يسأله، لا هو يجلس، ولا زين الدين يقول له اجلس، ثم أمره بالجلوس فجلس على ركبتيه متأدباً بين يديه، ثم أنعم علينا بجملة طائلة تقارب خمسة عشر ألف درهم.

قلت: وقد كان يحلف منهم الشيخ عز الدين أميرا، وأُمّر، وبقي مدة أميراً بدمشق ، ثم بصفد، ثم بدمشق، ثم ترك الإمارة، وآثر الانقطاع، وأقام بالمزة، وكانت الأكراد تأتيه من كل قطر بصفايا أموالها، تقرباً إليه، ومنهم على ما حكى من كان يجلس بين يديه.

ثم إنه أراد الخروج على السلطان وتبعه طوائف الأكراد من كل بلد، وباعوا أموالهم بالهوان، واشتروا الخيل والسلاح، وآلات الحرب ، ووعد رجالاً ممن تبعه بالنيابات الكبار، ونزل بأرض اللجون، وأتى السلطان خبرهم، وأنهم على هذا لم يؤذوا أحداً في نفس ولا مال، وإنما يبيعون أموالهم بالرخص، ويشترون الخيل والسلاح بالغالي، فأمر تنكز نائب الشام بكشف أخبارهم، وقصّ آثارهم، وأمسك السلطان من كان بالزاوية العدوية بالقرافة.

واختلفت الأخبار؛ فقيل: إنهم يريدون سلطنة مصر، وقيل: بل كانوا يريدون ملك اليمن، وقلق السلطان لأمرهم، وأهمه، إلى أن أمسك تنكز نائب الشام عز الدين المذكور، وأودع الاعتقال، حتى مات، وفرق الأكراد، ولولم يتدارك لأوشك أن يكون لهم نوبة.

ومولد الشيخ عدي بقرية يقال لها "بيت فار" من أعمال بعلبك، والبيت الذي ولد فيه يزار إلى الآن(١).

وتوفي سنة سبع ، وقيل: سنة خمس وخمسين وخمسمائة(٢)، في بلده بالهكارية ،

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٢٥٤ .

(٢) في تاريخ إربل أنه توفي سنة ٥٥٥هجرية، وفيها: أورده في " البداية والنهاية" .

ودفن بزاويته، وقبره عندهم من المزارات المعدودة، والمشاهد المقصودة، وحفدته إلى الآن يقيمون إمارة، والناس معهم على ما كانوا عليه زمن الشيخ من جميل الاعتقاد، وتعظيم الحرمة.

وكان مظفر الدين صاحب إربل يقول: رأيت الشيخ عدي بن مسافر، وأنا صغير بالموصل، وهو شيخ ربع ، أسمر اللون، وكان يحكي عنه صلاحاً كثيراً. وعاش تسعين سنة رحمه الله تعالى(١).

ومنهم:

٤٨ - أحمدُ المعروف بابن الرفاعي(٢) أبو العباس بنُ أبي الحسنِ عليِّ بنِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ حازمٍ بنِ عليِّ بنِ رفاعَةَ*

عرف حقه الأنام، وألفت فضله الأيام، أيُّ رجلٍ، وأيُّ بطل، مثله في الخواطر لم يجل، طالما اهتز في يديه كلُّ أخضر، وأهزله رداء ألقى المهابة في قلوب الحُضَّر، وكان لو من

---

(١) انظر: تاريخ إربل ١/١١٥، و"وفيات الأعيان" ٣/٢٥٤و٢٥٥ .

وقال العلامة المناوي في "الكواكب الدرية" ٢/٢٦٨ ما نصّه: " اثنى عليه العارف الكيلاني رضي الله عنه، ونوّه بذكره، وشهد له بالسلطنة على أهل مصره، وقال: لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها عدي. وكانت السباع والهوامّ تألفه وتحوم حوله، وتظهر أنها تعرفه، وكانت له مواعظ ترق كالماء انسجاما، وتروق كالزهر ابتساما.

ومن كلامه رضي الله عنه: " إذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات الخوارق فلا تعبؤوا به حتى تنظروه عند الأمر والنهي، فإنّ جمعاً من الكفار أظهروا خوارق وعجائب وهم كفار" .

(٢) الرفاعي بكسر الراء وفتح الفاء، وبعد الألف عين مهملة، هذه النسبة إلى رجل من العرب، يقال له: رفاعة، هكذا نقلته من خط بعض أهل بيته – والقول لابن خلكان – وفيات الأعيان ١/١٧٢ –.

* انظر ترجمته في: الكامل في التاريخ ١١/٤٩٢، ووفيات الأعيان ١/١٧١، ومرآة الزمان ٨/٣٧٠، ٣٧١، والمختصر في أخبار البشر ٣/٦٥و٦٦، ودول الإسلام ٢/٩٠، وسير اعلام النبلاء ٢١/٧٧،٨٠ رقم ٢٨، والعبر ٤/٢٣٣، والمعين في طبقات المحدثين ١٧٧ رقم ١٨٨٤، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٣٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/٩٢، والبداية والنهاية ١٢/٣١٢، ومرآة الجنان ٣/٤٠٩ – ٤١٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/٤٠، والوافي بالوفيات ٧/٢١٩، رقم ٣١٧٧، ومختصر تاريخ ابن الساعي ١١٢، والعسجد المسبوك ٢/١٨٧، والنجوم الزاهرة ٦/٩٢، وتاريخ ابن أسباط ١/١٦٣، وشذرات الذهب ٤/٢٥٩ – ٢٦٢، والطبقات الكبرى للشعراني ١/١٦٤، والكواكب الدرية للمناوي٢/٢١٨–٢٢٧ ط صادر .

السحاب لم يعبأ بنواله، واستقر له استقرار الجبل لا يعن بزواله، وجاء في عصر مشعشع بالأولياء، وزمان مترعرع بمواليد الأتقياء، وكان دونهم مدلى اللهب، ومواطيء أقدام طائفته منها على أرض من الذهب، ورأوا النار برداً وسلاماً فاقتحموها، وخاصموا ألسنتها والجموها، إلى نهش الأفاعي وقد لفح سمومها، ونفح كالشرار سمومها، يأكلونها أكلاً لمًّا، ويحبونها حباً جمًّا.

هذا وشأن أشياعه حجب العنا، وطل العنا، وغير هذا مما ابتدعوه، وابتدوه، ونسبوه إليه وشنعوه، مما لم يكن عليه، ولا يمكن أن ينسب إليه.

كان – رضي الله عنه – رجلاً صالحاً، فقيهاً، شافعي المذهب.

قدم أبوه العراق، وسكن البطائح[١] بقرية يقال لها: " أم عَبِيدَة "–بفتح العين –، فتزوج باخت الشيخ منصور الزاهد، ورزق منها الشيخ أحمد، وإخوته.

وكان أبو الحسن مقرئاً يؤمُّ بالشيخ منصور، فمات وزوجته حامل بالشيخ أحمد، فربَّاه خاله منصور، فقيل: إنه ولد في أول المحرم سنة خمسمائة[٢].

ونشأ أحسن نشأة، وانضم إليه خلق عظيم من الفقراء، وأحسنوا الاعتقاد فيه وتبعوه.

والطائفة المعروفة بالرفاعية، والبطائحية من الفقراء منسوبة إليه.

ولأتباعه أحوال عجيبة، من أكل الحيَّات وهي حيَّةٌ، والنزول في التنانير وهي تتضرم بالنار فيطفئونها، ويقال: إنهم في بلادهم يركبون الأسود، ومثل هذا وأشباهه، ولهم مواسم يجتمع عندهم من الفقراء عالَمٌ لا يُعَدُّ، ولا يُحصَى، ويقومون بكفاية الكل.

---

(١) البطائح: بفتح الباء الموحدة، والطاء المهملة، وبعد الألف ياء مثناة من تحتها، ثم حاء مهملة – وهي عدة قرى مجتمعة في وسط الماء، بين واسط والبصرة، ولها شهرة بالعراق. انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ١٧٢ .

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة ثمان وسبعين وخمسمائة – ص ٢٤٨و٢٤٩ .

ولم يكن له عقب، وإنما العقب لأخيه، وأولاده يتوارثون المشيخة والولاية على تلك الناحية إلى الآن، وأمورهم مشهورة.(١)

وله شعر، فمنه على ما قيل:-

إذا جَنَّ ليلي هامَ قلبي بذكركم أنوحُ كما ناحَ الحمامُ المطوَّقُ
وفوقي سحاب يمطر الهمَّ والأسى وتحتي بحار بالأسى تتدفق
سلوا أمَّ عمروٍ كيف بات أسيرها تفكُّ الأُسارى دونه وهوموثق
"فلا هو مقتول ، ففي القتل راحةٌ ولا هو ممنون عليه فيطلق"(٢)

قيل: إنه أقسم على أصحابه: إن كان فيه عيبٌ ينبهونه عليه.

فقال الشيخ عمر الفاروثي(٣): يا سيدي! أنا أعلم فيك عيباً!.

قال: ما هو؟.

قال: يا سيدي! عيبك أننا من أصحابك.

فبكى الشيخ والفقراء، وقال: أي عمر! إن سلم المركب حمل من فيه.

قيل: إن هرة نامت على كُمِّ الشيخ أحمد، وقامت الصلاة، فقصَّ كمَّه، ولم يزعجها، ثم قعد فوصله، وقال: ما تغير شيء!.

وقيل: توضأ، فنزلت بعوضة على يده، فوقف لها حتى طارت.

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلّكان ١/١٧١-١٧٢، وتاريخ الإسلام ٤٠/٢٥٥، والكواكب الدرية ٢/٢٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢١/٨٠ .

(٢) يبدو أنه ضمَّن هذين البيتين ، فهما من قديم الشعر لشبيب بن البرصاء كما في الأغاني ١٢/٢٥٤،٢٧٢ وذكر الذهبي في تاريخ الإسلام أن سبب وفاة سيدي أحمد أبيات أنشدت بين يديه ، تواجد عند سماعها تواجداً كان سبب مرضه الذي مات فيه، وكان المنشد لها الشيخ عبد الغني بن نقطة حين زاره، ثم ذكر الأبيات السالفة، انظر: تاريخ الإسلام ٤٠/٢٥٣-٢٥٤ .

(٣) الفاروثي: نسبة إلى فاروث من قرى واسط، وهي براء مضمومة بعد الألف، ثم واو ساكنة، ثم مثلثة. انظر: توضيح المشتبه ٧/١٢ .

وعنه قال: أقرب الطرق الانكسار، والذلّ، والافتقار، تُعَظِّمُ أمرَ الله، وتشفقُ على خلق الله، وتقتدي بسنة سيدك رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

وقيل: كان يجمع الحطب، ويجيء به إلى بيوت الأرامل، ويملأ لهم الجرة.

قيل له: أيش أنت يا سيدي؟.

فبكى فقال: أي فقير!، ومن أنا في البين، ثبِّتْ نسبْ واطلب ميراث.

وقال: لما اجتمع القوم وطلب كلُّ واحد شيء(٢)، دارت النوبة إلى هذا اللاشيء أحمد!. وقيل: أي أحمدُ! اطلبْ. قلت: أي ربِّ! علمك محيط بطلبي، فكرر عليّ القول، قلت: أي مولاي! أريد أن لا أريد، وأختار أن لا يكون لي اختيار. فاجابني، وصار الأمر له وعليه.

وقيل: إنه رأى فقيراً يقتل قملة، فقال: لا واخذك الله ، شفيت غيظك؟!.

وعنه أنه قال: لو أن عن يميني خمسمائة(٣) يروِّحوني بمراوح الندّ والطيب، وهم من أقرب الناس إليّ، وعن يساري مثلهم من أبغض الناس إلي، معهم مقاريض يقرضون بها لحمي، ما زاد هؤلاء عندي، ولا نقص هؤلاء عندي بما فعلوه، ثم قرأ: ﴿ كي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ﴾.(٤)

وقيل: أتي إليه بطبق تمر، فبقي ينقي لنفسه الحشف يأكله، ويقول: "أنا أحقُّ بالدون من غيري، فإني مثله دون"!.

---

(١) سير اعلام النبلاء ٢١/٧٨-٧٩ .

(٢) هكذا في الأصل وفي " سير أعلام النبلاء " وذكر محققا الكتاب ما نصه:" هكذا في الأصل – أي من سير اعلام النبلاء – وفي "تاريخ الإسلام" وفي طبقات الشافعية الوسطى للسبكي ، وفي نسخ من طبقاته الكبرى. وقد غيرها محققو الطبقات الكبرى إلى" شيئاً" حسب القواعد النحوية، وكثير من مثل هذا الكلام لا تجد التزاماً بالقواعد النحوية فيه، فالاولى تثبيته كما جاء. **انظر** :سير أعلام النبلاء ٢١/٧٩ .

(٣) هكذا في الأصل المخطوط، وكذا في تاريخ الإسلام ٤٠/٢٥١، وفي سير اعلام النبلاء " جماعة" بدلاً من خمسمائة. " سير اعلام النبلاء ٢١/٧٩ .

(٤) سورة الحديد – الآية ٢٣ .

وكان – رضي الله عنه – لا يجمع بين لبس قميصين لا في شتاء، ولا في صيف، ولا يأكل إلا بعد يومين أو ثلاثة أكلة، وإذا غسل ثوبه ينزل في الشطِّ كما هو قائم يفركه، ثم يقف في الشمس حتى ينشف.

وإذا ورد عليه ضيفٌ، يدور على بيوت أصحابه يجمع الطعام في مئزر.

وقال: " الفقير المتمكِّن إذا سأل حاجة، وقضيت له ، نقص من تمكنه درجة. "(١)

وتوفي رضي الله عنه، يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، بأم عَبيدَة، وهو في عشر السبعين.

وكان لا يقوم للرؤساء ، ويقول: النظر إلى وجوههم يقسي القلب".

ومنهم:

٤٩ - الشَّيخُ عبدُ القَادرِ بنُ أبي صَالح عبدِ الله(٢) بنِ جَنكِي دوست(٣) الجيلي الحنبلي*

علم الأولياء، محيي الدين، سيد طائفة كانوا بالنهار لا يفترون، وبالأسحار هم

(١) سير أعلام النبلاء ٢١ / ٨٠، وتاريخ الإسلام ٤٠ / ٢٥٠–٢٥١

(٢) في طبقات ابن رجب " عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله" بزيادة لفظ "بن" ، وفي تتمة المختصر" عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست، وفي أعلام الزركلي : عبد القادر بن موسى بن عبد الله.

(٣) في "فوات الوفيات" : ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، وأورد ابن رجب نسبه إلى الحسن ابن علي رضي الله عنهما، وفي "معجم الشيوخ"١ / ٥٢: جنكي دوست: أي عظيم القدر.
وانظر: "المعجم الفارسي" في معاني "دوست".

* **انظر** ترجمته في : الأنساب ٣ / ٤١٥، والمنتظم ١٠ / ٢١٩ رقم ٣٠٨، ١٨ / ١٧٣، رقم ٤٢٥٩، والكامل في التاريخ ١١ / ٣٢٣، ومرآة الزمان ٨ / ٢٦٤ – ٢٦٦، وبهجة الأسرار في مناقب سيدي عبد القادر للشطنوفي، والمختصر في أخبار البشر، ٣ / ٤٣، والعبر ٤ / ١٧٥، ١٧٦، والمعين في طبقات المحدِّثين ١٦٩ رقم ١٨١٠، ودول الإسلام ٢ / ٧٥، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٣١، وسير أعلام النبلاء ٢٠ / ٤٣٩– ٤٥١، رقم ٢٨٦، وتاريخ ابن الوردي ٢ / ١٠٧– ١١١، وفوات الوفيات ٢ / ٣٧٣، ٣٧٤، ومرآة الجنان ٣ / ٣٤٧ – ٣٦٦، والبداية والنهاية ١٢ / ٢٥٢، والذيل على طبقات الحنابلة ١ / ٢٩٠ – ٣١٠، والنجوم الزاهرة ٥ / ٣٧١، والطبقات الكبرى للشعراني ١ / ١٠٨، وتاريخ الإسلام، وفيات سنة ٥٦١ ص ٨٦ .

يستغفرون، طلع من هاشم بن عبد مناف في الذوائب، وكرع منه في غدير لم يرفق بالشوائب، وكان من الشرف في شامخ قلاله، وراسخ النسب العلوي في كرم خلاله، وكان له مجلس يوالي فيه الانتحاب، ويحرك فيه الأصحاب،﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب ﴾(١) فما برح اجتهاده محدودا، وجهاده يقول:﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾.(٢)

وكان مخلصاً دون أشكاله، ومخلصاً توكل على الله حق اتكاله، على أنه من بقية قوم يرجعون كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون، وصلوا الليالي بالأسحار، وركبوا ثبج الفيافي وقفار البحار، فحمدوا ما كانوا يعملون، وعلى ربهم كانوا يتوكلون.

مولده بجيلان(٣)، سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. وقدم بغداد شاباً، فتفقه على أبي سعيد المخرِّمي(٤). وسمع الحديث من جماعة، وحدَّث عن طائفة من الكبار.

قال السمعاني: " كان عبد القادر من أهل جيلان إمام الحنابلة، وشيخهم في عصره. فقيهٌ صالحٌ، دَيِّنٌ خيِّرٌ، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع الدمعة. تفقَّه على المخرَّمي، وصحب الشيخ حمَّاداً الدباس.

قال: وكان يسكن بباب الأَزجِ في مدرسة بنيت له، مضينا لزيارته، فخرج وقعد بين أصحابه، وختموا القرآن، فألقى درساً ما فهمتُ منه شيئاً، وأعجبُ من ذا أن أصحابه قاموا وأعادوا الدرس، فلعلَّهم فهموا، لإلفهم بكلامه وعبارته.(٥)

وقال ابن الجوزي: " كان أبو سعد المخرَّمي قد بنى مدرسة لطيفة بباب الأزج، ففوِّضت إلى عبد القادر، فتكلم على الناس بلسان الوعظ، وظهر له صيت بالزهد، وكان له سمتٌ

---

(١) سورة النمل – الآية ٨٨ .

(٢) سورة الإسراء – الآية ٧٩ .

(٣) وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان، ويقال لها: " كيل، وكيلان" والنسبة إليها جيلي، وجيلاني، وكيلاني. انظر: الانساب ٣/ ٤١٤ .

(٤) تحرفت النسبة في (الذيل على طبقات الحنابلة ١/ ٢٩٠) إلى " المخرامي" ، وفي مرآة الجنان ٣/ ٣٥١ إلى "المخزومي" .

(٥) **انظر**: طبقات ابن رجب ١/ ٢٩١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٤١، وتاريخ الإسلام ٣٩/ ٨٩ .

وصمتٌ، وضاقت المدرسة بالناس، فكان يجلس عند سور بغداد مستنداً إلى الرباط، ويتوب عنده في المجلس خلقٌ كثير، فعُمِّرت المدرسة، ووُسِّعت، وتعصَّب في ذلك العوام، وأقام فيها يدرِّس ويعظ إلى أن توفي.(١)

وقال الشيخ أبو بكر العماد - رحمه الله تعالى -: كنت قرأت في أصول الدين، فأوقع عندي شكاً، فقلت: حتى أمضي إلى مجلس الشيخ عبد القادر، فقد ذكر أنه يتكلم على الخواطر، فمضيت وهو يتكلم، فقال: اعتقادنا اعتقاد السلف الصالح والصحابة. فقلت في نفسي: هذا قاله اتفاقاً. فتكلم ثم التفت إلى ناحيتي، فأعاده، فقلت: الواعظ قد يلتفت!. فالتفت إليّ ثالثة، وقال: يا أبا بكر! ، فأعاد القول، ثم قال: قم قد جاء أبوك، وكان غائباً، فقمت مبادراً، وإذا أبي قد جاء(٢).

وقال أبو البقاء النحوي: حضرت مجلس الشيخ عبد القادر، فقرؤوا بين يديه بالألحان، فقلت في نفسي: تُرى لأي شيء ما ينكر الشيخ هذا؟.

فقال: يجيء واحد قد قرأ أبواباً من الفقه ينكر!.

فقلت في نفسي: لعل أنه قصد غيري. فقال: إياك نعني بالقول، فتبت في نفسي من اعتراضي، فقال: قد قبل الله توبتك(٣).

وقال السهروردي: عزمت على الاشتغال بأصول الدين، فقلت في نفسي: أستشير الشيخ عبدالقادر؛ فأتيته، فقال قبل أن أنطق: يا عمر!، ما هو من عُدَّة القبر، يا عمر! ما هو من عدَّة القبر!(٤).

---

(١) انظر: المنتظم لابن الجوزي ١٠/٢١٩ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٤٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٤٣ .

(٤) انظر: طبقات ابن رجب ١/٢٩٦،٢٩٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤٤٣ .

وقال الشيخ عبد القادر: طالبتني نفسي يوماً بشهوة، فكنت أضاجرها، وأدخل في درب، وأخرج من آخر أطلب الصحراء، فرأيت رقعةً ملقاةً، فإذا فيها: ما للأقوياء والشهوات؟!، وإنما خلقت الشهوات للضعفاء. فخرجت الشهوة من قلبي.

قال: وكنت أقتات بخرُّوب الشوك، وورق الخس، من جانب النهر(١).

وحكى ابن النجار عن الشيخ عبد القادر قال: " بلغت بي الضائقة في الغلاء إلى أن بقيت أياماً لا آكل طعاماً، بل أتبع المنبوذات، فخرجت يوماً إلى الشط، فوجدت قد سبقني الفقراء، فضعُفت، وعجزت عن التماسك، فدخلت مسجداً، وقعدتُ، وكدت أصافح الموت، ودخل شاب أعجميّ ومعه خبز وشواء، فرآني، فقال: بسم الله ، فأبيت، فأقسم علي، فأكلت مقصراً، وأخذ يسألني، ما شغلك؟ ومن أين أنت؟. فقلت: متفقِّه من جيلان، قال: وأنا من جيلان، فهل تعرف لي شاباً جيلانياً اسمه عبد القادر يُعرف بسبط أبي عبد الله الزاهد؟.

فقلت: أنا هو!. فاضطرب لذلك ، وتغير وجهه، وقال: والله يا أخي، لقد وصلت إلى بغداد ومعي بقية نفقة لي، فسألت عنك، فلم يرشدني أحد إلى أن نفدت نفقتي، وبقيت بعدها ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي إلا من مالك، فلما كان هذا اليوم الرابع، قلت: قد تجاوزَتْني ثلاثةُ أيام، وحلَّت لي الميتة، فأخذت من وديعتك ثمن هذا الخبز والشواء، فكُلْ طيباً، فإنما هو لك، وأنا ضيفك الآن. فقلت: وما ذاك؟. قال: أمُّك وجَّهت معي ثمانية دنانير، والله ما خُنتُك فيها إلى اليوم، فسكَّنتُه، وطيَّبتُ نفسه، ودفعتُ إليه شيئاً منها(٢).

وحكي عنه أيضاً أنه قال: " كنت في الصحراء أكرر في الفقه وأنا في فاقة، فقال لي

---

(١) انظر: طبقات ابن رجب ١/٢٩٨، و" فوات الوفيات" ٢/٣٧٣،٣٧٤، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤٤٤.

(٢) انظر: طبقات ابن رجب ١/٢٩٩، والنص فيه: وكان ربما أغشي علي، فيغسلوني، ويحسبوني أني متُّ من الحال التي تطرقني. وكذا انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٤٥.

قائل – لم أر شخصه –: اقترِضْ ما تستعين به على طلب الفقه.

فقلت: كيف أقترض وأنا فقيرٌ ولا وفاء لي؟. قال: اقترض وعلينا الوفاء.

فأتيت بقالاً، فقلت: تعاملني بشرط: إذا سهَّل الله أعطيتك، وإن مُتُّ تجعلني في حلٍّ؟. تعطيني كل يوم رغيفاً ورشاداً.

فبكى وقال: أنا بحكمك. فأخذت منه مدَّةً، فضاق صدري، فقيل لي: امضِ إلى موضع كذا، فأيَّ شيءٍ رأيت على الدكّة، فخذه، وادفعه إلى البقال. فلما جئت رأيت قطعة ذهبٍ كبيرة، فأعطيتها البقلي[1].

ولحقني الجنون مرة، وحملت إلى المارستان، فطرقتني الأحوال حتى حسبوا أني متُّ، وجاؤوا بالكفن، وجعلوني على المغتسل، ثم سُرِّي عني، وقمتُ، ثم وقع في نفسي أن أخرج من بغداد لكثرة الفتن، فخرجت إلى باب الحلبة، فقال لي قائل: إلى أين تمشي؟!، ودفعني دفعة خررت منها، وقال: إرجعْ فإن للناس فيك منفعة. قلت: أريد سلامة ديني. قال: لك ذاك، ولم أرَ شخصه.

ثم بعد ذلك طرقتني الأحوال، فكنت أتمنى من يكشفها لي، فاجتزت بالظَّفَرِيَّة[2]، ففتح رجلٌ داره، وقال: يا عبد القادر!، أيش طلبت البارحة؟. فنسيتُ، فسكتُّ، فاغتاظ، ودفع الباب في وجهي دفعة عظيمة، فلما مشيت ذكرتُ فرجعتُ أطلبُ الباب، فلم أجده.

قال: وكان حماداً الدباس، ثم عرفته بعدُ، وكشف لي جميع ما كان يشكل علي، وكنت إذا غبتُ عنه لطلب العلم وجئت، يقول: أيش جاء بك إلينا؟ أنت فقيه، مُرَّ إلى الفقهاء، وأنا أسكت، فلما كان يوم جمعة، خرجت مع الجماعة في شدة البرد، فدفعني ألقاني في الماء، فقلت: غُسلَ الجمعة، بسم الله، وكان عليَّ جبَّةُ صوف، وفي كمي أجزاء،

---

(١) سير اعلام النبلاء ٢٠/٤٤٥.

(٢) محلة بشرقي بغداد كبيرة.

فرفعتُ كُمِّي لئلا تهلك الأجزاء، وخلّوني، ومشَوا، فعصرتُ الجبَّة، وتبعتُهم، وتأذَّيت بالبرد كثيراً، وكان الشيخ يؤذيني، ويضربني، وإذا جئت يقول: جاءنا اليوم الخبزُ الكثير، والفالوذج، وأكلنا وما خبَّأنا لك وحشةً عليك!. فطمع فيَّ أصحابُه، وقالوا: أنت فقيه، أيش تعمل معنا؟،فلما رآهم يؤذونني، غارَ علي، وقال: يا كلاب! لم تؤذونه؟ والله ما فيكم مثله!، وإنما أوذيه لأمتحنه، فأراه جبلاً، لا يتحرك، ثم بعد مدة، قدم رجل من همذان، يقال له: يوسف الهمذاني، وكان يقال: إنه القطب، ونزل في رباط، فمشيت إليه، لم أرهُ، وقيل لي: هو في السرداب، فنزلت إليه، فلما رآني قام، وأجلسني، ففرشني، وذكر لي جميع أحوالي، وحلَّ لي المشكل عليَّ، ثم قال لي: تكلَّم على الناس. فقلت: يا سيدي! أنا رجل أعجميٌّ، قُح، أخرس، أتكلَّم على فصحاء بغداد؟!. فقال لي: أنت حفظت الفقه وأصوله، والخلاف والنحو، واللغة، وتفسير القرآن، لا يصلح لك أن تتكلم؟. اصعد على الكرسي، وتكلَّم، فإني أرى فيك عِذقاً سيصير نخلة.(١)

قال: وكنت أُومر، وأُنهى، في النوم واليقظة، وكان يغلب عليَّ الكلام، ويزدحم على قلبي إن لم أتكلم به حتى أكاد أختنق، ولا أقدر أسكت، وكان يجلس عندي رجلان وثلاثة، ثم تسامع الناس بي، وازدحم الخلق عليَّ، حتى صار يحضر مجلسي [نحو من](٢) سبعين ألفاً.

وقال: فتَّشتُ الأعمال كلها فما وجدت فيها أفضل من إطعام الطعام، أودُّ لو أن الدنيا بيدي فاطعمها الجياع، كفِّي مثقوبة لا تضبط شيئاً!. لو جاءني ألف دينار لم أبيِّتها، وكان إذا جاءه أحدٌ بذهب، يقول: ضعه تحت السجادة.

وقال:" أتمنى أن أكون في الصحارى والبراري كما كنت في الأول لا أرى الخلق ولا يروني".

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٤٥-٤٤٧.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة، استكمل من سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٤٧.

ثم قال: " أراد الله مني منفعة الخلق، فقد أسلم على يديَّ أكثر من خمسمائة، وتاب على يديّ أكثر من مائة ألف. وهذا خير كثير، وتردُ عليَّ الأثقال التي لو وُضِعَتْ على الجبال تفسَّخَتْ، فأضع جنبي على الأرض، وأقول: ﴿إنَّ مع العسر يسرا، إنَّ مع العسر يسرا﴾(١)، ثم أرفع رأسي وقد انفرجت عني".

وقال الجبأّئي: كنت أسمع في "الحلية" على ابن ناصر، فرقَّ قلبي، وقلت: اشتهيت لو انقطعت، وأشتغل بالعبادة، ومضيت، فصلَّيتُ خلف الشيخ عبد القادر، فلما جلسنا، نظر إليَّ، وقال: " إذا أردت الانقطاع، فلا تنقطع حتى تتفقه وتجالس الشيوخ وتتأدَّب، وإلا فتنقطع وأنت فُريخ ما ريَّشت(٢).

وعن أبي الثناء النهرملكي قال: تحدَّثنا أن الذباب ما يقع على الشيخ عبد القادر، فأتيته، فالتفت إليَّ، وقال: أيش يعمل عندي الذباب؟ لا دبس الدنيا، ولا عَسَل الآخرة!؟.(٣)

وقال أبو البقاء العكبري: سمعت يحيى بن نجاح الأديب يقول: قلت في نفسي: أريد أن أحصي كم يقُصُّ الشيخ عبد القادر شعرَ تائب؟. فحضرتُ المجلس ومعي خيط، فلما قصَّ شعراً، عقدتُ عقدةً تحت ثيابي في الخيط، وأنا في آخر الناس، وإذا به يقول: " أنا أحلُّ وأنت تعقد؟"(٤).

وحكى ابن النجار عنه: أنه كان في وسط الشتاء وبرده، وعليه قميص واحد، وعلى رأسه طاقية، وحوله من يروِّحه بالمروحة. قال: والعرق يخرج من جسده كما يكون في شدَّة الحر(٥).

---

(١) سورة الانشراح - الآيتان ٥و٦ .

(٢) زاد ابن النجار: " فإن أشكل عليك شيء من أمر دينك تخرج من زاويتك، وتسال الناس عن أمر دينك؟، ما يحسن صاحب الزاوية أن يخرج من زاويته ويسال الناس عن أمر دينه، ينبغي لصاحب الزاوية أن يكون كالشمعة يستضاء بنوره" تاريخ الإسلام ٣٩/ ٩٧".

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٤٨ .

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٤٨ .

(٥) انظر: طبقات ابن رجب ١/ ٢٩٩، و" سير أعلام النبلاء" ٢٠/ ٤٤٩ .

وقال أحمد بن ظَفَر بن هبيرة: سألت جدي أن أزور الشيخ عبد القادر، فأعطاني مبلغاً من الذهب لأعطيه، فلما نزل عن المنبر سلّمت عليه، وتحرَّجتُ من دفع الذهب إليه في ذلك الجمع، فقال: هات ما معك، ولا عليك من الناس!، وسلِّم على الوزير.

وقال صاحب "مرآة الزمان"(١): كان سكوت الشيخ عبد القادر أكثر من كلامه، وكان يتكلَّم على الخواطر، وظهر له صيتٌ عظيم، وقبول تام، وما كان يخرجُ من مدرسته إلا يوم الجمعة أو إلى الرباط.

وتاب على يده معظم أهل بغداد، وأسلم خلق، وكان يصدع بالحق على المنبر، وكان له كرامات ظاهرة.

وحكى أبو الحسن علي بن قاسم الهكّاري قال: حضرت مجلس الشيخ عبد القادر الجيلي، فوجدت بين يديه غلاماً ينشد:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

القصيدة، ثم رأيته ثاني ذلك اليوم، ينشدها بين يديه، فتفكرت في سبب تكرارها، وسألت الشيخ عبد القادر عن ذلك؟.

فقال: " رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: يا رسول الله! أمرتَ أن تُحفظَ عنك هذه القصيدة؟.

قال: نعم.

فقلت: يا رسول الله! وهي مدحٌ فيك؟.

قال: نعم، ومن قالها ثلاث مرات غفر الله له، فأحببت بعد ذلك أن أسمعها كل يوم، أو كما قال.

انتقل إلى رحمة الله تعالى في عاشر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائة(٢)، وشيَّعه خلقٌ لا يحصون، ودفن بمدرسته، رحمه الله تعالى.

---

(١) انظر: مرآة الزمان ٨/ ١٦٥.

(٢) وله رضي الله عنه، وعنّا به: تسعون سنة.

وولد له تسعة وأربعون ولداً، سبعة وعشرون ذكراناً، والباقون إناثا.

وقال: إذا ولد لي ولدٌ أخذته على يدي وقلت: هذا ميِّت فأخرجه من قلبي، فإذا مات لم يؤثِّر عندي موته شيئاً(١).

ومنهم:

٥٠ - قَضِيبُ البَان *

قال ابن عدي: سمعت شيخي أبا يوسف يقول: ما دفن ولي لله تعالى في زمان قضيب البان إلا وكان قضيب البان هو الذي يحفر قبره بيده.

---

(١) : ومن كلامه - رضي الله عنه -:

قال: "الاغترار بصفاء الأوقات في طيه الآفات".

وقال: "إنما لم يجب الحق عبده في كل ما طلب رحمة وشفقة عليه أن يغترَّ بذلك، فيتعرَّض للمكر به، ويغفل عن آداب الخدمة، وكما أنه تعالى دعا عبده إلى فعل كل مأمور فلم يفعل إلا بعضاً، دعاه فلم يجبه إلا في بعض، جزاءً وفاقا".

وقال: "علامة ابتلاء العبد على وجه العقوبة عدم الصبر على البلاء، والشكوى للخلق، وعلى جهة التكفير والصبر، وعدم الضجر، وعلى وجه رفع الدرجات الرضا والموافقة، والسكون تحت جريان الأقدار"..

وقال: "علامة حب الآخرة الزهد في الدنيا، وعلامة حبه تعالى: الزهد فيما سواه".

وقال: "ما دام في قلب العبد شهوة لما يكرهه الله فهو عدوه".

وقال: "كلما جاهدت النفس في الطاعة حييت، وكلما أكرمتها ولم تهنها في رضاه ماتت، وهذا معنى خبر "رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر".

وقال: "المدد الإلهي موزع على المعاني، فما في القلب يظهر على الوجه، وما في النفس يظهر في الملبوس، وما في العقل يظهر في العين، وما في السر يظهر في القول، وما في الروح يظهر في الأدب، وما في الصورة يظهر في الحركة".

* كان - رضي الله عنه وعنا به - من العارفين المجذوبين الذين يتكلمون على الخواطر، روى عنه الخطيب شهاب الدين عمر بن أبي القاسم بن المفرّج بالموصل، سنة ستمائة، وقال: كنت ذات يوم بالموصل جالساً في سوق الصوّافين، إذا أقبل قضيب البان وكان ذا شكل عجيب، طُوالاً من الرجال على هيئة الأكراد، مكشوف الرأس، =

وكان اجتمع به في جنازة أحدهم وأخبره بذلك.

قال أبو يوسف: وما سئل قضيب البان عن مسألة من لدن آدم عليه السلام إلى زمانه إلا مسح وجهه ثم نظر في كفه، وأخبر بجوابها. وبتاريخها.

قلت: ويحكى أن ابن يونس الفقيه، كان يستنقص بقضيب البان ويقول: عجباً لمن يعتقد فيه خيراً، وهو لا يتوقى النجاسات!، ويطلق لسانه فيه، فبينما ابن يونس يوماً وهو على باب مدرسته، وقد جلس لانتظار الفقهاء، ليدخل بهم، ويذكر الدرس، وإذا بقضيب البان قد جاء، وجلس تلقاء وجهه، وأخذ هُدمة له، وقعد يخيطها، ثم طلع إلى ابن يونس، وقال: يا قاضي! خيَّطتُك!، يا قاضي خيَّطتك!. وجعل يكررها ؛ فجاءت الفقهاء وجلس ابن يونس لذكر الدرس فلم يفتح عليه بكلمة، حتى ولا التحميد ، وخرس!. فذكر كلمة قضيب البان، ونهض إليه، فقال: يا سيدي! أنا أستغفر الله، فضحك ، وفتق بعض ما كان خيَّطَ في تلك الهدمة!. ثم جعل يقول: فتقت لسانك يا قاضي! فتقت لسانك يا قاضي!. فقام ابن يونس ودخل المدرسة، وجلس للدرس، ففتح عليه بكل عجب، وأتى بكل بديع، حتى قيل: إنه لم يذكر درساً في عمره أكثر تحريراً، وتحقيقاً، ونقلاً، وفائدة من ذلك اليوم.

قالوا: فكان ابن يونس إذا رآه بعدها قبَّل يده، وقال: هذا ولي الله.

= مقزع الشعر، لا يستقيم على جهة، عريض اللحية قليلاً، مطرق كأنه أعمى وليس بأعمى، يمشي في الأسواق ولا يتكلم، حافٍ عليه جُبَّة صوف، مشدود الأذيال والأكمام، فلما قرب مني وكان هناك شخص قد وقف ووعظ وخوَّف بالله تعالى، ثم انصرف، قال لي: وهو تجاهي - : كم من مذكر بالله، ناسٍ لله، وكم من مخوِّفٍ بالله منسلخ من آيات الله؟!، وذكر كلمات أنسيتها. ذكره نور الدين الشطنوفي في "بهجة الأسرار" صفحة ١٩٦، ولم يذكر اسمه، وإنما ذكر أن وفاته كانت قريباً من سنة ٥٧٠، وهو وهم ظاهر، إن لم نثبت تعدد لقب "قضيب البان" وذكره أمين وقال: " يا سين العمري في كتاب " عنوان الشرف" باسم " الشيخ الحسين قضيب البان بن عيسى بن يحيى" ، قال: وقبره غربي الموصل، خارج السور نحو رمية سهم، وتوفي سنة ٥٧٠ هجرية، وورد ذكره في " الدر المكنون" لياسين العمري ، وفي كتاب " الروض الفائق" صفحة ١٨ ، والظاهر أن قضيب البان لقب متعدد، لُقِّب به غير واحد من هؤلاء. وانظر كتاب "مجمع الآداب في معجم الألقاب" لابن الفوطي الشيباني ٣ / ٣٥٤ تحقيق محمد الكاظم.

وحدثني علي بن عبد الله المعروف بالبديع أنه سمع محمد بن يونس بن محمد بن مالك القاضي بالموصل يحكي عن أبيه أن أحد المؤذنين بجامع الموصل حدَّثه قال: خرجت يوماً خارج البلد، فرأيت قضيب البان ماشياً في همَّةٍ، فقلت: والله لأتبعنه اليوم، فمشيت وراءه نحو ساعة، وأنا لاهٍ، ثم نظرت فأنكرت الطريق التي نحن بها، والأرض التي نحن فيها، وإذا نحن في أرض لا أعرفها، وإذا أمامنا نهر يصغر دجلة عنده، وحوله أشجار ليست بأرضنا، فبهتُّ، وخررتُ، ولم أجسر على خطابه، فأتى قضيب البان النهر، فجلس، وجلست ناحية منه، فنزع ثابه ونزل النهر، فاغتسل ثم خرج، فقام يصلي، واشتدَّتْ عليَّ الهاجرة، ولم يكن ذلك زمان حر، فأتيت شجرة ذات ظل، فنمت، فلما قمتُ لم أرَ قضيب البان!، ولا من أسترشدُ به، فبينما أنا في ذلك، وإذا براعٍ يرعى معزى، فقمتُ إليه، فحدَّثته، فإذا هو أعجميّ لا يعرف العربية، فصبرت، واستعنت، فأقبل رجلٌ كهلٌ، فقمت إليه وسألته عن ذلك الموضع؟ فقال: بأرض الهند! في مكان كذا، وهو نهر كذا!.

فقلت له: فكم بيني وبين الموصل؟.

فقال: وأين الموصل؟. وذكر شهراً!.

فصحتُ صيحةً كاد ينفطر معها قلبي، فقال لي الشيخ: ويحك! مالك؟. فحكيت له حالي، وأنني خرجت في يومي هذا من الموصل، لأتقضى، فرأيت مولَّهاً عندنا ماشياً، فتبعته، لأبصر أين يذهب؟، فأتى بي إلى هنا، ونزل فاغتسل، وقام يصلي إلى تلك الشجرة، واشتدَّ عليّ الحر فنمتُ، فلما قمت لم أجده، فقال: اعلم أنّي مارٌّ، في هذه الأرض، ولست منها، وسأل الراعي، قال: فحدَّث الراعي بالهندية، وكان رجلاً هندياً، فقال له: هذا رجلٌ يأتي كل يوم إلى هنا، فيغتسل ويقوم هنا، فيتعبَّدُ عباداتٍ يدين بها، مما لا نعرفه نحن، ثم يذهب كما يأتي!.

قال: فبتُّ بأصعبِ ليلةٍ مرَّتْ بي، فلما كان في اليوم الثاني، جاء قضيب البان ففعل مثل ما فعله، وأُلقيَ عليَّ النوم، فجعلتُ أغالبه، فلما قضى صلاته، قمت إليه، وشكوتُ

إليه حالي، فضحك، وقال: امشِ خلفي، ولا تعود تكلّف نفسك ما لا يعنيك!، ولا تكثر فضولاً!. فقلت: يا سيدي! اسمع والطاعة، فأقبل عليَّ يحدّثني أحاديث العقلاء ذوي العلم، فلم يكن إلا ساعة، ونحن بالموصل!، فودّعني وانصرف، رحمه الله تعالى.

ومنهم:

٥١ - أبو علي الحَسَنُ بنُ مُسَلَّم بنِ أبي الحَسَنِ بنِ أبي الجُود*

الزاهد الفارسي.(١)

عارفٌ أحرزَ الخليفة إحرازا، وحرس الحقيقة فلم يدع لها إبرازا، فاستطار هُياما، واستطاب سهراً قطع عليه ليالي وأياما، وحُبِّبَتْ إليه الوحدة، وطُيِّبَتْ له الخلوة، فأنس بالله وحده، ولم تزل الأبصار به معقودة، والأمصار عليه محدودة، وكان لا يزال يأوي البرَّ المقفر، ويهوى الفقر المفقر، إلى أن ترقَّت روحه، وأشرقت في أوجها نوحه.

أصله من قرية بنهر عيسى يقال لها: الفارسية.

وكان من الأبدال، لازماً لطريقة السلف، أقام أربعين سنة لم يكلِّمْ أحداً، وكان صائم الدهر، قائمَ الليل، يقرأ كل يوم وليلة ختمة.

ذكره أبو الفرج في "صفة الصفوة" وقال: كان زاهد زمانه، وكانت السباع تأوي إلى زيارته، وكان الخليفة وأرباب الدولة يمشون إلى زيارته.

---

*انظر ترجمته في: معجم البلدان ٢/٣٥٩و٣/٨٣٨، والكامل في التاريخ ١٢/١٣٨، ١٣٩، ومرآة الزمان ٨ق ٢/٤٥٦، ٤٥٧، وذيل الروضتين ١٣، والتكملة لوفيات النقلة ١/٣٠٠، ٣٠١، رقم ٤٢٤، والمختصر المحتاج إليه ٢/٢٦، رقم ٥٩١، والعبر ٤/٢٨٣، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٠٩، ودول الإسلام ٢/٧٧، والمشتبه ٢/٤٩٢، وذيل طبقات الحنابلة ١/٣٩٥، والوافي بالوفيات ١٢/٢٧١ رقم ٢٤٢، وشذرات الذهب ٤/٣١٦، والعسجد المسبوك ٢/٢٤٧، وأخبار الزهّاد لابن الساعي ورقة ٤٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/٣٠١، ٣٠٢، رقم ١٥٧، وعقد الجمان ١٧/ ورقة ٢٢٢، وشذرات الذهب ٤/٣١٦، والتاج المكلل ٢١٣.

(١) الفارسيّ: نسبة إلى الفارسية، قرية من قرى نهر عيسى. وفي ذيل الروضتين ١٣: القادسي من قرية بنهر عيسى يقال لها القادسية.

وحكى عنه جماعة من أهل القرية: أن السباع كانت تنام طول الليل جواز زاويته، وإذا خرج أحدٌ من القرية في الليل إلى نهر عيسى، لم تتعرضْ له. وإنَّ فقيراً نام في الزاوية في ليلة باردة، فاحتلم، ونزل إلى النهر ليغتسل، فجاء السَّبُعُ، فنام على جُبَّته، فكاد الفقير أن يموت من البرد والخوف، فخرج الشيخُ، وجاء إلى السبع وضربه بكُمِّه وقال: يا مبارك! قد قلنا لك لا تتعرَّضْ لأضيافنا!، فقام السَّبُعُ يهرول!.

توفي يوم عاشوراء، سنة أربع وتسعين وخمسمائة، ودفن برباطه بـ"الفارسية."(١)

ومنهم:

٥٢ - أبو الحَسَنِ عَليُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ غُلَيْس *

رجلٌ كان ملاذاً، وملجأً في النوائب ومعاذا، يصرخ صراخ السيوف، ويطل إطلال الضراغم تحت السجوف، بسهام لا تُرَدّ، وسمام كأنه من أنياب الأساود يستمد، إذا رمى رمية أنفذها، وإذا أرشف بريقه عضة أكيلة وقذها، فكان في انطلاقه لا يفادى، وفي أهل صداقته لا يعادى، يمدُّ يداً له ما رُدَّتْ خائبة، ولا مدَّت إلا إلى إجابة غير غائبة.

كان مقيماً بكلاَّسة دمشق.

وحكى عنه العلامة أبو الحسن السخاوي قال: سمعت ابن غليس يقول: كنت مسافراً مع قافلة، فرأيت في المنام كأنَّ سَبُعاً اعترضهم، فقطع الطريقَ عليهم، فوقفوا حائرين، فتقدَّمت إليه وقلت: يا كلب الله!، أنت كلب الله، وأنا عبد الله، فاخضع، واخنع لمن سكن له ما في السماوات والأرض، وهو السميع العليم. فذهب، وانفتحت الطريق، ثم انتبهتُ، فسرنا قليلاً، وإذا بالقافلة قد وقفت، فسألت: ما الخبر؟ فقيل: السَّبُع على الطريق. فتقدَّمت إليه، وهو مُقعٍ على ذَنَبه، فقلت ذلك الكلام، وتقدَّمت إليه، فأدخلتُ يدي في فمه، وقلبت أسنانه!، وشممتُ منه رائحة كريهة.

---

(١) قال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء: " وكان من أبناء التسعين، وكان يدري الفقه والفرائض، وتذكر عنه كرامات وتألُّه، رحمه الله ". سير أعلام النبلاء ٢١/٢٠٢.

* انظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ١/٤٣٣ رقم ٦٧٨، وذيل الروضتين ٣٠، ٣١، والوافي بالوفيات ٢٢/١١١، ١١٢ رقم ٦٤ و"غُليس" بضم الغين وفتح اللام، وسكون الياء، آخر الحروف، وبعدها سين مهملة.

قال السخاوي: فقلت له: إنه يأكل اللحم ولا يتخلل!. قال: وأدخلت يدي بين أفخاذه، فقلبت خصيتيه وإذا هي مثل خصي القط.

وقال الشيخ ميمون الضرير: أخبرني صاحب لابن غُلَيس قال: أمرني ابن غُلَيس بإيقاد السراج، ولم يكن به زيت، فأوقدت الفتيلة، فوقدت!. ثم أمرني في الليلة الثانية، فأوقدتها، فوقدت!. ثم أمرني في الليلة الثالثة بإيقادها، فقلت له: لا زيت في السراج!. قال: وأيش فضولك في هذا؟، لو سكتَّ لكان يَقِدها أبدا!.

وقال أبو القاسم الفضل: مات فرسٌ لابن غُلَيس، فحزنَ عليه كثيراً، فقيل له: كم تحزن عليه؟، غيره يقوم مقامه!.

فقال: إنه فرسٌ صالح، كان معي في سفري بالعراق؛ فآواني الليل مع جماعة إلى قرية، وكانت ليلة باردة، ذات ريح، ومطر، فلم يُقَدَّرْ لنا مكانٌ ناوي إليه، إلا موضع صغير. فقلت لأصحابي: إن تركنا الفرس خارج البيت هلك بالبرد، وخفنا عليه، وإن أدخلناه معنا، خفنا من بوله وتلويثه الجماعة لصغر المكان!. فتقدَّمتُ إليه وقلت له: نحن ندخلك معنا بشرط أن لا تفعل ما يتأذى به الجماعة من بول وغيره!. ثم أدخلناه، فبات ليلته لم يتحرك بحركة يُتَأَذَّى منها، ولم يَبُلْ. فلما أصبحنا، أخرجناه معنا، فلما صار خارج الباب، بالَ نحو قربة ماء.

وكان ابن غُلَيس يقول عن نفسه: " ابن غُلَيس ما يسوى فُلَيس!" .

وتوفي رضي الله عنه يوم الاثنين سابع عشر شهر رمضان سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، ودفن قبلي قبر معاوية – رضي الله عنه – بغرب مقبرة الباب الصغير .

رحمه الله تعالى .(١)

---

(١) وقال زكي الدين المنذري في التكملة ١/٤٣٣: توفي رضي الله عنه ليلة سابع عشر رمضان، ودفن بباب الصغير بالقرب من أبي الدرداء، وكان الجمع موفراً ولم يبلغ ستين سنة.

وقد سمع بالقدس من أبي محمد القاسم بن عساكر، وكان مشهوراً بالصلاح والخير.

ومن شعره:

الا قل لمن كان يهوى سوانا	هواه حرامٌ ولكن هوانا
ومن كان يبغي رضا غيرنا	له الويل أخطا ولكن رضانا
الا قف وخيِّم على بابنا	ترَ الخير منّا جهاراً عيانا

ومنهم:

٥٣ - الشَّيخُ أبو عُمَرَ مُحَمَّدُ بنُ أحمدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ قُدَامَةَ المَقْدِسيُّ*

أخو الشيخ موفق الدين الحنبلي الزاهد.

رقى السماء فوق صفائحها، وأبدى الأنباء وفق صحائحها. ووالى أعماله أرسالا، وأيقظ أعماله والرياح كسالى، وعزم اعتزاماً مسح بالنجوم راسه، ومسك بخيوط الغيوم أمراسه، فلم يلتفت إلى الدنيا ومغازلتها، ولا انفتل إلى مقاتلتها، على الدنايا ومنازلتها، تحليقاً إلى دار نعيمها سرمدا، ونسيمها لا يرى منه من شكوى الهوى أرمدا، فقطع الغاية مسرعا، ورفع حيث أراد ممرعا، من قوم كانوا أهل علو وعلوم، وفي أموالهم حق معلوم، وكان غماماً به يستسقى، وإماماً عنه الدين يتلقّى.

ويقال إنهم من بني الفاروق(١)، ثم من ولده عبد الله، ولا يعرف إلى من هم بنيه، ولا إلى أب في النسب يليه، إلا أنهم في الذرية العمرية من معدن شرف، ومثوى كرم، ما يحل منه في طرف.

---

*الإمام، العالم، الفقيه، المقرىء، المحدّث، البركة، شيخ الإسلام، محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام ابن نصر المقدسي الجمّاعيلي، الحنبلي، الزاهد، واقف المدرسة.

انظر ترجمته في: مرآة الزمان ٨/٢/٥٤٦ - ٥٥٣، والتكملة لوفيات النقلة ٢/٢٠٢، ٢٠٣، رقم ١١٤٧، وذيل الروضتين ٧١ - ٧٥، ودول الإسلام ٢/١١٤، والعبر ٥/٢٥، والمعين في طبقات المحدّثين ١٨٧ رقم ١٩٨٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/ ٥-٩، رقم ١، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣١٧، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٤٩، ومرآة الجنان ٤/١٥، والبداية والنهاية ١٣/٥٨ - ٦١، والوافي بالوفيات ٢/١١٦، رقم ٤٥٣، والذيل على طبقات الحنابلة ٢/٥٢ - ٦١ رقم ٢٢٩، والمقفى الكبير للمقريزي ٥/٢٧٢ ٢٧٤، رقم ١٨٢٨، وعقد الجمان ١٧/ ورقة ٣٣١، وتاريخ ابن الفرات ج٥ ق١/١١٦، والنجوم الزاهرة ٦/٢٠١ - ٢٠٢، وشذرات الذهب ٥/٢٧، وديوان الإسلام ٣/٢٩٥ رقم ١٤٥١، والأعلام ٥/٣١٩، ودائرة المعارف الإسلامية ٣/٨٦٦ .

(١) أي من ذرية سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه وأرضاه.

ولد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، بقرية "الساويا" من أعمال نابلس(١)، وقيل:بـ" جمّاعيل".

قال أبو المظفر[الواعظ](٢) سبط ابن الجوزي:" حدثني أبو عمر قال: هاجرنا في بلادنا، فنزلنا بمسجد أبي صالح بظاهر باب شرقي، فأقمنا به [مدة]، ثم انتقلنا إلى الجبل، فقال الناس: "الصالحية، الصالحية!" ينسبونا إلى مسجد أبي صالح، لا أننا صالحون، ولم يكن بالجبل عمارة إلا دير الحوراني وأماكن يسيرة.

قال أبو المظفر: " وكان معتدل القامة، حسنَ الوجه، عليه أنوار العبادة، لا يزال متبسِّماً، نحيل الجسم من كثرة الصلاة والصيام، والقيام"(٣).

قرأ القرآن بحرف أبي عمرو، وحفظ "مختصر الخرقي" في الفقه، وقرأ النحو على ابن بري بمصر، وسمع الحديث بدمشق ومصر. واشتغل بالعبادة عن الرواية، وكتب[الكثير بخطه المليح من المصاحف والكتب مثل:]"الحلية" لأبي نعيم، و"تفسير البغوي"، و"المغني" لأخيه(٤)، و"الإبانة" لابن بطَّة، ومصاحف كثيرة، للناس ولأهله، وكتباً كثيرة، الكل بغير أجرة.

وكان يصوم الدهر، إلا من عذر، ويقوم الليل من صغره، ويحافظ على الصلوات في الجماعات، ويخرج من ثلث الليل الأخير إلى المسجد في الظلمة، فيصلي إلى الفجر، ويقرأ في كل يوم سُبعَين من القرآن، بين الظهر والعصر، ويقرأ بعد العشاء الآخرة آيات الحرس، و"ياسين" و"تبارك" و"الواقعة"، والمعوذتين، و"قل هو الله أحد"، وإذا ارتفعت الشمس لقَّن الناس القرآن إلى وقت الضحى، ثم يقوم فيصلي ثماني ركعات، ويقرأ " قل هو الله أحد"

---

(١) البداية والنهاية ١٣/ ٥٩ .

(٢) في المخطوط " ابن ظفر" وصوابه ابن المظفر كما في تاريخ الإسلام ، وهو في "مرآة الزمان ٨/ ٥٤٦ – ٥٤٧ .

(٣) مرآة الزمان ٨/٥٤٧، ٥٤٨ – ٥٤٩ .

(٤) يعني موفق الدين.

ألف مرة، ويزور المقابر بعد العصر في كل جمعة، ويصعد يوم الإثنين والخميس إلى مغارة الدم ماشياً بالقبقاب، فيصلي فيها ما بين الظهر والعصر، وإذا نزل جمع "الشِّيحَ" من الجبل وربطه بحبل وحمله إلى بيوت الأرامل، واليتامى، ويحمل في الليل إليهم الدراهم، والدقيق، ولا يعرفونه، ولا ينام إلا على طهارة، ومتى فتح له بشيء من الدنيا آثر به أقاربه، وغيرهم، ويتصدَّق بثيابه ، وربما خرج الشتاء وعلى جسده جبَّة بغير ثوب[من تحتها يتصدق بالتحتاني]، ويبقى مدة طويلة بغير سراويل، وعمامته قطعة من بطانة، فإن احتاج أحد إلى خرقة، أو مات صغير يحتاج إلى كفن قطع له منها قطعة، وكان ينام على الحصير، ويأكل خبز الشعير، وثوبه خام إلى أنصاف ساقيه، وما نهر أحداً ولا أوجع قلب أحد، وكان يقول: " أنا زاهد ولكن في الحرام! " .

ولما نزل صلاح الدين على القدس كان هو وأخوه الموفق في خيمة، فجاء العادل إلى زيارته، وهو في الصلاة فما قطعها، ولا التفت، ولا ترك ورده، وكان يصعد المنبر وعليه ثوب خام مهدول الجيب، وفي يده عصا، فما قطعها، ولا التفت، والمنبر يومئذ ثلاث مراقي، وكان يحضر الغزوات مع صلاح الدين.

قال أبو المظفر(١): وكراماته كثيرة؛

فمنها: أني صليت يوم جمعة بجامع الجبل في سنة ست وستمائة، والشيخ عبد الله اليونيني(٢) إلى جانبي، فلما كان في آخر الخطبة والشيخ أبو عمر يخطب، نهض الشيخ عبد الله مسرعاً، وصعد إلى مغارة توبة، وكان نازلاً بها، فظننت أنه احتاج إلى وضوء أو آلمه شيء، فصلَّيتُ وطلعت وراءه، وقلت له: خير ما الذي أصابك؟، فقال: هذا أبو عمر ما تحل خلفه صلاة!، يقول على المنبر: "الملك العادل" وهو ظالم! فما يصدُق!!! .

وكان أبو عمر يقول: " اللهم وأصلح عبدك الملك العادل سيف الدين أبا بكر ابن أيوب " .

---

(١) مرآة الزمان ٨/٥٤٧ – ٥٤٩ .

(٢) نسبة إلى بلدة يونين القريبة من بعلبك.

فقلت: إذا كانت الصلاة خلف أبي عمر لا تصح، فيا ليت شعري خلف من تصح؟. وخطر لي قول عبد الرحمن بن عوف لما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يمشي في أزقَّة المدينة، فتبعه، فأتى بيت عجوز، فدخله، قال: فدخلت لأبصر ما يصنع؟. فتواريت، وإذا به قد خرج من عندها، فدخلت بعده وقلت للعجوز: ما كان هذا يصنع عندك؟. فقالت: يحمل إليَّ ما آكل ويخرج الأذى عني!!!.

قال عبد الرحمن: فقلت في نفسي: ويحك يا عبد الرحمن! أعثرات عمر تتبع؟.

قال أبو المظفر: وبينا نحن في الحديث، إذ دخل الشيخ، وسلَّم، وحلَّ مئزره وفيه رغيف وخيارتان، فكسر الجميع، وقال: بسم الله الصلاة، ثم قال ابتداء: " قد روي في الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ولدت في زمن الملك العادل كسرى)[1].

فنظر إليَّ الشيخ عبد الله وتبسَّم، وأكل، وقام الشيخ أبو عمر فنزل، فقال لي الشيخ عبد الله: ما ذا إلا رجل صالح.

قال أبو المظفر[2]: وأصابني قولنج، عانيت منه شدة، فدخل علي أبو عمر وبيده خرُّوب شامي مدقوق، فقال: استفَّ هذا. وكان عندي جماعة فقالوا: هذا يزيد القولنج!، ويضرُّه. فما التفت إلى قولهم، وأخذته من يده فأكلته، فبرأت في الحال.

قال: وجاءه رجل مغربي فقرأ عليه القرآن، ثم غاب عنه مدة، وعاد، فلازمه، فسئل عن ذلك؟ فقال: دخلت ديار بكر، فأقمت عند شيخ له زاوية وتلاميذ، فبينا هو ذات يوم جالس بكى بكاء شديداً، وأغمي عليه، ثم أفاق، وقال: مات القِطب الساعة!، وقد أقيم أبو عمر شيخ الصالحية مقامه!.

قال: فقلت له: ذاك شيخي!. قال: فأيش قعودك هنا؟. قم فاذهب إليه، وسلِّم إليه

(١) قال السخاوي: باطل لا أصل له. انظر: المقاصد الحسنة صفحة ٤٥٤.

(٢) انظر: مرآة الزمان ٨/٥٤٩-٥٥٠.

عني، وقل له: لو أمكنني السعي إليه لسعيت. ثم زودني، وسافرت.

قال أبو المظفر: وقلت له يوماً أول ما قدمت الشام – وما كان يرد أحداً في شفاعة – وقد كتب رقعة إلى الملك المعظَّم: " كيف تكتب هذا والملك المعظَّم على الحقيقة هو الله؟. فتبسَّم، ورمى إليَّ الورقة، وقال: تأمَّلْها. وإذا به لما كتب "الملك المعظَّم" كسر الظاء، فصار "المعظِّم". وقال: لا بد أن يكون يوماً قد عظَّم الله تعالى.

قال: فعجبت من ورعه، وتحفُّظه في منطقه عن مثل هذا.

قال أبو المظفر: وقال أبو عمر يوماً للمبارز المعتمد: قد أكثرت عليه من الرقاع والشفاعات!. فقال له: ربما تكتب إليَّ في حق أناس لا يستحقون الشفاعة، وأكره ردَّ شفاعتك. فقال له الشيخ: أنا أقضي حق من قصدني، وأنت إن شئت فاقبل، وإن شئت فلا تقبل. فقال: ما أردُّ ورقتك أبداً.

قال أبو المظفر: وكان سبب موته أنه حضر مجلسي بالجامع بقاسيون، مع أخيه الموفَّق، والجماعة. وكان قاعداً في الباب الكبير، وجرى الكلام في رؤية الله ومشاهدته، واستغرقت، وكان وقتاً عجيباً فقام أبو عمر من جانب أخيه، وطلب باب الجامع ولم أره، فالتفت وإذا بين يديه شخص يريد الخروج من الجامع، فصحتُ على الرجل: اقعد.

فظنَّ أبو عمر أنني أخاطبه، فجلس على عتبة باب الجامع الجوانية، إلى آخر المجلس، ثم حمل إلى الدير فكان آخر العهد به، وأقام أياماً مريضاً، ولم يترك شيئاً من أوراده، فلما كان عشيَّة الاثنين، ثامن عشر ربيع الأول سنة سبع وستمائة، جمع أهله، واستقبل القبلة، ووصاهم بتقوى الله، ومراقبته، وأمرهم بقراءة "يسن"، وكان آخر كلامه: ﴿ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾[1]، وتوفي.

وغُسِّل وقت السَّحَر، ومن وصل إلى الماء الذي غُسِّل به نشَّف به؛ النساء مقانعهنَّ،

(١) سورة البقرة – الآية ١٣٢ .

والرجال عمائمهم.

ولم يتخلف عن جنازته أحد، ولما خرجوا بجنازته من الدير، كان يوماً شديد الحر، فأقبلت غمامةٌ فأظلَّت الناس إلى قبره!. وكان يُسمَعُ منها دويٌّ كدويِّ النحل.

قال أبو المظفر: ولولا المبارز المعتمد والشجاع بن محارب، وسيف الدولة الحسامي ما وصل إلى قبره من كفنه شيء!. وإنما أحاطوا به بالدبابيس(1) والسيوف.

وكان قبل وفاته بليلة رأى إنسان كأنَّ قاسيون وقع، أو زال من مكانه، فأوَّلوه: موته.

ولما دفن رأى بعض الصالحين النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: من زار أبو عمر ليلة الجمعة، فكأنما زار الكعبة، فاخلعوا نعالكم قبل أن تصلوا إليه. ومات عن ثمانين سنة.

قال أبو المظفر: وأنشدني أبو عمر لنفسه:

ألم يكُ ملهاةً عن اللهو أنني بدا لي شيبُ الرأس والضعفُ والألمْ
ألمَّ بي الخطبُ الذي لو بكيتهُ حياتي حتى ينفدَ الدمع لم أُلَمْ(2)

قال: وكان على مذهب السلف الصالح سمتاً وهدياً، وكان حسن العقيدة، متمسكاً بالكتاب والسنة، والآثار المروية، يمرها كما جاءت من غير طعن على أئمة الدين وعلماء المسلمين، وكان ينهى عن صحبة المبتدعين، ويأمر بصحبة الصالحين الذين هم على سنة سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم -.

وأنشد لنفسه أيضاً:

أوصيكمُ بالقول في القرآنِ بقول أهل الحق والإتقانِ

---

(1) جمع " دبوس" : فارسي معرَّب وهو عبارة عن هراوة حديدية ذات رأس كبيرة كانت تستخدم كسلاح. انظر: المعجم الفارسي الكبير د. إبراهيم الدسوقي شتا - مادة دبوس.

(2) سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٩، وتاريخ الإسلام ٤٣/ ٢٧٥.

لـيـس بمخلوقٍ ولا بـفــانِ   لـكـن كـلام المـلـك الديَّانِ
آياته مشـرقـةُ المعـانـي   مـتلـوةٌ لـلـه بـاللـسـانِ
محـفـوظة في الصـدر والجنانِ   مكتـوبة في الصـحف بالبنانِ
والقـولُ في الصـفـات يا إخـواني   كـالذات والعلم مع البيـانِ
إمـرارها من غـيـر مـا كـفـرانِ   من غـيـر تشـبيـهٍ ولا عطلانِ

وقال أبو شامة(١): أخبرني بعض أصحابنا الثقات، أنه رأى الإمام الشافعي في المنام، فسأله: إلى أين تمضي؟. قال: أزور أحمد بن حنبل، قال: فاتَّبعتُه، أنظر ما يصنع؟. فدخل داراً، فسألت: لمن هي؟ فقيل: للشيخ أبي عمر – رحمه الله تعالى.(٢)

وقال أبو شامة : وأول ما وقفت على قبره وزرته، وجدت بتوفيق الله تعالى رِقَّةً عظيمة، وبكاءً، وكان معي رفيقٌ لي ، وهو الذي عرَّفني قبره، وجد أيضاً مثل ذلك، رحمه الله تعالى.(٣)

ومنهم:

٥٤ - عَبدُ اللهِ بنُ عثمانَ بنِ جَعفرَ بنِ أبي القَاسِمِ محمد اليونينيُّ*

ملجأ لخائف، وملجم للسان كل مفتر وحائف، صفت له أيامه صفاء الزجاجة، ووفت

(١) في ذيل الروضتين – ٧٥ .

(٢) تاريخ الإسلام ٤٣ /٢٧٨ .

(٣) ذيل الروضتين – أبو شامة ٧٥، وتاريخ الإسلام ٤٣ /٢٧٨ .

* **انظر** ترجمته في: مرآة الزمان ج٨ ق ٢ /٦١٢ – ٦١٧، وذيل الروضتين ١٢٥ – ١٢٨، ونهاية الأرب ٢٩ /١١١ – ١١٣، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٢٣، ودول الإسلام ٢ /١٢١، والعبر ٥ /٦٧ – ٦٨، وسير أعلام النبلاء ٢٢ /١٠١ – ١٠٣، رقم ٢٦٧، ومرآة الجنان ٤ /٣٨، والبداية والنهاية ١٣ /٩٣،٩٤، والوافي بالوفيات ١٧ /٣١٦ رقم ٢٦٧، والعسجد المسبوك ٢ /٣٨١، والنجوم الزاهرة ٦ /٢٤٩، وشذرات الذهب ٥ /٧٣ – ٧٥، وجامع كرامات الأولياء ٢ /٢٣٤، ٢٣٧، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ق٢ /٢ ج ٢ / ٣٦٣ – ٣٦٨ رقم ٦٠٦ .

له لياليه وفاء السحب الثجّاجة، فمسَّ السماء ومسحها، ومدّ النعماء وفسحها، والحق يسعده، ويقربه ولا يبعده، دامت به كل عين قريرة، ونسبته على المحاسن قديرة، وهو للمتبصر سيف لم يثلم، وللمقتصر شرف ما كلٌّ من رقا إليه بسُلَّمٍ يسْلَم، فكان فضله شيء جزم به وقطع، وعلم أن غيره لو حاوله لم يستطع، تهلل به وجه الدهر وكان قد كلح، وصلح به فساده وقطُّ ما صلح.

قال عبد الله بن شكر اليونيني: كان الشيخ - رحمه الله تعالى - في شيبوبيَّته قد انقطع في الجبل، وكانت أخته تأتيه كل يوم بقرص وبيضتين، فأتته بذلك مرة، وإذا بفقير قد خرج من عنده ومعه قرص وبيضتان، فقالت له: من أين لك هذا؟. قال: من ذاك القاعد، له شهر كل يوم يعطيني قرصاً وبيضتين!. فأتته وسألته ، فنهرها، وزعق فيها.(١)

وقال خليل بن عبد الغني (٢) الزاهد الأنصاري: كنت بحلقة الحنابلة إلى جانب الشيخ عبد الله، فقام ومعه خادمه توبة إلى الكلاسة، ليتوضَّأ، وإذا برجل متختِّل يفرِّقُ ذهباً، فلما وصل إليَّ أعطاني خمسة دنانير، وقال: أين سيدي الشيخ؟. قلت: يتوضأ. فجعل تحت سجادته ذهباً، وقال: إذا جاء قل له: مملوكك أبو بكر التكريتي يسلِّم عليك، ويشتهي أن تدعو له.

فجاء الشيخ وأنا ألعب بالذهب في عُبِّي، ثم ذكرت له قول الرجل، فقال توبة: من ذا يا سيدي؟. قال: صاحب دمشق؛ وإذا به قد رجع، ووقف قدام الشيخ، والشيخ يصلي، فلما سلَّم أخذ السواك ودفع به الذهب، وقال: يا أبا بكر! كيف أدعو لك والخمور دائرة في دمشق؟. وتغزل امرأة وقيَّةً تبيعها فيؤخذ منها قراطيس؟. فلما راح أبطل ذلك، وكان الملكَ العادلَ.

وقال محمد بن أبي الفضل: كنت عند الشيخ، وقد جاء إليه المعظَّم، فلما جلس عنده، قال: يا سيدي! ادعُ لي. قال: يا عيسى لا تكن نحس(٣) مثل أبيك!. فقال: يا سيدي وأبي

(١) تاريخ الإسلام ٤٤ /٣٣٨ .

(٢) ابن مقلَّد .

(٣) هكذا في الأصل المخطوط ، وفي تاريخ الإسلام ، وصوابه " نحساً" .

كان نحسْ؟. قال: نعم. أظهر الزغل[١]، وأفسد على الناس المعاملة، وما كان محتاج!.

قال: فلما كان الغد ، أخذ الملك المعظَّم ثلاثة آلاف دينار، وطلع إلى عند الشيخ بها، وقال: هذه تشتري بها ضيعة للزاوية.

فنظر إليه، وقال: قم يا ممتحن ، يا مبتدع!، لا أدعو الله تنشق الأرض وتبتلعك، ما قعدنا على السجاجيد حتى أغنانا، تحتي ساقية تجري ذهب وساقية تجري فضة!، أو كما قال[٢].

وقال أبو طالب النجار: أنكر الشيخ عبد الله على صاحب بعلبك، وكان يسميه "مُجَيد"، فأرسل إليه الأمجد يقول: إن كانت بعلبك لك فاشتهي أن تطلقها لي، فلم يبلِّغه رسول الأمجدِ شيئاً.

وقال أبو المنى خادم الشيخ مسعود الحمصي: كنت ليلة جالساً أكبِّسُ الشيخ، وإذا به قد ضمَّ رجليه، وقام. فقلت في نفسي: خرج مجدداً وضوءاً. قال: فأبطأ علي، فخرجت أطلبه، فلم أجده، فبقيت أنتظره إلى أن عاد، فكبَّسته، ثم قام، وخرج، وعاد، فبقي في نفسي شيء، فقال: مالي أراك ؟، أيش في نفسك؟. قلت: أنت تدري. قال: ويحك، كان الشيخ عبد الله اليونيني قد خرج يزور جبال العراق فودَّعته، إلى الفرات، ثم رجع فودعته ثم ناولني منشفة بغدادية وقال لي: هذه أعطانيه الشيخ، أو ما هذا معناه.

وقال أبو الحسن علي بن عثمان الموصلي: حضرت مجلس الشيخ الفقيه ببعلَبَك، وهو على المنبر، فسألوه أن يحكي شيئاً من كرامات الشيخ عبد الله، فقال بصوت جهير: كان الشيخ عبد الله عظيم[٣]، كنت عنده ، وقد ظهر من ناحية الجبل سحابة سوداء مظلمة، ظاهر منها العذاب، فلمَّا قربت قامَ الشيخ، وقال: إلى بلدي؟ ارجعي، فرجعت السحابة.

---

(١) الزُّغل: العملة المغشوشة.

(٢) تاريخ الإسلام ٤٤ / ٣٤٠ .

(٣) هكذا وردت في الأصل المخطوط، وصوابه "عظيماً"، إلا ان يكون الكلام على جهة الحكاية بالعامية .

ولو لم أسمع هذه الحكاية من الفقيه ما صدَّقت[١].

وقال الشيخ محمد السكاكيني، وكان لا يكاد يفارق الشيخ، قال: دعاني إنسان، وألحَّ عليَّ؛[فأتيته]فقلت: كيف أخلي الشيخ؟ فقال: لا بدَّ من هذا. فلما كان الليل، قلت في نفسي: يكون الشيخ في الجبل، وأنا هاهنا، فقمت، وطلعت من السور، من عند عمود الراهب، وجئت إلى الزاوية، فإذا الشيخ ظاهرها وهو يقول: يا مولاي! ترسل إليَّ الناس في حوائجهم؟، من هو أنا حتى ترسلهم إليَّ؟. اقضها أنت لهم يا مولاي!. إبراهيم النصراني من جبَّة بشرّي[٢]، يا مولاي!، ودعا له، فبهتُّ لذلك، ونمت، ثم قمتُ إلى الفجر، وبقيت عنده يومئذ إلى الليل. فلما كان الليل وأنا ظاهر الزاوية، إذا بشخص، فقلت: أيش تعمل هنا؟. وإذا هو إبراهيم النصراني!. من "جبة بشرّي"، قلت: أيش جابك؟. قال: أين الشيخ؟. قلت: يكون في المغارة، وأيش تريد به؟.

قال: رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: تروح إلى الشيخ عبد الله، وتُسْلِمْ على يده، فقد شفع فيك!.

فرحنا إلى الشيخ وإذا به في المغارة، فلما رآه الشيخ، قال: يا سيد! أيش بك؟. فقصَّ عليه ما رأى، فتفجَّرتْ عينا الشيخ، وغرغرت بالدموع، وقال: "سماني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شويخ!؟. فأسلم إبراهيم، وجاء منه رجلاً صالحاً[٣].

وقال عبد الصمد: والله الذي لا إله إلا هو، مذ خدمت الشيخ عبد الله، ما رأيته استند على شيء، ولا سَعَلَ، ولا تنحنح، ولا بصق[٤].

---

(١) تاريخ الإسلام ٤٤ / ٣٤٠ .

(٢) بشَرّي: بتشديد الراء وفي آخره الياء آخر الحروف، وهي بلدة بسفح جبال الأرز من شمال لبنان، أهلها نصارى موارنة.

(٣) تاريخ الإسلام ٤٤ / ٣٤٠-٣٤١ .

(٤) تاريخ الإسلام ٤٤ / ٣٤١ .

وقال الفقيه محمد اليونيني[١]: حضرت الشيخ عبد الله مرَّتين، وقد سأله ابن خاله حميد بن برق، فقال: زوجتي حامل، إن جاءت بولد ما اسميه؟. قال: سمٍّ الواحد سليمان، والآخر داود!. فولدت اثنين توأماً.

وقال له ابنه محمد: امرأتي حامل، إن جاءت بولد ما أسميه؟. قال: سمِّ الأول عبد الله، والثاني: عبد الرحمن![٢].

وقال سعيد الماردينى: جاء رجل من بعْلَبَكّ إلى الشيخ، فقالوا: جاءت الفرنج. قال: فمسك لحيته، وقال: هذا الشيخ النحس ما قعوده ها هنا؟. فرُدَّتْ الفرنج!.

وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزي في "مرآة الزمان" [٣]: عبد الله اليونيني أسد الشام، كان صاحب رياضات ومجاهدات، وكرامات وإشارات، لم يقم لأحد تعظيماً لله؛ وكان يقول: لا ينبغي القيام لغير الله. صحبته مدة، وكان لا يدَّخر شيئاً، ولا يمس ديناراً ولا درهماً، وما لبس طول عمره سوى الثوب الخام، وقَلَنْسُوَة من جلد ماعز تساوي نصف درهم، وفي الشتاء يبعث له بعض أصحابه فروة، فيلبسها، ثم يؤثر بها في البرد.

قال لي يوماً ببعلبكّ: يا سيدي!، أنا أبقى أياماً في هذه الزاوية ما آكل شيء[٤]!.

فقلت: أنت صاحب القبول، كيف تجوع؟. قال: لأن أهل بَعْلَبَكَّ يتَّكل بعضهم على بعض، فأجوع أنا. فحدَّثني خادمه عبد الصمد، قال: كان يأخذ ورق اللوز يفركه، ويستفّه!.

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي الرجال اليونيني البعلبكي، ولد بيونين سنة ٥٧٢ هجرية، وتوفي سنة ٦٥٨ هجرية، ودفن عند شيخه ببعلبك، انظر: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ق٢ ج٣/٢٢٤ – ٢٢٩ رقم .

(٢) تاريخ الإسلام ٣٤٢/٤٤ .

(٣) مرآة الزمان ج٨ ق٢/٣١٢ مع تصرف بالألفاظ. وتاريخ الإسلام ٣٤٢/٤٤ .

(٤) هكذا في الأصل المخطوط، وفي تاريخ الإسلام، وهو لفظ اليونيني، وهو على الحكاية العامية.

وكان الملك الأمجد يزوره، فكان الشيخ يهينه، فما قام له يوماً، وكان يقول: يا مُجَيد! أنت تظلم وتفعل، وهو يعتذر إليه.

وأظهر الملك العادل قراطيس سوداً، فقال الشيخ عبد الله: انظروا إلى هذا الفاعل الصانع، يفسد على الناس معاملاتهم، فبلغ العادل ذلك، فأبطلها(١).

وكنت اجتمعت به في سنة ستمائة إلى سنة ثلاث، وكان له تلميذ اسمه توبة.

وسافرت إلى العراق سنة أربع، وحججت، فلما كان يوم عرفة، صعدت جبل عرفات، فإذا بالشيخ عبد الله قاعد مستقبل القبلة، فسلَّمتُ عليه، فرحَّب بي وسألني عن طريقي؟،وقعدتُ عنده إلى وقت الغياب، ثم قلت: ما نقوم نروح إلى المزدلفة؟. فقال: اسبقني؛ فلي رفاق. فأتيت مزدلفة ومنى، فدخلت مسجد الخيف، فإذا بالشيخ توبة، فسلَّم عليَّ، فقلت: أين نزل الشيخ؟. فقال: أيُّما شيخ؟. قلت: عبد الله اليونيني. قال: خلَّفته ببعلبكَّ. فقطَّبتُ(٢)، وقلت: مبارك. ففهم، وقبض على يدي وبكى، وقال: بالله حدثني، أيش معنى هذا؟. قلت: رأيته البارحة على عرفات .ثم رجعتُ إلى بغداد، ورجع توبةُ إلى دمشقَ، وحدَّثَ الشيخَ عبدَ الله، ثم حدثني الشيخ توبة، قال: قال لي ما هو صحيح منك، فلانٌ فتى، والفتى لا يكون غمَّازاً، فلما عدت إلى الشام عتبني الشيخ.

قال سبط ابن الجوزي: وحدَّثني الجمال [بن](٣) يعقوب، قاضي [كرك] البقاع(٤)،قال: كنت عند الجسر الأبيض، وإذا بالشيخ عبد الله قد جاء ونزل إلى ثورا، وإذا بنصراني عابر، ومعه بغل عليه حِمْلُ خمر، فعثر البغل ووقع، فصعد الشيخ وقال: يا فقيه! تعال. فعاونته

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٤٤/ ٣٤٢ .

(٢) في المرآة ٨ ق٢/ ٦١٣: " ففطنت".

(٣) إضافة على الأصل من: مرآة الزمان ٨ق٢/ ٦١٣، وفيه: " وحدثني القاضي جمال الدين بن يعقوب"، وهي ساقطة من المطبوع من تاريخ الإسلام ٣٠٩، ومثبتة في المحقق منه. ٤٤/ ٣٤٣ .

(٤) كرك البقاع: بسكون الكاف، بلدة بالبقاع من عمل بعلبك يعرف بكرك نوح.

حتى حملناه، فقلت في نفسي: أيش هذا الفعل؟. ثم مشيت خلف البغل إلى العقيبة، فجاء إلى دكان الخمَّار، فحلَّ الظرف وقلبه، وإذا به خَل!. فقال له الخمَّارُ: ويحك هذا خل!. فبكى، وقال: والله ما كان إلا خمراً من ساعة، وإنما أنا أعرف العلة، ثم ربط البغل في الخان، وعاد إلى الجبل، وكان الشيخ قد صلى الظهر عند الجسر في مسجد، فدخل عليه النصراني، وأسلم، وصار فقيراً(١).

قال أبو المظفر(٢): وكان الشيخ شجاعاً، ما يبالي بالرجال، قلُّوا أو كثروا، وكان قوسه ثمانين رطلاً، وما فاتته غزاة في الشام قطُّ. وكان يتمنى الشهادة، ويلقي نفسه في المهالك.

فحكى لي خادمه عبد الصمد: قال: لما دخل العادل إلى بلاد الفرنج، إلى صافيتا، قال لي الشيخ ببعلبكَّ: انزل إلى عبد الله الثقة، فاطلب لي بغلته، قال: فأتيته بها، فركبها، وخرجت معه فبتنا في يونين، وقمنا نصف الليل، فجئنا المحدثة الفجر، فقلت له: لا تتكلم فهذا مكمن الفرنج. فرفع صوته وقال: الله أكبر، فجاوبته الجبال، فيبست من الفزع!، ونزل فصلى الفجر، وركب، فطلعت الشمس، والطير لا يطير في تلك الأرض، وإذا قد لاح في ناحية حصن الأكراد طلب أبيض، فظنهم "الأسبتار"(٣)، فقال: الله أكبر، ما أبركك من يوم!. اليوم أمضي إلى صاحب. وساق إليهم وشهر سيفه، فقلت في نفسي: شيخ وتحته بغلة، وبيده سيف، يسوق إلى طلب فرنج!.

فلما كان بعد لحظة وقربوا، إذا هم بمائة حمير وحش، فانكسر قلبه، وفترت همته، وجئنا إلى حمص، فجاء الملك المجاهد أسد الدين، وقدَّم له حصاناً من خيله، فركبه، ودخل معهم، وفعل عجائب.

---

(١) تاريخ الإسلام ٤٤/٣٤٣.

(٢) في المرآة ٨/٦١٥.

(٣) الأسبتار معرَّب للفظ "الهسبتياليين" اللاتينية، وقد أطلق المؤرخون المسلمون هذا الاسم على جمعية فرسان الهسبتاليين، التي يرجع تأسيسها إلى سنة ١٠٩٩ ميلادية، على يد "بليسد جيرارد" بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس، وكانت دارها به، قبل ذلك بزمان طويل ماوى الحجاج والمرضى من المسيحيين.
انظر: السلوك ج١ ج١ ق١/٦٨ حاشية رقم ٤.

وكان يقول للفقيه محمد: فيَّ وفيك نزلت: ﴿وإن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ (١) أنا من الرهبان، وأنت من الأحبار! (٢)

وقال كمال الدين ابن العَديم في "تاريخ حلب" (٣): أخبرني الشيخ محمد اليونيني، قال: سمعت الشيخ عبد الله اليونيني ينشد:

شفيعي إليكم طولُ شوقي إليكمُ ... وكلُّ كريمٍ للشفيعِ قبُولُ
وعذري إليكم أنني في هواكمُ ... أسيرٌ ومأسور الغرام ذليلُ
فإن تقبلوا عذري فأهلاً ومرحباً ... وإن لم تجيبوا فالمحبُّ حَمُولُ
سأصبر ،لا عنكم ولكن عليكمُ ... عسى لي إلى ذاك الجناب وصولُ

وأخبرني الشيخ محمد قال: كان الشيخ يصلي بعد العشاء الآخرة وِرْداً إلى قريب ثلث الليل، فكان ليلة يعاتب ربه عز وجلَّ، ويقول: يا رب! الناس ما يأتوني إلا لأجلك، وأنا قد سألتك في المرأة الفلانية، والرجل الفلاني أن تقضي حاجته، وما قضيتها، فهكذا يكون؟.ويبكي ليله وينتحب. وليلة يتمثل بهذه الأبيات، وكان يتمثل بها كثيراً. (٤)

قال: وأخبرني القاضي شمس الدين عبد الله الحنفي النائب بدمشق، قال: حكى رجل من الفقراء كان قد صحب الشيخ عبد الله اليونيني، وكان في صباه حمامياً، قال: دعتني نفسي إلى معاشرة النساء، فبينا أنا عند امرأة، وإذا زوجها قد جاء، فدقَّ الباب، فحِرْتُ، وكان بيتها صغيراً، فصعدت السطحَ، فدخل زوجها، فرآها متغيرة، فقال: مالك؟. قالت: لا شيء. فارتاب، وصعد السطح.

---

(١) سورة التوبة – الآية ٣٤ .

(٢) مرآة الزمان ج٨ ق٢/ ٦١٦ .

(٣) المسمى بـ: " بغية الطلب في تاريخ حلب" تاليف كمال الدين ابن العديم طبع حديثاً بتحقيق الدكتور سهيل زكار في اثني عشر مجلدة مع الفهارس.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٤٤/ ٣٤٥ .

قال: ونظرت والله إلى عمامته وهو في السلَّم صاعد.

فقلت: " يا سيدي الشيخ عبد الله!، أنا في حسبك".

فطلع، فلم يرني، ونزل، وبقي في بيته ساعة، وخرج.

فنزلت، ومضيت إلى الشيخ، فقال: ويلك يا مُدبر! تتستَّرُ بنا، وتستعين بنا على المعاصي؟!.

قال ابن العديم: وقد صحبته، ووهب لي قميصاً له أزرق، وقال لي يوماً ببيت المقدس: يا أبا القاسم! اعشق تفلح!. فاستحييت، وذلك في سنة ثلاث وستمائة. وعدت مع والدي.

ثم بعد مدة سارَّني بجامع دمشق، وقال: عشقتَ بعدُ؟. فقلت: لا. قال: شُه عليك.

واتفق أني تزوجت بعد ذلك بسنة، وملت إلى الزوجة ميلاً عظيماً، فما كنت أصبر عنها.[١]

قال لي الفقيه محمد[٢]: كنت عند الشيخ، فالتفت إلى داود المؤذِّن، فقال: وصيَّتُك بي غداً، فظنَّ المؤذن أنه يريد يوم القيامة.

وكان ذلك يوم الجمعة، وهو صائم، فلما جاء وقت الإفطار، قال لجاريته: يا درَّاج! أجدُ عطشاً.

فسقته ماء لينوفر، فبات تلك الليلة، وأصبح وجلس على حجر، موضعِ قُبرَ، مستقبلَ القِبلة، فمات وهو جالس، ولم يعلم بموته، حتى حرَّكوه، فوجدوه ميتاً، فجاء المؤذِّنُ وغسَّله، رحمه الله تعالى[٣].

---

(١) المصدر السابق ٤٤/ ٣٤٥.

(٢) هو العلامة الفقيه أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن اليونيني.

(٣) تاريخ الإسلام ٤٤/ ٣٤٦.

قال الفقيه[1]: كنت عند الشيخ يوماً؛ فجاءه رجلان من العرب، فقالا: نطلع إليك؟. قال: لا .

فذهب أحدهما وجلس الآخر، فقال الشيخ:﴿ فأما الزَّبَدُ فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾[2]، ثم قال له: اطلع. وطلع، فأقام عندنا أياماً، فقال له الشيخ: تحب أن أريك قبرك؟.

قال: نعم. فأتى به المقبرة، فقال: هذا قبرك!. فأقام بعد ذلك اثني عشر يوماً، أو أربعة عشر يوماً، ثم مات، فدفن في ذلك المكان!.

وكان له زوجة، ولها بنت، فطلبت أن يزوجني بها، فتوقَّفت أمها، وقالت: هذا فقير ما له شيء.

فقال: والله إني أرى داراً قد بُنيتْ له، وفيها ماءٌ جارٍ، وابنتكِ عنده في الإيوان، وله كفاية على الدوام، فقالت: ترى هذا؟. قال لها: نعم.

فزوَّجَتْنِيها، ورأت ذلك، وأقامت معي سنين، وذلك سنةَ محاصرة الملك العادل سنجار.

وكانت امرأة بعد موتها تطلب زواجي، وتشفَّعتْ بزوجة الشيخ، فلما أكثرتْ عليّ، شكوتها إلى الشيخ، فقال: طوِّلْ روحك يومين، ثلاثة، ما تعود تراها.

قال: فقدم ابن عمها من مصر أميرٌ كبيرٌ بعد أيام، فتزوَّج بها، وما عدتُ رأيتها.

قال ابن العديم: توفي في عشر ذي الحجة، سنة سبع عشرة وستمائة، وهو صائم، وقد جاوز الثمانين.

وكان رحمه شيخاً طُوالاً، مهاباً، كأنه نار، وكان يقوم نصف الليل إلى الفقراء، فمن رآه

---

(١) أي العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي الحسين اليونيني، كما جاء في تاريخ الإسلام للذهبي ٤٤/ ٣٤٥ .

(٢) سورة الرعد– الآية ١٧ .

نائماً ضربه، وكان له عصاة اسمها" العافية"[١].

وكان شجاعاً في الله، وبالله، كثير الأذكار والحضور، يغار ممن يذكر اسم "الجبَّار" بغير استحضار، وله هيبة على المشايخ والفقراء، لا يستطيع الإنسان أن يطيل النظر إليه، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم.

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن العماد نزيل مصر: ما سمي أحد بأسد الشام إلا الشيخ عبد الله اليونيني.

وقال الشيخ علي القصار: كنت إذا رأيت الشيخ عبد الله أهابه كأنه أسد، فإذا دنوت منه، وددت أني أشق قلبي وأجعله فيه[٢].

رحمه الله تعالى.

(١) سير أعلام النبلاء ٢٢/١٠١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٢/١٠٢ .

ومنهم :

٥٥ - الشَّيخُ يُونُسُ بنُ يوسفَ بنِ مُساعد الشَّيبانيُّ، المُخَارِقيُّ، المشرقيُّ، القُنَيِّيُّ*

شيخ الفقراء اليونسية. رجلٌ لم يكن في التقوى محرّجا، ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾(١)، توالت عليه العصب، وقام له العدو وانتصب فرُدَّ خائبا، وفرَّ دون لقائه آيبا، فتوكل له ربه، ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾(٢)، فكشف له الغطاء، ووكف له العطاء، وأنافت له غُدُر المواهب، وأشرقت به غدائر الغياهب، وكانت لياليه مشكاة لأنوار، ومشكاة لأوار، وعزائمه تُسعِّر لجج السيوف وتوقدها، وطائفته شاكية السلاح، شافية في أهل الصلاح، طالما حلّوا الدهرَ همما، وأشبهوا الصحاب دمما، واتَّزروا بزيٍّ غريب من طُرّة عجيب نظره، ولم يكن من انتموا إليه وارتموا عليه على طريقتهم التي سلكوها، وحقيقتهم التي ضيّعوها بعد أن ملكوها.

قال ابن خلِّكان: [وسألت جماعة] من أصحابه عن شيخه من كان؟. فقالوا: لم يكن له شيخ؛ بل كان مجذوباً، وهم يسمون من لا شيخ له بـ"المجذوب"، يريدون بذلك أنه جُذب إلى طريق الخير والصلاح، ويذكرون له كرامات.

---

* انظر ترجمته في: وفيات الأعيان لابن خلكان ٧/٢٥٦-٢٥٧، والمختصر في أخبار البشر ٣/١٣٢، والمختار من تاريخ ابن الجزري ١١٥، ودول الإسلام ٢١/٩٣، وسير اعلام النبلاء ٢٢/١٧٨-١٧٩، رقم ١١٩، والعبر ٥/٧٧، ٧٨، وتذكرة الحفاظ ٤/١٤٠٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/١٤٤، ومرآة الجنان ٤/٤٦-٤٧، والمواعظ والاعتبار ٢/٤٣٥، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ٤٩٠ رقم ١٧٣، والدارس ٢/٢١٣-٢١٥، وشذرات الذهب ٥/٧٨، وجامع كرامات الأولياء ٢/٢٩٦، والخطط التوفيقية ٦/٤٥، وتاريخ الإسلام ٤٤/٤٧١-٤٧٣ والقُنَيَّة: تصغير قناة، قرية من أعمال دارا من نواحي ماردين . " وفيات الأعيان ٧/٢٥٧" .

(١) سورة الطلاق – الآية ٢ .

(٢) سورة الطلاق – الآية ٢ .

وقال ابن خلّكان(١) : أخبرني الشيخ محمد بن أحمد بن عبيد، كان قد رآه وهو صغير، وذكر أن أباه أحمد كان صاحبه، فقال: كنا مسافرين والشيخ يونس معنا، فنزلنا في الطريق على عين بوار، وهي التي يجلب منها الملح البواري، وهي بين سنجار وعانة، قال: وكانت الطريق مخوفة، فلم يقدر أحد منا أن ينام منشدة الخوف، ونام الشيخ يونس، فلما انتبه قلت له: كيف قدرت تنام؟. فقال لي: والله ما نمت حتى جاء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وتدرّك الفعْل(٢). فلما أصبحنا رحلنا سالمين ببركة الشيخ يونس.(٣)

قال: وعزمت مرة على دخول نصيبين، وكنت عند الشيخ يونس في قريته، فقال: إذا دخلت البلد فاشتر لأم مساعد كفناً، قال: وكانت في عافية، وهي أم ولده، فقلت له: وما بها حتى نشتري لها كفناً؟. فقال: ما يضر، فذكر أنه لما عاد وجدها قد ماتت!(٤). وذكر له غير هذا من الأحوال والكرامات. وأنشدني له مواليا، وهو(٥):

أنا حميت الحمى وانا سكنتو فيه ... وأنا رميت الخلايق في بحار التيه
من كان يبغي العطا مني أنا اعطيه ... أنا فتى ما أداني من به تشبيه

قال ابن خلّكان: وذكر لي الشيخ محمد المذكور أن الشيخ يونس توفي سنة تسع

(١) وفيات الأعيان ٣/٢٥٦ .

(٢) تدرّك القافلة : أشرف عليها وحماها، وفي وفيات الأعيان ، والدارس: " وتدرّك القفل" . وجاء في حاشية طبقات الأولياء: " التدرُّك اصطلاح صوفي ظهر في الأدب الصوفي الشعبي أواخر العصور الوسطى، والمدركين بالكون، أو المتدركين به هم الذين يقومون بالإشراف على شؤون الكون، وهم جزء من حكومة أهل الباطن، التي يقوم على رأسها " الغوث" ولها قضاء يفصل في شؤون الكون كله هي " محكمة أهل الباطن" والسيدة زينب بنت الإمام علي كرم الله وجهه ورضي عنها هي: صاحبة الشورى. **انظر** : حاشية طبقات الأولياء لابن الملقن ٤٩١ .

(٣) **انظر** وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٢٥٦، و طبقات الأولياء لابن الملقّن ٤٩١/١ .

(٤) طبقات الأولياء لابن الملقّن ٤٩١، ووفيات الأعيان لابن خلكان٣/ ٢٥٦ .

(٥) ساقط من الأصل المخطوط، استكمل من وفيات الأعيان.

عشرة وستمائة في قريته، وهي " القُنَيَّة"(١)، من أعمال "دارا"، وقبره مشهور بها يزار، وكان قد ناهز تسعين سنة من عمره. رحمه الله تعالى.

ومنهم:

٥٦ - السَّاوجي شَيخُ القَلَنْدَرِيَّة جَمَالُ الدِّين محمد الزَّاهِد*

أليف حالٍ لو صُبَّ على الصخر لتصدَّع، ولو استوقف به المفارق لما وَدَّع، هام بالحب فتيَّمه، وأنكله مذ أحبَّ وأيَّمه، شهدت البصائر من حاله ما أعجب، ومن فرط بكائه وانهماله ماء لولا النار لأعشب، فحمَّل إنسان عينيه ما لم يطق، وسقي بكأسٍ مذ شرب منه لم يفق.

وكان في مبدأ أمره إذ قدم دمشق بطلب العلم مشتغلا، وفي لهب الجد مشتعلا، ثم شمَّر للزهد إزاره، وانقطع سواء من هجره أو زاره، وأقام مجاوراً لمحلَّة الأموات، وجاراً للأعظُم الرُّفات، ثم حلق شعر لحيته ورأسه، واتخذه شعاراً لأناسه، فلم يزل رياً لأتباعه، وحلية لضباع قاعه وسباعه، وربما أتى هو وبعض ذويه بمخاريق وكرامات، للإنكار فيها طريق، وأصحابه يُرْمَونَ باستعمال المسكر، إلا أنه الذي لا يُعصَر، والمسكِر الذي يفعل فعل المُدام، ولا يعرف وينكر.

قدم دمشق، وقرأ القرآن والعلم، وسكن بجبل قاسيون بزاوية الشيخ عثمان الرومي، وصلى به مدة. ثم حصل له زهد، وفراغ عن الدنيا، فترك الزاوية وانملس(٢)، وأقام بمقبرة الباب الصغير، قريباً من الموضع الذي بني فيه القبة لأصحابه، وبقي مدة في قُبَّة زينب بنت زين العابدين، فاجتمع فيها بالجلال الدركزيني، والشيخ عثمان كوهي الفارسي، الذي دفن بالقنوات، بمكان القلندرية.

ثم إن السَّاوجي حلق وجهه ورأسه، فانطلى على أولئك حاله،فوافقوه، وحلقوا.

---

(١) وهي بضم القاف وفتح النون وتشديد الياء المثناة من تحتها: تصغير "قناة". **انظر**: ابن خلكان ٣/٢٥٧

* **انظر** ترجمته في: الوافي بالوفيات ٥/٢٩٢ - ٢٩٣ رقم ٢٣٥١، وفيها " شيخ الطائفة القرندلية"، والدارس ٢/٢١٠، وتاريخ الإسلام ٤٥/٤٢٣ رقم ٦٣٧ .

(٢) انملس من الأمر: إذا أفلت منه.

ثم فتَّش أصحاب الشيخ عثمان [الرومي]على السَّاوجي فوجدوه بالقبة فسبُّوه، وقبَّحوا فعله، فلم ينطق ولا ردَّ عليهم. ثم اشتهر وتبعه جماعة وحلقوا، وذلك في حدود العشرين وستمائة.

ثم لبس دلق شعر، وسافر إلى دمياط، فأنكروا حاله وزيَّه، فرنق بينهم ساعة، ثم رفع رأسه، وإذا هو بشيبة - فيما قيل - كبيرة بيضاء. فاعتقدوا فيه[١]، وضلُّوا به، حتى قيل: إن قاضي دمياط وأولاده، وجماعة حلقوا لحاهم، وصحبوه، والله أعلم بصحة ذلك.[٢]

وتوفي بدمياط بعد العشرين وستمائة. وقبره بها مشهور، وله هناك أتباع.

وذكر شمس الدين الجزري في تاريخه[٣]: أنه رأى كراريس من "تفسير" القرآن الكريم للشيخ جمال الدين السَّاوجي، وبخطه.

وجلس في المشيخة بعده بمقبرة الباب الصغير، جلال الدين الدركزيني، وبعده: الشيخ محمد البلخي، وهو - أعني البلخي- من مشاهير القوم، وهو الذي شرع لهم الجولق الثقيل، وأقام الزاوية، وأنشأها، وكثر أصحابه. وكان للملك الظاهر فيه اعتقاد، فلما تسلطن طلبه، فلم يمضِ إليه .فبنى لهم السلطان هذه القبة من مال الجامع. وكان إذا قدم يعطيهم ألف درهم وشقتين من البُسط، ورتَّب لهم ثلاثين غرارة قمح، في السنة، وعشرة دراهم في اليوم.

وكان السويداوي منهم يحضر سماط السلطان الملك الظاهر ويمازح السلطان. ولما أنكروا في دولة الأشرف موسى على عليّ الحريري أنكروا على القَلَنْدرية - وتفسيرها بالعربيّ المحلَّقين - ونفوهم إلى قصر الجُنَيد.[٤]

وذكر ابن إسرائيل الشاعر: أن هذه الطائفة ظهرت بدمشق سنة نيِّف عشرة وستمائة. ثم أخذ يحسِّن حالهم.

---

(١) فوات الوفيات ٥/٢٩٣.

(٢) تاريخ الإسلام ٤٥/٤٢٤.

(٣) هو كتاب "حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه" ما زال مخطوطاً وفَّق الله من يطبعه ويخرجه للناس.

(٤) تاريخ الإسلام ٤٥/٤٢٤.

ومنهم:

٥٧ - الشَّيخُ عبدُ الله بنُ يُونُسَ الأَرْمَنِي(١) الحَنَفِيُّ*

الشيخ، الزاهد، القدوة.

قدوة لِمَا عصم، وأسوة فيما عُلم، فطفق يفيض المواهب، وطفح جدوله ليغيض الغياهب، ولم يزل منتاباً، ومؤملاً يهدي مرتابا، وكشف لبصيرته، وأشرف بسريرته، وأدلج إلى الآخرة يحدي به مطايا النفوس، حتى زُف إلى لحده زفاف العروس، وأطبق ملحده عليه، وعلى ما تبعه من النفوس، ثم خلا بعمله، وخلف المحلف خالياً بعدله، وذهب لم يطمسْ له منار، ونزل الجنة، والقلوب بعدُ في نار.

أصله من أرمينية الروم، وجال في البلاد، ولقي الصلحاء والزهَّاد، وكان صاحب أحوال ومجاهدات، وكان سمحاً، لطيفاً، متعفِّفاً، لازماً لشانه، مُطَّرِحَ التكلف. ساح مدة وبقي يتقنَّع بالمباحات، وكان متواضعاً، سيِّداً، كبير القدر، له أصحاب ومريدون، ولا يكاد يمشي إلا وحده، ويشتري الحاجة بنفسه، ويحملها. وكان قد حفظ القرآن، وكتاب القُدُوري، فوقع برجلٍ من الأولياء فدلَّه على الطريق إلى الله(٢)

توفي تاسع عشرين شوال سنة إحدى وثلاثين وستمائة. وكانت له جنازة مشهودة. وزاويته مطلة على قبر الشيخ موفق الدين بسفح قاسيون، ودفن جوار الزاوية(٣) رحمه الله تعالى.

---

(١) تصحَّف في العبر ٥/ ١٢٥، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٦١، إلى: "الأرموي".

* انظر ترجمته في: مرآة الزمان ج٨ق٢/ ٦٨٦ - ٦٩١، والتكملة لوفيات النقلة ٣/ ٣٧٣ رقم ٢٥٤٩، وذيل الروضتين ١٦٢، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٣٣، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٦١، والمختار من تاريخ ابن الجزري ١٥٣، ١٥٤، والعبر: ٥/ ١٢٥، والوافي بالوفيات ١٧/ ٦٩٥ - ٦٩٦، رقم ٥٨٦، والبداية والنهاية ١٣/ ١٤١، ١٤٢، ومرآة الجنان ٤/ ٧٥، والنجوم الزاهرة ٦/ ٢٨٥، وشذرات الذهب ٥/ ١٤٥ - ١٤٦، والدارس ٢/ ١٩٦، والقلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية لابن طولون ١/ ١٩٢ - ١٩٣، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٦/ ٧٠.

(٢) وقد طوَّل أبو المظفَّر الجوزيُّ ترجمته في مرآة الزمان ج٨ ق ٢/ ٦٨٦-٦٩١.

(٣) تاريخ الإسلام ٤٦/ ٧٠.

ومنهم:

٥٨ - شِهَابُ الدِّين السُّهْرَوَرْدِيُّ*

أبو حفص، عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن [عمر بن]عمُّويه. واسمه عبد الله بن سعد بن الحسين بن القاسم بن النضر بن القاسم بن سعد ابن النضر بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق الملقب: شهاب الدين السُّهْرَوَرْدِي.(١)

رأس سُنَّةٍ وجماعة، ورحا سنةٍ ذات مجاعة. كان الغيث يستهلُّ من فروج أصابعه، وتستقي البحار من منابعه، مع اعتزائه إلى نسب صِدِّيقيّ، واعتزازه منه بحسب حقيقي، وإجلال الخلفاء لمحله، وانتساب الوفاء إلى حرمه وحِلِّه، ونظره في العلم نظراً يُعَدُّ به من الفقهاء، وشغل أوقاته شغلاً ما قرَّ للالتهاء.

وكان في أول أمره ومقتبل عمره - على شدة فاقته، وعدم قدرته على الدنيا وطاقته - يعطي عطاء المكثرين، ويهب هبات المثرين، مع فقر يعضُّ عليه، ويغضُّ بصر أمله لديه، لعفَّةٍ ما زالت تحل له رتاجا، وتوسع عليه فلا تدعه محتاجا، إلى أن صار من ذوي الثراء، والنعم والإثراء، وعلا مقاماً كان له سعدا، وتمَّ تماماً كان له إرثاً من آبائه حتى يعد معدًّا.

وكان فقيهاً شافعي المذهب، شيخاً صالحاً ورعاً، كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة، وتخرَّج عليه خلقٌ كثير، من الصوفية في المجاهدة والخلوة، ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله.(٢)

---

*انظر ترجمته في: ذيل الروضتين ١٦٣، وطبقات الشافعية ٥/١٤٣، والحوادث الجامعة ٧٤، ومرآة الزمان ٦٧٩، والنجوم الزاهرة ٦/٢٩٢، وعبر الذهبي ٥/١٢٩، والشذرات ٥/١٥٣، والبداية والنهاية ١٣/١٣٨ - ١٤٣، والبدر السافر، الورقة ٤٨، ووفيات الأعيان ٣/٤٤٦ - ٤٤٨، معجم البلدان٣/٢٠٤، وذيل تاريخ مدينة السلام بغداد لابن الدبيثي باريس ٥٩٢٢ ورقة ٢٠٢، والجامع المختصر لابن الساعي ١٤٥،٩٩، وتاريخ إربل لابن المستوفي ١/١٩٢ - ١٩٤، ونهاية الأرب ٢٩/١٩٢ وفيات ٦٣٠ هجرية، وسير الأولياء للخزرجي ٦٧، والمعين في طبقات المحدثين ١٩٦ رقم ٢٠٧٦، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٧٣ - ٣٧٧، والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢٠٩ - ٢١٠، رقم ١٦١، ومرآة الجنان ٤/٧٩ - ٨٢، وطبقات الشافعية للإسنوي ٢/٦٣، ٦٤، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٢٦٢، ٢٦٥، ومواضع أخر، والأعلام ٥/٦٢، وروضات الجنات ٥٠٥، وتاريخ الإسلام ٤٦/١١٢-١١٥ .

(١) نسبة إلى "سُهْرَوَرْد" بضم السين، بليدة عند زنجان، من عراق العجم." طبقات ابن الملقن" ١٦٢ .

(٢) وفيات الأعيان ٣/٤٤٦ .

وصحب عمّه أبا النجيب(١) ، وعنه أخذ التصوف والوعظ، والشيخ أبا محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، وغيرهما، وانحدر إلى البصرة إلى الشيخ أبي محمد بن عبد، ورأى غيرهم من الشيوخ، وحصّل طرفاً صالحاً من الفقه والخلاف، وقرأ الأدب، وعقد مجلس الوعظ سنين.

وكان شيخ الشيوخ ببغداد، وكان له مجلس وعظ، وعلى وعظه قبول كثير، وله نَفَسٌ مبارك. حكى من حضر مجلسه أنه أنشد يوماً على الكرسي:

لا تسقني وحدي فما عوّدتني   أني أشحُّ بها على جُلاسي
أنت الكريم ولا يليق تكرُّماً   أن يعبر الندماءُ دَور الكاسِ

فتواجد الناس لذلك، وقطعت شعور كثيرة ، وتاب جمع كبير.(٢)

قال ابن خلّكان(٣): ورأيت جماعة ممن حضروا مجلسه وقعدوا في خلوته وتسليكه – كجاري عادة الصوفية – فكانوا يحكون غرائب مما يطرأ عليهم فيها وما يجدونه من الأحوال الخارقة، وكان قد وصل رسولاً إلى إربل، من جهة الديوان العزيز، وعقد بها مجلس وعظ، ولم تتفق لي رؤيته لصغر السن. وكان كثير الحج، وربما جاور في بعض حججه، وكان أرباب الطريق من مشايخ عصره يكتبون إليه من البلاد صورة فتاوى يسألونه عن شيء من أحوالهم.

سمعت أن بعضهم كتب إليه: " يا سيدي! إن تركت العمل أخلدت إلى البطالة، وإن عملت داخلني العُجْبُ، فأيهما أولى؟" .

(١) أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن عمويه، ضياء الدين البكري السهروردي، من ولد أبي بكر الصديق ، الصوفي ، الفقيه، الواعظ، تفقُّه بالنظامية، على أسد الميهني، وترك ذلك وانقطع، ثم بنى لنفسه رباطاً وصار له خلق كثير من المريدين الصالحين، وسمع الحديث من أبي علي محمد ابن سعيد بن نبهان وغيره، وروى عنه الناس، وكانت ولادته تقريباً سنة تسعين وأربعمائة، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين وخمسمائة من الهجرة. " البداية والنهاية ١٢/ ٢٥٤" .

(٢) طبقات الأولياء ١٦٣، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤٦ .

(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٤٤٧ .

فكتب جوابه: " اعمل واستغفر الله تعالى من العُجب ".(١)

وحكى الوداعي عن الشيخ قطب الدين بن القرطبي قال: حضرت مجلس الشيخ شهاب الدين السهروردي بمكة، وهو يعظ، فأنشد في خلال وعظه:

هو الحمى ومغانيه مغانيه　　فانزل وعاين بليلى ما تعانيه
ما في الصحاب أخو وجدٍ أطارحه　　حديث نجدٍ ولا صبٌّ أجاريه

فقام إليه فقير فقال: أنا أطارحك أيها الواعظ!، وجلس ووضع رأسه بين ركبتيه، فقال الشيخ: جهِّزوا أخاكم فإنه قد مات!. فقاموا إليه فوجدوه قد مات، فجهَّزوه، وواروه.

وله كتاب: " عوارف المعارف" ذكر فيه أبياتاً لطيفةً منها:

أشمُّ منكَ نسيماً لست أعرفه　　أظنُّ لمياءَ جرَّتْ فيكَ أذيالا

وذكر فيه أيضاً:

إن تأمَّلتكُم فكلِّي عيونٌ　　أو تذكَّرتكم فكلي قلوبُ

ومن شعره أيضاً قوله:

تصرَّمت وحشةُ الليالي　　واقبلت دولةُ الوصالِ
وصار بالوصل لي حسوداً　　من كان في هجركم رثى لي
وحقِّكم بعد إن حصلتم　　بكل ما فات لا أبالي
أحييتموني وكنت مَيْتاً　　وبعتموني بغير غالي
تقاصرتْ عنكمُ قلوبٌ　　فيا له مورداً حلا لي
عليَّ ما للورى حرامٌ　　وحبُّكم في الحشا حلا لي
تربَّت أعظمي هواكم　　فما لغير الهوى وما لي
فما على عادمٍ أجاجاً　　وعنده أعين الزلالِ(٢)

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٤٤٧ .

(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٤٤٧، وطبقات الأولياء لابن الملقِّن ٢٦٤، وتاريخ الإسلام ٤٦/١١٥ .

وقوله:

ربعُ الحمى مذ حللتم معشبٌ نضرُ ... يروق أكنافه يزهو بها النظر
لا كان وادي الغضا الا تنزلون به ... ولا الحمى سحَّ في أرجائه المطرُ
ولا الرياح وإن رقَّتْ نسائمها ... إن لم تفد نشركم لا ضمَّها سحرُ
ولا رقت عبرتي حتى يكون لمن ... ذاق الهوى وصبّاً في عبرتي عبرُ(١)

وقوله:

يطوي اللبيب صحائف الأمل ... قبل اقتحام طلائع الأجلِ
قد شاب مشوب حظه [...] (٢) ... ذهب الكلال بلذة الكللِ

وقوله:

أيا صاحي وقد سئمت السرى فمن ... إليَّ بعين تذوق الكرى
أرى نارهم والهوى سائقي ... وقد هيَّج الشوق من أسهرا
وقد دار في القلب كأس الهوى ... وذو الوجد لا بدَّ أن يسكرا
ولوعي بسكان دار العقيق ... رخيص بروحي أن يشترى

مولده: بسهرورد، في أواخر رجب، أو أوائل شعبان، الشك منه، سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.

وتوفي: في مستهلّ المحرم سنة اثنين وثلاثين وستمائة، ببغداد، ودفن من الغد بالوردية. رحمه الله تعالى.

---

(١) طبقات الأولياء لابن الملقن ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) كلمة لم أتبينها.

ومنهم:

٥٩ - غَانمُ بنُ عَليٍّ بنِ إبراهيمَ بنِ عَسَاكرِ بنِ الحُسَيْنِ*

الشيخ، القدوة، الزاهد، أبو عليٍّ، الأنصاريُّ، السَّعديُّ، المَقْدِسِيُّ، النَّابُلُسيُّ. أحد مشايخ الطرق.

باب من حضرة القُدُسْ، وآب ولم يطأ غير الكواكب ولم يدُسْ، ففاء ظلالاً، وأضاء هلالا، وورد مشرعة، وحمل حمل السحاب المقبل مسرعة، ورمى بمريديه على الشريعة حتى سقاهم زلالها، ووقاهم فرق الفُرقة وضلالها، وتألَّقت له الأنوار فمشى في أضوائها، وتألقت له الأنواء فسرى في أنوائها، ولم يعدلْ بليلى حبيبة، ولا عدى نجداً وكتيبة، خبا لرامة وسفوحها، وآرام وحرَّة وسنوحها، فهمى وهام، ودلَّ على وقته السهام.

ولد بقرية بورين، من عمل نابلس، سنة اثنتين وستين وخمسمائة.

وسكن القدس، عام أنقذه السلطان من الفرنج سنة ثلاث وثمانين، وساح بالشام، ورأى الصالحين.

وكان زاهداً، عابداً، مخبتاً، قانتاً لله، مؤثراً للخمول والانقباض، صاحب أحوال وكرامات.

حكى ابنه الشيخ عبد الله: أنَّ أباه أخبره أن رجلاً من الصدِّيقين اجتمع به ساعة، قال: فلما وقعتْ يدي في يده انتُزِعَتِ الدنيا من قلبي، ولما نهضت قال لي: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾.(١)

فجعلتُ هذه الآية قدوتي إلى الله تعالى، وسلكت بها في طريقي، وجعلتها نُصب

---

* ينظر ترجمته في: الإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٣٤، والعبر ٥/١٢٩ - ١٣٠، ودول الإسلام ٢/١٣٦، ومرآة الجنان ٤/٢٨، والعسجد المسبوك ٢/٤٦٨، والنجوم الزاهرة ٦/٢٩٢، وتاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة ٦٣٢هجرية.

(١) سورة النازعات - الآيتان ٤٠ - ٤١.

عيني لكلِّ شيء قالته لي نفسي. فإن قالت لي: كُلْ. أجوعُ، وإن قالت: نَمْ، سهرتُ، وإن قالت: استرحْ، أتعبتها.

قال ابنه عبد الله: انقطع أبي رحمه الله تعالى تحت الصخرة في الأقباء السليمانية سنة ستين، وصحب الشيخ عبد الله الأرموي، بقيةَ عمره، وعاشا جميعاً مُصْطَحِبَيْن.

قال: وحجَّ ثلاث مرات مُحْرِماً من القدس، فقال: رجعت من الحج، وأنا مريض، لا أستطيع الكلام، فانطرحتُ في البرِّيَّة، فجاءني مغربي، فسلَّم عليَّ، فأومأت له، فقال: قم. فأقامني، وجعل يده تحت جناحي، ثم سار بي يحدِّثني بما أنا فيه، وبما يكون مني، لا أشكُّ أني سائرٌ في الهواء، غير أني قريب من الأرض مقدار ساعة، ثم قال: اجلسْ!، ونم، فنمت ونام معي، فاستيقظت، فلم أجده!. ووجدت نفسي قريباً من الشام، وأنا طيِّبٌ، ولم أحتج بعد ذلك إلى طعامٍ ولا شرابٍ حتى دخلت بيت المقدس.

قال:[ثم أخذ ولده عبد الله يصف توكُّله وفناءه ومحبَّته ورضاه، ومقاماته، وأن أخلاقه كريمة، وهيبته عظيمة، وأنه][1]بقي عشرين سنة بقميص واحد، وطاقية على رأسه، ثم سأله الفقراء أن يلبس جُبَّةً، فلبس، وأنه ما لقي أحداً إلا ابتسم له.

قال: ورأيت ابن شير المغربيَّ، وحجَّ سنة، ثم قدم وحضر عند الفقراء، فقال: كيف كان وصولُ الشيخ؟. قالوا: الشيخُ ما حجَّ.

فقال: والله لقد سلَّمت عليه على الجبل وصافحته. ثم أتى إليه وسلَّم عليه، وقال: يا شيخ غانم! أما سلَّمتُ عليك بالجبل؟. فتبسَّم وقال: يا شمس الدين! هذا يكون بحسن نظرك، والسكوت أصلح.

وحكى الشيخ القدوة إبراهيم [بن عبد الله] الأرمويُّ قال: حضرتُ مع والدي سماعاً حضره الشيخ غانم، والشيخ طيّ، والشيخ علي الحريري، فلما تكلم الحادي حصل للشيخ غانم حالٌ، فحملني وقام بي، ودار مراراً، فنظرتُ، فإذا بي في غير ذلك الموضع، ورأيت

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من "تاريخ الإسلام" ٤٦/ ١١٩ .

شخصاً خارجاً من باب حديقةٍ، وهو يسوق بقرة، فهالني ذلك.

فلما جلس بي الشيخ، قال له الشيخ طيّ أو غيره: أيش كانت وظيفةُ ولد الشيخ عليك في هذه القومة؟. فلم ينطق.

فقال والدي: الشيخ عبد الله فرَّج ولدي في إقليم الهند وجاء!. فسكت الشيخ غانم.

هذه الحكاية يرويها قاضي القضاة أبو العباس بن صَصْرَى، والشيخُ علاءُ الدين علي ابن شيخنا شمس الدين محمد سبط الشيخ غانم.(١)

وتوفي الشيخ غانم في غرة شعبان سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، ودفن في الحضرة التي فيها صاحبه ورفيقه الشيخ عبد الله الأرموي، بسفح قاسيون.

رحمه الله تعالى.

ومنهم:

٦٠ - عَبدُ الله بنُ عَبدِ العَزِيزِ اليُونينيُّ *

من أصحاب الشيخ عبد الله اليونيني الكبير.

قمر طلع منيراً تماما، واقتلع ثبيراً وشماما، من قوم رفعوا عقوق الأعذار، ورقعوا خروق الأعمار، وطبعوا الكلام زبرا، وطمعوا بقول ربهم: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا﴾(٢)، فقدَّموا لأيديهم، وتقدَّموا واللهُ يهديهم، وسَعَوا للآخرة سعيَها، وسَقوا رياض الأماني الفاخرة، فأحسنوا سقيها ورعيها، فأزلفت لهم الغرف ورضوان بوَّابها، حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها.

كان صاحب كرامات ومجاهدات.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٤٦ /١١٨-١١٩ .

* انظر ترجمته في: وفيات سنة ثلاث وأربعين وستمائة من تاريخ الإسلام للذهبي، الترجمة رقم ١٨٥ .

(٢) سورة الزمر - الآية رقم ٧٣ .

قال أبو العباس أحمد ابنه: عنَّفني والدي مرة، وقال لما انزعج: وَاللكَ أنا قضيت إلى يومي هذا صلاة أربعين سنة!.

قال ابنه: وحدَّثني فقير قال: اقتات أبوك سنة بثلاثة دراهم، اشترى بدرهم دقيق، وبدرهم سمن، وبدرهم عسل(١)، ولتَّه وجعله ثلاثمائة وستين كبَّة، كان يفطر كل ليلة على كبَّة.

وقيل: إنه عمل مرة مجاهدةً تسعين يوماً، يفطر كل ليلة على حمّصة، حتى لا يواصل.

قال [الشيخ] إسرائيل بن إبراهيم: كان إذا دخل شهر رجب يتمارض الشيخ عبد الله ابن عبد العزيز، ويأكل في كل عشرة أيام أكلة!.

وقال الشيخ إبراهيم البطائحي(٢): كان في المِزَّة شابٌّ، وكان يشرب الخمر، وكان يحسن إلى جماعة المزة، فسألوا الشيخ عبد الله لعلَّه يتوب، فقال الشيخ عبد الله: أحضروه[لعلَّه يتوب، وكان يحسن إلى جماعة المِزَّة]. (٣)

فدعا بعض الجماعة الشيخ وأصحابه، وحضر الشاب وأنشد بعضهم أبياتاً، وطاب الشيخ، وكان ثمة شمعةٌ، فجعل الشيخ لحيته عليها، وبقيت النار تخرج من خلالها، وكان الشيخ كثَّ اللحية، فلما رأى الشاب ذلك الحال، وقع على رِجْلِ الشيخ وتاب، وجاء منه رجلٌ صالحٌ، وكان كثير العبادة والخير.

قال: وأخبرني جماعة من أهل المزة: أنهم شاهدوا الشيخ والنار تخرج من خلال لحيته، وأن الشاب تاب. (٤)

وقال مري بن أبي الفضل: أخبرني علي الشبلي، قال: احتاجت زوجتي إلى مقنّعة،

---

(١) هكذا ورد في الأصل المخطوط، وكذا في تاريخ الإسلام للذهبي بلفظ: "دقيق، وسمن، وعسل" على الحكاية العامية، خلافاً للنحو حيث صوابها: " دقيقاً، وسمناً، وعسلاً". انظر تاريخ الإسلام ٤٧ / ١٦٩ .

(٢) فيما حكاه العماد أحمد بن محمد بن سعد ، كما في تاريخ الإسلام.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكملناه من المرجع السابق ٤٧ / ١٦٩ .

(٤) قال الإمام الذهبي في تاريخه: " وهذه حكاية صحيحة". ٤٧ / ١٦٩ .

وطالبتني، فقلت: عليَّ دَينٌ خمسة دراهم، فمن أين أشتري لكِ؟. فلما كان الليل نمتُ،فرأيتُ كانٌ قائلاً يقول: إن أردت أن تنظر إلى إبراهيم الخليل فانظر إلى الشيخ عبد الله ابن عبد العزيز.

فلما أصبحت أتيته بقاسيون، فقال لي: والك يا علي! اجلس.

وقام إلى منزله، وعاد ومعه مقنَّعة، وفي طرفها خمسة دراهم. فرجعت، وكان عندنا وردٌ، فجمعتْه المرأة وأتت به إلى بيت الشيخ عبد الله، فوجدت زوجته وما على رأسها سوى مئزر معقود تحت حنَكِها، رضي الله عنها.(١)

وحكى خادمه عباس، فقال: سافرت صحبة الشيخ إلى العراق، ومعنا جماعة ، فلما أتينا ميافارقين، دخل الشيخ عبد الله مسجداً وكان ثمَّ دكانٌ فيها خياطٌ سامري، فلما رأى السامريٌّ الشيخ دخل وقعد في رواق المسجد، فانكر عليه بعض الجماعة، وأراد أن يخرجه، فقال له الشيخ : دعه، وإذا برجل قد دخل على الشيخ ودعاه إلى منزله ، فقام الشيخ وأصحابه، والسامريٌّ، فلما صاروا في بيت الرجل أنشد بعض الجماعة أبياتاً، قال: فضرب السامريٌّ بيده على رأسه، وقام إلى الشيخ، وأسلم، وصحبه.

وقال الشيخ يوماً لزوجته: ما فرغ هذا الدقيق المشؤوم؟. قالت: ليس هو مشؤوم!، وقد رأينا فيه البركة. فقال: ويلك، وإلا دقيق ما يأكل منه فقير ما هو مشؤوم؟.

وكان إذا رأى فقيراً يقول: ما تجيء تعمل عندي في جُبّ. فإذا أجاب قال: على شرط أي شيء جاءنا فتوحٌ تأخذه. فكان إذا عمل الفقير عمق شبرين فإنْ أتي الشيخ بشيء دفعه إليه. فإذا راح عمد الشيخ فطمَّ ما حفره الفقير.

توفي: في ثامن رجب سنة ثلاث وأربعين وستمائة. ودفن بقاسيون بالقرب من التربة المعظَّمة. رحمه الله تعالى.

---

(١) تاريخ الإسلام ٤٧/ ١٧٠ .

ومنهم:

٦١ - الشَّـيخُ عَليُّ بنُ [أبي الحَسَنِ بنِ منصـورٍ] المعروفُ بالحريري*

عَشِقَ فَتَاهَ، وكَلِفَ بغير فتى ولا فتاه، وكان صاحب خوارق لا بتكييف، ولا يدري أهي أو سانحات الطير أعيف، أخذ القلوب عنوة، وكشف الغطاء وقال علوة، وكان لا ينام والعيون رقود، ولا يسام إليه خطا القود، وكانت له أذكار بها النجوم تتالف، وأفكار لو سرت مسراها الريح كادت تتلف، إلى خَلْبِ الألباب، وسَلْبٍ للقلوب يفعل فعل الأعداء بالأحباب، وسكونٍ إلى الدَّعه، وإنفاق من سَعَه، وتأنقٍ في رفاهية، وعيشةٍ راضيه، لعيشة الملوك مضاهيه، هذا مع جهاد كان عليه في أول حاله.

حكي أنه كان يركب حائطاً في داره لحاجة يريدها ثم يغلب عليه حال ينسى بها نفسه ولا يعود يعرف يومه من أمسه، حتى يبقى مدة على الجدار منتصب، ومرفقه بالشمس متوَّج أو بالثريا معتصب، لا يعرف ضجراً ولا هجيرا،، ثم كثر بالناس ائتلافه، وطال تردده إلى المدينة واختلافه،فأطلقت فيه الفقهاء الألسنة، ومرقت الفقراء له السيئة بالحسنة، فطائفة مقرَّة، وأخرى جاحدة،﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾(١).

---

* انظر ترجمته في: نهاية الأرب ٢٩/ ٣٢٨، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٤٦،٣٤٧، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٩، والمشتبه في الرجال ١/ ١٥٠، وسير أعلام النبلاء٢٣/ ٢٢٤ - ٢٢٧ رقم ١٤٤، وفوات الوفيات ٢/ ٤٢ - ٤٥، والذيل على الروضتين ١٨٠، وشذرات الذهب ٥/ ٢٣١،٢٣٢، والنجوم الزاهرة ٦/ ٣٥٩،٣٦٠، وجامع كرامات الأولياء ٢/ ١٧٤، والحوادث الجامعة ٢٣٥، وفيه وفاته سنة ٦٤٦ هجرية، والعبر في خبر من غبر ٥/ ١٨٦، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ١٧٨، وعيون التواريخ ٢٠/ ١٤ - ١٧، والمختار من تاريخ ابن الجزري ٢١٢، ومرآة الجنان ٤/ ١١٢، ١١٣، والبداية والنهاية ١٣/ ١٧٣ - ١٧٤، والعسجد المسبوك ٢/ ٥٥٦، ٥٥٧، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٤٥٠ - ٤٥١، رقم ١٤٠، والفلاكة والمفلوكين للدلجي ٧٢، وجامع كرامات الأولياء ٢/ ٣٤٠ .

(١) سورة هود - الآية ١١٨ .

أصله من "بُسْر"(١)، وتردد إلى دمشق، وتبعه طائفة من الفقراء.

قال أبو شامة : وهم المعروفون بالحريرية، أصحاب الرأي المنافي للشريعة، وباطنهم شرٌّ من ظاهرهم.(٢)

قال: وكان عند هذا الحريري من الاستهزاء بأمور الشريعة والتهاون بها، ومن إظهار شعار أهل الفسوق والعصيان شيء كثير. وانفسد بسببه جماعة كثيرة من أولاد كبراء دمشق، وصاروا على زي أصحابه، وتبعوه بسبب أنه كان خليع العذار، يجمع مجلسه الغناء الدائم، والرقص، والمُردان، وترك الاحتجاز على أحد فيما يفعله، وترك الصلوات، وكثرة النفقات، فأضلَّ خلقاً كبيراً، وأفسد جماعة. ولقد أفتى في قتله جماعة من علماء الشريعة، ثم أراح الله منه.(٣)

وتوفي: في رمضان سنة خمس وأربعين وستمائة، في زاويته بقرية "بسر" . هذا قول أبي شامة في الحريري، وهو أحد القولين فيه.

---

(١) في نهاية الأرب ٢٩/٣٢٨ " بشر" ، وجاء في مرآة الجنان ٤/١١٣ إنه ولد بقرية تستر من حوران!!، وهذا تصحيف. وصوابه ما جاء هنا وفي تاريخ الإسلام للذهبي ٤٧/١٧٨ وفي الكواكب الدرية في طبقات الصوفية للمناوي: " وأصله من بسر بحوران" ٢/٤٠١ .

(٢) في ذيل الروضتين ١٨٠، قدحٌ وذمٌ ، وإفتاء بقتله، وقد أورد الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٣/٢٢٦ ثناء أبي شامة عليه فقال: " وممن انتصر له وخضع لكشفه الإمام أبو شامة فقال: كان عنده من القيام بواجب الشريعة مال لم يعرفه أحدٌ من المتشرِّعين ظاهراً وباطناً، وأكثر الناس يغلطون فيه، كان مكاشفاً لما في الصدور بحيث قد أطلعه الله على سرائر أوليائه" . وكذلك **انظر**: النجوم الزاهرة ٦/٣٦٠ .

(٣) وقال اليافعي معقِّباً على قول الإمام الذهبي في تاريخه – من ذمه له –: " هذا معنى ما أشار إليه الذهبي وميله إلى ما ذكرت من الوصف الأخير كما هو مذهب أكثر الفقهاء الطعن في كثير من المشايخ، فإنه قال: ومن حَيَّر أمره نسبه إلى الفضل والكمال، ومن قبَّح أمره رماه بالكفر والضلال، ثم قال: وهو أحد من لا يقطع عليه بجنة ولا نار، فإنا لا نعلم بما ختم له، لكنه توفي في يوم شريف يوم الجمعة قبل العصر السادس والعشرين من شهر رمضان، وقد نيِّف على التسعين، مات فجاة، انتهى كلامه. وفيه من التشكُّك ما فيه من تغليب التكفير، وأما عدم القطع المذكور فليس يخرج منه أحدٌ سوى الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين ومن شهد له بذلك، ولم يزل الفقراء يذكرون عن الشيخ المذكور عجائب من الكرامات والتجريبات.

وانظر: مرآة الجنان ٤/١١٣، وحاشية تاريخ الإسلام ٤٧/٢٨٧ .

والقول الآخر: أنه من الأولياء أصحاب الأحوال والكرامات، وقد حكي لي من أحواله ما أذكره والسرائر عند الله تعالى.

حدثني عمي الصاحب شرف الدين رحمه الله تعالى قال: سافرت وأنا صبي صغير إلى بلاد حوران، فلما كنت بزرع دخلت الحمام، فإذا أنا بالشيخ علي الحريري؛ فقال لي بعض من كان معي: قبِّل يد الشيخ، فقمت إليه، وقبَّلت يده، فرأيته جالساً على جانب الحوض يصب الماء على أصحابه، فقال له بعض أصحابه، يا سيدي! هذا ابن فضل الله، فقال: ونِعمَ – والله – من ابن رجلٍ جيد، اقعد!، فقعدت، فأمر شخصاً من أصحابه، فغسَّلني، والشيخ يصبُّ عليَّ بيده الماء، إلى أن فرغت، ثم أتاني بمناشف من عنده مبخرة، ما رأيت أطيب منها ريحاً!، ثم أتاني بقماشٍ كانه قد هُيِّءَ لي، فلبَّسني، ثم قال: يا سعيد! يا طويل العمر!، يا طويل الذيل!، فأنا كلما تذكَّرت ما أنعم الله به علي علمت أنها كانت بشرى من الشيخ.

وحدَّثني الشيخ نجم الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن أبي الطيب، عن أبيه الشيخ نجم الدين أبي حفص عمر قال: خرج مرة إلى محجَّة قاضي القضاة محيي الدين أبي الفضل ابن الزكي، ومعه نائبه قاضي القضاة صدر الدين بن سني الدولة، ومعه ابنه القاضي نجم الدين، وكان الفصل شتاء، فلما أردنا العود، وجَّه ابن الزكي وجهه إلى: "بُسْر" لزيارة الشيخ علي الحريري، فلما قاربنا"بُسْر" قال ابن الزكي: أشتهي أن يطعمنا الشيخ بسيسة حورانية، فقال صدر الدين بن سني الدولة: وأنا أشتهي طبيخ كشك بدجاج، فقال ابنه: وأنا أشتهي درَّاقن لوزي. فقالوا: وأنت؟. فقلت: أنا رجل فقير مهما حضر قنعت. قال: فلما وصلنا ونزلنا بالزاوية، سلَّمنا على الشيخ، فجلس إلينا جلسة ثم قام، وغاب عنا إلى أن كاد وقت الظهر يفوت، ثم أتى ومعه قصعة فيها بسيسة، وقصعة فيها كشك دجاج، وبيده شيء آخر، فقال لخادمه: ضع البسيسة بين يدي قاضي القضاة محيي الدين، وضع الكشك بين يدي القاضي صدر الدين، ثم التفت إلى نجم الدين وقال: يا ثقيل!، يا متعنِّت!، من أين يلتقي في بلاد حوران في زمان الشتاء درَّاقن لوزي؟ والله ما تأخَّرنا إلا بسبب عنتك، ثم وضع الذي كان بيده قُدَّامه، فإذا هو سلَّةٌ صغيرة فيها دُرَّاقن، ثم طلع إليَّ وقال: يا نجم

الدين! أنت رجل فقير مهما حضر قنعت به، شارك الكل وكُلْ معهم.

وحدَّثني شيخنا نجم الدين موسى بن علي الكاتب المجوِّد، عرف بابن البصيص، فيما يحكي عن أبيه قال: كان شخص من أبناء الأمراء عند أبي في المكتب، يتعلم الخط، فلما خرج من المكتب، سمع الحديث، وتفقَّه، وكان له ذكاء، وعنده قابلية واستعداد، فبرع، ثم إنه جاء يوماً إلى أبي إلى المكتب ليزوره ويوصيه بأخ له صغير، كان قد أتى به إليه ليعلِّمه، فجلس إلى أبي، وشرع يحدِّثه، فجرى ذكر الشيخ الحريري، فأخذ ذلك الشاب يقع فيه ويقول: رجل مبتدع صفته نعته، وبالغ في ذكره بالسوء، فما أتم كلامه إلا وقد أقبل الشيخ في خلق من أصحابه، فوقف على المكتب، ونظر إلى ذلك الشاب ثم قال له: دع كل شيء كنت فيه، وخلِّ هذا الفشار من رأسك، وقم انزل.

فقام الشاب إلى الشيخ، وقبَّل يده، فطلب الشيخ مقصاً ثم قصَّ شعره، وألبسه طاقية على رأسه، وثوباً من ثياب الفقراء، ثم مشى الشيخ، فمشى الشاب معه، ثم صحبه صحبة كانت إلى آخر العمر.

ومنهم:

٦٢ - عِيسَى بنُ أحمدَ بنِ إلياسَ بنِ أحمدَ اليُونِينيُّ*

جلا الرتب ومزَّقها، ومحا بصباح جبينه الأهلَّة ومحقها، صام الهواجر، وقام الليالي الطوال مُغْرَوْرِقَ المحاجر، وأَنِينُهُ أَنِيسُه، وجلوسُه منفرداً جليسُه، فأنس بالله دون خلقه، وجلس في كِسْرِ بيته لأداء حقه، وعمل لجنَّة يدوم نعيمها، وتهبُّ بحياة النفوس نسيمها، وفرَّ من النار فرار الآبق، وقرَّ به القرار ودمعه السابق.

* **انظر** ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ١/٢٤ - ٣٣، والعبر ٥/٢١٨ - ٢١٩، ومرآة الجنان ٤/١٣٦، والسلوك ج١ ق ٢/٤٠١، والعسجد المسبوك ٢/٦٢٢، وتاريخ الإسلام ٤٨/١٧٤ رقم ١٦٤، وشذرات الذهب ٥/٢٦٦، وتاريخ بعلبك ٢/٤٠٤ - ٤٠٥، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٢٩٩ - ٣٠٠، وعيون التواريخ ٢٠/١٠٠ - ١٠١.

قال أبو محمد عبد الله بن عمر المقدسي - فيما جمعه من أخبار الشيخ عبد الله اليونيني وأصحابه -: ومنهم ذو المنظر المهول، والسيف المسلول، لم يكن بالكلام قَوُول، ولا في العمل ملول، رئيس القوم، ومحيي الليل بالتهجُّد والنهار بالصوم، سلاَّب الأحوال(١)؛ الشيخ عيسى. فروى بسنده عن إبراهيم بن مسمار قال: صحبت الشيخ عيسى أربعين سنة، ما رأيته أكل فيها بالنهار.

وقال محمد بن عبد القادر اليونيني: جاء الملك الصالح إسماعيل إلى عند الشيخ واستأذن عليه ثلاث مرار، فلما اجتمع به قال له: يا سيدي! أشتهي أن أوقف عليك يومين، فامتنع من ذلك، فقال: أبني هاهنا رواقاً، فقال له: ما أشتهي يكون عندي من يصدِّعني.

وقال أحمد بن عثمان بن إلياس: صحبت الشيخ عيسى خمسين سنة، فحدَّثنا يوماً قال: ورد إليَّ جماعة وتحدَّثوا في كرامات الأولياء، فقلت: أعرف رجلاً لو قال لهذه الحجارة: صيري ذهباً وفضةً، صارت.

فقلت: يا سيدي!، ذكر عن إبراهيم بن أدهم أنه ورد إلى عنده جماعة، وتحدَّثوا بمثل هذا، فقال إبراهيم: أعرف رجلاً لو قال لهذا الجبل: زُلْ، لزال!. فاهتزَّ الجبل، فقال له إبراهيم: اسكن!، فسكن. فأنت لما قلت هذه المقالة صارت الحجارة ذهباً. قال: فاحمرَّ وجهه، ودخل فحصل عندي مثل أني أسأت الأدب قُدَّامه، فلما كان بعض الليالي، توضَّأ، ووقف على حجر ينشف وجهه، ويحرك الحجر برجليه، فالتفت إليَّ وقال: يا أحمد! أيش كنت تقول؟. فقلت: يا سيدي! أنا أستغفر الله. قال: قال إبراهيم: ﴿ولكن ليطمئنَّ قلبي﴾ (٢)فنظرت، وإذا بالحجر يلمع ذهباً!. فصحتُ وأغمي عليّ، فأراد الفقراء يقيموني، فقال: خلوه، فلما أفقتُ، اجتمعت ببعض أصحاب الشيخ، وقلت: يا فلان! ما يعرف أحد الشيخ، فقد رأيت منه كذا وكذا. ثم دخلت على الشيخ فعنَّفني، ولامني لكوني حكيت ما رأيت. وقال: يا ما فاتك مني؟.

(١) قال الذهبي في تاريخ الإسلام: " لأنه ما ورد عليه أحدٌ من أرباب القلوب فسلك غير الأدب إلا سلبه حاله".
تاريخ الإسلام ٤٨ / ١٧٥.

(٢) سورة البقرة - الآية ٢٦٠.

وقال إسماعيل بن إبراهيم بن سلطان: كنت قرأت نصف الختمة، والبقرة، وآل عمران، والنساء، ونسيتها، فسألني الشيخ عيسى: أيش قرأت؟. قلت: كذا وكذا، ونسيتها، فلما أردت أن أفارقه ضمّني إلى صدره، فحفظت بعدها القرآن.

وقال عبد الولي بن عبد الرحمن الخطيب: لما دخل الخوارزمية جاء والٍ لهم إلى "يونين"، وطلب من الفلاحين شيئاً ما لهم به قوة، فشكى الفلاحون إلى الشيخ ما يقاسونه من الوالي. فاتّفق أن الوالي طلع إلى عند الشيخ، فقال له: ارفق، فهؤلاء فقراء. فقال: ما لي إلى هذا سبيل.

فبقي الشيخ يردد عليه ويقول: مالي إلى هذا سبيل. فنظر إليه الشيخ وأطال النظر، فخبط الأرض، وأزبد، فلما أفاق، انكبَّ على رجلي الشيخ، واعتذر، ونزل، فقال للخوارزمية: من أراد أن يموت يطلع إلى الضيعة، أو ما معناه(١).

ولما مرض الشيخ مرض الوفاة جاء فقير إلى السياج الذي عند زاويته، وقال له: يا عيسى تعال فقام إليه فقال: هات أذنك، فقدَّم إليه أذنه، فشاوشه، وراح. فلما رجع الشيخ سأله الجماعة عما قال له؟. فقال: أيش تريدون ؟ فلما ألحُّوا عليه، قال لهم: قال لي: يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم: تهيَّأ للقدوم. فمات بعد اثني عشر يوماً، والجماعة خبَّروني بهذا.

توفي في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وستمائة.

وقد ذكره ابن اليونيني(٢)، ورفع نسبه إلى كرز بن وبرة، وكرز في الطبقة الرابعة من أهل الكوفة. وكان زاهداً عابداً، [خائفاً مجتهداً] يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فيضربونه حتى يغشى عليه. وكان يختم القرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات(٣). ولم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة، حياءً من الله تعالى.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٤٨ / ١٧٧ .

(٢) ذيل مرآة الزمان لابن اليونيني ١ / ٢٤، وفيات سنة ٦٥٤ .

(٣) قال اليونيني في "ذيل مرآة الزمان": سأل الله تعالى أن يعطيه الاسم الأعظم على أن لا يسأل به من الدنيا شيئاً، فأعطاه الله ذلك، فسأل الله أن يقويه على ختم القرآن ، فكان يختمه في اليوم والليلة ثلاث مرات. ذيل مرآة الزمان ١ / ٢٨ .

وقال أبو سليمان[١] المكتب: صحبت كرزاً إلى مكة، فكان ينزل فيصلي، فرأيت يوماً سحابة تظلُّه، وكان يوماً شديد الحر، فقال: اكتم علي. وقد ذكره أبو نعيم[٢] وغيره.

عدنا إلى ذكر الشيخ صاحب هذه الترجمة:

قال ابن اليونيني: صحب الشيخ الكبير عبد الله اليونيني، وانتفع به، وكان من أعيان أصحابه، وانقطع بزاويته بقرية "يونين" من عمل بعلبك، معرضاً عن الدنيا وأهلها. يقوم الليل، ويسرد الصوم، [وبقي على ذلك سنين كثيرة، إلى أن توفي رحمه الله تعالى في زاويته بقرية يونين، في رابع ذي القعدة، ودفن بها، وهو في عشر الثمانين تقريباً][٣]،وكان من الأولياء الأفراد، ولم يتزوّج لاستغراق أوقاته بذلك، لكنه عقد عقداً على عجوز كانت تخدمه، لاحتمال أن تمس يده يدها[٤]، والناس عنده سواء في المعاملة.

قال: وبلغني أن البادرائي قصد زيارته، فجاءه عند صلاة المغرب، فصلى الشيخ، وقام ليدخل إلى خلوته على عادته،فاستوقف له حتى أتاه فسلَّم عليه، وسأله الدعاء، ثم أخذ في محادثته، فقال له الشيخ: رحم الله من زار وخفَّف. وتركه ودخل [إلى خلوته].[٥]

قال: وكانت شفاعاته عند ولاة الأمور مقبولة، وله الحرمة العظيمة عند سائر الناس، والمهابة في الصدور، مع لطف أخلاقه، ولين كلمته.

وله الكرامات الظاهرة، وإذا حضر له أحد من [المشايخ و] [٦]أرباب القلوب [إلى يونين، قصد زيارته و]تادَّب معه غاية الأدب، وأما هو فلا يمشي إلى أحدٍ البتة. ومن سلك منهم معه غير الأدب سُلِب.[٧]

---

(١) كذا في الأصل المخطوط، وفي ذيل مرآة الزمان ١ /٢٨" سلمان".

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ٥ /٧٩.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط، استكمل من " ذيل مرآة الزمان" ١ /٢٥.

(٤) ذيل مرآة الزمان للعلامة اليونيني ١ /٢٥.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من الذيل لليونيني ١ /٢٦.

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل ، استكمل من ذيل مرآة الزمان.

(٧) أي سلب حاله.

قال: وكانت بينه وبين والدي صداقة، وكنت آتيه مع أبي فيقبل علي، ويتلطَّف بي، فلما كانت السنة التي مات فيها، كان والدي يأمرني بكثرة التردد إليه،[كأنه استشعر قرب أجله وأحس به ، فكنت بعد كل يوم أتردد إليه فقصدته مرة في أول شوَّال من هذه السنة، ومعي ناصر الدين علي بن فرقين، والشمس محمد بن داود رحمهما الله ، فدخلنا عليه وليس عنده غيرنا، وشرع][١] فحدَّثنا، ثم استغرق عن غير قصد منه لذلك، ثم أفاق من غشيته، وقد انقطع الحديث، فسألناه إتمامه وألححنا في السؤال فقال:

من ساررره فأبدى السرَّ مشتهراً لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وأبعدوه فلم يحظَ بقربهم وبدَّلوه مكان الأنس إيحاشا

قال: وكان مضمون ذلك الحديث: أنه أنذر بدنو أجله، ثم لم يلبث أن مرض ومات، ودفن إلى جانب الشيخ عبد الخالق، وكان من أبر الصلحاء.[٢]

قال: حدثني أبو طالب بن أحمد اليونيني: أن الشيخ عيسى أخبره بما يكون من زوال ملك بني أيوب، وأن الترك تملك بعدهم، ويفتح الساحل كله[٣].

قال: وحكى لي أيضاً: أن عبد الله بن إلياس النصراني قال: جئت طرابلس، فقال لي بعض الخيَّالة[٤]: عندي أسير من بلادكم – وعَرَضَ عليَّ مشتراه – فوجدته رجلاً اسمه: سهل، من قرية "رعبان[٥]" [فحين رآني تشبَّث بي وقال: لا تخلى عني اشترني وأنا أعطيك ثمني حال وصولي إلى رعبان][٦]، فاشتريته بستين ديناراً صورية، وجبته[٧] إلى قريته، فلم

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من ذيل مرآة الزمان ١ /٢٦–٢٧ .

(٢) وهو عمه على ما جاء في تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة أربع وخمسين وستمائة، ٤٨ /١٧٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٣ / ٣٠٠، وفي ذيل مرآة الزمان تتمة: " قال: فقلت له: من يملك بعدهم؟ قال: الترك المماليك، ويفتحون الساحل بحيث لا يبقى للفرنج في ساحل الشام شيء أصلاً" ذيل مرآة الزمان ١ /٢٩ .

(٤) في ذيل مرآة الزمان " الجبَّالة" بالجيم والباء.

(٥) كما في ذيل مرآة الزمان ١ /٢٩ .

(٦) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل المخطوط، استكمل من ذيل مرآة الزمان ١ /٢٩ .

(٧) أي: جئت به، وأوصلته إلى قريته.

يكن له ولأولاده تلك الليلة ما يتعشون، فندمت، فقال لي أهل القرية: نحن في أيام البيدر نجمع لك ثمنه، فضقت لذلك، وجئت إلى يونين، فصادفت الشيخ عيسى خارجاً من الطهارة، وما كنت رأيته قبل ذلك، فقال لي: أنت الذي اشتريت [سهل]الرعباني؟. فقلت: نعم. فشرع يحدِّثني عنه، [ويسألني عن الصورة وهو متوجه إلى زاويته، وأنا معه، فلما وصل إلى السياج الذي على ظاهر الزاوية، طلب فقيراً من داخل السياج، وقال له:](١) أبصر في الزاوية ورقة تحت اللباد الذي لي، أحضرها.

قال النصراني: فتوهَّمت أنها ورقة كتبها إلى من يعطيني شيئاً من وقف الأسرى، أو غيره، فلما ناولني الورقة وجدتها ثقيلة، ففتحتها، فوجدت فيها الستين ديناراً التي وزنتها في الأسير بعينها!، فتحيَّرتُ، وأخذتها، وانصرفت(٢). قال أبو طالب: فقلت له: فلم لا أسلمت؟. فقال :ما أراد الله.

قال قطب الدين : وشكوا إليه التفاح وأمر الدودة، وسألوه كتابة حرز، فأعطاهم ورقةً فشمَّعوها، وعلَّقوها على شجرة، فزالت الدودة عن الوادي بأسره، وأخصبت أشجار التفاح بعد يبسها، وحملت حملاً مفرطاً.

وبقوا على ذلك سنين في حياته، وبعد وفاته، ثم خشينا من ضياع الحرز، فقلنا ننسخه عندنا، فأزلنا الشمع عنه، وفتحناه، فوجدناه قطعة من كتاب جاء إلى الشيخ من حماه، فندمنا على فتحه، ثم أعدناه، فلم يفد. وجاءت الدودة فركبت الأشجار، وأعطبتها، واستمرَّ الحال على ذلك(٣).

وقال: حكى لي الحاج علي بن أبي بكر عن بعض أقاربي أنهم قصدوا عمارة حمام في "يونين" وحصَّلوا بعض آلاته، فنهاهم الشيخ عيسى، فقالوا: السمع والطاعة، فلما قاموا وأبعدوا، قال أحدهما للآخر: كيف نعمل؟. فقال له: الشيخ عيسى رجل كبير[ما يخلد، نصبر]، ومتى مات عمَّرناه. فبعث الشيخ بطلبهم، فلما جاؤوه قال: كأني بكم وقد قلتم

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من ذيل مرآة الزمان ١ / ٣٠ .

(٢) تاريخ الإسلام ٤٨ / ١٧٥، وذيل مرآة الزمان ١ / ٢٩ .

(٣) تاريخ الإسلام ٤٨ / ١٧٥-١٧٦ .

كذا وكذا؟، [وأنكم تعمرون الحمام بعد موتي]. وهذا ما يصير، ولا يعمَّر هذا الحمام لا في حياتي، ولا بعد موتي، فاعتذروا إليه.

قال ابن اليونيني: وأنا والله رأيت التجيبي[1] وهو نائب الشام وكان معظم يونين وقد همَّ بعمارة حمام يونين، واشترى القدور، وسائر الآلات،[ولم يبق إلا عمارته]، ثم اتفق ما صرفه عن ذلك، ثم [انتقل الخبر إلى الأمير عز الدين أيدمر الظاهري متولي نيابة السلطنة بالشام بعده، فشرع في ذلك][2]،واهتم به أعظم ممن تقدَّمه، وحفر الأساس، ثم بطل بموانع سماوية![3].

ومنهم:

٦٣ - يوسف القُمِّيني*

رجلٌ كان لا يريد في الأرض علواً، ولا فيما لم يرض غلوًّا، فاتخذ الذلَّ عزًّا، والفقر كنزا، وجعل الدنيا مسافةً جَدَّ في قطعها، وشجرة خبيثة جهد في قلعها، وباغية جرَّد عزائمه لقمعها، وعلة ضارية جلد نفسه على منعها، فعوِّض بالأعلى عن الأدنى، وبدل له اللفظ بالمعنى، وتوقد منه أي جذوة، وأدلج ليلاً وأوَّب، وأبهج لألاء والنجم في غرته قد صوَّب.

كان مأواه القمامين[4]والمزابل بدمشق، وغالب أوقاته يكون بقمِّين حمام نور الدين الشهيد، بسوق القمح بدمشق.

---

(١) الأمير جمال الدين التجيبي نائب السلطنة بالشام في وقته، في أوائل الدولة الظاهرية." ذيل مرآة الزمان ١ /٣١

(٢) ذيل مرآة الزمان ١ /٣١ .

(٣) قال اليونيني :" وأظن أميراً آخر غيرهما اقطع في القرية فعزم على مثل ذلك فلم يتم، وصحَّ قول الشيخ رحمه الله تعالى" ذيل مرآة الزمان ١ /٣١ .

* **انظر** ترجمته في : ذيل الروضتين ٢٠٢ - ٢٠٣، وذيل مرآة الزمان ١ /٣٤٨، والعبر ٥ /٢٤٠، وسير أعلام النبلاء ٢٣ /٣٠٢ - ٣٠٣ رقم ٢١٠، والبداية والنهاية ١٣ /٢١٦- ٢١٧، وفيه:"الأقميني" وعيون التواريخ ٢٠ /٢٢١، وشذرات الذهب ٥ /٢٨٩ - ٢٩٠، وعقد الجمان ١ /٢٢٦ - ٢٢٧ ، وتاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة سبع وخمسين وستمائة ٤٨ /٣٢٨ .

(٤)كذا في الأصل المخطوط، وفي ذيل مرآة الزمان أيضاً، ولعله " القمامات" وجمع القمامة جمع تكسير: قمام.

وكان يلبس ثياباً طوالاً تكنس الأرض وهو حاف، مكشوف الرأس، طويل الصمت، قليل استعمال الماء، ولكثير من الناس فيه عقيدة جميلة، ويحكون عنه أنه يكاشفهم في كثير من الأوقات. وكان بعض من يعتقد فيه يحضر له شيئاً من المأكول والمشروب، ويجتهد فيه، فيتناول منه قدراً يسيراً.

ولازم هذه الطريقة الشاقة إلى أن توفي في سادس شعبان سنة سبع وخمسين وستمائة، بدمشق. ودفن بتربة المولّهين، بقاسيون، ولم يتخلّف عن جنازته إلا القليل من الناس. وكان من غرائب العالم، يترنّح في مشيته، ولا يلتفت إلى أحدٍ ولا يعبأ به.(١)

ومنهم:

١٤ - الأَكَّالُ: مُحَمَّدُ بنُ خَلِيل بنِ عَبدِ الوَهَّـاب بنِ بَدرٍ، أَبو عَبدِ اللهِ البِيطَارُ*

حُبِّب إلى الناس حُسن منظره، ويمن محضره، فكانوا يَغْشَونه، وكادوا بهدب الأجفان يعشونه، لأنهم كانوا للنصح لا يستغشونه، ولخالص الودِّ معه لا يغشونه، فكان لا يزال مَجْلسه معمورا، ومُجَالِسُه معذورا، رغبة في أنسه، ومحبة لنوعه الغريب في جنسه.

وكان يقصد من السلطان فمن دونه بأطايب الطعام، ومواهب الإنعام، وتنوع له تلك الأطعمة، وتبذل في النفقات عليها الأيدي المنعمة، ولا يأكل إلا بالأجرة تلك المآكل، ثم يجعل تلك الجعالة للأرمل والشاكل، فما جاءه منها بالأجرة مقرباً أكل منه، وأطعم، وفضَّ ختام ذلك المبلغ وأنعم، وما جاءه بغير شيء ردَّه، وتركه ما مدَّ يده إليه ولا مدَّه.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١/٣٤٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٠٢.

*انظر ترجمته في: ذيل الروضتين ٢٠٧، والبداية والنهاية ١٣/٢٢٩، وذيل مرآة الزمان ١/٣٨٩ - ٣٩٢، والعبر ٥/٢٤٨، والوافي بالوفيات ٣/٤٩، وعيون التواريخ ٢٠/٢٤٥، وفوات الوفيات ٣/٣٥١ - ٣٥٢، رقم ٤٤٩، وشذرات الذهب ٥/٢٩٤، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٨/٣٦٢-٣٦٣ رقم ٤٦٠.

ويحكى عنه في هذا حكايات غرائب ونوادر: حكى لي شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي الكاتب رحمه الله، قال: اجتمع طائفة من الأمراء يوماً، فتحدَّثوا في طريقة الشيخ محمد، فقالوا: نريد نغلبه، ونتحيل حتى يأكل شيئاً بغير أجرة!. فقال واحد منهم: أنا أفعل هذا، فبعث، فاشترى رأسين سمان من الغنم، ثم عمد إلى خرجين لطيفين، فملأ عين كل واحد منهما أرزاً والآخر سكراً، ثم شدَّهما عليهما، وبعث بهما رجلاً استغفل الشيخ محمد، حتى أتى من الجامع، وفتح باب بيته، ودخل، فلما علم أنه قد صار داخل الدار، ساق الرأسين إلى داخل الدار، ثم ردَّ الباب عليهما وسكَّره، فلما شعر الشيخ محمد بدخولهما، خرج فرآهما!، فقال: نعم، يريدون أن آكل هذا بلا أجرة!، لا كيد، ولا كرامة، والرجل الذي أحضرهما خارج الباب يسمع،فانطلق إلى أصحابه، وأخبرهم. ثم إن الشيخ محمداً لم يزل بالباب حتى فتحه، وأخرج الغنم إلى الزقاق بما عليهما وطردهما، وجعل يقول: يا غنم! إن كان لهم حاجة يبعثوا معكِ الأجرة حتى آكل، وإلا ما آكل. فلما أبعدت الغنم رجع الشيخ محمد إلى داره، وتمت الغنم جارية تشق الأسواق، والطرقات، حتى أتت دار القيامرة، فدخلت إلى الموضع الذي بعثت منه، بما عليها، لم يتعرَّض لها أحد!. فلما رأوا ذلك أكبروه، ثم ركب بعض أولئك الجماعة لزيارة الشيخ على عادتهم، فلما دخل عليه قال: إنكم شُطَّار ملاح، أردتم أن آكل لكم بالسخرة، وما كفاكم هذا حتى أردتم أن أطبخ لكم بالسخرة، وأن أذبح لكم، وأسلخ بالسخرة، وأنا هذا ما أفعله، ولا آخذ إلا طعاماً مطبوخاً، لا يكون عليَّ في أكله كثير تعب، وبعد هذا ما آكله إلا بالأجرة، قم عني، قم!. فقام، وأتى أصحابه، وأعلمهم، فعملوا له أطعمة فاخرة، ثم بعثوا معها مائة دينار، حتى أكل من الطعام، وفرَّق الذهب بأجمعه في سبيل الخير.

قال شيخنا شهاب الدين: وكان هذا دأب الشيخ محمد، ومهما جاءه، فرَّقه على المستحقين، لا يدَّخر شيئاً منه، وكان عنده لكل طعام أجره، وكل ما كان الطعام أفخر، كانت أجرته على أكله أكثر، حتى سُمِّي بالأكَّال لذلك،وكان من أقلِّ الناس أكلا. هذا ما حكاه لي.

وأصله من جبل بني هلال، ومولده بقصر حجاج، خارج دمشق، سنة ستمائة[١]

وكان رجلاً صالحاً، كثير الإيثار، وحكاياته مشهورة في أخذه الأجرة على ما يأكله وما يقبله من برٍّ الأمراء والملوك وغيرهم، مشهورة، ولم يسبقه إلى ذلك أحدٌ، ولا اقتفى أثره من بعده.

قال اليونيني في "الذيل" [٢]: ولا شك أنه كان له حالٌ ينفعل له بها ذلك، وجميع ما يفتح به على كثرته يصرفه في القرب، وتفقُّد المحابيس وغيرهم من المحاويج، والأرامل، والمنقطعين. وكان بعض الناس ينكر على من يعامله بهذه المعاملة، وينسبه في فعله، فإذا اتفق اجتماعه به انفعل له انفعالاً كلياً، ولا يستطيع الامتناع من إعطائه كل ما يروم، وكان مع هذا حسن الشكل، مليح العبارة، حلو الحديث، له قبول تام من سائر الناس.

قال قطب الدين اليونيني: وكان كثير المحبة في والدي، والتردد إليه، لما نزل دمشق في سنة خمس وخمسين وستمائة، والأكل عنده بغير أجرة، وهو مطلق عنده دون غيره[٣]توفي بدمشق في خامس شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٤٨ / ٣٦٢ .

(٢) انظر: ذيل الروضتين ٢٠٧ .

(٣) تاريخ الإسلام ٤٨ / ٣٦٢ .

ومنهم:

٦٥ - عبد العزيز بن القاضي أبي عبد الله محمد بن عبـ المحسن بن محمد بن منصور بن خَلَف الأنصاريُّ، الأوسيُّ، أ محمد شرف الدين*

شيخ الشيوخ بحماه. عَلَم زهد، ومجنى شُهد، وسلالة أجداد جادوا، وآباء فعلـ آبائهم وزادوا. من جرثومة سجعت، وأرومة سبقت، ومجد لم يقنع، باق منه لوراثه بـ برده حتى أبلاه، وأنفق رفده حتى أفناه، تمتع بمفاخره، وجمع فضله ثم ذهب عن آخره

وكان له عند ملوك حماة جد مقبل، وسعدٌ ذيله عليه مسبل، وتبع طريقه المـ وأخذ بالأدب والتأديب عنه الملوك، وكانت قريحته غمامة مطر، وكمامة زهر، ونظـ وغرر أيام وطرر ليال في سالفة غلام(١)

*ينظر ترجمته في: ذيل الروضتين ٢٣١، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٢٣٩ - ٢٩٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ٩ رقم ٥٤، وفيات ٦٦٢هجرية، ومشيخة قاضي القضاة ابن جماعة ١/ ٣٤٣ - ٣٥١ رقم ٣٧، و المختار من ذيل تاريخ بغداد لابن رافع ١١٢ - ١١٤، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ٢١٩، وتالي الأعيان ٩٧ - ٩٨ رقم ١٤٥، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٤٣، ودول الإسلام ٢/ ١٦٧ - ١٦٨، والعبر ٥ والإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٧، والمعين في طبقات المحدثين ٢١١ رقم ٢٢٠٧، والإشارة إلى وفيات ٣٥٩ - ٣٦٠، والسلوك ج ١ ق ٢/ ٥٢٣، وذيل التقييد ٢/ ١٣٣ رقم ١٢٩٤، والوافي بالوفيات ٨ - ٥٥٦ رقم ٥٥١، والنجوم الزاهرة ٧/ ٢١٤، والدليل الشافي ١/ ٤١٧، رقم ١٤٣٧، والمنهل ٧/ ٢٩٣ - ٢٩٩، رقم ١٤٤٣، وبغية الوعاة ٢/ ١٠٢، وتاريخ ابن سباط ١/ ٤٠٩، وبدائع الـ ق١/ ٣١٩، وشذرات الذهب ٥/ ٣٠٩، وطبقات الشافعية الكبرى ٨/ ٢٥٨، والأعلام ٤/ ٢٥ الجمان للزركشي ١٨٣.

(١) قال الإمام الذهبي في ترجمته: " الإمام، العلامة، شيخ الشيوخ، شرف الدين، أبو محمد الأنصاري، الدمشقي، ثم الحموي، الشافعي، الأديب الصاحب، ابن قاضي حماة، ويعرف بابن الرَّفَّاء. ولد وثمانين وخمسمائة بدمشق، ورحل به والده وهو صبي، فسمَّعه " جزء ابن عرفة، من ابن كليب، و كلّه من عبد الله بن أبي المجد الحربي ". وحدَّث بالجزء نحواً من ستين مرة بدمشق، وحماة، وبعلبك، ومصر،

وله شعر ما طرزت مثل سطوره الخدود، ولا نقشت شبه طروسه الرداح الرود،أرقٌ من دمعه الدلال، ومعاتبة الأحباب للملال.

كان كأنه إيماء اللحاظ المراض، وسقيط الطل على الرياض، ومنه قوله:

ولو سلّمت ليلى غـداة لقـيـتـهـا	بسفح اللوى كادت لها النفس تخشعُ
ولكن جُـرمي مـا علمت ولو به	البـداوة تأبى أن ألين وتمنعُ
ولست امـرءاً أشكو إليك صـبـابةً	ولا مـقلة إنسـانهـا الدهرَ يدمعُ
ولكنني أطوي الضلوع على الجـوى	ولو أنهـا مما بهـا تتـقطّعُ

وقوله:

أُحـدِّثُ النفس أحيـاناً فـأطمـعـهـا	زوراً وتأيس أحـيـانـاً وتكتـئبُ
وأسـتـريح إلى صـهـبـاء صـافـيـة	كـأنهـا شـعلة في الكاس تلتـهـبُ
ولي كـتـائب أشـواقٍ أجـهِّـزها	إلى جنابك إلا أنهـا كـتـبُ
ولي أمـانيّ من نفس أسـرُّبهـا	إذا ذكـرتك إلا أنهـا كـذبُ

وروى المسند غير مرة. وكان صدراً محتشماً ، نبيلاً معظَّماً، وافر الحرمة، كبير القدر. وقال أبو شامة: وكان شيخاً فاضلاً، حسن الصورة، والمحاضرة، وله نظم في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وغيره.

وقال قطب الدين اليونيني: وكان أحد الفضلاء المعروفين، وذوي الأدب المشهورين، جامعاً لفنون من العلوم، ومعارف حسنة، ذات سمتٍ ووقار، وجدٌ وحسن خلق، وإقبال على أهل العلم وطلبته، وتقدم عند الملوك وترسَّل عنهم غير مرة، وكانت له الوجاهة التامة والمكانة المكينة، وله النظم الفائق، واليد الطولى، في الترسل والأصالة في الرأي مع الدين المتين، ومكارم الأخلاق، ولين الجانب ، وحسن المحاضرة، والمباسطة، والإفضال على سائر من يعرفه، والتكرُّم على من يقصده. ص .٢٤٠ وقال ابن جماعة: " أحد الأئمة الفضلاء، ومن أعيان السادة النبلاء، جمع بين الفضل الغزير، والديانة والرئاسة، وحسن الخلق، وكرم النفس، والتواضع؛ " وكان حسن المحاضرة، مليح الهيئة، متضلّعاً من فنون الأدب، له النظم الفائق، وكان شيخ الشيوخ، له الوجاهة والمنزلة الرفيعة، والرتبة العلية عند الملوك والخاص والعام، وترسَّل إلى دار الخلافة، وإلى ملوك الشام، ومصر غير مرة.

انظر: تاريخ الإسلام وتعليقات محققه الفاضل التدمري ٤٩/ ١٠١-١٠٢ .

وقوله

عاينت إنسان عيني في تسرُّعه ... فقال لي: ﴿خُلق الإنسان من عجلٍ﴾
يا عاذلي ليس مثلي من تخادعه ... فليس مثلك مأموناً على عذلي
ما دمت خلواً فلا تنفك مرتهناً ... فاعشق وقولك مقبولٌ عليَّ ولي

وقوله:

لها معاطف تغريني برقَّتها ... ولينها أن أقاسي قلبَها القاسي
باتت موسّدةً رأسي على يدها ... عطفاً وكانت يدي منها على راسي

وقوله:

وليلة راح ساعدتني عجوزها ... على نوم بين لا ينادي وليدهُ
خلوتُ بها أبكي الأسى وأجده ... وأصبغ بالدمع الثرى وأجوده
وأشربها صرفاً كأن حبابها ... لها من جبيني ثغرة وعقوده
فمن مال نجد أو زر ورد محله ... فدعه فقلبي بحده وورده

وقوله:

عذب شربي في حياتي أجاجُ ... فرماني والعلى في ضجاج
كلما حاولت من صرفه حاجة ... يصرِّفني باحتجاج
لأطيلنَّ لجاجي وقد ينفع ... الإنسان طول اللجاج
سالياً رشف رضاب الدُّمى ... قالياً حب حباب اللجاج
ساحباً في الدار سمر القنا ... واهباً للجو كدر العجاج
قائداً نحو الغنى جحفلاً ... برؤوس الأكم منه شجاج
راجياً إيقاعه بالعدة وقعة ... للأرض منها ارتجاج
خاطباً بكر العلى خاطراً ... بين خرصان الغنى والزجاج
كارهاً للعيش ما لم أنل ... سالكاً للعز خير الفجاج
وقعةٌ ترضى بها ذو الحجى ... أو مماتاً قاطعاً للحجاج

وقوله :

قد طال بالحلم عن أعدائك الأمدُ   فاعمد لعزمٍ مزيل ما له عمدوا
وكن على رأيك الميمون معتمداً   فليس غيرك للعلياء معتمدُ
لا تصرفن عن بني همدان واقرهمُ   ضرباً إذا ما تغشى أمة همدوا
ضرباً تجمد موار الدماء إذا   ما مار منه هامهم في المآقط الجمد
هم من علائك في هم وفي كمدٍ   فدام للقوم ذاك الهمُّ والكمد
وليس تخمد نار في قلوبهم   من الحقود الألى إلا إذا خمدوا
في ليل يقع لهنيض الظبي شهب   كسقف دجن له سمر القنا عمدُ
وقد مددت له حبلاً إلى أمد   والآن حين يداني ذلك الأمدُ
فانهض تعب المعالي غير متئد   وارع الأنام رعاك الواحد الصمد

وقوله :

متيم في عينيه لو جاك   ماذا يضرك لو عرفته نباك
لله درُّكَ ما ألهاك عن دنف   ما ردَّ أمرك في حال ولا دراك
بريت جسمي بالإعراض منك و   عطفت أبراني سبحان من براك
أدميت خدك إذ أدميت لي كبدي   أنصف وقل لي ترى من بالسر بداك
قد قلت للسجف لما أن حجبت به   يا سجف لبيك قد أحميت أمراك
ويا منمنم خطي عارضيه لقد   قراك مهجته الرائي وما قراك
وأنت يا من يساميني إلى شرفي   لقد وسعت إذن أضعاف ما ملاك
هذا وسرحك يرعى في حمى كلأي   فلا رعى سرحك الباري ولا كلاك
جحدت حق فتى ما زلت ترزؤه   فيما يحل وفيما مل ما رزاك
من وهن رأيك أصبحت منتصراً   بـــــــــــن [...](١)
لم يدر قدرك من قد يرى ولا   عرفت جهلك النامي ولا ملاك
قل ما بدا لك من لوم لذي كرم   فلم تجب طوال الدهر ما حساك

---

(١) هنا بعض الكلمات مطموسة لم أتبينها ، وبالجملة فهذه الأبيات مكسورة الوزن وفي كلماتها تصحيفات كثيرة، فلزم التنويه.

وقوله:

يا رشا لم يطق فؤادي ... تخلفاً عنه وهو داعي
إن كان لا بد من فراقٍ ... فاسمح بتقبيلة الوداعِ

وقوله:

قد فؤادي بحسن قَدٌ ... كالغصن في بانه الرطيبِ
ووجنة ما أتم ربحي وقد ... غدا وردها نصيبي

وقوله:

تقنَّع بالكفاف من المعيشه ... ودرع شرهاً يذل أسود بيشه
ولا تهتمَّ في الدنيا برزق ... ليوم لا تؤمِّلُ أن تعيشه

وقوله:

وأرماح نفت مهج الأعادي ... كما ينفي الزيوف الصيرفيُّ
تكن صدورها منهم صدور ... تضيق بها فتظهرها القفيُّ

وقوله:

ونحن معاشر نأبى الدنايا ... ونلبس من صوان العرض سردا
نعانق من رماح الحظ باناً ... وننشق من سيوف الهند وردا

وقوله:

إذا قنع الملوك بدون عيش ... فدون مرامك الأمد القصيُّ
أبوك محمدٌ داعي البرايا ... إلى الجدوى وأنت له وصيُّ

وقوله:

مهّد لجنبك قبل مضجعك ... وانظر طريقك قبل منتجعك
راجع فؤادك في فوارطه ... تجد الإبانة قبل منزجعك
واصبر لإنجاع النصيح ففي عقبـ ... ـاه ما يشفيك من وجعك

وقوله:

ضحك العوادي إذ بكيتك ... فشغلني عنهم فديتك
لا كان من يلحى عليك وعـ ... ـاش عيشي إذ نأيتك
أطمعتني بلطيف وعدك ... في وصالك فاقتصيتك
وصرفت عن كل الورى عيني ... ـي فكيف دنت رأيتك
ومتى ذكرت بصالح أحداً ... سواك فقد عنيتك

ونزلت قلبي فاحتكم فيه فـ ... ـإن البيت بيتك
أخشى سطاك ولو أطعـ ... ـت وارتجيتك وإن عصيتك
ما كان اربح صفقتي مذ بعـ ... ـت روحي واشتريتك

وقوله:

جنح اللئيم إلى العناد ... وغرّه مني السكونَ
والراح عند وقارها ... في الدنّ أبرق ما تكون

وقوله: " ويروى للبهاء زهير وهي بقوله أشبه، وعبقها أنسب بزهير إذا تنبَّه" :

رفقاً بروحي فهي لك ... وعلى السخي بما ملك
إني أغار إذ الأراك ... دنا إليك فقبّلك
ويروعني واشي النسيم ... إذا ثناك وميّلك
ما أقبح الصبر الجميـ ... ـل بعاشقيك وأجملك

وقوله:

يمهل من عارضه لكنَّه لا يهملُ
كم للعفاة نحوه في السد حرف يعمل

وقوله:

من منصفي من عاذلٍ جاهل يخون باللوم من لا يخون
إن قلت ما يضحك إلا إذا قال وما عشقك إلا جنونُ

وقوله:

سيندم الملحد في دينه يوماً إذا صار إلى اللاحد
أقررت بالرب وخالفته ما أشبه المثبت بالجاحد

وقوله:

لا تنس وجدي بك يا شادنً اً بحبه أُنسيت أحبابي
مالي على هجرك من طاقة فهل إلى وصلك من بابِ؟

وقوله:

سألته من ريقه شربة يطفى بها من ظمئي حره
فقال أخشى يا شديد الظما أن تتبع الشربة بالجره

وقوله:

مات أبو بكر ومن لي بأن لو متُّ من قبل أبي بكر
أخٌ تحللت له أنعماً تفضل عن حمدي وعن شكري

وقوله مما كتبه على جرن حمام كان يدخله السلطان بحماة:

كملت لطفاً ووقاراً على ما حزت من أوصافي الحلوه
من أجل هذا صرت أهلاً لأن أجالس السلطان في الخلوه

وقوله:

قالوا فلانٌ من القضاة فما بالـ ـلك في سبٌ عرضه مجاهدْ
فقلت لا تحفلوا به أبدا فذاك قاضٍ يقول بالشاه

وقوله

إن قوماً يلحُون في حب سعدى لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها ولاموا عليها أخذوا طيباً وأعطوا خبي

وقوله

انظر بصائب رأي مستكسب وعزيزي
ولا تعيش ذليلاً وأنت عبد العزيز

وقوله:

تيقَّظ بفكرك فيما إليه عواقب كل الورى آيله
ولا تتعرضن لخزي الجحيم ومالك صبر على القابله

وقوله:

وقاضٍ تصدّى لإسخاطنا فليس لنا عيشة راضيه
يجور وقد عدلت غرسه فيها فيا ليتها كانت القاضيه

وقوله:

ولي صاحب لست أكفى أذاه إلا إذا ما حواه الجدث
له لحية لا سقاها الحيا إليها يساق حديث الحدث

وقوله:

تقرب إلى إله السما بما يرضى ودع عرض الدنيا تعش وافر العرض
ووفٌ بني الدنيا الوداد فإن وفوا وإلا فقد أقرضتهم أحسن القرض

وقوله:

قــذفت صــمــيم فــؤاده بشـــواظ ... شـــعل أرته نصـــائح الوعـــاظ
وأطلت في ليل الشـبـيـبـة رقــدتي ... فــأجــد صبح الشيب في إيقــاظي

وقوله:

لـعـلـك تـرثـي لـذي لـوعـــــة ... إذا ضـــحك العـــاذلون انتـــحب
آمل من عــبــرتي نصــرتي ... مـــتى كـــشـــفت كـــرب بالكرب
ولـو لـم أدع في هـواك الـوقـــار ... لما صـــار يـاخـــذني الطرب
ولا صـــرت أفـــهم عنك الحـــديـ ... ـثَ بنقـــر الدفـــوف ونفخ القـــصب

وقوله:

وكـــم لائـــمٍ يـــلـــحـي إلـــي أن ... تأمل من هـويت فـــمـــا تـنحْنحْ
نفـى عني المنام بـســـحـــر عين ... إلى سلم المتـــيـم ليس يجنحْ
له حـــدق بقـــول الحـــرب أولى ... ولي قلب يقـــول الصلح أصلحْ

وقوله:

يا سلم الله جـــيـــراناً بذي سلم ... لبـينهم بان خـــسراني بعـد أرباحي
كانوا شموسي وأقماري وقد حجبوا ... عني فـــأظلم إمـــسائي وإصـــباحي
إذا خشيت مزيد البعد زدت جوى ... مـــبـــاعـــداً بين أجـــســـاد وأرواح

وقوله:

أرقت لبـــارق مـــزنا أضـــاء على ... الأثـــلات بـــذات الأضـــــــــــا
فـــأذكـــرني حـــبـــره بالغـــضـــا تولوا ... وأصليت جـــمـــر الغـــضـــا
وطـول فـي جـــــهـــنـم لائـمـي ... فـــعـــرض قلبي لما عـــرّضـــا
فلم يجـــد نفـــعـــاً ســـوى أنه ... على النفع إذ لامني حـــرّضـــا

وقوله:

وغـــريم شـــيب لا يدافع خـــصـــمـــه — وافى وحق شـــبـــيـــبـــتي لم أقـــضـــه
فلئن أصـــــخت إلى العـــــذول فطالما — أعـــرضت عن طول الملام وعـــرضـــه
وكـــســـرت رمـــان النهـــود بعـــصـــرة — وأكلت تفـــاح الخـــدود بعـــضـــه
فـــــالآن توّجني الزمـــــان بأســـــو — شـــمط تنافـــر بعـــضـــه من بعـــضـــه
وتبـــاينت أوصـــافـــه فـــالفى في — مـــســـودة والرشـــد في مـــبـــيـــضـــه
وكـــــذاك حـــــالي في الـهـــــوى — مـا همت في إبرامه إلا هممت بنقضه

وقوله:

وجـاؤوا عـشـاء يهـرعـون وقـد بدت — بجـــســـمي من داء الصـــبـــابة ألوان
فـــقـــالوا وكل مـــعظم بعض مـــا رأى — أصـــابتك عين قلت إن وأجـــفـــان

ومنهم:

٦٦ - الشَّيخُ القُطْبُ أبو بَكرِ بنُ قَوَامِ بن عَليٍّ بنِ قَوامٍ بنِ مَنصُورٍ بنِ مُعَلّى ابنِ حَسَنٍ بنِ عِكرِمَةَ بنِ هَارونَ بنِ قَيسٍ بنِ رَبيعَةَ بنِ عَامرٍ بنِ هلالٍ بنِ قُصَيٍّ بنِ كِلابٍ *

مسلِّك أقوام، وسالك طريقة دعا بها ابن قوام، وكان لأهل بيته أي قدوه، وبيته أي بيت ودار ندوه، لم يخل رحابه من طارق، ولا سحابه من ماذر شارق. وكان في أرض "بالس"(١) تهطل سماؤه، وعلى جانب الفرات وماء الفرات وماؤه، وأقام ما أقام وكراماته ظاهره، ومقاماته باهره، وأحواله تحدث الغرائب عنها، وتحدث العجائب منها.

ولم يكن في وقته وزمانه أجمع منه للخواطر، ولا أجمل محيّاً إذا تجهَّمت السحب المواطر. والحقيقة بعض علمه، والطريقة تحت رسمه، والآداب منه تتعلم، وراية المجد إلى يمين غرائبه تسلم.

ولد بمشهد صفين سنة أربع وثمانين وخمسمائة(٢). ثم انتقل إلى "بالس" وربي بها(٣)حكى عنه حفيده الشيخ العارف أبو عبد الله أنه قال: كانت الأحوال تطرقني، فكنت أخبر بها شيخي، فينهاني عن الكلام فيها. وكان عنده سوط، يقول: متى تكلمت في شيء من هذا ضربتك بهذا السوط!. ويأمرني بالعمل، ويقول: لا تلتفت إلى شيء من هذه الأحوال. فما زلت معه كذلك، حتى كنت في بعض الليالي، وكانت لي أم ضريرة، وكنت باراً بها، ولم يكن لها من يخدمها غيري. فاستأذنت الشيخ في المضي إليها، فأذن لي،

---

* انظر ترجمته في: ذيل مرآة الزمان ١/٣٩٢ - ٤١١، والعبر ٥/٢٥٠ - ٢٥١، ومرآة الجنان ٤/١٥٠، وطبقات الشافعية الكبرى ٨/٤٠١ - ٤٠٨، والسلوك ج١ ق ٢/٤٤٢، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٤٨٦ - ٤٨٧ رقم ١٦٨ .

(١) بالس: بفتح الباء الموحدة، وكسر اللام، والسين المهملة، مدينة مشهورة بالشام، بين الرقة وحلب، على عشرين فرسخاً من حلب، وإليها ينسب خلقٌ من العلماء. انظر: اللباب ١/٩١ .

(٢) طبقات الأولياء لابن الملقّن ٤٨٧ .

(٣) ذيل مرآة الزمان ١/٣٩٢، وطبقات الأولياء ٤٨٧ .

وقال: إنه سيحدث لك في هذه الليلة أمرٌ عجيب، فاثبت له ولا تجزع. فلما خرجت من عنده وأنا مارٌّ إلى جهة أمي سمعت صوتاً من جهة السماء، فرفعت رأسي، فإذا نور كأنه سلسلة متداخل بعضه في بعض، فالتفتُّ على ظهري، حتى أحسست ببردها في ظهري. فرجعت إلى الشيخ فأخبرته بما وقع لي .فقال: الحمد لله ، وقبَّلني بين عيني، وقال: يا بني! الآن تمت النعمة عليك، أتعلم يا بني ما هذه السلسلة؟. فقلت: لا. فقال: هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأذن لي في الكلام، وكان قبلُ ينهاني عنه.(١)

قال حفيده: سمعته يوماً وقد دخل البيت وهو يقول لزوجته: ولدكِ قد أخذه قطَّاعُ الطريق! في هذه الساعة. وهم يريدون قتله، وقتل رفاقه. فراعها قول الشيخ رضي الله عنه، فسمعته يقول لها: لا بأس عليكِ، فإني قد حجبتهم عن أذاه وأذى رفاقه، غير أن ما لهم يذهب، وغداً إن شاء الله تعالى يصل هو ورفاقه. فلما كان من الغد وصلوا كما ذكر الشيخ، وكنت فيمن تلقَّاهم، وأنا يومئذ ابن ست سنين، وذلك سنة ست وخمسين وستمائة.(٢)

قال شمس الدين الخابوري: وقع في نفسي أن أسأل الشيخ - وكان الخابوري من مريدي الشيخ أبي بكر - عن الروح؟، فلما دخلتُ عليه قال لي من غير أن أسأله: يا أحمد! ما تقرأ القرآن؟. قلت بلى يا سيدي. قال: اقرأ يا بني!: ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾(٣) يا بني! شيءٌ لم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف يجوز لنا أن نتكلَّم فيه؟.(٤)

وقال الشيخ إبراهيم البطائحي: كان الشيخ يقف على حلب، ونحن معه، ويقول: والله إني لأعرف أهل اليمين من أهل الشمال منها، ولو شئتم لسميتهم، ولكن لم نؤمرْ بذلك، ولا يكشف سر الحق في الخلق.(٥)

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١/٣٩٥-٣٩٦، وتاريخ الإسلام ٤٨/٣٧٢-٣٧٣.

(٢) ذيل مرآة الزمان ١/٣٩٦، وتاريخ الإسلام ٤٨/٣٧٣ .

(٣) سورة الإسراء - الآية ٨٥ .

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٤٨/٣٧٣ .

(٥) المرجع السابق - نفسه.

وقال معضاد بن حامد: كنا مع الشيخ في حفر النهر الذي ساقه إلى "بالس" ، فاجتمع عندنا في بعض الأيام خلق كثير في العمل، فبينا نحن نعمل، إذ جاء راعد قوي فيه بَرَد كبار، فقال له بعض أصحابه: يا سيدي! قد جاء هذا الراعد، وربما تعطَّل الجماعة عن العمل. فقال له الشيخ :اعمل وطيِّب قلبك، فلما دنا الراعد، استقبله ، وأشار إليه بيده، وقال: خذ يميناً وشمالاً، بارك الله فيك. فتفرَّق عنا بإذن الله، وما زلنا نعمل والشمس طالعة علينا، ودخلنا البلد ونحن نخوض الماء كما ذكر.

وقال محمد بن ناصر[المشهدي](١)كنت عند الشيخ وقد صلى صلاة العصر، وصلى معه خلق، فقال له رجل: يا سيدي! ما علامة الرجل المتمكن؟. وكان في المسجد سارية، فقال: علامة الرجل المتمكن أن يشير إلى هذه السارية فتشتعل نوراً. فنظر الناس إلى السارية فإذا هي تشتعل نوراً. أو كما قال.(٢)

وقال إبراهيم البطائحي: سئل وأنا حاضر عن الرجل المتمكن ما علامته؟. وكان بين يديه طبق فيه شيء من الفاكهة والرياحين. فقال: أن يشير بسره إلى ما في هذا الطبق، فيرقص جميع ما فيه . فتحرَّك جميع ما كان في الطبق ونحن ننظر.

وقال إسماعيل بن أبي سالم ، المعروف بابن الكردي: كنا جلوساً مع الشيخ في تربة الشيخ رافع رضي الله عنهما، ونحن ننظر إلى الفرات، إذ لاح على شاطيء الفرات رجل، فقال الشيخ: أترون ذلك الرجل الذي على شاطيء الفرات؟ فقلنا : نعم. قال: إنه من أولياء الله تعالى، وهو من أصحابي، وقد قصد زيارتي من بلاد الهند، وقد صلى العصر في منزله، وقد توجَّه إليّ، وقد زُويت له الأرض، فخطا من منزله خطوة إلى شاطيء الفرات، وبقي يمشي من الفرات إلى ههنا، تأدُّباً منه معي. وعلامة ما أقول لكم أنه يعلم أني في هذا المكان فيقصده، ولا يدخل البلد .

---

(١) ما بين معقوفتين ساقط من النسخة الأصل استكمل من تاريخ الإسلام.

(٢)تاريخ الإسلام ٤٨ / ٣٧٤ .

فلما قرب من البلد عرَّج عنه، وقصد المكان الذي فيه الشيخ والجماعة، فجاء وسلَّم وقال: يا سيدي! أسألك أن تأخذ عليَّ العهد أن أكون من أصحابك.

فقال له الشيخ: وعزَّةِ المعبود، أنت من أصحابي. فقال: الحمد لله،لهذا قصدتك، واستأذن الشيخ في الرجوع إلى أهله، فقال له الشيخ: وأين أهلك؟. قال: في الهند!. قال: متى خرجت من عندهم؟. قال: صليت العصر، وخرجت لزيارتك. فقال له الشيخ: أنت الليلة ضيفنا، فبات عند الشيخ، وبتنا عنده. فلما أصبحنا من الغد طلب السفر، فخرج الشيخ، وخرجنا في خدمته لوداعه، فلما سرنا في وداع الشيخ، وضع الشيخ يده بين كتفيه، ودفعه، فغاب عنا، ولم نره، فقال الشيخ: وعزَّة المعبود في دفعتي له وضع رجله في باب داره بالهند، أو كما قال.(١)

قال حفيده: سمعت علم الدين الشيرازي يحكي لوالدي: قال: كنت في بعض أسفاري، فأدركني شيء من الجوع والعطش، وأوقع الله تعالى في نفسي أن الله يطلع الشيخ على حالي، فإذا أنا بإنسان واقف على صخرة، وهو يشير إليَّ: أن تعال. فمضيت إليه، وإذا هو الشيخ، وعنده كوز ماء، ورغيف خبزا. فقال: كُلْ. فجلست وأكلت، وشربت. وحملت ما فضل.

قال حفيده: وسمعت والدي يقول: ولما كان في سنة ثمان وخمسين وستمائة، وكان الشيخ في حلب وقد حصل فيها ما حصل من فتنة التتار، وكان نازلاً في المدرسة الأسدية. فقال لي: يا بني! اذهب إلى بيتنا، فلعلك تجد ما نأكل. فذهبت إلى الدار، فوجدت الشيخ عيسى الرصافي، وكان من أصحابه، مقتولاً في الدار، وعليه دَلْق(٢) الشيخ، وقد حُرق، ولم يحترق الدَّلْق، ولم تمسَّه النار، فأخذته وخرجتُ، فوجدني بعض بني جهبل، فأخبرته بخبر الدَّلْق، فحلف عليَّ بالطلاق وأخذه مني.(٣)

---

(١) ذيل مرآة الزمان ١ / ٣٩٧-٣٩٨ .

(٢) الدلْق فارسية معناها: خرقة، أو مرقعة، أو ثياب بلا قيمة. " المعجم الفارسي الكبير د. ابراهيم الدسوقي" .

(٣) تاريخ الإسلام ٤٨ / ٣٧٥ .

وقال أيضاً: حدَّثني إسماعيل بن سالم الكردي، قال: كان لي غنم، وكان عليه راع، فسرح يوماً على عادته، فلما كان وقت رجوعه لم يرجع، فخرجت في طلبه فلم أجده، ولم أجد له خبراً ، فرجعت إلى الشيخ، فوجدته واقفاً على باب داره، فلما رآني قال لي: ذهبت الغنم؟. قلت: نعم. قال: قد أخذها اثنا عشر رجلاً وهم قد ربطوا الراعي بوادي كذا. وقد سألت الله أن يرسل عليهم النوم، وقد فعل. فامضِ تجدهم نياماً والغنم ربضاً إلا واحدة، قائمة ترضع سخلتها. قال: فمضيت إلى المكان الذي قال، فوجدت الأمر كما قال؛ فسقت الغنم، وجئت البلد.

وقال البطائحي: حضر الشيخ جنازة، وفيها جماعة من أعيان البلد، فجلس القاضي والخطيب والوالي في ناحية، وجلس الشيخ والفقراء في ناحية. فتكلَّم القاضي والوالي في كرامات الأولياء، وأنه ليس لها حقيقة، وكان الخطيب رجلاً صالحاً، فلما قاموا جاء الجماعة يسلموا على الشيخ، فقال الشيخ للخطيب: إنا لا نسلِّم عليك!. قال: ولمَ يا سيدي؟. قال: لأنك لم ترد غيبة الأولياء، ولم تنتصر لهم، والتفت الشيخ إلى القاضي، والوالي، وقال: أنتما تنكران كرامات الأولياء! فما تحت أرجلكما؟ قالا: لا نعلم. قال: تحت أرجلكما مغارة ينزل إليها بخمس درج، وفيها شخص مدفون، هو وزوجته، وكان ملك هذا البلد، وهو على سرير، وزوجته قبالته، ولا نبرح من هذا المكان حتى نكشف عنهما. فدعا بفؤوس، وكشف المكان،والجماعة حاضرون، فوجدوه كما قال.

وقال أبو المجد بن أبي الثناء: كنت عند الشيخ، وقدم عليه الشيخ نجم الدين الباذرائي، متوجهاً إلى بغداد، وقد ولاه الخليفة القضاء، فسمعته يقول للشيخ: يا سيدي! قد ولاني الخليفة قضاء بغداد، وأنا كارهه، فقال له: طيِّب قلبك، فإنك لا تحكم فيها، وحدَّثه أشياء.

وسمعت الشيخ يقول له: يا شيخ نجم الدين! هذا إنسان صفته كذا وكذا، من أعيان الناس، وهو قريب من الملك الناصر، خاطره متعلق بك، وهو يشير إليك بخنصره، فقال له: صدقت، يا سيدي!. دفع إليَّ فص خاتم له قيمة، وقال: يكون عندك وديعة، واللهِ ما أعلم أحداً من خلق الله علم بهذا الفصِّ حين دفعه إليَّ، وقد خيَّطته في مزدرجتي، من حذري

عليه، وكان كما قال الشيخ، فإن نجم الدين قدم بغداد، ومات، ولم يحكم بين اثنين!.

قال حفيده: حدَّثني الشيخ الصالح العابد عمر بن سليمان الجعبري المعروف بأبي أصيبعة، قال: سيَّر أبي معي إلى الشيخ هدية، وكنت شابًّا، فرافقني جماعة من أهل القلعة، فتحدَّثوا فيما بينهم، فقالوا: إذا دخلنا البلد رجعنا إلى الخمَّارة، وشربنا. فلما دخلنا البلد وعزموا على ما قالوا، قلت لهم: حتى أوصل إلى الشيخ هديته، ولا يبقى لنا شغل، فمضينا إلى الشيخ، فلما دخلنا إليه وجلسنا، أخذ يتكلم في المعاصي وما فيها من سخط الله وعقابه، فما زال يتكلم حتى القوم تابوا، وصاروا من أصحابه، وماتوا على عمل صالح.

وحدَّثني ايضاً قال: دخلت على الشيخ، وعنده إنسان من أهل العراق، وهو يسأله، والشيخ يجيبه، فاكثر عليه السؤال، فخطر لي أن أقوم إليه، وأخرجه. فقال لي: يا فلان! دعه، فإنه صاحب بدعة، وقد كفانا الله فيه. قال: فلما جاء الليل، أخذه بعض أهل البلد، وبيَّته عنده، فقام من الليل، فسقط من أعلى الدار التي بات فيها!. فجاؤوا إلى الشيخ واخبروه به. فقال: امضوا، واحفروا له قبراً فإنه الآن يموت!، وهو رافضي مبتدع.

قال حفيده: وسمعت والدي قال: كان الشيخ كثيراً ما يتكلم فيما يلتبس على الأولياء كشفه، فقال لي في بعض الأيام: قد خرج في هذه الساعة جماعة من حلب إلى زيارتنا، وهم يمشون في شجر سبسبان، ولم يكن هذا الشجر بأرض حلب، ولا يعرف بها، أتدرون ما هو؟. فقالوا: لا. فقال: لانهم يتكلمون في نقص أموال، وغرائم أموال، فظهرت إشارته في الكشف شجر سبسبان، وذلك لان النقص يعطي النقص في الأبدان، فلما تكلموا في نقص الأموال، ظهر في الكشف كما قلنا.

وقال مرة اخرى: قد دخل إلى مجلسنا حَمَامٌ كثير، وقد رُصَّ المجلس بهم، أتدرون ما هم؟. فقالوا: لا. فقال: قد قصد زيارتنا قوم احرار وليس فيهم دعيٌّ، فلما كان عن قليل، دخل جماعة، وجلسوا حتى رصُّوا المجلس، فقال: هؤلاء الذين اخبرتكم عنهم، إنهم قومٌ

أحرار، في في الكشف أسرارهم كما قلنا.

وكان رحمه الله تعالى كثير العمل دائم المجاهدة في نفسه، ويأمر أصحابه بذلك، ويلزمهم بقيام الليل، وتلاوة القرآن، والذكر دأبه لا يفتر عنه، وفي كل ليلة جمعة يجعل لكل إنسان منهم وظيفة من الجمعة إلى الجمعة، وكان يحثُّهم على الاكتساب، وأكل الحلال، ويقول: أصل العبادة أكل الحلال.(١)

وكان شديد الإنكار على أهل البدع، لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع به خلق.(٢)

وكان يحثُّ أصحابه على التمسك بالسنة، ويقول: ما أفلح من أفلح، وسعد من سعد إلا بالمتابعة، فإن الله تعالى يقول: ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتَّبعوني يُحْبِبْكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾(٣)، وقال: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾(٤)، وقال: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾.(٥)

وكان يقول: ما اتخذ الله ولياً صاحب بدعة قطُّ. قيل له: فإن اتخذه؟. قال: يُصْلِحه(٦) [وكان يقول: رجال الشام أمكن من رجال العراق، وأعرف].(٧)

وكان يتفقَّد الأرامل بنفسه، ويقضي حوائجهنَّ. وجاءته امرأة فقالت له: عندي دابَّةٌ، وقد ماتت. وما لي من يجرُّها عني، فقال: امضِ وحصِّلي حبلاً واتركيه عندها، حتى أبعث من يجرُّها.

فمضت وفعلت ما قال، فجاء بنفسه، وربط الحبل في الدابة، وجرَّها إلى باب البلد.(٨) وكان

---

(١) تاريخ الإسلام ٤٨ / ٣٧٦، وذيل مرآة الزمان ١ / ٤٠٠ .

(٢) ذيل مرآة الزمان ١ / ٤٠٠ .

(٣) سورة آل عمران – الآية ٣١ .

(٤) سورة الأحزاب – الآية ٢١ .

(٥) سورة الحشر – الآية ٧ .

(٦) ذيل مرآة الزمان ١ / ٤٠١ .

(٧) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من ذيل مرآة الزمان ١ / ٤٠١ .

(٨) تاريخ الإسلام ٤٨ / ٣٧٦-٣٧٧ .

لا يركب بغلاً، ولا حماراً، ولا فرساً[١]. وإذا عطش وهو قاعد في المجلس مع أصحابه قام فشرب بنفسه، يريد بذلك تربية المريدين.

وكان في الزاوية رجلٌ كبيرٌ مُسِن، وكان به قطار البول[٢]، فأخذ تحته شيئاً يقطر فيه البول، فكان يقوم، ويريقه بنفسه، ويغسل ما أصاب الحصير منه.[٣]

وكان لا يُمَكِّن أحداً من تقبيل يده، ويقول: إذا مكَّن الشيخ أحداً من تقبيل يده، نقص من حاله شيء.[٤]

وكان شديد الحياء، لا يقطع على أحد كلامه، ولا يُخجِلُ أحداً بما يقول.

وكان كثير التورُّع، يتحرَّى في مطعمه، وملبسه، ويقول: الدين الورع، وهو أصل العبادة.

وكان يتورَّع عن أموال السلاطين، والجند، وكان عن مال العرب أشدَّ تورُّعاً، لا يأكل لهم طعاماً، ولا يقبل لهم هدية. وكان للعرب عادة يمرون كل سنة بأرضنا مرتين، فإذا مرُّوا لا يأكل مما يباع في السوق، لا لحماً، ولا لبناً، ولا غيرهما، بل يتأدَّم بالزيت، وما كان من الأدم في البيت[٥].

وكان في بدء أمره لا يأكل إلا من المباح، يجمع الأشنان[٦] بيده، وتارة يحصد، فلمَّا كبر وأسنَّ، كان يأمر من حوله من الفقراء والأصحاب فيخرجون إلى الصحراء فيزرعون زرعاً ويحصدونه، فإذا حصل، قال لهم: لا ترفعوه، حتى تدفعوا إلى السلطان نصيبه منه، وكانوا يفعلون ذلك .حتى يدفعوا من التبن ما يخصه.[٧]

وكان السلطان نور الدين يتردَّد إلى زيارة جده، فوقف على الشيخ غابة من أرض

(١)تاريخ الإسلام ٤٨ /٣٧٧ .

(٢) يقصد سلس البول.

(٣) ذيل مرآة الزمان ١ / ٤٠١–٤٠٢، وتاريخ الإسلام ٤٨ /٣٧٧ .

(٤)تاريخ الإسلام ٤٨ /٣٧٧ .

(٥)ذيل مرآة الزمان ١ /٤٠٢ .

(٦) الأُشنان بضم الهمزة – عشب الغاسول، فارسي" المعجم الفارسي الكبير د. إبراهيم الدسوقي " .

(٧) ذيل مرآة الزمان ١ /٤٠٢ .

الفرات، فتورَّع عنها، وسبَّلها[١] للمسلمين، فكانوا يأخذون منها الخشب، وينتفعون به، وربَّما احتاج هو إلى شيء من الخشب للعمارة ، فيشترى له ولا يأخذ منها شيئاً ، تورُّعٌ منه.

وصنع له بعض أصحابه في بعض الأيام طعاماً فيه جزر، فلما وضعه بين يديه، قال له الشيخ: من أين اشتريت هذا الجزر؟، فإنه حرام!. فقال: من السوق. فقال: امضِ إليه واسأله عنه: من أين اشتروه؟ ، فمضى وسأل عنه، فوجده قد اشتري من طعمة المكاسين!!.[٢]

وقال الشيخ إبراهيم البطائحي: كان الشيخ رضي الله عنه لا يقبل خمسين درهماً [جملة واحدة]، ويقول: خمسين درهماً غنى فقير[٣].

وتوفي يوم الأحد سلخ رجب سنة ثمان وخمسين وستمائة ، بقرية "عَلَم" ودفن بها، في تابوت، لأجل نقله، فإنه أوصى بذلك.

قال حفيده: أخبرني والدي قال:أوصاني والدي أن أدفنه في تابوت، وقال: يا بني! أنا لا بد أن أنقل إلى الأرض المقدسة. وكان كما قال، فإنه نُقِل بعد موته باثني عشر سنة، إلى جبل [قاسيون].[٤]

قال: وكنت فيمن حضر خروجه من قبره، وسرت معه إلى دمشق، وشهدت دفنه، وذلك صبيحة يوم الجمعة، تاسع المحرَّم، سنة سبعين وستمائة[٥].

ورأيت في سفري معه عجائب ، ذكرها[٦]. وقد جمع له حفيده سيرة في أربع كراريس.

---

(١) أي جعلها سبيلاً ينتفع بها المسلمون كافة.

(٢) أي من جباة الضرائب ظلماً ،بغير وجه حق.

(٣) ذيل مرآة الزمان ١ /٤٠٤ .

(٤) طبقات الأولياء لابن الملقِّن ٤٨٧ ، وذيل مرآة الزمان ١ /٣٩٣ ، وتاريخ الإسلام ٤٨ /٣٧٧ .

(٥) قال الإمام الذهبي: وقبره ظاهر يزار بزاوية ابن ابنه، الشيخ القدوة العارف شيخنا أبي عبد الله محمد بن عمر، نفع الله ببركته.

انظر: " تاريخ الإسلام" ٤٨ /٣٧٧ – ترجمة الشيخ رضي الله عنه – .

(٦) قال في تاريخ الإسلام: منها: أنَّا كنَّا لا نستطيع غالب الليل أن نجلس لكثرة تراكم الجن عليه، وزيارتهم له.

وانظر للتوسع: ما ذكره العلامة اليونيني في "ذيل مرآة الزمان" ١ /٣٩٣ وما بعدها.

ومنهم:

٦٧ - علـيّ البكّـاء*

الصالح المشهور، ما زايل الدمع حتى خدَّد خديه، ونزل خاضعاً لديه، وترك جياده في حلبة الخد تستبق، والأرض تصطبح منه وتغتبق.

بكّاءٌ كان لا يجف منه جفنه، ولا يخف منه أفنه، قطع عليه مدة البقاء، واتخذ منه عدة اللقاء، هذا إلى حبٍّ للانفراد، فسكن من قلبه الشغاف، وركن إلى خلبه للاطلاع والإشراف، حتى ثوى، ولكل امرىء ما نوى، وأمسى وهو نزيل الخليل وجاره، وفوق وكر السرحان وجاره.

قال ابن اليونيني: حكى لي المنصور سيف الدين قلاوون رحمه الله، بغزة في شوال سنة خمس وسبعين وستمائة، وقد خرجت صحبته من الديار المصرية، فلما نزل غزة استأذنته في زيارة الخليل عليه السلام، فقال لي: زر الشيخ علياً البكّاء، فإنه كبير القدر، وشرع في الثناء عليه وذكر مناقبه، فقال: لما كنا في الأيام الناصرية مع الملك الظاهر، زرته فدعا لي، وأخبرني بأمور تقع، فوقع أكثرها، وأعطاني قميصه، فكنت ألبسه تحت السلاح، فما أصابني نشاب ولا غيره وهو عليّ، وأصابني جراحات لما لم أكن لابسه، أو ما هذا معناه.

قال ابن اليونيني: فلما تسلطن الملك المنصور، وقع في خاطري أن ذلك ربما يكون من الأمور التي أخبره بوقوعها، والله أعلم.

قال: وسمِّي بالبكّاء لكثرة بكائه.

حكي أنه سئل عن كثرة بكائه، فقال: كنت ببغداد، فرأيت رجلاً خرج منها، فتبعته، فلم يكن بأسرع من وصوله إلى عمارة لا أعرفها، فظننتها من قرى بغداد، ودخل مسجداً وصلى فيه الظهر وخرج، وأنا في صلاة السنة، فخرجت، فرأيت وجوهاً أنكرتها، وبلداً

---

*انظر ترجمته في: والبداية والنهاية ١٣ / ٢٦٢، والوافي بالوفيات ٢٢ /٣٥٧ رقم ٢٥٠، والسلوك ج ١ ق٢/ ٦٠٤، وعقد الجمان ٢ /٩٨، ٩٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٩ /٣٠٩ وفيات سنة ٦٧٠ .

أنكرته، فسألت شيخاً هناك: ما هذه القرية؟ فقال: من أين أنت؟. فقلت: من بغداد. خرجت منها من ساعة. فقال: أظنك لا تعقل ما تقول، بينك وبين بغداد أكثر من سنة!. فقلت: والله لقد خرجت منها من أقل من ساعتين. فقال: حدِّثني قِصَّتَك. فحكيت له أمري عن حليته، فقال: إن كنت صادقاً فارجع إلى المسجد الذي دخلت إليه معه فانتظره، فإنه سيعود إليه. فرجعت إلى ذلك المسجد، فلما كان وقت العصر، حضر ذلك الشخص الذي تبعته، فلزمته، وتشبثت به، وبكيت، وتضرَّعت إليه، فانتهرني، ثم رقَّ لي، ورجع بي إلى بغداد، فوصلناها في مثل المسافة التي خرجنا منها، وصحبته، وخدمته مدة، وأراد السفر، فأردت صحبته، فمنعني، وقال: لا تقدر على ذلك!. وأنا مسافر إلى البلد الفلاتي، وأموت في الوقت الفلاني، فإذا كان ذلك الوقت، فاحضر ذلك المكان، واشهدني. فلما دنا الميعاد، حضرت فوجدته في الموت، وقد توجَّه إلى الشرق، فأدرته إلى القبلة، وهو ينحرف إلى الشرق، وتكرر ذلك منه ومني، فنظر إليَّ، وقال: لا تتعب – هو إنما يموت نصرانياً! – وتكلم بما يدين به النصارى ويعتقده، ففارق، فحملناه إلى دير مشهور هناك، فيه جماعة من الرهبان، فوجدناهم في تألم شديد، وذكروا لنا أنهم كان عندهم راهب عظيم، قد أتى عليه مائة سنة، وأنه توفي تلك السنة، بعد أن أسلم، فسلمنا إليهم صاحبنا، فتولوا أمره ودفنوه، وتسلمنا ذلك الراهب وغسَّلناه، ودفنَّاه. فألام على كثرة البكاء؟!.

فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة، وأن يتوفانا على الإسلام والسُّنة، آمين.

توفي الشيخ علي البكَّاء – رحمه الله تعالى – ببلد الخليل عليه السلام في أوائل شهر رجب سنة سبعين وستمائة، ودفن بزاويته.

ومنهم:

٦٨ - الشَّيخُ خَضر بنُ أبي بكرٍ بنِ مُوسَى أبو العَبَّاسِ المِهْرَانيّ(١) العَدَوِيُّ*

شيخ الملك الظاهر.

قدم من جبال الأكراد، وورد الحياض ورّاد، فاستخصب المرعى، واستنجب المسعى، وتأكدت له بالملك الظاهر بيبرس صحبة نفعته لديه، ورفعته عند أقصى الملك إليه، وحمد به زمانه النضر، وكان الملك الاسكندر والشيخ الخضر، ووسائله مقبولة، ورسائله للمصايد أحبولة، والأنام معه، والأيام لدعوته مسمعه، حتى هبت له بنكباء البأساء، ودبت إليه دبيب ظلماء المساء، وانتهت له من الوزراء الظاهرية صلالاً أراقم، وأسقاماً داؤها متفاقم، وكان قد ثقلت عليه شفاعاته، ونقلت إليهم شناعاته.

وما زالوا به حتى أخرجوا خباءه، وأسمعوا منه آي نباه، وأحضرت امرأة تعرف ببنت ابن نظيف، فقالت فيه كلاماً، وقادت إليه ملاما، فحمل إلى القلعة واعتقل، وأقام حتى هيء له بيته في المقابر ونقل، إلا أنه مات غير محترم، وتاب ولم ير غير مبجل محترم، وكان موته بدنو أجل الملك الظاهر منذرا، وكان قد أنذره به، وكان منه حذرا.

أصله من قرية يقال لها: " المحمدية "، من أعمال جزيرة ابن عمر، وسبب معرفة الملك الظاهر له واعتقاده فيه: أن الأمير العجمي أخبره عنه قبل أن يتسلطن، أنه قال: إن ركن الدين بيبرس البندقداري لا بد أن يملك، فلما ملك، صار له فيه عقيدة [عظيمة](٢)، وقرَّبه وأدناه، وكان ينزل إلى زيارته في الأسبوع مرة أو مرتين، أوثلاثاً، على قدر ما يتفق؛

---

(١) بكسر الميم وسكون الهاء، نسبة إلى مهران جدٌّ." شذرات الذهب ٧/٦١٣".

*انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٧/٦١٣، العبر ٥/٣٠٩ - ٣١٠، والبداية والنهاية ٣/٢٧٨، والنجوم الزاهرة ٧/٢٧٩، وغربال الزمان ٥٥٦ .

(٢) ساقطة من النسخة الأصل استكمل من ذيل مرآة الزمان ٣/٢٦٥ .

لكنه لم تكن يغب زيارته والاجتماع به ، ويطلعه على غوامض أسراره، ويستشيره في أموره، ولا يخرج عن رأيه، ويستصحبه في سائر أسفاره وغزواته، وفي ذلك يقول الشريف شرف الدين محمد بن رضوان الناسخ(١):

ما الظاهر السلطان إلا مالك الدنيا بذاك لنا الملاحم تخبر

ولنا دليل واضح كالشمس في وسط السماء بكل عين تنظر

لما رأينا الخضر يقدم جيشه أبداً علمنا أنه الاسكندر(٢)

وكان يخبر الملك الظاهر بأمور قبل وقوعها، فتقع على ما يخبر به، ولما حاصر الملك الظاهر [أرسوف](٣)، وهي من أوائل فتوحاته، سأله: متى تؤخذ؟ فعين له اليوم الذي تؤخذ فيه، فوافق. وكذلك في "قيسارية" و"صفد".

ولما عاد الظاهر [رحمه الله تعالى]من دمشق إلى جهة الكرك، سنة خمس وستين، استشاره في قصده، فأشار عليه أن لا يقصده، وأن يتوجه إلى الديار المصرية، فلم يوافق قوله غرضه، فخالفه وقصده، فلما كان فانكسرت فخذه، وأقام مكانه أياماً كثيرة، ثم حمل في محفَّة إلى غزة، ثم إلى الديار المصرية على أعناق الرجال.

ولما قصد الظاهر منازلة حصن الأكراد ومحاصرته، اجتاز الشيخ خضر ببعلبك، ونزل بالزاوية التي عمرت له بظاهرها، وخرج نوَّاب السلطنة وبعض أهل البلد إلى خدمته، فقال ابن اليونيني: وكنت فيمن خرج، فسمعت كمال الدين إبراهيم بن شيث [رحمه الله تعالى]يسأله عن أخذ حصن الأكراد؟. فقال ما معناه: يؤخذ في مدة أربعين يوماً. أو قال: قلت: لابني يشير إلى الملك الظاهر أنك تأخذه في أربعين يوماً، فوافق ذلك، وأخذه في مدة أربعين يوماً(٤)ولما

(١) هو محمد بن رضوان السيد الشريف العلوي الحسيني الدمشقي الناسخ، كان يكتب خطاً متوسط الحسن، وله يد في النظم والنثر والأخبار، توفي سنة ٦٧١هجرية. **انظر** فوات الوفيات ٢/٢٥٢ .

(٢)**انظر** "النجوم الزاهرة" ٧/٢٧٧ .

(٣) بالفتح ثم السكون، وضم السين المهملة، وسكون الواو، وفاء: مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا، كان بها خلق من المرابطين. معجم البلدان ١/١٥١ .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٣/٢٦٥-٢٦٦ .

توجّه الملك الظاهر إلى الروم، سأل الشيخ خضر بعض أصحابه عما يتم للملك الظاهر؟، فأخبره أنه يظفر، ثم يعود إلى دمشق، ويموت بها بعد أن أموت أنا بعشرين يوماً!. فاتفق ذلك.[1]

قال ابن اليونيني: وحكي لي أن الملك الظاهر لما تغير عليه، وأحضر من أصحابه من دمشق من يحاققه على أمور نقلت إليه عنه، ويقابله عليها، قعد الملك الظاهر بقلعة الجبل، وعنده من أكابر الأمراء فارس الدين الأتابك، وبدر الدين، والملك المنصور قلاوون، وسير الأمير سيف الدين قشتمر العجمي لإحضاره، فلما طلبه إلى الحضور إلى القلعة، أنكر ذلك، لأنه لم يكن له به عادة، فعرَّفه [بشيء مما][2]هم فيه، فحضر معه، فلما دخل لم يجد ما يعهده، فقعد عندهم منتبذاً منهم، فأحضر السلطان الذين أحضرهم من أصحابه من دمشق، فشرعوا ونسبوه إلى قبائح وأمور عظيمة لا تكاد تصدر من مسلم، فقال: ما أعرف ما يقولونه، ومع هذا، فأنا ما قلت لكم: أني رجل صالح، أنتم قلتم هذا، فإن كان ما يقول هؤلاء صحيحاً فأنتم كذبتم.

فقام الملك الظاهر ومن معه من عنده؛ وقالوا: قوموا بنا، لانحترق بمجاورته. وتحولوا إلى طرف الإيوان بعيداً منه. فقال الظاهر: أيش رأيكم في أمره؟. فقال الأتابك: هذا مطَّلعٌ على الأسرار وأسرار الدولة، وبواطن أحوالها، وما ينبغي إبقاؤه في الوجود، فإنه لا يؤمَن أن يصدر منه ما لا يمكن تلافيه. فوافقه الحاضرون على ذلك، وقالوا: ببعض ما قد قيل [عنه]يباح دمه، ففهم ما هم فيه، فقال للملك الظاهر: اسمع ما أقول لك! إنَّ أجلي قريب من أجلك، وبين وبينك مدة أيام يسيرة، من مات منا لحقه صاحبه عن قريب. فوجم الملك الظاهر لذلك، وقال للأمراء: ما ترون في هذا؟. فلم يمكن أحداً أن يقول شيئاً. فقال [السلطان] الظاهر: هذا يحبس في موضع لا يسمع له فيه حديث، فيكون مثل من قد قبر

---

(١) شذرات الذهب ٧/٦١٣، وفي " النجوم الزاهرة" ٧/٢٧٧: فكان بين الشيخ خضر وبين الملك الظاهر دون الشهر، انتهى".

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الأصل استكمل من ذيل مرآة الزمان.

وهو حي. فقالوا: الذي رآه مولانا السلطان.

فحبسه في مكان منفرد، بقلعة الجبل، ولم يمكِّن أحداً من الدخول إليه إلا من يثق به السلطان غاية الوثوق، ويدخل إليه بالأطعمة الفاخرة، والأشربة، والفواكه، والملابس تغير عليه كل وقت.

وكان حبسه في ثاني عشر شوال سنة إحدى وسبعين وستمائة.

وتوفي يوم الخميس سادس المحرَّم، أو ليلة الجمعة سابعه، وأُخرج يوم الجمعة المذكور من سجنه بقلعة الجبل، ميتاً، فسُلِّم إلى أهله، فحملوه إلى زاويته المعروفة بخط الجامع الظاهري بالحسينية، فغسِّل بها، [وحمل إلى الجامع المذكور](١)، وصُلِّي عليه عقيب الجمعة بالجامع المذكور، ودفن بتربة أنشأها لنفسه بالزاوية، وقد نيف على الخمسين.(٢)

ولما عاد الظاهر من الروم، كتب بالإفراج عنه، وجهَّزه على البريد، فوصل البريد بعد موته. وكان بنى له الظاهر زاوية بالحسينية، ووقف عليها أحكاراً يحصل منها في كل سنة فوق ثلاثين ألف درهم.

وبنى له بالقدس زاوية، وبجبل المزة ظاهر دمشق زاوية، وبظاهر بعلبك زاوية، وبحماة زاوية، وبحمص زاوية، وفي جميعها فقراء، وعليهم الأوقاف، وصرَّفه في ملكه يَحْكُمُ ولا يُحكَم عليه، ولا يخالف أمره في جليل ولا حقير، ويتقي جانبه الخاص والعام، حتى الأمير بدر الدين الخازندار، والصاحب بهاء الدين، وملوك الأطراف، وملوك الفرنج وغيرهم.

وهدم بدمشق كنيسة اليهود ونهبها، وكان فيها من الآلات والفرش ما لا يُعبَّر عنه، وصيَّرها مسجداً وبنى بها المحاريب، وعمل بها سماعاً، ومدَّ بها سماطاً. ودخل كنيسة الاسكندرية، وهي معظَّمة عند النصارى، ويعدونها كرسياً من كراسيهم، ويعتقدون فيها البركة، ويزعمون أن رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام فيها، وهو عندهم يحيى

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الأصل استكمل من ذيل مرآة الزمان.

(٢) انظر: ذيل مرآة الزمان ٣/٢٦٦-٢٦٧.

المعمَّداني، فنهبها، وصيَّرها مسجداً، وسمَّاها" المدرسة الخضراء" وأنفق في تغييرها من بيت المال مالاً كثيراً.(١)

وهدم بالقدس كنيسة النصارى المعروفة بالمصلَّبة، وهي جليلة عندهم، وقتل قسيسها بيده، وعملها زاوية.

وكان واسع الصدر، يعطي ويفرِّق الدراهم والذهب، وعمل الأطعمة الفاخرة، في قدور مفرطة في الكبر بحيث يحمل القدرة الواحدة الجماعة من الحمَّالين.

وكانت أحواله عجيبة لا تكيَّف، ولا تنتظم، والأقوال فيه مختلفة، فمن الناس من اثبت صلاحه، ومنهم من رماه بالعظائم، والله أعلم بحقيقة حاله.

قلت: حكى لي والدي رحمه الله تعالى، قال: كان الشيخ خضر عظيم المكانة عند الملك الظاهر، لا يخالفه في شيء، وكان جريئاً باللسان وباليد إلى غاية، فضاق منه الوزير ابن حنا ضيقاً عظيماً، ولم يجد له سبيلاً إلى إبعاده، فشرع في التحيُّل عليه، وكانت بدمشق امرأة تعرف ببنت ابن نظيف، بارعة في الحسن، خالية من الزوج، محبَّةٌ لأهل الخير، فاتى الشيخ خضر في بعض أسفاره دمشق، فسمعت به، وبعثت إليه بأنواع من المآكل، ثم دعته إلى دار لها لضيافة عملتها له؛ فجاءها، وأقام عندها أياماً في مأكل وأوقات طيبة لا ريبة فيها، فبلغ ذلك ابن حنا، فجعله سُلَّماً له إلى ما يريد يتسلق منه على الشيخ خضر، وذلك أنه خلَّى تاج الدين ابن ابنه، تزوَّج المرأة وأبقاها في عصمته مدة طويلة، وحملها بالرغبة والرهبة على ما تقوله في الشيخ خضر، ثم طلَّقها سراً، وتحيل جده على الظاهر حتى القى في اذنه أن الشيخ خضر يشرب الخمر، ويزني، وأنه كان قد أحب امرأة من بنات ابن نظيف، وأفسدها، وأن تاج الدين تزوجها، ثم لم ينته عنها الشيخ خضر، وبقي يأتي إليها، فطلَّقها، وأنها لو سئلت لأخبرت بالخبر، فبعث الظاهر إلى نائبه بدمشق في ذلك، وأحضر المرأة وسالها، وهي لا تعلم بتطليق تاج الدين لها، فقالت ما قرر معها أن تقوله، فكتب

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/٢٦٨ .

بذلك إلى الظاهر، ثم أضيف إلى الشيخ خضر أقوال أخر، ورتبت له ذنوب لم تكن، وكان منه ما كان.

ورأيت أنا في أوراق عمي – رحمه الله – نسخة المطالعة التي كتبت في ذلك، وفيها عظائم، ومما قيل فيها، وهذه المرأة باقية في عصمة الصاحب تاج الدين، لأنهم لم يكونوا علموا بإيقاع الطلاق عليها.

ومنهم:

٦٩ - يُوسُفُ بنُ نَجَاح بنِ مَوهُوب، أبو الحَجَّاج الزّبيريُّ المعروف بالفُقَّاعيّ*

علا بعز الطاعة، وغالب رأي النفس فأطاعه، وأزمع على الرحيل فجمع له أهبته، وأجمع له وثبته، واستعدَّ ليوم العرض، وأعدَّ لجَنَّةٍ عرضها السماوات والأرض، وملاحظة الحق تعينه، وتحقق له ما يستبينه، فتقدَّم ولم يتأخَّر، وقدَّم لله لا لمفخر، وركض به عمله محضرا، وسره﴿ يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ﴾(١)، فلم ير أضاليل الدنيا إلا مهوما، ولا رئي على غروراتها محوّما.

أصله من قرية من قرى "نابلس" تعرف بـ"عقربا" وله بها زاوية، وكان يتردد إليها في كثير من الأوقات، بعد أن قدم دمشق.(٢)

وله زاوية ورباط بالقرب من الجامع الأفرمي بناهما له الأمير جمال الدين موسى بن يغمور. وكان كثير العبادة والزهد، حسن التربية، كريم الأخلاق، لطيف الحركات، كثير التواضع، ليِّن الكلمة، من المشايخ المشهورين بالعرفان، ولكثير من الناس فيه عقيدة صالحة.

* انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٧/٦٣٧، والعبر ٥/٣٢٤، والإعلام بوفيات الأعلام صفحة ٢٨٣، والنجوم الزاهرة ٧/٣٤٧، وذيل مرآة الزمان ٤/٧٨.

(١) سورة آل عمران – الآية ٣٠.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٤/٧٨.

توفي ليلة الأربعاء [بجامع الجبل][(١)] سابع عشرين شوال، سنة تسع وسبعين وستمائة. ودفن بتربته جوار الزاوية، بعد أن صُلّي عليه بالجامع المظفَّري، بسفح قاسيون، وقد نيف على الثمانين.

حكى ابن اليونيني: عن الشيخ تاج الدين عبد الرحمن الفزاري[(٢)] قال: اجتمعت به فسمعته يقول: الطالب للمشيخة جاهل بحقيقة الأمر، مستور عليه، إن أهل الله تعالى [يُكرَمون] [(٣)] بها، فيسألون الله تعالى الإقالة.

قال: وسمعته يقول: ليس أبناء المشايخ كغيرهم، فإن الحاصل للطالب المريد من غيرهم أكثر وأجل، فإن أولاد المشايخ عندهم إدلال بآبائهم، فلا تزال نفوسهم مرتفعة، وغيرهم يطلب الذل والانكسار، وإنما حصل الناس على الخير بهما.

قال: وسمعته يقول: لقد جرى لهؤلاء الذين عندي وقت اجتهدت على إدخال أولادي فيه بكل طريق فلم أقدر.

قال: وسمعته يقول: إنما نهى الشيخ الشخص عن صحبة غيره ، إذا كان مريداً مشتغلاً قد سلّكه، وعرف مزاجه، لأنه ربما لاذ بجاهل لحاله ففسد عليه أمره. ومثال هذا: كالمريض الذي له طبيب قد خبر علته، وعرف دواءها، وعالجها مدة، لو شاركه في تعليله طبيب آخر ربما أدّى إلى هلاك المريض[(٤)] قال: وسمعته يقول: كان شخص يرعى الغنم مدة طويلة لم يأخذ الذئب له شيئاً قط، فلما كان بعد تلك المدة، أخذ الذئب منه شاة، فقلت له: قد أحدثت شيئاً!. فأنكر ، فكشفت عن حاله، فإذا به قد أكل طعاماً مسروقاً من بعض صبيان الرعي، فقلت له: بهذا أخذ الذئب منك ما أخذ[(٥)].

---

(١) ما بين معقوفتين ساقط من الأصل استكمل من " ذيل مرآة الزمان" ٤ / ٧٨ .

(٢) عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع الفركاح المتوفى سنة ٦٩٠ هجرية.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من ذيل مرآة الزمان ٤ / ٧٨ .

(٤) ذيل مرآة الزمان ٤ / ٧٩ .

(٥) **انظر**: ذيل مرآة الزمان ٤ / ٧٩ .

ومنهم:

٧٠ - الشَّيخُ إبراهيمُ بنُ [الشَّيخِ عَبدِ اللهِ] الأَرْمَويُّ*

كريم كان ينجز المواعيد، وتنبجس له الجلاميد، من بيتٍ أركانُه لم تهدم، ومكانة إرث ممن تقدم، فلم يجهل له قدر، ولم يهمل ترابه مذ وضع له خدٌّ في قبر.

كان يؤخذ ترابه للاستسقاء، وهو في ضريحه يزار، وتحت صفيحه مشهد ومزار.(١)

ومنهم:

٧١ - [الشَّيخُ الزَّاهِدُ] جندل [بن محمد العجمي]*(٢)

ذكره ابن اليونيني، فقال: كان زاهداً عابداً، منقطعاً، صاحب كرامات، وأحوال ظاهرة وباطنة، وله جدٌّ واجتهاد، ومعرفة بطريق القوم. وكان الشيخ تاج الدين عبد الرحمن بن الفركاح الفزاري(٣) يتردد إليه في كثير من الأوقات، وله به اختصاص كبير.

قال ولده الشيخ برهان الدين: كنت أروح مع والدي إلى زيارته بمَنِين(٤)، ورأيته يجلس بين يديه في جمع كثير، ويستغرق وقته في الكلام مغرباً لا يفهمه أحد من الحاضرين بألفاظ غريبة.

---

* **انظر** ترجمته في: شذرات الذهب ٧/ ٧٣٤، والعبر ٥/ ٣٧٥، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٨٩

(١) قال ابن العماد: روى عن الشيخ الموفَّق وغيره، وتوفي في المحرَّم، وحضر جنازته الملوك والأمراء والقضاة، وحمل على الرؤوس، وكان صالحاً، خيِّراً، متقناً، قانتاً لله تعالى، توفي سنة اثنتين وتسعين وستمائة. **انظر**: " شذرات الذهب " ٧/ ٧٣٤.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة استكملناه من شذرات الذهب ٧/ ٦٠٥.

* **انظر** ترجمته في: البداية والنهاية لابن كثير ١٣/ ٢٧٣، وشذرات الذهب ٧/ ٦٠٥، وذيل مرآة الزمان للقطب اليونين ٣/ ١٩١ - ١٩٢.

(٣) عبد الرحمن بن إبراهيم بن ضياء بن سباع المتوفى سنة ٦٩٠ هجرية. " ذيل مرآة الزمان ٣/ ١٩١".

(٤) مَنِين: مصيف إلى الشمال الشرقي من دمشق على بعد ثمانية عشر كيلو متراً منها." **انظر**: معجم البلدان" ٥/ ٢١٨.

وقال الشيخ تاج الدين المذكور: الشيخ جندل من أهل الطريق، وعلماء التحقيق، اجتمعت به في سنة إحدى وستين وستمائة، فأخبرني أنه بلغ من العمر خمساً وتسعين سنة.

وكان يقول: طريق القوم واحدٌ، وإنما يثبت عليه ذوو العقول الثابتة.

وقال: المولَّه منفيٌّ ويعتقد انه واصل، ولو علم أنه منفيٌّ لرجع عما هو عليه.

وقال: ما تقرب أحد إلى الله عزَّ وجلَّ بمثل الذُّلِّ والتَّضرُّع والانكسار.(١)

قال الشيخ تاج الدين: واجتمعت به في شعبان سنة أربع وستين وستمائة فقال: أنا أحقُّ الملك [العادل](٢)وقد جاءه من حلب عسكر يحاصره، وكان عمري إذ ذاك خمس عشرة سنة، وقال لي: دنا الموت ، ولم يبق إلا القليل.

ثم قصَّ عليَّ رؤيا استدلَّ بها على هذا، فسألته عن الرؤيا؟، فقال: رأيت من زمان متقادم كأني أفرغت في بيتي جمل بصل، فأخذت منه بصلة بيدي، فرأيت عليها عبد الرحمن شملة(٣)، فجعلتها في حجري، وعرفت أن ذاك البصل كله مشايخ، أريد أن أجتمع بهم، وأراهم، ويروني. فلما كان هذا القرب رأيت كأني عبيت الجوالق(٤) البصل، ولم يبق إلا قليل، فعلمت بذلك قرب الأجل. حدَّثني بذلك عشية السبت ثامن شعبان من السنة المذكورة.

وكانت وفاته بقرية منين في شهر رمضان المعظَّم، سنة خمس وسبعين وستمائة(٥)، ودفن بزاويته المشهورة، وعلى ضريحه من الجلالة والهيبة ما يقصر الوصف عنه. رحمه الله تعالى.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٣/١٩١ .

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوط استكمل من "ذيل مرآة الزمان" ٣/١٩٢ .

(٣) في ذيل مرآة الزمان " مشملة" .

(٤) قال في القاموس: الجوالق بكسر الجيم واللام، وبضم الجيم وفتح اللام وكسرها: وعاء، معرَّب، جمعه: جوالق، كصحائف، وجواليق، وجوالقات. " مادة جلق" .

(٥) قال في الشذرات ٧/٦٠٦ : ومات وله من العمر مائة وتسع سنين.

ومنهم:

٧٢ - أبو الرِّجال بن مُرِّي بن بحتر المنيني*

رجل كشفت له البصائر، وأزلفت له المصادر، فعمل لدار القرار، وعجَّل البدار للاستقرار، وقدَّم لجنَّة طالما تسوَّق لنزلها، وتشوَّق إلى كرم منزلها، وهام بها وتاه، وقام في طلبها فواتاه، فقلبته في نعيمها، وقلَّدته تقليد زعيمها، وقالت: ﴿ سلام عليكم طبتم ﴾(١)، وقدمتم فاصبتم، ولم يزل يخطم الآمال، ويحطم المال، حتى آن له الأوان، وحان أن يدعى إلى الجنَّة ورضوان، فطاب مضجعا، وقدم مقدماً ومرجعا.

وكان شيخاً ساذجاً، كبير التواضع، دائم الذكر، دائم التوجه، عارياً عن التكلُّف والتصنُّع، عارفاً بالله، صاحب أحوال ومكاشفات. امتحنه جماعة من أعيان الناس في أمر المكاشفات، فكان يأتي بها أسرع من رجع البصر. وعظم شأنه في آخر عمره، وقصده الناس رجاء بركته.

وكانت له زاوية يُمَدُّ بها السِّماط للواردين والمقيمين، وكان علماء الوقت مثل ابن الفركاح، وابن الوكيل، وابن الزملكاني، يعظِّمونه، ويترددون إليه، ويثنون عليه، ويصفونه بالصلاح والولاية، ويبالغون فيه إلى الغاية.

وحدَّثني صاحبنا ناصر الدين محمد بن الفارس المعروف بالحاجبي: توفي يوم الثلاثاء عاشر المحرَّم، سنة أربع وتسعين وستمائة(٢)، بقرية منين، ودفن بها.

---

* انظر ترجمته في: شذرات الذهب ٧/٧٤٧، والعبر ٥/٣٨٥ قال في الشذرات: "وكان له عشرة أولاد ذكور، فكنِّي بأبي الرجال". والمنيني: نسبة إلى بلدة منين قرب دمشق، وقد سقطت ترجمته من كتاب العبر المطبوع في بيروت.

(١) سورة الزمر – الآية ٧٣.

(٢) عن نيف وثمانين سنة، كما في شذرات الذهب ٧/٧٤٧.

ومنهم:

٧٣ - عُثمَانُ المِنِينيُّ المعروف بالقريريّ

رَجلٌ يُعَدُّ برجال، وبطل لا يزاحم في مجال، وعجّل وكم قبضت به آجال، كان بدراً تماما، وبين نونيه أسداً ضرغاما، لا تتوقى له سهام، ولا يرد بالجيش اللهام.

حدَّثني عنه والدي، والصدر جمال الدين يوسف بن رزق الله العمري - رحمهما الله تعالى - قالا: لما اشتدَّ بأهل بعلبك الأمر نوبة غازان ونحن إذ ذاك بها، كان فيها الشيخ عثمان، وكنا نتعهد زيارته، وأبواب المدينة مفتحة، فلما نازلها غلقت الأبواب واشتدَّ الخوف، ثم أتينا الشيخ عثمان للزيارة، فوجدنا قطب الدين ابن اليونيني خارجاً من عنده، فقال: دخلت على الشيخ فلم يكلِّمني، ووجدته منكراً، فلم أجلس، والرأي أن ترجعوا، فإن هذا رجل له بادرة. فقلنا: لا بدَّ أن ندخل، فدخلنا عليه.

قال والدي: فالتفت إليَّ وقال: يا محيي الدين! لأي شيء غلقتم أبواب المدينة؟. فقلت له: يا سيدي! خوفاً من [بولاي][1] فإنه قد جاء ونزل عليها، وربما أنه يريد أن يحاصر. قال: فغضب الشيخ غضباً شديداً، واحمرَّت عيناه، وجثا على ركبتيه، وطلعت الزبدة على شدقيه.

قال والدي وابن رزق: حتى ظنناه سَبُعاً يريد أن يفترسنا، وبقي على هذه الحال هنيهة، ثم قال: وعِزَّةِ العزيز، طرشهم طرشة بدَّد شملهم، وفتح يديه يمنة ويسرة، ثم سري عنه.

وقال: قل لهم يا محيي الدين: فليفتحوا أبواب البلد. قالا: فقمنا، وأمرنا بفتح الأبواب كما قال، ثم باكرنا الخبر في اليوم الثالث برحيل غازان عن مدينة دمشق في الساعة التي قال فيها الشيخ عثمان ما قال.

وحكى لي الشيخ نجم الدين محمد بن أبي الطيب قال: كان لخالنا القاضي تقي الدين

---

(١) هكذا وردت في المخطوط، ولم أتبينها.

عبد الكريم بن الزكي خصوصية بالشيخ عثمان، وكان يتردد إلى قرية برزة حين أقام بها، وكان لا يزال يشكو إليه ما يجده من سوء أخلاق امرأته، وتكبّرها عليه بما لها من الأوقاف والغنى. وكان الشيخ ينهاها في كل وقت، ويخوفها عاقبة فعلها، إلى مرة زادت في سوء معاملته، فلما شكاها إلى الشيخ عثمان، قال لها: النوبة الفيصلة بيننا وبينك. ثم قال لابن الزكي: إن عاد بدا منها النوبة شيء قل: يا عثمان، يا نحس! .

قال ابن أبي الطيب : فلما أتى يوم موسم، أو حفل كانت بالميطور وقد اجتمع عندها جماعة من النساء، فلما أراد أن ينزل إلى المدينة، قالت له: ابعث لنا كذا وكذا، من الحلوى، وغيرها، فبعث بشيء، فاغتاظت، فلما طلع لامته، ثم احتدَّتْ إلى أن عادت إلى عادتها وأشدّ، فصاح ابن الزكي: يا عثمان! يا نحس!، يا عثمان، يا نحس!. ثم لم يستكمل المجلس حتى أخذتها الحمَّى الحادّة، المحرقة، وقالت له: قتلتني والله!. ثم قالت: والله النوبة هي الفيصلة، ففطن ابن الزكي وقام لوقته حتى أتى الشيخ عثمان، ليسأله في أمرها، فمنذ رآه مقبلاً من بعيد قال له: أحسن الله عزاك! ارجع جهِّزها، فقد قضي الأمر، فرجع وكان الأمر كما قال.

وحكى لي غير واحد من أهل برزة[1]: أن الملك الأوحد كان قد تعجَّل نوبة كسروان منهم خراج سنة، ثم لما طال المقام بالجبل بعث يستلف سنة أخرى، فاضرَّ ذلك بنا، ولم يبق إلا من أخذ دوابّه، أو قماش نسائه، أو غزلهنَّ ليبيعه، فلما رأى الشيخ عثمان ما حصل لنا بذلك من الضرر والإزعاج، اغتاظ حتى كاد يتميز من الغيظ، ثم قال: لا تبيعوا شيئاً، فإنه قد قضي الشغل، فلم يلبث أن جاءنا الخبر بان الملك الأوحد قد توفي في ذلك اليوم.

وأخباره ومناقبه كثيرة.

حكى لي القاضي عبد الله البستاني الفقيه، قال: كان الشيخ صدر الدين ابن الوكيل حسن العقيدة في الفقراء، وسمعته يحكي قال: طلبني الأفرم مرة، طلباً مزعجاً، فجئته،

---

(١) برزة: قرية كبيرة من قرى الغوطة إلى الشمال الشرقي من دمشق.
انظر: "معجم البلدان ١/٣٨٢-٣٨٣".

وأنا خائف منه – على صحبتي له –، فلما دخلت عليه رأيته مبتهجاً لي، فطلع إلي وقد كاد يسطو علي لأجل ابن تيمية، وقال لي: يا صدر! أنت تريد تعاند القدرة في ابن تيمية؟ وكلما رفعه الله تريد أنت أن تضعه بيدك، والله ما تريد إلا من يخرجك من الشام، ويحبسك في الاسكندرية، ليكف شرك. قال: فخرجت وأنا في غاية الخوف والوحشة، وتوجَّهت على الفور إلى الشيخ عثمان، فما لحقت أكمل السلام عليه حتى قال لي: بئس الصاحب صاحبك، يعني الأفرم، والله يا صدر الدين! ما هو يا صدر كما قال لك، ما يريد يعاند القدرة إلا هو، والله ما يخرج من الشام ويحبس في الاسكندرية إلا ابن تيمية.

قال: فسرِّي عني ما كنت فيه، وبت عنده تلك الليلة، ثم عدت، فلم أصل إلى بيتي إلا ورسول الأفرم قد أتاني، فجئته، فقال: يا صدر الدين! أنت رجل صالح، عمل نَفَسك في ابن تيمية، وقد جاء مرسوم السلطان بطلبه، وعزمي أن أدفع عنه، وأشتهي أن لا تحرِّكوا أنتم ساكناً ليدفع عنه الشر، لعلَّ تصطلحوا، فيزول ما بينكم، ثم لم يمضِ – والله – الأيام حتى لم يكن بدٌّ من تجهيزه، وحبس بمصر والاسكندرية، وجاء الأمر كما قال الشيخ.

وتوفي سنة ثمان وسبعمائة رحمه الله تعالى، ورضي عنه.

ومنهم:

٧٤ – مُحَمَّدُ بنُ إبراهيمَ الأَرْمَوِيُّ*

مشيِّد بيت وأبيات، وصاحب أناشيد وتلاوة آيات، سكن الشام فاخضرَّ واديه، وابيضَّ بكرم أياديه، وتفجَّرت أنهاره مثل قريحته، وطالت غرة جبهته مثل لألاء صبيحته، وسكن بزاوية ابنه بسفح قاسيون، فسقى السفح، وعامل ساكنه بالرحمة والصفح، فظهرت به من سرِّ أبيه – رحمه الله –خفايا، وطلعت من الزوايا خبايا.

---

* ينظر ترجمته في: معجم الشيوخ للذهبي ٢/١٣٢، والبداية والنهاية ١٤/٦٤، والدرر الكامنة ٣/٢٨٧، وطبقات الصوفية للمناوي ٣/٦٦-٦٧ والأرموي: نسبة إلى أرمية وهي من بلاد أذربيجان " الأنساب".

وكان رجلاً أوَّاباً، وعجِلاً إلى الله توَّابا، ومحسناً ما عرفت له أساءه، ولا ألفت منه إلا عباده، أشهد عليها صباحه ومساه، وله عقب نعم ما أعقبه سلف، وأبقاه ماض من خلف منه أي ابن منجب، وولد متواضع للفقراء معجب.

ومن كلامه:

فصل يتعلق بالسماع

قال: افتقار السماع إلى الوجد، افتقار الصلاة إلى النية والقصد، فكما لا تصح الصلاة إلا بالنية والقصد، كذلك لا يباح السماع إلا بالوجد، فمن كانت حركته في السماع طبيعية، كانت نشوته به حيوانية، ألا ترى أن كثيراً من الحيوان ينشأ له حال غير المعتاد عند سماع المطربات، وقوة حركة لسماع طيِّب النغمات، فمن كان هذا السماع الحيواني في ذلك أقصى أربه، وكان مقصوراً فيه على هواه ولعبه، وهو سماع الطبيعة لا سماع الأرواح، فجدير أن يجتنب فإنه يستعمل الطبيعة [ويجرُّ إلى الوقوع]في غير المباح.

والسماع الذي اختلفت فيه الأقوال إنما هو سماع أهل المقامات والأحوال، فمنهم من أباحه على حكم الاختصاص، ومنهم من جعله زلة الخواص، ومنهم من توقف ولم يجد إلى إقامة الدليل على كلا الأمرين نشاطا، ورأى الاستغفار منه إذا قدر له الحضور فيه احتياطا، فهو متردد في أمريه، فتركه لمثل ذلك أولى، ولم يرزأ على من حضره من السلف، لكن لم ير نفسه بحضوره أهلا. فهذه جملة اقتناعية مما قيل فيه، ونبذة لعلَّ من تأملها تكفيه.(١)

إذا حرك الوجد السماع إليكم ... يباح وإلا فالسماع حرام
ومن هزَّه طيب استماع حديثكم ... ومال من الأشواق ليس يلامُ
ولا عجب إن شتت الحبُّ جمعه ... فليس لأحوال المحب نظامُ
يسير مع الأشواق أين توجهتْ ... وليس له في الكائنات مقام
ولا غرو إن ضلَّت مذاهب عقله ... فإن مقام العز ليس يرامُ
حمىً لا سبيل أن يباح مصونه ... وكل الورى طافوا عليه وحاموا

---

(١) طبقات الصوفية للمناوي ٣/٦٦-٦٧.

وقاموا وقد جدوا لأول منزل فقاموا حيارى فيه حيث أقاموا

ومن نظمه الفائق قوله:

لا غرو أن أصبح وجه الثرى ونوره بالنور وضّاحُ
إذ كم يد بيضاء في كفها بروضة النرجس مصباح

وقوله:

ما حمرة العينين منك بمهجتي أفديهما وبناظري لتألم
لكن لحاظك أغمدت أسيافها بحشاشتي فبدا بها أثر الدمِ

وقوله:

واد إذا جئنا سراعاً نحوه خوف الهجير وقد أطل زمانه
رق النسيم لبانه وتعطفت كرماً علينا في الربا أغصانه

وقوله:

لله أيام الربيع وطيبها وتفاخر الأطيار في الألحان
والورد ينمى في الغصون كأنما الحياء بوجنة الخجلانِ
والغصن يثنيه النسيم كما ثنى سكر السموأل شمائل النسوانِ
والماء يمشي في الرياض كما مشت سنة الرقاد بمقلة الوسنان

وقوله:

حديقةٌ إذ نبّهتها الصبا لم يبق منها مقلة غافية
وشى بطيب العرف تمامها لما أتتها الأعين الصافية

وقوله:

كأنما المريخ في جوه شقيقة بين رياض الأقاحِ

وأنجم الجـــوزاء خـــرد غـــدت ترقص من تيـه بسـيف الصبـاحِ

وقولـه:

يا طيب مـا جـاء النسـيم بعـرفكم وحـديثـه عنكم حـديث مـرسل
حـمَّلتـه مني السـلام إليكمُ فـأطاعني لكنه يتـعللُ

وقولـه:

كم للنسـيم على الربى من نعـمـة وفـضـيلة بين الورى لن يجـحـدا
مـا زارها وشكت إليـه فـاقـة إلا وهزَّ لهـا الشـمـائل بالندا

وقولـه:

رقَّتْ ورقَّ الكـاس من دونهـا عـذراً راح عـرفـهـا يُسكِرُ
كـالشـفق الأبيض من دونه والجـوُّ صـافٍ شـفق أحـمـرُ

وقولـه:

قلبٌ غـدا من حـبكم عـامـراً لغـيـركم ليس بـه منـزلُ
وقـد أردتم هدمـه بالقـلا سـالتكم بالله لا تفـعلوا

وقولـه:

حبَّـذا دوحـة إذا مـا سـعـينا واسـتجـرنا بذيلهـا في السـموم
لم نـزل تحت ظلهـا في أمـانٍ بين خـود الندا ولطف النسـيم
مـا استـمـدت رياضـهـا الغـيث إلا جـاء منه الصـبـا بوعـد كـريم
قـد تردّى برداء السـحـاب ووافى يتـمـشى هونـاً بقلب سليم
يتـمـادى بين الغـصـون دلالاً قـد تربى من يومـه في النعـيم
وهـو يخـتـال فـرحـةً حين وافى من حـبـيب مـبـشـراً بالقـدوم
ويريد الرجـوع من غـيـر عـزمٍ فـهـو بين التـأخـير والتـقـديم

وقولـه:

أمـا ترى الليل قـد ولّت مـواكـبـه مهـزومة واختـفت خوفـاً كواكـبه
وقـد تجـرَّد سـيف للصـبـاح غـدت مـحـمـرةً من دم القـتلى جـوانبـه

وقولـه:

مـا اصـفـرَّت الأوراق إلا خـيـفـة لما استـبـانت فـرقـة الأغـصـان
وكـذا النسـيم غـدا عليـلاً إذ بدا مـتـنقـلاً أبـداً عن الأوطان
فـاظفـر بجـمع الـشـمل قـبل شتـاته مـا العـيش إلا صـحـبـة الإخـوانِ

وقولـه:

وافى الربيع فـعـاد الروض مـبـتسـمـا وطالما انتـحـبت فـيـه سـحـائبـه
والغـصن من فـوقـه الشحـرور تحـسبـه يتـلو الـزبور بأعـلى الـديـر راهبـه
وشـاطيء الدهر قـد دبت عـوارضـه وافـتـرَّ مـبـسـمـه واخـضـرَّ شـاربه
فـصـفَّق الدوح لمّا أن رأى عـجـبـاً من أجـل ذلك شـابت ذوائبـه

وقولـه:

لـم أنس ليلة بات البـدر يخـدمنا إلى الصبـاح ولم يشـعـر بنا الرقـبا
والنهـر لجيناً والدجى سبح فـمـذ بدا الصـبح يـاقـوتاً جـرى ذهـبـا

وقولـه:

وافى النسـيم أمـا القـطر فـانثنت الأغـصـان ترقص من تيـه ومن مـرحِ
وأعين الروض تجـري وهو مـبـتـسم وقـد تفـيض دمـوع العين بالفـرحِ

وقولـه:

وزهر في غـصـون الدوح تبـدو فناهيك السـمـاء بهـا النجـومُ
فـإذا عـجـيب إذ أضـحت رجـومـا مـتى اسـترق العـبيـر بهـا النسـيم

وقولـه:

كأنما الدوح وقد طرّزت أيدي الصبايا بالنور أثوابها
مضارب من سندس مذهب قد مدَّت الأغصان أثوابها

وقوله:

أما ترى الليل قد ولَّت عساكره وأقبل الصبح وامتدَّت مواكبه
وجرَّد الصبح سيفاً للدجى فغدت من سفكه الدما حمراً جوانبه
وأصبح الليل مصفرّاً لهيبته يجدُّ في السير لا يبقي ركائبه
ممزق الذرع محلول الإزار وكم قد أحكمت سردها ليلاً كواكبه

وقوله:

أصبحت أوجع من ورقاء فاقدة في الدوح طول الليل لم تنم
بعد الأحبة لا تهوى المنام بلى إن سامحوها وزار الطيف في الحلم

وقوله:

رأيت الصبا لما استعنت بلطفه على حمل ما لاقيته يتعلَّلُ
وقمت بحفظ العهد للنجم في الدجى فما باله في صحبتي يتنقل
وقلب الدجى ما زال للسر كاتماً و هاهو عما خلته يتحوَّلُ

وقوله:

وربوع يكاد طيب شذاها يفضح المسك في نحور العذارى
أشرقت شمس نورها فسعينا نحوها في الدجى نوم نهارا
وأتى القابسون نحو سناها فرأوا جلي نارها جُلَّنارا

وقوله:

سكوت كما تهب صبا صباحا فرقٌ لأنَّه برٌّ كريم
فلا تعجب له إن مال عطفاً لأن الغصن يعطفه النسيم

وقوله:

لطفت شمائله فعُدْن شمائلا | من أجلها عرف النسيم معطرُ
لو لم ينمَّ عبيره بعنوده | كان الرقيب للطفه لا يشعرُ

وقوله:

أصافح الأغصان أبغي الحيا | مستشفياً .... جربالها
وكيف لا يدركني جودها | وقد تعلَّقت بأذيالها

وقوله:

ناجته في السرِّ الحاظي على وجلٍ | أليس في الحال ما يغني عن السكرى
فقال لي كسر جفنيه فديتهما | بحجلة قد عرفت السر والنجوى

وقوله:

يا معرضاً عني وفي أغراضه لطف | يفي بفضائل القرب
من دون سفك دمي بحبك عامداً | معنّى نفسك بواعث العتب

وقوله:

كأنما النهر في ظل الغصون وقد | ألقى السحاب عليه حمرة الشفق
خدٌّ تكنفه قرط الحياء وقد | مدَّ العذار عليه خضرة الورق

وقوله:

كسى فصل الربيع الدوح برداً | يقيها لفحة الحر الشديد
وما خلعته لما رث إلا | وقد طمحت إلى لبس الجديد

وقوله:

أنا مستجير بالدجى | من سلَّ سيف صباحه
فعساه يكلأ ذا هوى | كرماً بظلٍّ جناحه

وقوله:

كـأنَّ سـمـانا والبـدر فـيـهـا ... وأنجـمـهـا مـحـدقـةٌ إليـه
حـديقـة نرجس من حـول عين ... تدفَّق مـاؤها فطغى عليـه

وقوله:

جاء فـصل الربيع يخطر عـجـبـاً ... عطفـه بين نـرجس وبهـار
وبدت خـجـلة من الماء لما ... رمـقـتـه لواحظ الجلنار
وكـأن الغـدير إذ قـابل الشـمس ... لجين مـرصَّع بـنـضـار
وكـأن السـمـاء إذ رأت الأرض ... عـروسـا جـادت لهـا بنثـارٍ
فلهـذا أضـحى الأقـاح وكل ... قـابض بعـزة على دينار
وذكت نكهـة الصـبـا إذ أذاعت ... سـر مـا أودعت عن النوار
لا عـجب تهـدي إلينا شـذاها ... مع صـبـاها مـجـامـر الأزهار
إذ رأينا بكل كـأس شـقـيق ... در مـسك تذكـيـه شـعلة نار

وقوله:

تبـسم ثغـر الروض بعـد قطوبه ... سـروراً بإقـبـال الربيع إليـه
ألم تر أن الغـصن إذ رقَّت الصـبـا ... يصـفق مـسـروراً لهـا بيـديه
وأن ثيـاب الورد وهي شـقـيـقـة ... يشـقـقـهـا حـتى تمرّ عليـه

وقوله:

خلت أن الغـصـون ترقص لما ... بشـرتهـا النسـيم بالأمطار
فلهـذا ألقت لهـا مـا عليـهـا ... فـهي من شـدة السـرور عـواري
لبـست في الشـبـاب ثوب وقـار ... ورأت في المشـيـب خلع عـذار

وقوله:

دمن تخـال دماء خـدود شـقـيـقـهـا ... تجـري وثغـر أقـاحـهـا يتكلم
ويكاد نرجـسـهـا ويمنعـه الحـيـا ... منـا بأطراف الحـيـاء يسلم

وقوله:

ودوحة حسن خلتها حين انبعث كواكب تبر في السماء زبرجد
إذا قبلتها الشمس ظنت لطافة بقية نار في بنادق عسجد

وقوله:

وما اشتقت أيام الصبا غير أنني تذكرت أحباباً بها ومآربا
تولوا فولى طيب عيشي لبينهم فلوا أنهم داموا لدام لي الصبا

وقوله:

أو ما ترى المنثور لما أن رأى طيب المقام بجنة وخلود
كسر الصليب وقد عدا ببنانه نحو السماء يشير بالتوحيد

وقوله:

تعوَّدت طول الهجر منكم فلو طرا لي الوصل يوماً أنه الوصل
ولو شاهدتكم مقلتي لم أثق بها وقلت مناماً ما لبعضها أصل

وقوله:

فاحت فقلت لها دعي ليس الهوى بتصنُّعِ
أين الذهول إذا نطقت وأين فيض الأدمعِ؟

وقوله:

لئن شغلت روحي بغير هواكم فلا بلغت من وصلكم ما تمنَّتِ
وإن مُدَّت الأيدي إلى غير فضلكم تروم نوالاً من سواكم فشُلَّتِ

وقوله:

قم فاسقني ما راق في صافي الكؤوس من الشراب
راحاً ألذَّ من ابتسام من حبيب في عتابْ

وأرق من شكوى محبٍّ مستهام باكتئاب
والشمس في أفق السماء تلوح من خلل السحاب
مرآة تبر دونها مارقٌ من حمر الشباب

وقوله:

بدا لنا الجلّنار في القضب والطل يبدو عليه كالحبب
كأنما أكؤس العقيق به قد ملت من برادة الذهب

وقوله:

غدا لكل معنى في الأنام يروقه ويغريه برق باللوى وخفوقه
ويثنيه نشر الروض مرت به الصبا سحيراً بريا عرفكم ويشوقه
مبشرة جاءت فكان لها يدٌ وفضلٌ عليه لا يؤدى حقوقه
فما الطلُّ فوق الروض عند سقوطه ولا المسك منثوراً علينا سجيفه
باطيب مما طمنت عن جنابكم وفي طيها نشر ذكي عبوقه
فبالله عرِّجْ سائق الظعن بالحمى فمنزلها وادي النقا وعقيقه
وإلا فدعها كيف شاءت وسيرها فأي طريق يممته طريقه

وقوله:

خانني ناظري وهذا دليل برحيلي من بعده عن قليل
هكذا السفر إن أرادوا رحيلاً قدموا أمامهم الحمول

وقوله:

لم حرمتم جفني الرقاد إلى أن خلت ما بين جفني سيفا
ما تمنيته اشتياقاً ولكن أترجّى أن تبعثوا فيه طيفا

وقوله:

أوحشتني والله يا مالكي في لذة الكاس على الورد

فقال لي ما غبت عني مذ غدا ... يشرب من ريقي على خدي

وقوله وقد مرَّ ببعض الكروم فرأى بها أعظماً قد علقت، والرياح تلعب بها كلما خفقت، وكلما حركتها سمع من أصواتها مثل الأنين وأوجع من حسها ما يوجع الحزين، فتذكر ما كانت عليه تلك العظام الرفات، ثم ما حدث عليها من الآفات، وتأسف لها لو ردَّ الأسف ما فات، والذي قاله:

سئمتْ دوام سكونها فتكلَّمتْ ... شوقاً إلى ما مرَّ من لذّاتها
مرَّ الصبا فتذكرت زمن الصبا ... فغدت تنوح على زمان حياتها

وقوله:

أودعت سرها الأزاهير سراً ... سرى فيه النسيم في الأسحار
وتلقت بعرفها الوفد حتى ... تنبهوا منها بقرب المزار
فأعادت من السقام شفاء ... حتى جاءت بأطيب الأخبار
مغور الرياض تبسم عجباً ... من بكاء السماء بالأمطار
نقطتها بلؤلؤ الطل ليلاً ... فحكته شمس الضحى في النهار
فسمته النسيم في الجو حتى ... جمعته من سندس في إزار
وكأن الغصون في الدوح أضحت ... مصغيات إلى هديل الهزار
فإذا ما انتهى إليها بثت ... تحدث الهوى بغير استتار
ثم شقت أثوابها من غير أمر ... ثم فكت بقية الأزرار

وقوله:

رقَّت معانيه وراق حديثه لطفاً ... فعاد هوىً لكل مزاج
فكأن معناه الطيف ولفظه ... خمرٌ يروق في صفاء زجاج

وقوله:

شكوت صبابتي فيه وشوقي ... فكاد لرقة الشكوى يهيم

فلا عجبٌ إذا ما مال عطفاً ... لأن الغصن يعطفه النسيم

وقوله:

مقلة سوداء البستني ... كحلاً من غير كحلِ
قد أمنت القطع منها ... إذ غدت همزة وصلِ

وقوله:

دنا السحاب فضم الروض فانبعثتْ ... دموعه تتوالى وهو لهفانُ
كالأم تحنو على المولود ترضعه ... ثديها العذب سحاً وهو هطمان

وقوله:

كأنما الروض إذا ما بدا ... جبين وجه الكوكب النير
مطارف من سندس أخضر ... مموَّه بالذهب الأحمر

وقوله:

عطف السحاب على الرياض فاقبلت ... تشكو إليه من أليم بعاده
فغدا يقبِّلها ويبكي رحمة ... فتبسَّمت بعود وداده

وقوله:

كأنما المريخ فيّ جوّه ... شقيقة في روضة الأقحوانِ
ودمية الجوزاء في حلَّةٍ من سند ... س ما بين عقدي جمان

وقوله:

الغصن ربَّاه النسيم بلطفه ... فكسى شمائله شريف طباعه
والنهر غذَّاه صغيراً قبله ... فزكا وطاب جنىً لطيب رضاعه

وقوله:

والنهر قد عشق الغصون وقد غدا ... يصف المحاسن من بديع جمالها

لكن درى أن النسيم يميلها عن وصله فرضى بطيف خيالها

وقوله:

أما ترى الأغصان لما أتى النسيم بالبشرى من المغرب
لم يرضَ من سندسها حلة حتى انجلت في ثوبها المذهب

وقوله:

وإذا رأيت الروض في عرصاته تقيه بخديه الردا وعيونه
وألفيت فيه النهر قد جاء طالعاً يقبل أرضاً بين أيدي غصونه

وقوله، وكتب بهما إلى ابن خاله أبي الحسن لما سافر نابلس:

فقدت مذ غبتم يا سادتي جلدي وأنت سائر الأوقات في خلدي
عدمت قلبي وجسمي ذاب بعدكم سقماً فصرت بلا قلب ولا جسدي

وقوله:

أقول والصبح حثيثاً سرى في طلب الليل على الأبلق
وطرَّة الليل بها مفرق بغير سيف الصبح لم يفرق
والبدر إنسانٌ لعين الدجى منفذ في طرفه الأزرق

وقوله:

كيف للطَّيف أن يزور محباً وهو في طول ليله يقظانُ
يسرق النوم جفنه فإذا ما كاد يغشاه هزَّه الخفقان

وقوله:

خلت الغصون كأنها قد ألبست درعاً يزررها الصبا ويفكك
رش الندا أثوابها وكأنها بيد الشمائل والجنوب تفرك
وحدا النسيم الورق إذ باحت به فالغصن وجداً بالهوى يتحرك

ومنهم:

٧٥ - نَجْمُ الدِّينِ الخَشْكَنَاكِيُّ

نجمٌ كم أطلع هلالا، وأطعم مما حلا حلالا، ولم يزل كل ذي ورع ينتاب محله، ويختار من المآكل أحلّه، والعيون تترقب مواقيت تلك الأهلّة، وتتوثب إلى تواقيت تلك الأكلة، وللناس ولع بذلك الخشكنان، وطمع فيما يؤثر من سعد القرآن، فتعجل إلى منادي تلك الدور والدار، وترى طعام أهل الجنة ما خرج من تلك النار، فكانت لا تبرح ترى أفواجا على فرنها، وتسمع لجاجاً في مفاخرة العصور الذاهبة بقرنها، ولهذا كم أقسم منها بنون، والقلم لكتابه وآثارها وما يسطرون.

كان رجلاً أشقر طوالاً، له حانوت بالسوق الكبير يعمل فيه الخشكنانك(١)، ويبيعه، ويأخذ الثمن بالناقص، ويعطي بالزايد، ولا يرد درهماً زائفاً، بل يأخذه ويعطي به الخشكنانك، ثم يقص الدرهم ويرميه في النار، قصداً لتخفيف الزغل من نقود الناس ومعاملاتهم.

وكان إذا سمع أذان المؤذن ترك شغله، وأتى الجامع فصلى فيه في أول صف. وفي يوم الجمعة لا يتسبب بل يجعله مقصوراً على القعود في مقصورة الخطابة، وانتظار الصلاة، حتى يصلي الجمعة.

وكان كثير البر والصدقة والمعروف، ونفقاته أضعاف مكسبه، وأمثال معاشه وسببه، وكان معروفاً بالصلاح، مشهوراً بالولاية، وله أحوالٌ عظيمة، وأمور غريبة، وطريقة مثلى،

---

(١) الخشكنان: مفرده: خشكنانه، فارسية، ما زال هذا اسمها في النجف، والبغداديون يسمّونها: كليجه(بالجيم الفارسية المثلثة)، عربّت فاصبحت: "خشكنانج" وتصنع من العجين يحشى بالسكر واللوز أو الجوز، ويشوى.

للتوسع راجع: كتاب الطبيخ للبغدادي صفحة ٧٩، ونشوار المحاضرة ٧/ص٢٤٠، رقم القصة ١٣٨ قصة مزنة جارية أبي سعيد الصائغ، لما بعث إلى ابن سمعون الواعظ خمسمائة خشكنانجة، في بطن كل واحدة منها دينار من الذهب. وكذا **انظر**: موسوعة الكنايات العامية البغدادية، تاليف عبود الشالجي ١/٦٦٧ .

وأفعال حسنى، إلى رياضة أخلاق، ودماثة جانب.

قالوا: إنه لم يشتر شيئاً حتى يزن ثمنه أولاً، ويجعله في يده، ثم ما يتسلم المبيع حتى يصير الثمن في يد البائع.

هذا إلى عيادة مرضى، وتشييع جنائز، والقيام بحقوق إخوانه وأصحابه وجيرانه، والإفضال عليهم بتفقده، واشتهر أمره في زمانه، وأجمع عليه أهل وقته.

وكان ابن تيمية، وابن الفركاح، وابن الوكيل، وابن الزملكاني، وغيرهم من علماء الوقت مجمعين على فضله وصلاحه، وكان الناس تحمل أولادهم وتأتي إليه ليمسح بيده على رؤوسهم، ويدعو لهم، ويعودهم، فيفعل ذلك، ثم ما ينصرف واحد منهم حتى يعطيه خشكنانكة، أو خشكنانكتين، أو أكثر من ذلك، ويعطي الناس على مقدارهم، وينزل الناس منازلهم، ويجزل لذوي الحاجة، حتى أن الفقراء منهم كان يعطيهم مع الخشكنانك ما تيسر من الفضة أو الفلوس ، ولا يعرف هذا المدد من أين، ومعاشه لا يحمل بعضه. وكان على قدم عظيمة ، وسلوك على عزة.

وحدثني الحافظ العلائي قال: لما اشتد الخوف بأهل دمشق نوبة شقجب، فغدا الشيخان محمد الأرموي، ومحمد بن قوام في الجامع الأموي، واجتمع إليهما الناس، وشرعوا في التوجه إلى الله تعالى، وقرؤوا الحديث الشريف، فلما أكملوا القراءة والدعاء أذنت المغرب، وكان ذلك في رمضان، قام الشيخ نجم الدين الخشكنانكي، ومعه علبتان من الكعك المحشو، تقدير ما يكون في مثليهما عشرون كعكة، فأعطى كل واحد من الشيخين كعكين كعكين، ثم فرّق على بقية الناس كذلك، وكان الجامع مملوءاً من الناس، لو فرّق عليهم ثلاثمائة علبة لم يكفهم!، ولم يفطن أحد لذلك في ذلك الوقت، ولا فيما بعده حتى مات، فلما وضع سريره للصلاة عليه، لم يبق إلا من ذكر تلك الكرامة، وعدّها من كراماته.

وحدّثني صاحبنا الشريف محمد بن أحمد بن علي بن ظاهر الحسيني، قال: كانت لنا دار بالخضراء، وظهور بعضها لغيرنا، وكنا في غاية الضرر بملك الغير لها، فباعها مالكها من

رجل كان من خاصة الأعسر، فلم يقدر على منازعته بالشرع ولا بغيره، ودخلنا عليه بكل أحد فلم ينزل لنا عن البيع، فذهبت أنا وأمي إلى الشيخ نجم الدين ، وكنا لا نعرفه، ولكنا نسمع بخبره، ونعرف مكانته عند الناس، فحدَّثناه لعلَّه يكلِّمه، أو يكلِّم الأعسر لنا، فقال: أما الأعسر فإني لا أعرفه، وأما هذا الرجل فأحدثه. ثم قام معنا حتى أتيناه، فقلنا له: هذا هو. فسلَّم عليه، ثم قال: من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه، وهؤلاء أحق بهذه الدار، والله قد قدَّمهم للجوار وللخلطة، فدعها لهم. فقال: قد تركتها لهم – وما كان والله يعرفه – فذهبنا، فأتينا بالدراهم، ولم نبرح حتى تكاتبنا، وتسلَّمنا المبيع، وأراحنا الله من ضرر جواره.

ثم إن ذاك الرجل كان يقول: والله ما أعرف كيف سحرني ذاك الشيخ؟. ولا يزال نادماً على الإجابة للبيع.

توفي رحمه الله تعالى[..........][1]

ومنهم:

٧٦ - علي السَّقْبَاوِيُّ

الكردي الأصل، رجل عرف عرفانه، وألف السهر حتى جفت النوم أجفانه، وكان بطل كتائب، ورجل لقاء لا يخطي له صوائب.

كان يسكن بالمدرسة العزيزية[2] شمالي الكلاَّسة، جوار جامع دمشق، في بيوت الداير الفوقاني.

وله كرامات ظاهرة، وأمور باهرة:–

منها: ما حدَّثني به زين الدين عمر المشرف رحمه الله تعالى قال: كان أيدمر مملوك الصاحب عز الدين بن القلانسي قد أخذ بيتاً من بيوت هذه المدرسة التحتانية، فأشرف عليه الشيخ يوماً فرآه في ذلك البيت بكلوته[3] ولباس الجندية، فسأل عنه؟ فقيل له: هذا

(١) لم يذكر المصنف رحمه الله تعالى تاريخ الوفاة.

(٢) **انظر**: الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ١/ ٣٨٢ .

(٣) أي بقلنسوته، فارسي معرب " **انظر** القاموس الفارسي مادة كلوته".

مملوك الصاحب. فقال: قولوا له: هذه البيوت ما جعلت إلا للفقهاء، والفقراء، ومزاحمتك لهم وأنت من الجند الأغنياء ما يحل، فدعْ هذا البيت لمستحق.

فقالوا له، فلم تفد. فبعث يقول لسيده ذلك، فما أفاد، فغضب غضباً عظيماً، وحنق حنقاً مفرطاً، واحمرَّت عيناه، وقامت أوداج رقبته، وقال: إن كنت تلتقي يا ابن القلانسي التقِ، فو الله ما أصبر!. ثم بقي يقول: انقضى الشغل.

قال: فاتفق ما كان من إمساك كراي لابن القلانسي، وتضييقه التضييق الشديد عليه، فلما كان بعد مدة، رأيت أيدمر مملوك ابن القلانسي في ذل، مجروراً بين الأعوان، يكاد يسحب على وجهه، فرحمته، وذكرت قول الشيخ، فأتيته، فصادفته منبسطاً، فقلت: يا سيدي! أنتم أهل رحمة وخير، وذكرت له حال ابن القلانسي، ولم أزل به حتى رقَّ له، ودمعت عيناه، وقال: والله ما هذا النائب عن كراي إلا من الجبابرة، وهو أولى بنزول البلاء، اللهم فرِّج عن ابن القلانسي، وأنزل بكراي ما أراد أن ينزل به من البلاء. قال: فو الله لم يمض إلا أسبوع حتى أمسك كراي، وآل أمر ابن القلانسي إلى الصلاح، ثم إلى الفرح.

وحدَّثتني الحاجة صفية أخت البطاحي، وكانت ثقة، قالت: لما نزلت التتار على الرحبة، تعني سنة اثنتي عشرة وسبعمائة، واشتد بالناس الأمر، وكثر الجفال، وتأخر العسكر المصري، عدمت القرار، وكنت أطلب الدعاء للمسلمين من كل من أعتقد فيه الصلاح، فاشتد الخوف بنا يوماً، وكثرت الأراجيف، فأتيت أخت الشيخ علي السقباوي، وكانت في بيت إلى جانب بيته، فقلت لها: لو قلت للشيخ ليدعو للناس، فإنهم في خوف عظيم وشدة، وإلى الساعة ما صحوا من نوبة غازان. فقامت وأخذتني معها، وقالت: يا أخي! هذه امرأة مباركة، وقد قالت لي :كذا وكذا، فقال: يدبِّر الله، يدبِّر الله، وطرأ عليه حال ما استطعنا معه الثبات على المقام عنده، فخرجنا إلى بيت أخته، وجلسنا به هنيهة، نتحدَّث في أحوال الناس، وإذا به قد صاح صيحة عظيمة منكرة، فقامت أخته إليه مزعجة، وقمت خلفها، فسمعته يقول: ائتني بخرق ليحشي به هذا الجرح، فهبت فأتيته بخرق، فكشف لها عن جرح دون ترقوته، قدر شبر، فقالت له: يا أخي! من أين هذا؟. فقال: هذا

بسبب تلك العجوز بالشتنا[١] بهؤلاء القوم، وهؤلاء لهم واحد وقح ما يرتد، جرت بيننا وبينه حروب حتى رحّلناهم إلى اللعنة! . ولحقنا هذا الجرح في سبيل الله، فحشت جرحه وهو يشخب دماً، وأنا أراه بعيني لا يخبرني بذلك مخبر.

ومنهم:

٧٧ - إبراهيم الصَّبَّاح

مشكاة أنوار، وروضة صلاح، لا تخفى لها أنوار.

انقطع بدمشق بالجامع الأموي مربياً لجماعته، وعوناً على ما يخلو به المتعبد فيه من طاعته، وكان بالمأذنة الشرقية مشرقاً لشموسها، ومحلياً لها حلية عروسها، وكان رجلاً منجمعاً عن الناس، مستوحشاً كأنه النمر أو الأسد. وكان كثير الصلاة والذكر، مواصلاً لقيام الليل، وصيام النهار، ولا يقبل على أحد، ولا يختلط بأحد، يمشي في الجامع وكأنما يمشي على حذر، وكان لا يقبل لأحد شيئاً فيما أعلم إلا صاحبنا بدر الدين بن العزازي، فإنه كان يبعث إليه من الطعام في كل يوم ، ومن اللباس في كل سنة، بقدر حاجته، وكان يقبل ذلك منه ، وحج معه، وكان عديله في المحمل.

حكى لنا ابن العزازي عنه قال: كنت لا أراه إلا كالسكران الطافح، وكنت لا أجسر على كلامه، وكان لا يسألني عن شيء من أحوال الناس ولا الطريق ولا المنازل، ولا غير ذلك. وكان يكثر من قوله: " يا دائم المعروف الذي لا ينقطع أبداً ، ولا يحصى عددا، يا الله" .

وآخر أمره أنه استدفأ بمجمرة فاحترق رحمه الله تعالى وغفر له، وذلك في يوم .[.....]

ورثاه الأديب جمال الدين ابن نباتة بقوله[٢]:

---

(١) أي رمتنا بهم وشغلتنا بأمرهم.

(٢) **انظر**: ديوان ابن نباتة – ص ٢٢٠ – ٢٢١ "ط مطبعة التمدن بعابدين سنة ١٩٠٥م" .

على مثلها فلتهم أعيننا العبرا ... وتطلق في ميدانها الشهب والحمرا
فقدنا بني الدنيا فلما تلفتت ... وجوه أمانينا فقدنا بني الأخرى
لفقدك إبراهيم أمست قلوبنا ... مؤججة لا برد في نارها الحرًّا
وأنت بجنات النعيم مهنًّأ ... بما كنت تبلي في تطلبه العمرا
عريت وجوّعت الفؤاد فحبّذا ... مساكن فيها لا تجوع ولا تعرا
بكى الجامع المعمور فقدك بعد ما ... لبثت على رغم الديار به دهرا
وفارقته بعد التوطن سارياً ... إلى جنة المأوى فسبحان من أسرى
كأن مصابيح الظلام بأفقه ... لفقدك نيران الصبابة والذكرى
كأن المحاريب القيام بصدره ... لفرقة ذاك الصدر قد قوست ظهرا
مضيت وخلّفت الديار وأهلها ... بمضيعة تشكو الشدائد والوزرا
فمن لسهام الليل بعدك إنها ... معطلة ليست تراش ولا تبرا
ومن لعفاف عن ثرى وبني الورى ... عبيد الأماني وانثنيت به حرًّا
سيعلم كل من ذوي المال في غدٍ ... إذا نصبل الميزان من يشتكي الفقرا
عليك سلام الله من متيقظٍ ... صبورٍ إذا لم يستطع بشر صبرا
ومن ضامر الكشحين يسبق في غد ... إلى غاية من أجلها تحمد الضمرا
أيعلم ذو التسليك أن جفوننا ... على شخصه النائي قد انتثرت دُرًّا
وأن الأسى كالحزن قد جال جولة ... فما أكثر القتلى وما أرخص الأسرى
ألا ربَّ ليلٍ قد حمى فيه من وغى ... حمى الشام والأجفان غافلة تكرى
إذا ضحك السماء حجب ثغره ... كذلك يحمي العابد الثغر والثغرا
إلى الله قلباً بعده في تغابن ... إلى أن رأى صف القيامة والحشرا
لقد كنت ألقاه وصدري محرج ... فيفتح لي يسراً ويشرح لي صدرا
وألثم يمناه وفكري ظاميء ... كأني منها ألثم الوابل الغمرا
أمولاي إني كنت أرجوك للدعا ... فلا تنسني بالخلد في الدعوة الكبرى
سقى القطر أرضاً قد حللت بتربها ... وإن كنت أستسقي برؤيتك القطرا
ومن كان يرجى منه في المدح أجرة ... فإني أرجو في مدائحك الأجرا

ومنهم:

٧٨ - حمَّادُ الحَلَبيُّ *

ذو القدر الوافي، والمشعل بالثريا وبشر الحافي، السري مع أنه معروف، والنوري حينه إذا سئل منه معروف.

قدم دمشق، ونزل بظاهرها على رجل متسبب من أهل الصلاح متكسب من الجبل، كان لا يأكل إلا من طعامه، ولا يكتسي إلا من لباسه، ولا يبيت إلا عنده في بستان له بمرج الدحداح، وكان الشيخ يقرىء القرآن الكريم بجامع التوبة بالعقيبة[1]، تبرعاً واحتساباً، يجلس لإقراء الناس بياض كل يوم في أخريات الرواق الشمالي به.

وكان رجلاً ربعة أبيض بحمرة، أبيض الرأس واللحية، أقنى الأنف، ضعيف العينين، منوَّر الوجه والشيبة، عليه سيما الولاية، واتَّهمه أهل العرفان، فكان لا يزال متوجهاً إلى القبلة على طهارة كاملة، منتصباً للقراءة، والإقراء، فارغاً من الناس، لا يقبل لأحد منهم شيئاً.

وكان شيخنا ابن الفركاح يخرج إلى زيارته في كل أسبوع مرة، أو مرتين، وكذلك شيخنا ابن الزملكاني، رحمهم الله تعالى.

وزاره شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان يذكره بالخير ويثني عليه.

حكى لي الشيخ شرف الدين ابن النجيح، قال: ذكر بين يدي الشيخ - يعني ابن تيمية أناس من صلحاء الوقت، فأمسك بأذن القائل، وقال له: اجعل بالك، وافتح عينيك: الصالح حماد، الصالح حماد"، وبقي يكررها.

---

*ينظر ترجمته في: الكواكب الدري في طبقات الصوفية ٤ / ٢٧٠-٢٧١، والدرر الكامنة ٢ / ٧٤، والبداية والنهاية ١٤ / ١٢٥ .

(١) جامع التوبة: في محلة العُقيبة في دمشق، أنشأه الملك الأشرف أبو الفتح موسى بن الملك العادل سنة ٦٣٢هجرية، وكان يعرف قديماً بخان الزنجاري، وكان به كل مكروه من القيان وغيره. "الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ٢ / ٤٢٦".

كنت كثير التردد والزيارة له، وكان على قدم صدق وهدى، وكتاب منير. ولو حلفت أنه لم تقع عيني على مثله لكنت باراً . ولم يحك عنه أنه قال، ولا ادَّعى، ولا رزأ أحداً من ماله شيئاً. ولما أقحط الناس سنة ثمان عشرة وسبعمائة، واستعدوا للاستسقاء، أتيته وقلت: يا سيدي! الناس في مشقة، فقال: لو سكتوا كُفُوا. فأعدت عليه القول، وقلت: لو دعوت لهم. فقال لي: اسمع! – وفقنا الله وإياك –: يحكى أن الناس أقحطوا في سنة من السنوات؛ فأمسكت السماء، وجفَّ الماء، فهمُّوا بالاستسقاء، واستعدوا له، فلما أرادوا الخروج إلى الصحراء أتوا رجلاً صالحاً كان في جانب عنهم، توسَّموا خيره، فسألوه في الخروج معهم، فخرج معهم، حتى مرَّ ببستان في طريقه، فطرق الباب، فخرج إليه القيِّم به، فقال له: ما تريد؟. فقال له: إسقِ بستانك. فقال له: هذا ما يلزمك، أنا أسقي بستاني متى شئت.

فالتفت ذلك الصالح إلى الناس، وقال: ألا تسمعون ما يقول؟. قالوا: قد سمعنا. فقال: إذا كان هذا كره أن أعترض عليه، أتعترضون أنتم على الله؟. ثم تركهم ورجع. ولم يخرج الشيخ حماد مع الناس إلى الاستسقاء.

قلت: وكنا نسمعه كثيراً ما يقول: " كان فقير، قال فقير، جرى لفقير" ويذكر أموراً عظيمة، وكرامات ظاهرةً، أنه إنما يحكيها عن نفسه، وإنما يريد الكتمان.

ومما حدثنا به – وأظنه إنما حكاه عن نفسه – قال: كان بحلب فقير صادق الطلب، نودي في سرِّه: حاجتك في مصر! فخرج يريد مصر، وجعل عليه أن لا يسأل أحداً شيئاً، وكان شديد الفاقة، وكان لا يأكل إلا من مباحات الأرض، فلما عدى غزة بفراسخ، دخل الرمل، فقال: أيتها النفس! ليس هنا ما تقتاتين به، فصبراً على الجوع، أو فالرجوع، ثم قوَّى عزيمته، ودخل الرمل حتى أتى "قطية"(١) ولم يطعم طعاماً تلك الأيام، فلما دخل "قطية" رأى ما في أسواقها، فغض بصره حتى خرج منها، وأتى حائطاً في منقطع الحدائق بها،

(١) قطية: بالفتح ثم سكون، وياء مفتوحة: قال ياقوت: أظنه من تقطَّيت على القوم إذا تطلبتهم حتى تأخذ منهم شيئاً؛ وقطية: قرية في طريق مصر في وسط الرمل، قرب الفرما، بيوتهم صرائف من جريد النخل، وشربهم من ركية عندهم جائفة ملحة، ولهم سويق فيه خبز إذا أكل وجد الرمل في مضغه، وعندهم سمك كثير لقربهم من البحر. " معجم البلدان ٤ /٣٧٨".

فقال[١] في ظله، فلم ينتبه إلا في رجل أتاه بزنبيل[٢] فيه من كل ما في السوق من حارٍّ وحلو وحامض، ثم قال له: يا عبد الله! كُلْ، فأمسك. فقال له: كُلْ، فأنت ما سألت، وإنما سُئلت. فأكل ثم رفع يده، فقال له: كُلْ، يا عبد الله!، للأيام التي لم تأكل فيها من غزة إلى هنا، وللأيام التي تريد أن لا تأكل فيها من هنا إليغزة، وارجع من حيث أتيت، فقد انقضى شغلك الذي جئت في طلبه بمصر.

قال: فأكل الفقير أكلاً ما كان يعهده من نفسه، ولا يظنه، حتى أتى ما في الزنبيل عن آخره، ثم ناوله ذلك الرجلُ ماءً مبرَّداً، فشرب منه، ثم قال له: قم، فارجع. فقام، فرجع، وقد انقضى شغله، ووصل ما كان أراد، ولما توفي الشيخ حمَّاد في[...][٣]، حضرت جنازته، فلم أر يوم دخول السلطان إلى مدينة، ولا يوم خروج حاج، ولا يوم عيد، كان أحفل من جنازته، وكان الناس منتشرين من مرج الدحداح بموضع موته، إلى مقابر باب الصغير، موضع دفنه، ما لأحد موضع أكثر من مكان قدمه، وشهدها عامَّة أهل دمشق.

ومنهم:

٧٩ - محمد بن نبهان*

من بيت ما منهم إلا ولي تتشبث ذيله المطر،ويتشبه به النسيم إذا خطر،بناة عليا، وأساة قلوب أموات وأحيا، وما زالوا غيوم سما، ونجوم ظلما، وفي كل وقت منهم رجل شقيق شفيق، وسر السرى في علم التحقيق، سكنوا بيت جبرين[٤] من البلاد الحلبية، فهبَّ

---

(١) قال يقيل، من القيلولة وهي النوم وسط النهار.

(٢) الزنبيل: سلة من الخُوص، وهو المقطف. فارسي. **انظر**: "المعجم الفارسي الكبير مادة زنبيل".

(٣) لم يذكر تاريخ وفاته في النسخة المخطوطة الأصل، وقد ذكر المناوي في "الكواكب الدرية" أنه مات سنة ست وعشرين وسبعمائة. **انظر**: الكواكب الدرية ٤ / ٢٧١.

*محمد بن نبهان بن عمر بن نبهان الجبريني، **انظر** ترجمته في: الدرر الكامنة ٤ / ٢٧٢.

(٤) جبرين بالجيم والباء والراء المكسورة وآخرها نون: قرية من قرى حلب". قال ياقوت: جبرين قُورْ سطايا: بضم القاف وسكون الواو، وفتح الراء، وسكون السين المهملة، وطاء مهملة، وألف وياء وألف: من قرى حلب، من ناحية عزاز، ويعرف أيضاً بجبرين الشمالي، وينسبوني إليها جبراني على غير قياس. **انظر**: معجم البلدان – ياقوت ٢ / ١٠١ وما بعدها".

نسيمهم شمالا، ووهب كرمهم آمالا، وكانت تأتيني أخباره كما يقذف الروض بنشره، وكان السبب في المعرفة به الشيخ التقي عبد الله بن الخطيب، فكتبت إليه كتاباً مضمونه:

قيل جبرين منزل لابن نبهان ... محوط بمحكم التنزيل
قد تبدا محمد في رباها ... علماً للسارين وابن السبيل
بوقار كأنه الليل خوفاً ... وجبين نيِّرٍ كالقنديل
ليس يخشى الضلال من أمَّ منه ... حضرة أشرقت على جبريل

سلام الله وتحياته وبركاته على تلك الحضرة الطاهرة، جمعنا الله وإياها على التقوى في الدنيا والآخرة.

حضرة سيدي الشيخ السيد القدوة المسلِّك، جامع الطرائق، منتخب الحقائق، أبي عبد الله محمد بن سيدي الشيخ نبهان، نبَّه الله القلوب به، ونوَّر البصائر بأغلاقها.

نسبته العبد الفقير المعترف بالتقصير أحمد بن فضل الله[1]. لما زاد شوقه إلى هذه الحضرة المقدسة، لما سمع من أخبارها، واقتبس قلبه الكليم من أنوارها، وكان الشيخ تقي الدين بن الخطيب ممن اتفق معرفته من الإخوان، وكان من نبهاء الطائفة المنسوبة إلى نبهان، وأخذ بزمام القلوب إلى الانتظام في هذا العديد، وجد بها إلى هذه النسبة الشريفة، وإن كان لا يصلح لها نبوة كل مزيد.

كتب العبد الفقير الراغب في القبول له، والإقبال عليه، هذه الأحرف حال وداعه متعرفاً إلى هذا الجناب، ومتعلقاً منه بأدنى الأسباب، فإن فتح له، وإلا فكسير لا ينثني وهو وراء الباب.

ثم كانت بيننا المكاتبات لا تنقطع، وكنت أتمنى لقاءه، ولم أستطع، وكان على قدم آبائه في إطعام كل زائر، وبر كل آمل، وإعانة كل مظلوم، وإغاثة كل ملهوف، ولم يزل أمراء حلب تجل أقدارهم، وتستأمر مستشارهم.

---

(١) يقصد المؤلف نفسه رحمه الله تعالى: أحمد بن فضل الله العمري.

ولما قدمت حلب سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة، رأيت هذا الشيخ وقد جاء إلى الطنبغا ملك الأمراء، مسلّماً عليه، فرأيت رجلاً يملأ العين والصدر سيماؤه على جلالة القدر.

ولما اجتمع بالطنبغا أكرمه إكراماً يليق بمثله، وعامله معاملة عارف بفضله، إلا أن الشيخ أنكر عليه ما فعله بطشتمر، وخوّفه عاقبة البغي، ويوشك أن يؤخذ قريباً، فثقل عليه كلامه، وقام الشيخ وقد طال عليه مقامه هذا، ولم نأت الأخبار بقصد الفخري دمشق، إلا أنه قد طاح إلي الخبر سراً، ولم نظهر عليه أحداً، إلا أنا والطنبغا. ثم لم نلبث أن جاءت الأخبار، فلما كان يوم الجمعة الآتية في أسبوع قدومنا، صلينا الجمعة في جامع الطنبغا، قريباً من سوق الخيل بحلب، فقيل لي: إن الشيخ في بيت له، فدخلت، وجلست إليه، وأخذنا في الحديث، فقال لي: يا أخي! هذا الرجل قد آن أن يطل دمه، وأرى النصح لا يلج أذنه، فعرفته خبر الفخري، وما كان منه، فقال: هذا الرجل ينهزم من قدامه كما انهزم طشتمر من قدام هذا، ثم يقتل هذا، وكان الأمر كما ذكر. ثم إن الشيخ لم يجتمع بالطنبغا، بعد تلك المرة، وحرض به أن يعود إليه، فما عاد، وهمّ بأن يتوجه لزيارته، فعاقت دون ذلك العوائق.

قلت: وأهل هذا البيت لهم زرع ومتجر، ومنه ينفقون نفقات موسعة، وكانت قد تأكدت بيني وبينه الصحبة في الله تعالى، منذ تلاقينا بحلب.

ومما كتبت به إلى رجلين سافرا إلى حلب:

بالله إن جئتما بلاداً لها ابن نبهان كالحلي
تأملا منه أي بر وفيه يخبر لكل ري
وعارضا النو في رباه وقبّلا عارض الولي

ثم لم تلبث الأخبار أتت بوفاته، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة.

ومما كتبت فيه أعزي بيته من قصيدة وافق فيها تضمين بيت أبي تمام الرابع:

لا يتم بني نبهان بعد أبيكم ... أحق بأن تبقوا فلا خانكم دهر
فحوزوا تراب المجد من بعض إرثه ... وطول بقاء بعض ميراثه الأجر
فعدنا وضاح الجبين وإنما بقيتم ... لنا هذي وجوهكم الزهر
كأن بني نبهان يوم وفاته ... نجوم سماء خر من بينها البدر

ومنهم:

٨٠ - عَبدُ اللهِ اليَافِعيُّ *

الشيخ الصالح، نزيل مكة المعظَّمة، والمتطوِّف بتلك المشاعر المحرَّمة، استقام سننا، وأقام بالبطحاء لا يبغي بغيرها سكنا، أخذ بطرف من العلم والعمل، وأقام بمكة المعظَّمة يصوم النهار، ويفطر على ماء زمزم، ويقنع باليسير من الزاد، ولا يأكل إلا مما يتيقَّن حلَّه، واستطاب أكله. وأقام مرة بالمدينة المشرفة - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام-، ومرة بالمسجد الأقصى ببيت المقدس، ثم عاد إلى مكة، وهو الآن بها.(١)

وقد ألان بمواعظه حتى قلب أخشبها، وقد رأيته بالقبَّة الدنيا من قبة الشرابي بمكة سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة، وحضرت مجلسه، وسمعته يتكلم بمثله في المجامع، وسلمت عليه، ولم يطل لي معه مجلس لحوافز الضرورة.(٢)

* عفيف الدين، أبو محمد، عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان بن فَلاح، شيخ الحجاز اليافعي اليمني، ثم المكي الشافعي. واليافعي: نسبة إلى يافع، بالياء والفاء والعين المهملة، قبيلة من قبائل اليمن من حِمْيَر.
انظر ترجمته في: الوفيات لابن رافع ٢/٣١٣، ٣١٤، وطبقات الشافعية للأسنوي ٢/٥٧٩ - ٥٨٣، وذيل العبر لابن العراقي ١/٢٢٥، والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٢/٢٤٧ - ٢٤٩، والعقد الثمين ٥/١٠٤ - ١١٥، و لحظ الألحاظ ١٥٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٦/١٠٣، والنجوم الزاهرة ١١/٩٣ - ٩٤، وشذرات الذهب ٨/٣٦٢ .

(١) يشير المؤلف رحمه الله أن صاحب الترجمة وهو من معاصريه لا يزال حياً حتى وقت كتابة ترجمته في هذا المصنف، وإلا فالمترجَم توفي ثمان وستين وسبعمائة من الهجرة أي بعد وفاة المصنف - ابن فضل الله العمري المتوفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة. ومن هنا نعلم أن المصنف رحمه الله ترجم لمن كان قبله من وقت التابعين إلى معاصريه من الصالحين وغيرهم سواء في هذا الجزء أو في غيره من بقية أجزاء هذه الموسوعة.

(٢) انظر: للتوسع شذرات الذهب ٨/٣٦٢ .

ومنهم:

٨١ - أَبُو بَكر مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ بنِ أَبِي بَكر بنِ قَوَام *

الشيخ نجم الدين. نجم هدى، ونجل أئمة بهم يُقتدى، وبارقة سحب تجلي الحندس(١) وتجلو الصدا.

شيّد أركان بيته، وأحيا ذكر ميته، وتمذهب للإمام الشافعي فامتدَّ مذهبه في رحابه، وكان مذهبه علماً لأصحابه، وودَّ "الزعفراني"(٢) لو خلق بردع زمانه أطراف النهار، و"البيضاوي"(٣) لو بيَّض صحائفه بأشعة الأنوار. وجهد "المحاملي"(٤) فلم يستطع أن يكون سائق ركبه، و"الاسفراييني"(٥) فما قدر بعد طول السفر على كسبه.

* انظر ترجمته في: ذيول العبر٢٥٢، والدرر الكامنة ٤٦٠، والدارس للنعيمي ١/ ١٢٠، وشذرات الذهب ٨/ ٢٥٥ .

(١) الحِنْدِسُ: بالكسر، الليل المظلم، والظلمة. " القاموس المحيط مادة حندس" .

(٢) الزعفراني: الحسن بن محمد بن الصباح البزار الزعفراني البغدادي، فقيه، ومن رجال الحديث، كان ثقة، وراوياً للإمام الشافعي، يقال: لم يكن في وقته أفصح منه ولا أبصر باللغة، نسبته إلى الزعفرانية قرب بغداد. توفي سنة ٢٥٩هجرية. " انظر: الأعلام ٢/ ٢١٢، وتهذيب التهذيب ٢/ ٣١٨" .

(٣) العالم المفسر عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو سعيد ، ناصر الدين البيضاوي، ولد في مدينة البيضاء بفارس، قرب شيراز ، وولي قضاء شيراز، من تصانيفه أنوار التنزيل وأسرار التاويل، ويعرف بـ" تفسير البيضاوي"، توفي سنة ٦٨٥هجرية. انظر: الأعلام ٤/ ١١٠ .

(٤) الحسين بن إسماعيل بن محمد المحاملي الضبي أبو عبد الله البغدادي، قاضي، من الفقهاء المكثرين من الحديث، ولي قضاء الكوفة وفارس ستين سنة. توفي ٣٣٠ هجرية. له الأجزاء المحامليات، في الحديث الشريف. انظر: الأعلام ٢/ ٢٣٤

(٥) أبو حامد الاسفراييني ، احمد بن أبي طاهر، محمد بن أحمد الاسفراييني ، ولد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وقدم بغداد وتفقَّه فيها وله عشرون سنة، وبرع في المذهب، وأربى على المتقدمين، وعم جاهه عند الملوك، قال الإمام النووي رضي الله عنه: تعليقة الشيخ أبي حامد في نحو من خمسين مجلداً، ذكر فيها مذاهب العلماء، وبسط أدلتها، والجواب عنها، توفي سنة ست وأربعمائة. " سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٣-١٩٧" .

هذا إلى توسع في بقية العلوم، وتطلُّع إلى سائر المعارف على العموم، والتحاقه وما خلع الشباب بمشايخ الطريقة، وقيامه فيها بأكثر من قدرة الهمم المطيقة، فأمسى في نكرات زمانه المفرد العلم، ومن يشابه أباه فما ظلم.

وكان يجمعنا وإياه طلب العلم زمن الشباب، وأيام الصبا قبل أن يتقلص الجلباب.

وكان عالماً لم يضيِّع أيامه، وعارفاً قدَّم أمامه، لم يزل عمره في جد كله، وجهد في أن لا يأكل شيئاً إلا من حلِّه، والدنيا عنه معرضة، وأصل الأيام له ممرضة، وهو عنها أيٌّ مزورّ(١)، وكنفه منها مغبر ثم مغبر، فلما أسمع صيته من له أذنان، وأجنى ذكره مثل اجتنا الأفنان.

ولي التدريس، وتصدَّر، ودونه كل رئيس.

قال: لقد نعيت إلي نفسي لأننا قوم لا نعهد هذا من الدنيا، وحكم بدنو الأجل على نفسه، وانطلق ولم يمتد شوط المهل حتى وُسِّد في رمسه.

قرأ القرآن الكريم، وأتقن حفظه، وتفقه بشيخ الإسلام شيخنا برهان الدين ابن الفركاح، وأخذ النحو عن شيخنا كمال الدين ابن قاضي شهبة، وكان كثيراً ما تجمعنا أوقات الاشتغال عنده، ثم لم ألقه إلا بعد أن قدمت دمشق من مصر سنة إحدى وأربعين وسبعمائة، فرأيت منه أنموذج السلف، وطريقة الأُلى، ورجل دنيا وأخرى.

كان عقله عقل الوزراء، وزيه زي الفقراء، ويتيه على الدنيا تيه الأمراء.

وكان في زاوية أبيه، غربي الصالحية، في جبل قاسيون، لا يخلو من زائر، ولا يأتيه أحد إلا ويضيفه، ويطعمه مما حضر واتفق على حسب الميسور. هذا مع ضرورة ماسَّة، وفقر.

وكان ميَّالاً إلى الفقهاء وأهل العلم، منحازاً إلى شعوبهم(٢)، لا يزال ينظر في كتاب فقه، أو حديث، أو في نسخ شيء من ذلك؛ إما بيده، وإما بيد غيره، أو في مقابلة على شيء كتب.

(١) أي مجاف لها، ومعرض عن إغرائها.

(٢) جمع شِعب، وهو في الأصل ما بين الجبلين، والمقصود أنه ملازم لطريقتهم، ومداوم على مجالستهم.

وكان لا يهاب الأمراء، وأرباب الدول؛ بل إذا جاءه أحدٌ منهم أمره بالمعروف، ونهاه عن المنكر، وأوصاه من مصالح الرعية ما تقتضيه مصلحة الوقت الحاضر، رضي من رضي، وسخط من سخط.

وتمرَّض مدة بعلَّة الاستسقاء، ولم يزل مستسلماً للموت، مسروراً بلقاء ربه، إلى أن لقي الله تعالى، في أوائل شهر رجب الفرد، سنة ست وأربعين وسبع مائة. ودفن إلى جانب والده بالزاوية المعروفة بهم، وحضره خلقٌ، وتأسَّفت الدنيا لفقده.

وهذا آخر ما ذكرت من هذه الطائفة بالمشرق، فأما من هو منهم بالجانب الغربي بما فيه الديار المصرية الواقعة معه، على قلة المشهورين من أهل المغرب، خلا مصر، فإن المذكورين فيها أمم، إلا أن أكثرهم لم يعدُ ذكرُه دارَ أهله، وليس هذا من شرطنا، فإنا لا نذكر إلا المشهورين في الآفاق، المذكورين على كل الألسنة.

فأما من هو من أهل المغرب

فمنهم:

٨٢ - أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بنُ إسماعيلَ المَغْرِبيُّ *

أغاظ الدنيا وأكظمها، ولم ترقه وهي تجلى عليه في إيرادها، وتستبق إليه بدهمها ووِرادها، فلم يُعِرْها طَرْفَه، ولم يرعها لحظة عين ولا طرفة، بل بتَّ منها وفتّ منها في مهاب الرياح طينة الخبال، ولم يصحبها إلا بنيَّة مفارق، وطويَّة طارق، فلم يرد بكاسها، ولم يرغب في مكاسها. فخلاها وسار منطلقا، وولاها ظهره وأشار إليها مطلّقا.

كان أستاذ إبراهيم الخواص(١)، وإبراهيم بن شيبان(٢). وصحب علي بن رزين(٣)، وعاش مائة وعشرين سنة، ومات على جبل طور سيناء، سنة تسع وسبعين ومائتين.

وقيل: سنة تسع وتسعين، وقبره فيه مع أستاذه علي بن رزين.

وكان عجيب الشان، لم يأكل مما وصلت إليه يد بني آدم عدةً من السنين، بل كان يتناول أصول الحشيش أشياء تعوَّد أكلها.(٤)

---

* **ينظر** ترجمته في: طبقات الصوفية ٢٤٢، حلية الأولياء ١٠/٣٣٥، الرسالة القشيرية ١/١٤١، صفة الصفوة ٤/٣٣٦، المنتظم ٦/١١٣، طبقات الأولياء ٤٠٢، النجوم الزاهرة ٣/١٧٨، طبقات الشعراني ١/٩٠، جامع كرامات الأولياء ١/١٠١، طبقات الصوفية للمناوي ١/٧١٠ .

(١) سبقت ترجمته موسعة أول هذا الكتاب.

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرميسني، شيخ وقته، صحب أبا عبد الله المغربي، وإبراهيم الخواص وغيرهما. **انظر**: اللباب ٢/٢٥٥ .

(٣) أبو الحسن علي بن رزين، خراساني، أصله من ترمذ، ويقال: من "هراة". كان أستاذ أبي عبد الله المغربي، صحب الحسن البصري، وكان يدخل إلى قرميسين، فيكتبون عنه، عمر طويلاً، حتى قيل إنه عاش مائة وعشرين سنة، توفي سنة خمس وعشرين ومائتين، ودفن على جبل الطور، ودفن إلى جانبه صاحبه أبو عبد الله المغربي. **انظر**: صفة الصفوة ٤/١٤٠ .

(٤) الرسالة القشيرية ١/١٤١ .

و [من كلامه] قال:

"الفقير: المجرَّد من الدنيا وإن لم يعمل شيئاً من أعمال الفضائل، ذرة منه أفضل من هؤلاء المتعبدين المجتهدين، ومعهم الدنيا."(١)

وقال: "أهل الخصوص مع الله تعالى على ثلاث منازل:

- قومٌ: يضنُّ بهم عن البلاء، لئلا يستغرق الجزع صبرهم، فيكرهون حكمه، أو تكون في صدورهم حرج من قضائه.

- وقومٌ: يضنُّ بهم عن مساكنة أهل المعاصي، لئلا تغتمَّ قلوبهم، فمن أجل ذلك سلمت صدورهم للعالم.

- وقومٌ: صبٌّ عليهم البلاء [صبّاً]، وصبَّرهم وارتضاهم، فما ازدادوا بذلك إلا حباً له، ورضا لحكمه.

- وله عباد [منحهم نِعَماً تجدَّد عليهم، و](٢)أسبغ عليهم باطن العلم وظاهره، وأخمل ذكرهم.

وقال: "من ادَّعى العبودية وله مرادٌ باقٍ فيه، فهو كاذب في دعواه، إنما تصح العبودية لمن أفنى مراداته، وقام بمراد سيده، فيكون اسمه ما سمي به، ونعته ما حلي به، إذا سمي باسم أجاب عن العبودية؛ فلا اسم له، ولا رسم، لا يجيب إلا لمن يدعوه بعبودية سيده".

ثم بكى أبو عبد الله وأنشأ يقول:

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أصدق أسمائي(٣)

وقال: "أفضل الأعمال عمارة الأوقات بالموافقات"٤.

---

(١) طبقات الصوفية ٢٤٣/٣.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط، استكمل من طبقات الصوفية ٢٤٤/٨.

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ٢٤٥/٩.

(٤) بين أعمال القلب والجوارح بأن تكون واقعة على أفضل ما يرضي الله، وفي نسخة من الرسالة بالمراقبات " الرسالة القشيرية ١٤١/١"، وحلية الأولياء ٣٣٥/١٠، وطبقات ابن الملقن ٤٠٣/١.

وقال: " الفقراء الراضون هم أمناء الله في أرضه، وحجته على عباده، بهم يدفع البلاء عن الخلق. "(١)

و[قال] : "الفقير الذي لا يرجع إلى مستند في الكون غير الالتجاء إلى من إليه فقره، ليغنيه بالاستغناء به، كما عزَّزه بالافتقار إليه. "(٢)

و[قال] وأعظم الناس ذلاً فقير داهن غنياً وتواضع له، وأعظم الخلق عزاً: غني تذلل لفقير، وحفظ حرمته"(٣).

وأنشد لنفسه:

يا من يعدُّ الوصال ذنباً ... كيف اعتذاري من الذنوب
إن كان ذنبي إليك حبي ... فإنني عنه لا أتوب (٤)

وقال: " العارف يضيء له أنوار العلم فيبصر بها عجائب الغيب".

وقال: " مررت بمفازة المغرب عشرين يوماً، ما رأيت فيها آدمياً، ولم آكل شيئاً من الدنيا إلا شربة ماء، فبينما أنا أسير إذ لاح لي شيخ قائم يصلي، فقربت منه وقلت: السلام عليك ورحمة الله. فردَّ عليَّ السلام. فقلت له: من أنت؟. فقال: خليل الله إبراهيم – عليه السلام – حين رموه في النار. فقلت له: بماذا نلت هذه المنزلة؟. قال لي: يا عبد الله! توكَّل، فما في المملكة شيء أعزَّ من التوكل. فقلت له: وما التوكل؟. فقال: النظر إليه بلا عين تطرف، ولسان ذاكر بلا حركة، ونفس جوَّالة بلا روح. ثم سلَّم عليَّ فإذا هو في الهواء!!.

وقال: خرجت، فبينا أنا في بريِّة تبوك، إذا أنا بامرأة بغير يدين، ولا رِجْلين، ولا عينين، فدنوت منها، ثم قلت: يا أمة الله! من أين أقبلتِ؟.

---

(١) طبقات الصوفية ٢٤٥/١٠ .

(٢) المرجع السابق ٢٤٥/١١ .

(٣) الرسالة القشيرية ١/١٤١، وحلية الأولياء ١٠/٣٣٥، وطبقات ابن الملقن ٤٠٣/٣ .

(٤) طبقات الصوفية ٢٤٤/٧، وطبقات ابن الملقن ٤٠٣، وحلية الأولياء ١٠/٣٣٥ .

قالت: من عنده.

قلت: فأين تريدين؟.

قالت: إليه.

فقلت: يا سبحان الله! بادية تبوك، وليس فيها مغيث!، وأنت على هذه الحالة؟!.

قالت: يا سبحان الله! غمِّض عينيك، فغمَّضتهما، ثم فتحتهما، فإذا أنا بها متعلقة بأستار الكعبة، ثم قالت: يا عبد الله! أتعجب من ضعيف حمله قوي؟. ثم طارت بين السماء والأرض!!.

ومنهم:

٨٣ - أبُو الخَيرِ الأَقْطَعُ المَعروفُ بالتِّيناتيِّ*

لم يبق للدنيا رذاذا، ولا لبس ثوبها المعار إلا جذاذا، صحب أيامها حتى غرض، وحمل آلامها حتى مرض، وتعرَّضت له فلم يرضها، ولا أحب سماءها ولا أرضها، بل شمَّر لدار لا ينقص نعيمها، ولا يهب زعزعاً نسيمها، ليلحق بقوم جدٌّ ليصل إليهم، مع الذين أنعم الله عليهم، فلم يشبع من المطاعم السغب، ولا ورد من الماء العب، ليتفيَّأ تلك الظلال الوارفة الأفياء، الواكفة الأتقياء.

أصله من المغرب، وسكن التينات[1]، وله آيات، وكرامات.

---

* انظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ٣٧٠ – ٣٧٢، رقم ٦، وطبقات ابن الملقن ١٩٠ رقم ٣٧، وحلية الأولياء ١٠ / ٣٧٧ – ٣٧٨، والرسالة القشيرية ٢٦، والأنساب ٣ / ١٢١، والمنتظم ٦ / ٣٧٦،٣٧٧ رقم ٦٢٦، وفيه وفاته سنة ٣٤٣هجرية، وصفة الصفوة ٤ / ٢٠٦، ومعجم البلدان ٢ / ٦٨، واللباب ١ / ٢٣٤، والكامل في التاريخ ٨ / ٥٣٣، وفيه وفاته سنة ٣٤٩هجرية، والمختصر في أخبار البشر ٢ / ١٠٢، وسير اعلام النبلاء ١٦ / ٢٢، ٢٣، رقم٩ والطبقات الكبرى للشعراني ١ / ١٢٨، ونتائج الأفكار القدسية ١ / ١٩٣، والروض المعطار للحميري ١٤٧، وتحفة الأحباب للسخاوي ٢٥٣، وبدائع الزهور لابن إياس ج١ ق١ / ١٧٩، وفيه وفاته سنة ٣٤٣هجرية، ودائرة معارف البستاني ٥ / ٣٠١، ط دار المعارف بيروت ١٨٧٧م، والكواكب الدرية ٢ / ١٧ .

(١) التينات كانه جمع تينة، فرضة على ساحل بحر الشام، البحر الأبيض، قرب المصيصة من بلاد الشام.

صحب أبا عبد الله بن الجلاء، وغيره من المشايخ. وكان أوحداً في طريقة التوكل. وكانت السباع والهوامُّ تانس به، وله فراسة حادة.(١)

وتوفي سنة نيّفٍ وأربعين وثلاثمائة.(٢)

قال - رضي الله عنه -: "دخلت مدينة النبي صلى الله عليه وسلم؛ وأنا بفاقة. فاقمت خمسة أيام ما ذقتُ ذَواقاً، فتقدَّمت إلى القبر، وسلمتُ على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى أبي بكر، وعمر، رضي الله عنهما. وقلت: أنا ضيفك الليلة يا رسول الله!.

وتنحَّيتُ ونمتُ خلف المنبر. فرأيت في المنام النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر عن يمينه، وعمر عن شماله، وعلي بن أبي طالب بين يديه، رضي الله عنهم، فحرَّكني علي، وقال: قُمْ، قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: فقمت إليه، وقبَّلتُ بين عينيه، فدفع إليَّ رغيفاً، فأكلت نصفه، وانتبهتُ، فإذا في يدي نصف رغيف."(٣)

وقال أبو بكر [الرازي : أنشدني] أبو الخير الأقطع:

أنْحَلَ الحبُّ قلبَهُ والحنينُ ومحاهُ الهوى، فما يستبينُ
ما تراه الظُّنون إلا ظُنوناً وهو أخفى من أن تراه العيونُ(٤)

وقال: "لن يصفوَ قلبك إلا بتصحيح النية لله تعالى؛ ولن يصفو بدنك إلا بخدمة أولياء الله تعالى."(٥)

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ٣٧٠، وطبقات الأولياء لابن الملقّن ١٩٠ .

(٢) كذا في طبقات الصوفية " مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة" ص ٣٧٠ وفي تاريخ الإسلام للذهبي ٢٥/٤٨٩ قال: " قال السلمي - أي في تاريخ الصوفية، ولم يصل إلينا - سمعت أبا الأزهر يقول: عاش أبو الخير مائة وعشرين سنة، ومات سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، أو قريباً من ذلك، رحمه الله ورضي عنه".

(٣) الكواكب الدرية ٢/٤٥، وطبقات ابن الملقن ١٩٢ .

(٤) طبقات الصوفية ٢/٣٧١، وطبقات ابن الملقن ١٩٤، ونتائج الأفكار القدسية ١/١٩٤، والكواكب الدرية ٢/٤٧ .

(٥) طبقات الصوفية ٤/٣٧١، والكواكب الدرية ٢/٤٥ .

وقال: " ما بلغ أحدٌ إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة[١]، ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض، وصحبة الصالحين، وخدمة الفقراء الصادقين "[٢].

وقال: " الذاكر لله تعالى لا يقوم له – في ذكره – عِوَض؛ فإذا قام له العِوَضُ، خرج من ذكره "[٣].

وقال: " الدعوى رعونة، لا يحتمل القلب إمساكها، فيلقيها إلى اللسان، فتنطق بها ألسنة الحمقى، ولا يعرف الأعمى ما يبصره البصير من محاسنه وقبائحه "[٤].

وقال: " من أحب أن يطَّلع الناس على عمله فهو مراء، ومن أحب أن يطَّلع الناس على حاله فهو مُدَّعٍ كذاب "[٥]

وقال حمزة بن عبد الله العلوي: دخلت على أبي الخير، وكنت اعتقدت في نفسي أن أُسَلِّم عليه وأخرج ، ولا آكل عنده طعاماً، فلما خرجت من عنده مشيت قليلاً إذا به خلفي، وقد حمل طبقاً عليه طعام، فقال: يا فتى! كُلْ هذا، فقد خرجت الساعة من عقدك!.

ومنهم:

٨٤ – أبو عُثمانَ سَعيدُ بنُ سلاَّم المَغْرِبِيُّ*

---

(١) أي موافقة الكتاب والسنة في العلم والعمل، وهذا منهج الصوفية رضي الله عنهم، ولا عبرة بمن شذ.

(٢) الكواكب الدرية ٢ / ٤٥، وطبقات الصوفية للسلمي ٣٧١ / ٥، وحلية الأولياء ١٠ / ٣٧٨، وتاريخ الإسلام للذهبي ٢٥ / ٤٨٨ .

(٣) طبقات الصوفية ٣٧٢ / ٧ .

(٤) طبقات الصوفية ٣٧٢ / ٩ .

(٥) حلية الأولياء ١٠ / ٣٢٧، نتائج الأفكار القدسية ١ / ١٩٤، الكواكب الدرية ٢ / ١٧، طبقات ابن الملقن ١٩١ .

* **انظر** ترجمته في: طبقات الصوفية ٤٧٩ – ٤٨٣، الكامل في التاريخ ٩ / ٣٧، مرآة الجنان ٢ / ٤٠١،٤٠٢، البداية والنهاية ١١ / ٣٠٢، المنتظم ٧ / ١٢٢، ١٢٣، رقم ١٦٧، الوافي بالوفيات ١٥ / ٢٢٥، رقم ٣١٤، النجوم الزاهرة ٤ / ١٤٤، شذرات الذهب ٣ / ٨١، تاريخ بغداد ٩ / ١١٢ رقم ٤٧٢٠، الرسالة القشيرية ١ / ١٩١، اللباب ٣ / ٣٦، نتائج الأفكار القدسية ٢ / ١٢، طبقات الشعراني ١ / ١٤٣، تاريخ التراث العربي ٢ / ٤٨٥ رقم ٤٠، العبر ٢ / ٣٦٥، سير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٢٠، ٣٢١، رقم ٢٢٨، طبقات الأولياء ٢٣٧، ٢٣٨ رقم ٤٤، هدية العارفين ١ / ٣٨٩، تاريخ الإسلام – وفيات سنة ٣٧٣هجرية، ٢٦ / ٥٣٩–٥٤٠ .

كان للمتقدم إليه حرسا، وللمتكلم لديه خرسا، فكانت عنده لا تنطق الألسنة، ولا تطلق بسيئة ولا حسنة، لمهابة ألقيت عليه، وإنابة ألقيت إليه، على بسطة للجليس، وغبطة للأنيس، وقِرىً، وبشاشةٍ، وقربٍ كان حشو الحُشَاشة، وإطلاق يد في جود، وندى كرامة بأيسر موجود، إلا أنه كان يرجح الطود وقورا، وترى السحاب الجود محقورا. فكان كأن ضيغماً[١] في أمانيه، أو أرقماً[٢] يساور بين نائيه.

وكان من القيروان[٣]، من قرية يقال لها: " كَرْكَنْت"[٤] أقام بالحرم مدة، وصحب أبا علي ابن الكاتب[٥]، وحبيباً المغربي[٦]، وأبا عمرو الزجاجي.

ولقي: النهرجوري، وأبا الحسن بن الصائغ الدينوري.

وكان أوحد المشايخ في طريقته، وزهده، وتقدُّمه. وهو بقية المشايخ وتاريخهم، ولم يُرَ مثله على علو الحال، وصون الوقت، وصحة الحكم بالفراسة، وقوة الهيبة.[٧]

ورد "نيسابور"، ومات بها سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.[٨]

وأوصى أن يصلي عليه الإمام أبو بكر بن فورك.[٩]

---

(١) الضيغم: الأسد. القاموس مادة "ضغم".

(٢) الأرقم: هو أخبث الحيَّات وأطلبها للناس. القاموس مادة "رقم".

(٣) القيْروان: مدينة عظيمة بافريقية، غبرت دهراً، وليس بالمغرب مدينة أجلُّ منها، مصِّرتْ في الإسلام، أيام معاوية بن أبي سفيان، مصَّرها عقبة بن نافع، بعد أن أتم فتح أفريقية، وقد عمِّرت سنة خمس وخمسين من الهجرة. **انظر**: معجم البلدان ٤/ ٢١٢ – ٢١٤.

(٤) كَرْكَنْت، بفتح أوله، وسكون ثانيه، وكسر الكاف الثانية، ثم نون ساكنة، وتاء مثناة، وابن الأثير يضبطها بكسر الكافين: قرية من قرى القيروان، وبلد على ساحل البحر في جزيرة صقلية. **انظر**: معجم البلدان ٤/٢٦٢، واللباب ٣/ ٣٦.

(٥) هو أبو علي بن أحمد الصوفي المعروف بابن الكاتب، توفي سنة نيف وأربعين وثلاثمائة. طبقات الصوفية ٣٨٦ – ٣٨٨.

(٦) سبقت ترجمته أول الكتاب.

(٧) طبقات الصوفية للسلمي ٤٧٩، وطبقات ابن الملقن ٢٣٧، وتاريخ الإسلام ٢٦/ ٥٤٠.

(٨) الرسالة القشيرية ١/ ١٩١، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٢٣٧.

(٩) هو أبو بكر محمد بن فورك – بضم الفاء، بعدها واو ساكنة، وراء مفتوحة: الحافظ المعروف.

ومن كلامه:

"الاعتكاف: حفظ الجوارح تحت الأوامر"(١)

وقال: " التقوى: هي الوقوف مع الحدود، لا يقصِّر فيها، ولا يتعدَّاها(٢)، قال الله تعالى: ﴿ ومن يتعدَّ حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾(٣).

وقال: " من آثر على التقوى شيئاً حُرِم لذَّة التقوى"(٤).

وقال: " من تحقَّق في العبودية، طهَّر سرَّه بمشاهدة الغيوب، وأجابته القدرة إلى كل ما يريد."(٥)

وقال: " من آثر صحبة الأغنياء على مجالسة الفقراء ابتلاه الله بموت القلب" .(٦)

وقال: " العاصي خير من المدَّعي؛ لأن العاصي – أبداً – يطلب طريق توبته، والمدَّعي يتخبَّط في حبال دعواه"(٧).

وقال: " من مدَّ يده إلى طعام الأغنياء – بِشَرَهٍ وشهوة – لا يفلح أبداً، وليس يعذر فيه إلا المضطر"(٨)

وقال: " لا تصحب إلا أميناً، أو معيناً؛ فإن الأمين يحملك على الصدق، والمعين يعينك على الطاعة" .(٩)

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ٤٨٠/١ .

(٢) الكواكب الدرية للمناوي ٢/١٠٠، والرسالة القشيرية ١/١٩٢ .

(٣) سورة الطلاق – الآية ١ .

(٤) طبقات الصوفية ٤٨١/١٢ .

(٥) طبقات الصوفية للسلمي ٤٨١/١٣ .

(٦) الرسالة القشيرية ٣٩، طبقات الشعراني ١/١٤٤ .

(٧) طبقات الصوفية للسلمي ٤٨٠/٥ .

وفي طبقات المناوي: " عاصٍ نادم خير من طائع مدَّعٍ، لأن العاصي يطلب طريق توبته، ويعترف بنقصه، والمدعي يتخبَّط في حال دعواه" . الكواكب الدرية ٢/١٠٠ .

(٨) طبقات الصوفية ٤٨٠/٦ .

(٩) طبقات الصوفية ٤٨٠/١٧، والكواكب الدرية في طبقات الصوفية للمناوي ٢/١٠٠ .

وقال: " قلوب أهل الحق قلوب حاضرة، وأسماعهم أسماع مفتوحة"(١).

وقال: " الحكمة هي النطق بالحق" .(٢)

وقال: "من اشتغل بأحوال الناس ضيَّع حاله" .(٣)

وقال رضي الله عنه: " الغني الشاكر يكون كأبي بكر الصدِّيق - رضي الله عنه -، فقدَّم ماله، وآثر الله عليه، فأورثه الله عز وجلَّ غنى الدارين، وملكهما.

والفقير الصابر مثل أويس القرني، ونظرائه، صبروا فيه، حتى ظهرت لهم براهينه."(٤)

وقال: " التقوى تتولَّدُ من الخوف."(٥)

وقال: " من ادَّعى السماع ولم [يستمع] من صوت الطيور، وصرير الباب، وتصفيق الرياح؛ فهو مغترّ مدَّعٍ"(٦).

وقال: " رأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي: يا أبا عثمان! اتق الله في الفقر ولو بقدر سمسمة" .

ومنهم:

٨٥ - أَبُو العَبَّاس أَحمدُ بنُ محمدِ بنِ مُوَسى بنِ عَطَاءِ اللهِ، الصَّنهَاجِيُّ، الأندَلُسِيُّ، المعروف بابن العَرِيف*

(١) الكواكب الدرية ١٠١، وطبقات الصوفية للسلمي ٤٨٢ / ٢٠ .
(٢) طبقات الصوفية ٤٨٣ / ٢٣ . (٣) طبقات الصوفية ٤٨٠ / ٨ .
(٤) طبقات الصوفية ٤٨٣ / ٢٤ . (٥) طبقات الصوفية ٤٨٣ / ٢٧ .
(٦) الكواكب الدرية للمناوي ٢ / ١٠١ .

* **انظر** ترجمته في: الصلة لابن بشكوال ١ / ٨١، وبغية الملتمس للضبي ١٦٦، والمعجم لابن الأبَّار ١٥ - ١٩، والمطرب ٩٠، والمغرب ٢ / ٢١١، ووفيات الأعيان ١ / ١٦٨ ، ١٧٠، والعبر ٤ / ٩٨ - ٩٩، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٢٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠ / ١١١ - ١١٤، رقم٦٨، والوافي بالوفيات ٨ / ١٣٣ - ١٣٥، وعيون التواريخ ١٢ / ٣٦٨ - ٣٧١، ومرآة الجنان ٣ / ٢٦٧، وأعمال الأعلام ٢٤٨، والنجوم الزاهرة ٥ / ٢٧٠، ونيل الابتهاج ٥٨، ونفح الطيب ٣ / ٢٢٩ - ٢٣٠، وشذرات الذهب ٤ / ١١٢، وتاريخ الإسلام - وفيات سنة ٥٣٦هجرية، ٣٦ / ٤٠٤ .

متقٍ خاف الدنيا وفتكها، وخلَّص منها نفسه وفكَّها، فلم يعلق بالدنايا، ولم يطلق رسنه من يد المنايا، وطالما دعته الآمال، ورعته الأعمال، فما اغترَّ بسرابها، ولا سر بشرابها، ولا رأى صدقها إلا خداعا، ولا سننها إلا ابتداعا، فنفض منها اليدين، فطالب أطماعه بالفراغ منها، مطالبة الغريم بالدَّين، ولم يزل على حالته ولم يبرح، حتى سار نعشه على الرقاب ليلحد أو يُضْرَح.

وكان من كبار الصالحين، والأولياء المتورِّعين، وله المناقب المشهورة، وله كتاب: " المجالس"(١) وغيره من الكتب المتعلقة بطريق القوم.

وله نظم حسن في طريقهم أيضاً، ومن شعره(٢):

شدُّوا المطيَّ وقد نالوا المُنَى بِمِنَى ... وكلُّهم بأليم الشوق قد باحا
سارت ركائبهم تندى روائحهم ... طيباً بما طاب ذاك الوفد أشباحا
نسيم قبر النبي المصطفى لهم ... رَوحٌ إذا شربوا من ذكره راحا
يا واصلين إلى المختار من مضرٍ ... زرتم جسوماً وزرنا نحن أرواحا
إنَّا أقمنا على عُذرٍ وعن قَدَرٍ ... ومن أقام على عذرٍ كمن راحا(٣)

وبينه وبين القاضي عياض بن موسى اليحصبي(٤) مكاتبات حسنة، وكانت عنده مشاركة في أشياء من العلوم(٥)، وعناية بالقراءات، وجمع الروايات، واهتمام بطرقها وحملها. وكان العُبَّاد وأهل الزهد يألفونه ويحمدون صحبته.

وحكى بعض المشايخ الفضلاء أنه رأى بخطه فصلاً في حق أبي محمد علي ابن أحمد

(١) طبع هذا الكتاب باسم "محاسن المجالس" وقد ذكره حاجي خليفة في الموضعين، ولعل الثاني هو مختصر الأول، إن لم يكونا كتاباً واحداً.

(٢) وردت الأبيات في الوافي، والنفح ٤/ ٣٣١ "ط صادر – بيروت".

(٣) **انظر**: وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١٦٩.

(٤) صاحب الكتاب الشهي الشهير " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " صلى الله عليه وسلم.

(٥) الصلة لابن بشكوال ١/ ٨١.

المعروف بابن حزم الظاهري الأندلسي، وقال فيه: " كان لسان ابن حزم المذكور، وسيف الحجاج بن يوسف شقيقين".

وإنما قال ذلك لأن ابن حزم كان كثير الوقوع في الأئمة المتقدمين والمتأخرين، لم يكد يسلم منه أحد(١).

وكان قد سعي به إلى صاحب مراكش(٢)، فأحضره إليها فمات، واحتفل الناس بجنازته، وظهرت له كرامات؛ فندم على استدعائه.

وكانت وفاته ليلة الجمعة، الثالث والعشرين من صفر، سنة ست وثلاثين وخمسمائة(٣) ودفن يوم الجمعة، رحمه الله تعالى.

ومنهم:

٨٦ - شُعَيبُ [بنُ الحُسَين] أبو مَدْيَن*

أضاء كالبدر سافرا، ورد من القلوب نافرا، ولم يزل لزلّة الأيام غافرا، وبأزمّة المرام ظافرا، وسار ذكره فأسمع الدهر وفي آذانه صمم، وداوى الزمان وفي علقه لمم، وكان أول ما بُشِّر

(١) وفيات الأعيان ١/١٦٩ .

(٢) هو علي بن يوسف بن تاشفين .

(٣) وكان مولده يوم الأحد بعد طلوع الفجر ثاني جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين وأربعمائة "**انظر**: وفيات الأعيان ١/١٦٩".

* **انظر** ترجمته في: الكواكب الدرية للمناوي ٢/٢٣٧، وتكملة الصلة لابن الأبار رقم ٢٠١٥، والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ٤/١٢٧، وجذوة الاقتباس للمكناسي ٥٣٠، والبستان لابن مريم١٠٨، وعنوان الدراية للغبريني ٥٥، وسلوة الأنفاس للكتاني ١/٣٤٦، والتشوف إلى رجال التصوف للتادلي ٣١٦، والعبر ٤/٤٧٥، ومرآة الجنان ٣/٤٦٩ - ٤٧١، وفيه: " شعيب ابن الحسن، وقيل: ابن الحسين" والوافي بالوفيات ١٦/١٦٣ رقم ١٩٠، و شذرات الذهب ٤/٣٠٣، والطبقات الكبرى للشعراني ١/١٧٠، ونفح الطيب ٧/١٣٦، وتعريف الخلف للحفناوي ٢/١٧٢، وشجرة النور الزكية ١/١٦٤، وقد وضع ابن قنفذ كتاباً خاصاً بشعيب بن الحسين وأصحابه سماه: "أنس الفقير وعز الحقير" طبعة الرباط ١٩٦٥، **وانظر** تاريخ الإسلام ٤١/٣٩٨ - ٣٩٩

أبوه وهو غلام، وفسَّر عن لؤلؤته صدف الظلام، حتى بلغ الاحتلام، ويده بالخير وارتحل، وصابر الأيام فتسترت الليالي وتبرقعت بالحجل، فرويت آثار أياديه، ونقلت أخبار سؤدده بألسنة أصدقائه وأعاديه، وكان يقوم والليل لم يطمئن له جنوب، ويروِّض نفسه والروض لم يشق فيه للشقيق جيوب، بعلم يفلح به الحجاج محتكم، ويخرج في حربه والعجاج مرتكم. وكان له في مجاهدة النفس حروب، ونوَّب حتى حان منه للشمس غروب(١).

وحكي أنه لما قدمت إليه المائدة يوماً فقال: أخِّروها، وكان هناك فقير جائع، فقال في نفسه: لو كان هذا فقيراً ما أخَّر المائدة. فلما حضرت تقدَّم فأكل منها أكلاً يسيرا، فأكل ذلك الفقير، وسائر الجماعة، فلما رفعوا أيديهم قال الشيخ لخادمه: شِلْ من هذا الخبز والطعام لفقير يأتينا في هذه الساعة، وهو جائع، قد أخَّرنا المائدة لانتظاره، فظنَّ ظانٌّ فينا ظناً. فشال الخادم منها شيئاً، فقال الشيخ: زد!، فهذا ما يكفي. فزاد، فقال له: زد!، فهذا ما يكفي.

فقال له: يا سيدي! أنت قلت: رجل واحد، وهذا فوق كفاية الواحد، فقال: صدقت، هو رجلٌ واحد، ولكن له ثلاثة أيام لم يأكل شيئاً.

ثم لم يستتمَّ الكلام حتى أتى الفقير، فسلَّم على الشيخ، والجوع يتبين في وجهه، فقدم إليه الخادم ما خبَّأه له؛ فأكله حتى أتى عليه عن آخره، ثم قال: والله ! لي ثلاثة أيام

---

(١) أصله من أعمال إشبيلية من حصن منتوجَبْ، جال وساح، وسكن بجاية مدة، ثم سكن تلمسان، وكان كبير الصوفية والعارفين في عصره. واشتهر حتى ملأ الآفاق، وصار إمام الصديقين في وقته بلا شقاق. وأخذ عنه الكبراء كالعارف محيي الدين رضي الله عنه، وقال: كان سلطان الوارثين، ومكث في بيته سنة لا يخرج، فاجتمع الناس ببابه، يسألوه أن يتكلم عليهم، وألزموه، فخرج، ففرَّت منه عصافير على سدرة بداره، فرجع وقال: لو صلحت للحديث عليكم ما فرَّ مني الطير ولا الوحش. فقعد عاماً فأتوه، فخرج فلم تفرَّ منه، فتكلَّم عليهم، وترك الطير تضرب بأجنحتها، وتصفَّق حتى مات بها كثير، ومات رجلٌ ممن حضر. وكان الشيخ أمياً، وعلوم الأمّيّ تأتي خالية من الإشكال، قال العارف بالله سيدي محيي الدين بن عربي: كان حال لوقته التجريد، وعدم الاختيار.
انظر: "الكواكب الدرية ٢/٢٣٨".

وذكره أبو عبد الله الأبار، ولم يؤرِّخ له موتاً، وقال: كان من أهل العمل والاجتهاد، منقطع القرين في العبادة والنسك. قال: وتوفي بتلمسان في نحو التسعين وخمسمائة، وكان آخر كلامه: "الله الحي"، ثم فاضت نفسه.

ولا وجدت ما آكل.

ثم قام ذلك الفقير، ودخل الفقير الذي قال ما قال أولاً، فقال: يا سيدي! أنا أستغفر الله مما وقع مني، فقال له: يغفر الله لك، أتصحبني كذا وكذا شهراً وتقول: لو كان هذا فقيراً لما أخَّر يده عنا لأجل شبعه، ونحن جياع؟. فقال: والله يا سيدي! كان ذلك. وأنا أستغفر الله منه. فضحك الشيخ، وأقبل عليه.

وحكى ابن عربي قال: رأى بعض مريدي الشيخ أبي مدين؛ كأن الحق سبحانه وتعالى في زير دقيق!، فذكر ذلك لأبي مدين، فقال: هل عندك دقيق؟. قال له: نعم. قال له: هل هو في زير؟. قال: نعم. قال: ذلك إلهك الذي تعتمد عليه، فتصدَّق به لتتخلص مما أنت فيه.

وحكى الوداعي قال: حدثني شخص مغربي:– وكان رجلاً صالحاً –: أن القحط شمل المغرب سنة، وأحبس المطر، فأتى الناس أبا مدين ليستسقي لهم، فخرج وهو يقول:

يا من يغيث الورى من بعد ما قنطوا ... ارحم عبيداً أكف الفقر قد بسطوا
واستنزلوا جودك المعهود فاسقهمُ ... رياً يريهم رضا ما شانه سخطُ
وعامل الكلَّ بالفضل الذي ألفوا ... يا عادلاً لا يرى في حكمه شططُ
إن البهائم أضحى المحل مربعها ... والطير أصبح للحصباء يلتقط
والأرض من حلل الأزهار عاطلة ... وكان للزهر في فتحاتها بسُطُ
وأنت أكرم مسؤول تمدُّ له ... أيد العصاة وإن جاروا وإن قنطوا

قال: ولم يزل يرددها حتى جاءت السماء، وتوالى الغيث، ودام يتعهد حتى كانت السنة المجدبة أخصب عام.

رحمه الله تعالى.

ومنهم:

٨٧ - أَبُو العَبَّاس أَحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ هِشام بنِ الحُطَيئةَ[1] اللَّخْمِيُّ الفَاسِيُّ*

لم يستعذب لريق الدنيا مساغا، ولا استلذّ رحيق رضابها[2] منساغا، وأقبل بقلب منيب، وعزم غير منقلب ولا مريب، مصغياً إلى أوامره ونواهيه بأذن واعيه، وقدمٍ قائمة في الطاعة أو ساعيه. خائفاً من نار يلفح سعيرها، ويجمح عسيرها؛ وقودها الناس والحجارة، ووفودها لا يزور فيها جارٌ جاره، معملاً إلى الجنة الركائب، مرملاً بنفسه المطمئنة إلى الحبائب. فهنيء بعمله، وهيأ لأمله.

وكان من مشاهير الصلحاء وأعيانهم، وكان مع صلاحه فيه فضيلة ومعرفة بالأدب، وكان رأساً في القراءات السبع، ونسخ بخطه كثيراً من كتب الأدب وغيرها، وكان جيد الخط، حسن الضبط، والكتب التي توجد بخطه مرغوب فيها للتبرك بها، ولإتقانها.

ولد بفاس يوم الجمعة، السابع عشر من جمادى الآخرة، سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وانتقل إلى الديار المصرية، ولأهلها فيه اعتقاد كبير لما رأوه من صلاحه، وكان قد حجَّ

(١) الحطيئة: بضم الحاء المهملة، وفتح الطاء المهملة، وسكون الياء المثناة التحتية، وبعد الهمزة هاء. "وفيات الأعيان ١/ ١٧١". والفاسي: بفتح الفاء وبعد الألف سين مهملة، هذه النسبة إلى فاس وهي مدينة كبيرة بالمغرب بالقرب من سبتة، خرج منها جماعة من العلماء. * **انظر** ترجمته في: إنباه الرواة ١/ ٣٩، ووفيات الأعيان ١/ ١٧٠، ١٧١، والعبر ٤/ ١٦٩، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٣٤٤ - ٣٤٨، رقم ٢٣٤، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٥٢٦، ٥٢٧ رقم ٤٧٠، والمعين في طبقات المحدِّثين ١٦٨ رقم ١٨٠٠، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٣٠، وتلخيص ابن مكتوم ١١، والوفي بالوفيات ٧/ ١٢١، وغاية النهاية ١/ ٧١، والنجوم الزاهرة ٥/ ٣٧٠، وحسن المحاضرة ١/ ٤٥٣، و٤٩٥، وسلَّم الوصول ٨٩، وشذرات الذهب ٤/ ١٨٨، وتاريخ الإسلام وفيات سنة ستين وخمسمائة، ٣٨/ ٢٩٦.

(٢) قال في القاموس: "الرضاب - كغراب - الريق المرشوف، أو قِطَعُ الريق في الفم، وفتات المسك".

ودخل الشام، واستوطن خارج مصر في جامع راشدة.(١)

وكان لا يقبل لأحد شيئاً، ولا يرتزق على الإقراء، واتفق بمصر مجاعة شديدة، فمشى إليه أجلاَّء المصريين وسألوه قبول شيء فامتنع، فأجمعوا رأيهم أن يخطب أحدهم البنت التي له، وكان يعرف بالفضل بن يحي الطويل، وكان عدلاً بزازاً(٢) في القاهرة، فتزوجها، وسأل أن تكون أمها عندها، فأذن في ذلك(٣)، وكان قصدهم تخفيف العائلة عنه، وبقي منفرداً ينسخ ويأكل من نَسْخه. [وكان يعرض عليه المال فلا يقبل منه شيئاً؛ قيل: جاء بعض التجار بمئزر أسود صوف وحلف عليه به، فقال: اجعله على ذلك الوتد، فأقام ثلاثين سنة موضعه].(٤)

وتوفي في أواخر المحرَّم سنة ستين وخمسمائة بمصر، ودفن في القرافة الصغرى، وقبره يزار بها. قال ابن خلِّكان(٥): " وزرته ليلاً فوجدت عنده أنساً كثيراً"، رحمه الله تعالى.

وكان – رحمه الله تعالى – يقول: " أدرجت سعادة الإسلام في أكفان عمر بن الخطاب رضي الله عنه"(٦)، أشار إلى أن الإسلام لم يزل في أيامه في نمو وازدياد، وشرع بعده في التضعضع والاضطراب.

وذكر في كتاب " الدول المنقطعة"(٧) في ترجمة أبي الميمون عبد المجيد صاحب مصر: أن

(١) قال الذهبي في السير: " وقد دخل الشام وزار، وسكن مصر، وتزوَّج، وكان يعيش من الوراقة، وعلَّم زوجته وبنته الكتابة، فكتبتا مثله، فكان يأخذ الكتاب ويقسمه بينه وبينهما، فينسخ كل منهما طائفة من الكتاب، فلا يفرِّق بين الخطوط إلا في شيء نادر، وكان مقيماً بجامع راشدة خارج الفسطاط، ولأهل مصر حتى أمرائها العبيدية فيه اعتقاد كبير، كان لا يقبل من أحد شيئاً، مع العلم والعمل والخوف والإخلاص".
وانظر: إنباه الرواة ١ /٣٩، والوافي ٧ /١٢١–١٢٢.

(٢) قال في القاموس: " البزُّ: الثياب، أو متاع البيت من الثياب نحوها، وبائعه: البزاز، وحرفته البزازة"
انظر: القاموس المحيط مادة بزَّ.

(٣) وفيات الأعيان ١ /١٧٠، وإنباه الرواة ١ /٣٩، والوافي ٧ /١٢٢.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الأصلية استكمل من " وفيات الأعيان" ١ /١٧٠.

(٥) وفيات الأعيان ١ /١٧١.

(٦) وفي سير أعلام النبلاء ٢٠ /٣٤٧: " طويت سعادة المسلمين في أكفان عمر".

(٧) كتاب من تاليف ابن ظافر الأزدي المتوفى سنة ٦٢٣هجرية، قال حاجي خليفة: يقع في نحو أربع مجلدات "كشف الظنون ١ /٧٦٢".

الناس أقاموا بلا قاضٍ ثلاثة أشهر في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، ثم اختير في ذي القعدة أبو العباس ابن الحطيئة، فاشترط أن لا يقضي بمذهب الدولة، فلم يمكَّنْ من ذلك، وتولى غيره.(١)

ومنهم:

٨٨ - ابن بلج

وأصله من مدينة قرطبة، وكان علم عرفان، إلى تعبُّدٍ عمر ما بين عرفات وعسفان، وتهجّد بكرى النجوم ولا يغمض له أجفان.

ذكره ابن عربي وقال: كان يطوف ويهدي لغيره، فخطر له يوماً أن يطوف لنفسه أسبوعاً واحداً، قال: فلما عقدت نية الطواف، وقعت ورمت النهوض فلم أستطع، فقلت: " اللهم إني تائب إليك، وراجع إلى ما أقمتني فيه".

قال: فعند ذلك أطلقني الله للقيام، فقمت بوقتي، ورجعت إلى عادتي التي هداني الله لها. رحمه الله تعالى.

ومنهم:

٨٩ - أَحمدُ بنُ عَطَاءِ الله أَبو العَبَّاس

هبٌّ للمعارف رخًا، ووهب الدنيا لأهلها سخًا، وتألق نجماً للمريد، ورخما للمزيد، وكان عالماً معلّماً، وعارفاً يؤخذ عنه العرفان مسلما، إلى وقوف على الأسرار، ووقوف على قدم في الأسحار، وحضور قلب وشعور، ولب من الكلم كأنه شذور، وموارد حقيقية ورد مناهلها، وشعب طريقة توقى مجاهلها، فلم تزل به قدم، ولم يزل له في الإملاء قلم.

قال ابن عربي: سمعته يقول: ما ينبغي للذاكر أن يشتغل بمعاني الذكر، بل بالذكر، ويجعله تعبداً لا يعقل معناه،ويقول: هذه عبادة أمرت بها، وأنا ممتثل الأمر، فإذا اعتقد

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ١٧١، وطبقات القرّاء للذهبي ٢ / ٤٢٣، وسير أعلام النبلاء ٢٠ / ٣٤٧ .

الذاكر ذلك، كان الذكر يعمل بخاصيته، وما تقتضيه حقيقته".

وأنشد:

أهوى هواه وبعدي عنه يغيبه	فالبعد قد صار لي في حبه أربا
فمن رأى دنفاً صباً أخا شجن	ينأى إذا حبة من أرضه اقتربا

وقال: الذكر حجاب عن المذكور، ولكونه بمنزلة الدليل، والدليل متى أعطاك المدلول سقط عنك لتحققك بالمدلول، فمتى كنت مع المذكور فلا ذكر، ومتى رددت الباب وجب الذكر عليك، والذكر للقلب بمنزلة الصقال للمرآة، ليتحقق بالحق صفاؤه وجلاؤه.

وقال: " مثل الذاكر اللاهي كمثل من ينادي شخصاً فإذا أجابه اشتغل عن سماعه، وكذلك الذاكر يأتيه المذكور فلا يجده حاضراً، وإنما الأصل المراقبة للمذكور، فمتى أجابك كنت معه، وهذا هو الأصل، والله أعلم".

وقال في معنى الحديث: (ما اتخذ الله ولياً جاهلاً)(١): إن معناه أن الله سبحانه وتعالى إذا اختصّ له ولياً نوَّر قلبه، فكان على بصيرة من ربه".

وقال في معنى قوله: ﴿إنما أعظكم بواحدة﴾ (٢)قال: قيل لي في المنام: تدري ما الواحدة؟. إنما أعظك بنفسك والباء هاهنا باء السبب.

---

(١) قوله (ما اتخذ الله من ولي جاهل، ولو اتخذه لعلّمه) قال في المقاصد: لم أقف عليه مرفوعاً، وقال الحافظ ابن حجر: ليس بثابت، ولكن معناه صحيح، والمراد بقوله" ولو اتخذه لعلمه" لو أراد اتخاذه ولياً لعلّمه ثم اتخذه ولياً.وقال ابن حجر المكي في فتاواه: معنى قولهم:إن الله تعالى يفيض على أوليائه الذين اتقوا الأحكام الظاهرة والأعمال الخالصة من مواقع الإلهام والتوفيق، والأحوال والتحقيق، ما يفرقون به على من عداهم ، فمن ثبتت له الولاية ثبتت له تلك العلوم والمعارف، فما اتخذ الله ولياً جاهلاً بذلك ولو فرض أنه اتخذه أي أهّله إلى أن يصير من أوليائه، لعلّمه. أي لألهمه من المعارف ما يلحقه به غيره.
فالمراد الجاهل بالعلوم الوهبية والأحوال الخفية لا الجاهل بمباديء العلوم الظاهرة مما يجب تعلمه فإن هذا لا يكون ولياً ولا يراد للولاية ما دام على جهله بذلك ، انتهى، والله أعلم.
انظر: كشف الخفاء للعجلوني ٢/ ١٨٠-١٨١ .

(٢) سورة سبأ - الآية ٤٦ .

وقال: " لما كان المدعي في الشرع عليه البينة بشاهدين،نظرنا في الحقيقة التي انبعث عنها هذا الحكم، فوجدناها في قوله تعالى:﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾ (١)فالملائكة وأولو العلم هما الشاهدان. ولما كان يحكم أخر الشاهد واليمين، وجدنا ذلك في شهادته تعالى وقسمه، قال تعالى:﴿ فوربِّ السماء والأرض إنه لحقّ﴾.(٢)

ومنهم:

٩٠ - سُلَيمَانُ [بنُ عَبدِ البَارِي الدِّرعيُّ] "شَيخُ القُرَشِيِّ"أَبو الرَّبيع*

ربيع كل مجدب، وقريع كل متأدِّب، سمع به مشرق ومغرب، وأسمع أنباء مثل عنقاء مغرب، سمع منه مرقص ومطرب، وأجمع عليه موجز ومطنب، ردَّد مسائل الطريقة وأوردها، وردَّ عين الحقيقة وأوردها(٣).

وكان رجلاً عظيماً، وزاهداً عليماً، وذكره ابن عربي وقال: وقد ذكر الحديث الوارد من طريق غريب، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من قال سبعين ألفاً "لا إله إلا الله" كانت له عتقاً من النار).

وقال: كان الشيخ أبو الربيع شيخ القرشي كثيراً ما يستعملها لنفسه، ولمن يموت من أصحابه، فقدَّر الله – تعالى – أن قالها مرة، وأسرَّها في نفسه، لم يهدها لأحد، فبينا هو ذات يوم مع جماعة له على الطعام، وإذا بصغير من الجماعة كان صاحب مكاشفة، وهو دون البلوغ، قد رمى اللقمة من يده، وقال: كشف لي عن النار، فرأيت أمي فيها!!؛ فقال الشيخ في نفسه: اليوم أصحح كشف هذا الصغير بالحديث، وأصحح الحديث بالكشف.

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٨ . (٢) سورة الذاريات – الآية ٢٣ .

* انظر ترجمته في: التشوف إلى رجال التصوف لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات ٤١٠ رقم ٢٣١، ونقل ترجمته صاحب الدرر المرصعة ١٦٦ .

(٣) قال في التشوف ص ٤١٠ : هو من أهل وادي درعة، وبه مات في حدود سنة خمسة وستمائة، وكان عبداً صالحاً.

ثم قال في نفسه: " اللهم إني قد أهديت ذلك لها، فأعتق اللهم رقبتها من النار" . قال: فعندها قال الصغير "الله، الله!، رأيت أمي أخرجت من النار، لكن ما أدري ما السبب؟" . قال: فعندها زاد ذلك تعظيماً عند الشيخ وأصحابه، وصحَّ الكشف بالحديث، والحديث بالكشف.

قال ابن عربي: وقد أهديتها لجماعة، ورأيت علامة الرحمة عليهم بعد أن كنت أرى عليهم غير ذلك.

ومنهم:

٩١و٩٢ - الأخَوان: مُحَمَّدُ الخَيَّاطُ، وَأَحمَدُ الحَرِيريُّ، المغربيان:

أبــو عبد الله وأبــو العباس

يدان كلتاهما يمين، وفرقدان كلاهما لأخيه قرين، أشرقا إشراق القمرين، وبسقا بسوق الغصنين المثمرين.

وذكرهما ابن عربي قال في حكاية ذكرها أنه قال له صديق فقال له: علي ابن الحصار[١] متوفى، وأهمني أمره، فجاءني إلى داري ليلة الأخوان - وسماهما - فسألتهما الاعتناء بأمره تلك الليلة لعلِّي أراه، ففعلوا، فلما كان في جوف الليل، رأيت صاحبي ابن الحصَّار، وعليه ثوب خَلِق، وعلى وجهه من الأنوار ما لا يستطيع البصر يتأمله. فقلت له - بعد السلام -: ألست فلاناً الذي مات؟. قال: نعم. قلت: ما لقيت من الله؟. قال: نفعني الله بما فعلته معي، وكان حالي هذا الذي ترى من هذا الثوب، ووصل إلي الليلة بهذين ما ترى أثره على وجهي، وقد أدخلني الله الجنة، وبشَّرني.

فقلت: أخشى أن يكون الشيطان قد تمثَّل بك، فهل من علامة؟. قال: فأطرق مليًّا، ثم رفع رأسه إلي، وقال: في غدٍ وقت الظهر يرسل إليك صاحب الأمر في تملك ويؤخذ

---

(١) علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الخزرجي، أبو الحسن، الحصار: فقيه إشبيلي الأصل، منشؤه بفاس، سمع بها وبمصر وغيرهما، وجاور بمكة وتوفي بالمدينة، سنة ٦١١ هجرية، له كتب في أصول الفقه، وكتاب في الناسخ والمنسوخ، سمعه منه الحافظ المنذري، والبيان في تنقيح البرهان، وأرجوزة في أصول الدين. انظر ترجمته في: التكملة لابن الأبار ٦٨٦ ،وجذوة الاقتباس ٢٩٨، والأعلام للزركلي ٤ / ٣٣٠-٣٣١ .

أصحابك، ثم تكون العاقبة إلى خير"، هذه علامة. ثم قال: يا أخي ما رأيت العثماني ما أقل خيره، كنت أتوهم أنه أقرب الإخوان، فلم ينفعني، ولا وصل إليَّ منه خير قط.

قال ابن عربي: وكنت رأيت في ذلك النهار العثماني، وكان شاعراً، وقال: أحب منك أن تضع لي معاني في مرثية حتى أنظمها لشخص اقتضاني أن أعمل له مرثية، على وزن قصيدة المتنبي . "أيا خدَّد الله ورد الخدود"(١)

وقلت للعثماني: من الذي اقتضاك المرثية لتكون المعاني لائقة به؟. فلم يعرِّفني، فلما كان الليل، ورأيت الرؤيا، قال لي صاحبي أبو الحسن في حقه ما قال.

ثم قال أبو الحسن: وتعلم الذي اقتضاه المرثية، وفي من هي؟.

قلت: لا.

قال: هو أبو الحكم ابن الحجاج، والمرثية في ولده، وقد وصل إلينا، وهو بخير، لكنني ما أكون مثله، أنا أقول لك بيتاً يكون أولاً لقصيدته التي اقتضاها عليه أبو الميت، وهو:

يا عين ويحك بالدمع جودي فإن الحبيب ثوى بالجود

قال ابن عربي: فانتبهت من النوم، وكانت الجماعة عندي، فذكرت لهم ذلك ففرحوا به، ثم أصبحنا، فكان من الطلب لي، وأخذ بعض أصحابي بعد الظهر، ما ذكره في المنام من العلامة. وذلك سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة.

قال ابن عربي: وكنت سألته في المنام عن مجيئه، فقال: حيث أشرف على جسدي ثم أعود إلى البرزخ.

---

(١) صدر بيت نصه: " أيا خدَّد الله ورد الخدود وقدَّ قدود الحسان القدود" .
انظر: ديوان المتنبي بشرح البرقوقي ٢/٦٣ .

ومنهم:

٩٣ - ابنُ عَرَبي مُحَمَّدُ بنُ عَليِّ بنِ مُحَمَّدِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الله: الشيخُ محيي الدِّين، أبو بَكرٍ الطَّائيُّ، الحَاتميُّ، الأندَلُسيُّ، المرسيُّ*

صاحب المصنَّفات، سيف يفري النوائب، ويفلي لمم الخطوب الممتدة الذوائب، ليصرف سلم إليه خاتمه، ونسي به طيء الكريم وحاتمه.

سكن دمشق مذ حلَّها، ومدَّ ببحره الزاخر محلها، وكان فيها ما به مهرعا، وسحابه مكرعا، وجنابه محصناً ممرعا، وله أمور تحمل على محامل، وخوارق لا يجامله فيها مجامل، على اتضاع نفس، وإيضاع في العلا إلى أن حلَّ الرمس، ولم يمت حتى كثرت مصنفاته كثرة أمت الأقلام وأخفتها، وغطت الأيام وأحفتها(١).

ولد - رضي الله عنه - في رمضان سنة ستين وخمسمائة، بمرسية، وسمع بها وبقرطبة

* انظر ترجمته في: ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد ٢/١٥٢، ١٥٣، رقم ٣٨٧، ومرآة الزمان ج٨ ق٢/٧٣٦، والتكملة لوفيات النقلة ٣/٥٥٥، رقم ٢٩٧٢، وذيل الروضتين ١٧٠، وتاريخ إربل ٤٠٨١، وتكملة الصلة لابن الأبار ٢/٦٥٢، والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ٦/٦٩٣، والأعلاق الخطيرة ج١ ق١/١٥٤، ونهاية الأرب ٢٩/٢٨١، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٤١، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٦٥، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٤٨، ٤٩ رقم ٣٤، والعبر ٥/١٩٨، ١٩٩، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٤٦٩، ٤٧٠ رقم ١٥٣، وفوات الوفيات ٣/٤٣٥ رقم ٤٨٤، والوافي بالوفيات ٤/١٧٣ - ١٧٨، رقم ١٧١٣، والبداية والنهاية ١٣/١٥٦، وغاية النهاية ٢/٢٠٨ رقم ٣٢٧٧، والعقد الثمين للفاسي ٢/١٦٠ - ١٩٩ رقم ٣٢٢، ولسان الميزان ٥/٣١١ - ٣١٥ رقم ١٠٣٨، ونفح الطيب ٢/١٦١ رقم ١١٣، وشذرات الذهب ٧/٣٣٢ تحقيق الأرناؤوط، وتاريخ الإسلام وفيات ٦٣٨هجرية - ص ٣٧٤، رقم ٥٤٩، المجلد ٤٦ ومعجم المؤلفين ١١/٤٠، ٤١.

(١) وقد ألف كثير من العلماء والباحثين رسائل وكتب في بيان مؤلفاته رضي الله عنه لعل أحدثها وآخرها حين كتابة هذه السطور ما ألفه العالم المحقق المرحوم محمد رياض المالح الدمشقي، في كتاب أسماه: "سلطان العارفين، وإمام المحققين، وبقية المجتهدين الشيخ الأكبر الشيخ محيي الدين بن عربي" رضي الله عنه وأرضاه، وهو كتاب نفيس جمع فيه المؤلف رحمه الله تعالى سيرة الشيخ رضي الله عنه في توسع يكاد يفوق من سبقه إضافة إلى ذكر جميع ما وقع عليه من مؤلفات الشيخ رضي الله عنه وذكر المطبوع منه والمخطوط ومكان وجوده ورقمه في المكتبات المخطوطة، والكتاب من مطبوعات المجمع الثقافي في أبو ظبي.

من ابن بشكوال، وبإشبيلية، ومكة، وبدمشق، والموصل، وبغداد، وسكن الروم مدة.

قال أبو عبد الله الدبيثي: أخذ عن مشيخة بلده، ومال إلى الآداب، وكتب لبعض الولاة، ثم حج ولم يرجع، وسمع بتلك الديار، وروى عن السلفي بالإجازة العامة، وبرع في علم التصوف، وله فيه مصنَّفات، ولقيه جماعة من العلماء، وأخذوا عنه.

قال ابن نقطة: سكن قونية، وملطية مدة، وله كلام وشعر غير أنه لا يعجبني شعره.

والناس فيه على قولين:

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: حدَّثني شيخنا ابن تيمية الحرَّاني، عن جماعة حدَّثوه، عن أبي الفتح ابن دقيق العيد، أنه سمع الشيخ عز الدين بن عبد السلام يقول في ابن العربي: هذا شيخ سوء، كذَّاب، يقول بقدم العالم، ولا يحرِّم فرجاً(١)

وحمل بعض تصانيفه إلى شيخنا ابن الفركاح فتأملها، ثم قال: الذي فهمته من كلامه مليح لا انتقاد عليه فيه، والذي لم أفهمه لا أحكم عليه فيه بشيء.

وحكي مثل هذا عن الشيخ الموفَّق.

وسئل عنه ابن الفركاح فقال: أرجو أن يكون من أهل الخير.

وسئل عنه قاضي القضاة البارزي، فقال: كان من العلماء.

وسألت عنه شيخنا ابن الزملكاني، فقال: صحٌ أنه مسلم، ولم يصح غير ذلك.

قلت: كان قاضي القضاة محيي الدين أبو الفضل ابن الزكي كثير الصحبة له، والخصوصية به، ودفنه في تربته بسفح قاسيون تبركاً بمدفنه.

وحكى صاحبه شمس الدين إسماعيل بن سودكين التوزري قال: قال لي الشيخ محيي الدين بن عربي: كنت في بعض سياحاتي، فدخل في إصبعي شوكة، فمنعتني عن المشي، فقعدت، وأخذت رجلي في حجري أنظر إليها، وقلت: إلهي لو أن معي إبرة، أو ملقطاً

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٤٦ / ٣٨٠ .

لتسببت. إلهي! وأنت تعلم عقيدتي أنني أعتقد أن الإبرة والملقاط ما لهما إبراء البتة، فلا تحتجب عني بهما".

قال: فنوديت في باطني: نعم، الأمر كذلك، ولكن إليهما ركون. فقلت: إلهي! ولا ركون. وإذا بالشوكة قد نفرت بحدة من رجلي، وضربتني بقوة في إصبع يدي المسبحة اليمني، وسقطت على الأرض، فقمت ومضيت لسبيلي بفضل الله تعالى.

وحكي عن ابن عربي أنه قال: لي إلى مكة تردد، فما حججت لنفسي إلا حجة الإسلام، ولا اعتمرت سوى عمرة الفريضة، والباقي لمن شاء الله تعالى، لكنني ما أهدي ذلك إلا لمن لا يكاد يرجى له خير.

وحكي عنه أنه قال: ذهب بعضهم إلى أن قوله عليه الصلاة والسلام: (أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين) (١)، إنما هو لئلا يبلغوا حد الخرف، الذي يفارق فيه النفوس على حالة الجهل.

وحكى شيخنا أبو الثناء الحلبي: أن رجلاً كان في زمانه يجيد الخط، وأن بعض ملوك دمشق أعطاه مصحفاً بخط ابن البواب لينقل له منه، فبينما هو مفتوح قدامه في ليلة من الليالي، والسراج يَقِد، وهو يكتب، إذ سقط السراج، فتبدد زيته على المصحف، فأيقن الرجل بالبلاء، والصبر للقتل والجلاء، وبات بشرٍّ ليلة تكون.

فلما أذن للصباح، أتى المسجد الجامع ليصلي، فرأى ابن عربي إلى جانبه، فلما قضى ركعتي المسجد، التفت إليه ابن عربي بوجهه، وقال له: ما صناعتك؟. قال: أنسخ. فقال له: فإن وقع السراج وتبدَّد زيته على شيء قدَّامك مضنون به، ما تصنع به حتى يذهب الزيت؟. فأكبَّ على يديه يقبِّلها، ويقول: هذا والله! جرى لي البارحة، وقصَّ عليه قصَّته، فضحك الشيخ، وقال: لا يهمَّك، خذ عظام الأكارع الصغار، فاحرقها، واسحقها، واسحق

(١) حديث: أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين؛ وأقلهم من يجوز ذلك. رواه الترمذي بسنده عن أبي هريرة، وأبو يعلى في مسنده عن أنس. ورمز السيوطي لحسنه في الجامع الصغير ١/١٥٦ الحديث رقم ١١٩٩ .

معها من السكر النبات، واخلطهما، ثم افتح الأوراق، وذرَّ ذلك بينهما، ثم أطبق الكتاب، وثقِّله، ودعه يوماً وليلة، ثم افتحه، وانفضه، فإنه يذهب الزيت، ويعود إلى حاله الأول. قال: ففعلت، فكان كما قال.

وحكى شيخنا الكندي عنه أنه كان يقول: " اللهم! ارزقني شهوة الحب، لا الحب، حتى أكون منعَّماً أبداً" . قال: وفي هذا يقول:

ولما رأيت الحب يعظم قدره ... وما لي به حتى الممات يدان
تعشقت حب الحب فيه ولم أقل ... كفاني الذي قد نلت منه كفاني

وحكى عن بعض أشياخه أنه قال: بلغني في عموم الأخبار أنه من قرأ اثني عشر ألف مرة سورة الإخلاص بسبب أسير فرَّج الله عنه، وفكّ أسره.

فنزلت مرة في مركب، وفيه ملاَّح، فسمعني أذكر هذا الخبر، وكان ولده مأسوراً، ولم أعلم ذلك، ثم فارقته، وبقيت مدة ، وجئت إلى النهر لحاجة عرضت.

فلما رآنا قام، وقدّم مركبه، وقال: هذا لك. تركب أنت ومن معك بغير أجرة، فسألته عن موجب إكرامه، فقال: ما تذكر لما ذكرت في ذلك الحديث الذي ورد في تلاوة سورة الإخلاص اثني عشر ألف مرة، بسبب المأسور؟.

فقلت: نعم.

فقال لي: كان ولدي هذا مأسوراً حينئذ، وإني فعلت ذلك، فلم أشعر بعد أيام إلا وولدي داخل علي، وكان قد قطع عليه حملة كثيرة كنت أعجز عن بعضها، ويئست من خلاصه، فلما رأيته سررت بخلاصه، وشكرت الله، ثم سألته عن السبب في خلاصه؟.

فقال: ما أعلم سبباً، إلا أني كنت في اليوم الفلاني – ثم ذكر ذلك الوقت الذي كملت فيه التلاوة – قاعداً، وإذا بالقيد سقط من رجلي، بإذن الله، فلما رأيت قمت، وانصرفت، فلم يعارضني أحد، فاختفيت نهاراً، وسرت ليلاً حتى وصلت إليكم بحمد الله. وهذا ببركة ركوبك في مركبي، فكيف لا أرعى حقك علي؟.

وكتب ابن عربي على هذه بخطه: "صح،صح،صح".

ومن كلامه المأثور، ودرّه المنظوم، قوله:

مـن ظـنّ أن طـريـق أربـاب الـعـلـى ... قـولٌ فـجـهـل حـائل وتعـذُّر
إن الســبـيـل إلى الإلـه عنـايـة ... منـه بمن قـد شـاءه وتعـزر
لا يرتضى لحـقـيـقـة ذو عـزة ... إلا إذا ضـم الـسـنـابـل بـيـدر
الحـال يطلبـه بشـرط مـقـامـه ... فـإذا ادّعـاه فـحـاله لك يشـهـر
يتـخـيل المسكين أن علومـهـا ... مـا بين أوراق الكتـاب تسطّر
هيـهـات بل مـا أودعـوا في كـتـبـهم ... إلا يسـيـراً من أمـور تعـسـر
لا يقـرأ الأقـوام غـيـر نفـوسـهم ... في حـالهم مع ربهم هل يحـصـر
فـتـرى الدخـيـل يقـيس فـيـه برأيه ... ليـقـال هذا منهـمـو فـيكبّـر
وتناقـضـت أقـواله إن لم يكـن ... عن حـاله فـيـمـا تقـدم يخـبـر
علـم الطريقـة لا ينال براحـة ... ومـقـايس فـاجـهـد لعلك تظفـر
عـزت علوم القـوم عن إدراك من ... لا يعـتـريه صـبـابة وتحـيـر
وتـنـفّـسٌ ممـا يـجـنّ وأنّـةٌ ... وجـوىً يزيد وعـبـرة لا تفـتـر
وتذللٌ وتولُّهٌ في غـيـبـة ... وتـلـذُّذٌ بمشـاهـد لا تـظهـر
وتقـبُّضٌ عند الشـهـود وغـيـرة ... إن قـام شـخص بالشـريعـة يسـخـر
وتخـشُّعٌ وتـفـجُّعٌ وتشـرُّعٌ ... بتـشـرُّعٍ لله لا يتـغـيـر
هذا مـقـام القـوم في أحـوالهم ... ليسـوا كمن قـال الشـريعـة مـزجـر
ثـم ادّعى أن الحـقـيـقـة خـالفت ... مـا الشـرع جـاء به ولكن تسـتـر
تبّـاً لهـا من قـالةٍ من جـاحـد ... ويلٌ له يوم الجـحـيـم يسـعَّـر
أو من يشـاهد في المشـاهد مطرقـاً ... ليـقـال هذا عـابد مـتـفـكِّرُ
هـذا مـرائي لا يلـذُّ بـراحـةٍ ... في نفـسـه إلا سـويعـة ينظر

لكنه من ذاك اسعد حالة ... وله النعيم إذا الجهول يفطر (١)

ومنه قوله:

يا نائماً كم ذا الرُّقاد ... وأنت تدَّعي فانتبه
كان الإله يقوم عنك بما ... دعا لو نمت به
لكن قلبك غافل عما دعا ... ك ومنتبه
في عالم الكون الذي ... يرديك مهما مت به
فانظر لنفسك قبل سيرك ... أن زادك مشتبه

ومنه قوله:

لما انقضى ليل الشباب ولاح لي صبح المشيب
أضربت عن خوض السفاهة بالتبتل للحبيب

نفسي أخاطب، وإياي أعاتب، أيها المرسل عنان شهواته، الجائل في ميدان لذاته، السابق في حلبة هفواته، إلى كم ذا الاغترار بالعمر القصير؟، كأنك ما علمت أن إلى الله المصيرا، فبادر إلى التوبة لعلَّك تقال، وألق عن ظهرك أوقار الأوزار الثقال، يصح لك ما أمَّلت في العقول، في حضرة القبول، فقد قال قيُّوم السماوات والأرض:﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات﴾(٢)وأمر به في كتابه المبين:﴿وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون﴾(٣)، ثم رغَّب فيما يحبه للمذنبين، فقال تعالى:﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾.(٤)

فيا أيها الناس! اعلموا أن كل من ظهرت منه حوبة(٥)؛ فإن لله عليه توبة، فمن عظمت حوبته، جلَّت توبته، فتوبة عالم الشهادة من الأعمال، وتوبة النفوس من الآمال، وتوبة

(١) انظر: ديوان الشيخ محيي الدين بن عربي صفحة ٢٤،٢٥ .

(٢) سورة الشورى – الآية ٢٥ .

(٣) سورة النور – الآية ٣١ .

(٤) سورة البقرة – الآية ٢٢٢ .

(٥) الحوبة: الإثم" القاموس مادة حوب".

الأرواح من الوقوف مع حضرات الجمال، وتوبة الأسرار من معاينة غين الكمال، وتوبة أسرار الأسرار مما لا ينال، والسر الواحد الجامع، عدم رؤية الثواب النافع، وهذا باب يدق وصفه، ويمنع كشفه، فألقِ سمعك أيها المغتر بحياته!، المحجوب على الحقيقة بمشاهدة صفاته، وخذ خطاب الحق، من حضرة الفرق بلسان الصدق، فيا محلَّ العدم! عليك بالبكاء والندم، ويا محلَّ التمحيص والاختبار! عليك بالافتقار والاعتذار، ويا محل الاطلاع! عليك بالنزوع والإقلاع، فشمِّر الذيل، واقطع بالتلاوة زمان الليل، وطهِّر ثيابك قبل انسلاخك عنها، واعرف قدر جنايتك وتب إلى الله عز وجل منها، وإياك والخديعة، باسترسال الطبيعة، وأقم ميزان العدل بين حجبك وجنايتك، وكحِّل بميل[1] الاعتبار عين بصيرتك، لتعرف قدر ظلام عمايتك، واعلم أنك على ما فرَّطت في جنب الله نادم، وعلى ما قدَّمت بين يديك قادم، وأدنى مرامي أفعالك وأقصاها في كتاب: ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾[2]

فطوبى لمن غدا تائباً منيبا	ذليلاً لربٌ جليل
تراه إذا جنَّ ليله	كثير الأنين كثير العويل
قريح الفؤاد حليف السها	د يراعي النجوم بطرف عليل
إذا الدمع سال على خدِّه	محا أثر الدمع حر الغليل

وقوله من خطبة: " فلا يقع بصر إلا عليه، ولا يخرج خارج إلا منه، ولا ينتهي قاصد إلا إليه، فيا أولي الألباب!، أين الغيبة والحجاب:

ومن عجب أني أحنُّ إليهم	وأسأل شوقاً عنهم، وهم معي
وتبكيهم عيني وهم في سوادها	ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

ومنه قوله: " أيها الغافل عن مواقعة الحساب، والمتعامي عن مناقشة ما في يديه من الاكتساب، كأنك ما قرأت ما في الكتاب المبين: ﴿ وكفى بنا حاسبين﴾[3]، فاعلم – أيقظك

(١) الميل: بكسر الميم ما يكتحل به. (٢) سورة الكهف – الآية ٤٩ .

(٣) سورة الأنبياء – الآية ٤٧ .

الله من سِنَةِ الغفلة –: أن المحاسبة في هذه الدار على قدر المحاسب، فمنهم معاقب، ومنهم مغالب، ومنهم معاتب، ومنهم محاسب. فمحاسبة الإحساس معاقبة، والأنفاس مغالبة، والأرواح معاتبة، والأسرار مخاطبة. فحاسب نفسك – يا أخي! – في مهل الأنفاس، قبل حلول الأرماس(١)، ومثِّلها كعامل خراجٍ بين يديك من قبل أن ينعكس الأمر عليك، فكأني بك في ذلك اليوم تدعو فلا تسمع مجيباً إلا: ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾.(٢)

ومنه قوله: " أما بعد – يا أخي! – عصمنا الله وإياك من نتائج الغفلات، وآمنا من روعة البيات، فإن الله – سبحانه – لما أوضح المنهج إليه، وبيَّن الأمر المزلف لديه، حمل من اصطفاه من عباده عليه، وعدل بمن حرمه إلى أحد جانبيه، فهنيئاً لمن حمل على الجادة، وبؤساً لعبد قطعت عنه العناية الربانية والمادة. ونحن – يا أخي! – من هذا كله على بصيرة، مع قبح سيرة وسريرة، فتدارك أخاك بدعوة ترقيه إلى موقف الاختصاص، وتلحقه بأهل الصدق والإخلاص، قبل أن يفجأه الموت، وينقلب بحسرة الفوت؛ فقد طال الأمل، وساء العمل، وترادف الكسل، ولم تعظنا بمرورها الأيام، ولا زجرتنا حوادث العلل والآلام، فأسأله سبحانه أن يطهِّر الذوات بأحمد الصفات، والسلام".

ومنه قوله: " أما بعد – يا أخي! – فالقدر سابق، والقضاء لاحق، ولا يغرَّنَّك ما أنت عليه من سَنيٍّ الأعمال، وزَكيٍّ الأحوال، ما دام رسنك(٣) مرخىً، وحبلك على غاربك(٤) ملقى، فإن الخاتمة أمامك، ولا تدري بما يرسل الحق إليك أيامك، فخذ الكرامة على أدب، وأعرض عن الاشتغال بها وجدَّ في الطلب، فكم مريد كانت حظ عمله لما كانت غاية أمله، ومن الله نسأل عصمة الأحوال، في السابقة والمآل، والسلام".

---

(١) جمع " رمس" وهو القبر" القاموس مادة رمس".

(٢) سورة الإسراء – الآية ١٤.

(٣) الرَّسَن: بفتح الراء والسين بعدها نون: الحبل، وما كان من زمام يقاد به البعير. "القاموس مادة رسن".

(٤) الغارب: الكاهل، أو ما بين السنام والعنق، جمعه غوارب، وقولهم: حبلك على غربك: أي اذهب حيث شئت" القاموس مادة غرب".

وحكى الشيخ شمس الدين إسماعيل بن سودكين عنه أنه كان يقول: "ينبغي للعبد أن يستعمل همَّه في الحضور في مناجاته، بحيث يكون حاكماً على خياله، بصرفه بعقله نوماً كما كان يحكم عليه يقظة، فإذا حصل للعبد هذا الحضور، وصار خلقاً له، وجد ثمرة ذلك في البرزخ، وانتفع جداً، فليهتم العبد بتحصيل هذا القدر فإنه عظيم الفائدة بإذن الله تعالى".

وقال: " إن الشيطان ليقنع من الإنسان بأن ينقله من طاعة إلى طاعة ليفسخ عزمه بذلك".

وقال: " وينبغي للسالك متى خطر له أنه يعقد على أمر ما، أو يعاهدُ الله تعالى عليه، أن يترك ذلك الأمر إلى أن يجيء وقته، فإن يسَّر الله فعلَه فَعَلَهُ، وإن لم ييسِّرِ الله فعله يكون مخلصاً من نكث العهد، ولا يتَّصف بنقض الميثاق".

وقال: " إن الحق – سبحانه – جعل الطريق إلى معرفته أسهل الطرق وأوضحها، فقال:﴿ليس كمثله شيء﴾(١)، وهو أصل المعارف كلها.

وقال: " بلغني في مكة عن امرأة من أهل بغداد أنها تكلمت فيَّ بأمور عظيمة، فقلت: هذه قد جعلها الله سبباً لخير وصل إليّ، فلأكافئنها. وعقدت في نفسي أن أجعل جميع ما أعتمر في رجب يكون لها، وعنها؛ ففعلت ذلك؛ فلما كان الموسم استدل عليَّ رجل غريب، فسأله الجماعة عن قصده، فقال: بالينبع في الليلة التي بت فيها كأن آلافاً من الإبل أوقارها المسك والعنبر والجوهر، فعجبت من كثرته، ثم سألت لمن هو؟، فقيل لمحمد ابن عربي، يهديه إلى فلانة، وسمى تلك المرأة، ثم قال: وقيل لي: هذا بعض ما يستحق.

قال ابن عربي: فلما سمعت الرؤيا واسم المرأة ولم يكن أحدٌ من خلق الله علم مني ذلك، علمت أنه تعريف من جانب الحق، وفهمت من قوله :أن هذا بعض ما يستحق، أنها مكذوب عليها. قال: فقصدت المرأة، وقلت: اصدقيني! [فقالت: كنت] قاعدة قبالة البيت وأنت تطوف، فشكرك الجماعة التي كنت فيهم، فقلت في نفسي: اللهم إني

---

(١) سورة الشورى – الآية ١١.

أشهدك أني قد وهبت له ثواب ما أعمله في يوم الاثنين وفي يوم الخميس، وكنت أصومهما، وأتصدق فيهما. قال: فعلمت أن الذي وصل منها إليَّ بعض ما تستحقه، فإنها سبقت بالجميل، والفضل للمتقدم.

ومنهم:

٩٤ - الحرّالي عَلي بنُ أحمدَ بنِ الحَسَنِ بنِ إبراهيم التجيبي*

الإمام أبو الحسن الأندلسي.

كان سيفاً مجرَّدا، وسيلاً لم يكن مصردا، هابته الخطوب فاتقته، وحابته القلوب فوقته، فاقتاد المطالب بأعناقها، وأتته المآرب تسرع في إعناقها، قد أمسك بعروة ما لها انفصام، وركن إلى ذروة تحميه يوم الخصام بفضل يبهت الطرف، وتبعد منه من يعبد الله على حرف، فراراً من نار لا تخمد لها جذوة، ولا تحمد لها جلوة، لدنيا ساكنها غير مستكن، ومستوطنها غير مطمئن، فربحت تجارته، وصلحت إنابته لله واستجارته.

ولد بمراكش، وأخذ العربية عن ابن خروف[١]، وغيره، وحجَّ، ولقي العلماء، وجال في البلاد، وتغرَّب، وشارك في فنون عديدة، ومال إلى النظريات وعلم الكلام.

---

* **انظر** ترجمته في: تكملة الصلة لابن الأبَّار ٢ /٢٨٧، وعنوان الدراية للغبريني ١٤٣ - ١٥٦ رقم ٣١، وتاريخ إربل ١ / ٤٣١، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٤٠، وميزان الاعتدال ٣ / ١١٤ رقم ٥٧٨٥، وفيه: " مات بحماة قبل الأربعين وستمائة"، والعبر ٥ /١٥٧، وسير اعلام النبلاء ٢٣ /٤٧ رقم ٣٣، ومرآة الجنان ٤ / ١٠٠، والعسجد المسبوك ٢ / ٤٩٥، ٤٩٦، والوفيات لابن قنفذ ٣١٤ رقم ٦٣٧، ولسان الميزان ٤ / ٢٠٤ رقم ٥٣٦، والنجوم الزاهرة ٦ /٣١٧، وطبقات المفسرين للسيوطي ٢٢، وطبقات المفسرين للداودي ٣٨٦٨، رقم ٣٣٨، ونفح الطيب ٢ /١٨٧ - ١٩٠، رقم ١١٥، وتاريخ الإسلام ٤٦ /٣٣٦ .

(١) هو علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي، أبو الحسن، عالم بالعربية، أندلسي، من إشبيلية، نسبته إلى حضرموت، ولعل أصله منها. قال ابن الساعي: كان يتنقل في البلاد ولا يسكن إلا في الخانات، ولم يتزوج قط، ولا تسرَّى، وتوفي بإشبيلية، له كتب منها: شرح كتاب سيبويه، سماه تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب، وحمله إلى سلطان المغرب فاعطاه ألف دينار، وله أيضاً شرح الجمل للزجاجي، وله ردود كثيرة على بعض معاصريه، توفي سنة ٦٠٩هجرية.

انظر ترجمته في :جذوة الاقتباس ٣٠٧، وفيات الأعيان ١ /٣٤٣، والاعلام للزركلي ٤ / ٣٣٠" .

وأقام بحماة، وبها مات.

وله "تفسير" فيه أشياء عجيبة الأسلوب، غريبة المعاني، وكان لا يقدر أحد أن يؤذيه، وتكلم على الكائنات، وأمور الحدثان، وأسرار الحروف، وزعم أنه استخرج علم وقت خروج الدجال، ووقت طلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج.

وصنَّف في المنطق، وشرح في الأسماء الحسنى، وله عبارة حلوة، وفصاحة وبيان.

قال الحافظ أبو الصفاء الصفدي: وقد اجتمعت أنا بمن له ذوق في علم الحرف، ويد باسطة في هذا الفن، فذكر لي أن الحراليّ لا يفهم شيئاً من هذا العلم، وإنما الأستاذ في هذا الفن: " البوني "(١)وتوفي الحراليّ سنة سبع وثلاثين وستمائة.

قلت: سمعة الحراليّ كبيرة، والألسنة ناطقة بسؤدده، وجلالة قدره في طائفته ونظرائه. وبلغني أنه كان متصرفاً في الوجود بتصرفات غريبة، وأمور عجيبة تدل على اطلاعه وعظم مواهب الله عليه، ونعمه لديه.

وكان شيخنا ابن الزملكاني يذكره في أهل التصرفات، وذوي الإتقان لعلم الحرف. وبلغني مثل هذا عن التونسي(٢).

وقال لي تقي الدين عبد الرحمن ابن شيخنا كمال الدين بن الزملكاني: سمعت التونسي يقول: " الحراليّ شيخ الجماعة وسيدهم ".(٣)

---

(١) أي العلامة البوني في كتابه شمس المعارف الكبرى، وهو كتاب مطبوع ومتداول بين أهله.

(٢) الشيخ المجد التونسي شيخ الإمام الذهبي، ذكره في تاريخ الإسلام عند ترجمته ، وقال: ورأيت شيخنا المجد التونسي يتغالى في "تفسيره"، ورأيت غير واحد معظِّماً له، وجماعة يتكلمون في عقيدته.

(٣) وقال ابن النجار: قدم علينا بغداد شاباً طالباً للعلم، ونزل بالمدرسة النظامية متفقِّهاً، وكان يحضر عند شيخنا أبي أحمد ابن سكينة، فسمع منه الحديث. علَّقت أحاديث يسيرة سمعها من أبي القاسم البوصيري، ولنا من البوصيري إجازة، وكان صالحاً ديِّنا حسن الطريقة، ولما دخلت مصر في سنة إحدى وعشرين وستمائة صادفته هناك شيخاً مهيباً يشهد عند الحكام، فيقبلون شهادته." ذيل تاريخ بغداد". وأرَّخ ابن الأبَّار وفاته في شهر شعبان سنة ٦٣٨هجرية.

ومنهم:

٩٥ - مُحَمَّدُ المرجَاني أبو عَبدِ الله

مداوي قلوب من أشجان، وسرّ أبوين يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان. كان جدىً للنساك، وهدىً للسلأك، وقطباً للأبدال، وحرباً لمن أكثر في الحق الجدال، بكلام يدلُّ على وصول، وبلوغ قصد وحصول، وطبَّقت بلاد أفريقية سمعته، ووسع فرق أهلها رحب صدره وسعته، ثم عمَّ الشرق والغرب، وملك حبة القلوب بالطلوع والضب، ولم يزل ذكره بالأفواه منتهبا، وفجره في رداء الشفق ملتهبا، وصيته يطير متهماً ومنجدا، وإذا سمعه الذين يخشون الرحمن خرُّوا بكيّاً وسُجَّدا، حتى حان حينه، وانتهى إلى القبر نينه، فارتقت إلى السماء روحه، وأشرقت في مطالع الشموس نوحه.

وكانت الوزراء بمصر تستدعيه إلى حضرتها، وهو من مكانه لا يريم، ولا يزال يحافظ على أوطانه محافظة كريم.

قرأ القرآن الكريم، وتفقَّه على مذهب الإمام مالك - رضي الله عنه - ولقي العلماء، وأخذ عن المشايخ، وصحب الرجال، وأحبَّ الزهَّاد، واقتدى بالعبَّاد، واعتكف بالمساجد، وتأدب بالكتاب والسنة، ولازم العبادة، وتقرَّب إلى الله تعالى بالنوافل، وتخير لمكسبه، وتوفي في سببه، وتورَّع عن كثير من الحلال خوف الشبهات، ونزه عن دنايا الدنيا وظهرت عليه أماثر القبول[1]، ولوائح القرب، ودام على الاجتهاد، وقام قيام الزهَّاد، وبقي يذكر الله تعالى ويحض على التوجه إليه، والإقبال على ما يزلف عنده.

حكي أن رجلاً قصد زيارته، فلما كان ببعض الطرق، نزل عن حماره لحاجة عرضت له، فشرد الحمار، فقام في طلبه، فلم يجده، فرجع، وتم ماشياً، حتى أتى الشيخ، فسلَّم عليه، وجلس ناحية منه، فالتفت الشيخ إليه، وقال له: طب نفساً، فإن حمارك وصل إلى أهلك. فلما عاد الرجل إلى أهله وجد الحمار، فسأل: من أين وصل إليهم؟. فقالوا: إن رجلاً أتى به السوق ليبيعه، فعرفه بعض بني عمك، فأخذه، وحمله إلى والي البلد، فسأله عن الحمار؟

(١) أي أمارات القبول وهي علاماتها.

فذكر أنه وجده شارداً، فأمسكه، ولم يجد له صاحباً، فاستصحبه معه، فأودعه السجن ليظهر خبرك، وأعطانا الحمار. فشكر الله، وذهب إلى الوالي وأطلق الرجل.

ومنهم:

٩٦ - البُوني أبُو الحَسَن*

قانت أوَّاب،وقانع بما عند الله من الثواب، أدرك الحقائق وشهدها، وترك الخلائق ومشهدها، وصحب الدنيا صحبة مفارق، وحلى العلياء حلية هام ومفارق، وحقق فلم يداخله أوهام، وحب فلم يدانه من حب أوهام، فلم تشب إفاضته الشوائب، ولم يشب نواصيه النوائب،وكان ذا فكر جوَّال، وذكر قوَّال، وشكر لا يتغير بتغير أحوال، فتحقق فضله، وتختم وتطوق فعله بأفعال الجميل وتحتم، ولم أقف له على ترجمة، ولم أَقْفُ فيه آثار خواطر محققة ولا مُرَجَّمَه، إلا أن الذي بلغ حدَّ الاستفاضة، أنه كان ممن خلع رداء الحرص، وبت علائق الأمل، وجدَّ في العلم والعمل، ولم يزل حتى سلك الطريقة، ووقف على الحقيقة، وتدبر الأسماء الحسنى، وتكلَّم على معانيها بنوع من العلم اللدُنِّي، وجعل لكل ساعة من ساعات الليالي والأيام، ولسَحَر كل ليلة توجهاً خاصاً، وكذلك لليلة القدر، ويوم عرفة، على دورانهما في الأسبوع، وكذلك لرؤية هلال كل شهر، وجمع ذلك في كتاب سماه: "اللمعة النورانية".

ولأهل المعارف اعتناء به، وحسن ظن فيه. ويزعمون أن العالم بذلك يتصرف في الوجود، ولهم في ذلك حكايات غريبة، وأحوال عجيبة. وأصله من مدينة بونة، على ساحل البحر الشامي، قرب قسطنطينية، من بلاد أفريقية.

---

*أحمد بن علي بن يوسف، أبو العباس البوني، صاحب المصنفات في علم الحروف، متصوف مغربي، نسبته إلى بونة بافريقية، على الساحل، توفي بالقاهرة، له كتاب: شمس المعارف الكبرى، ويسمى شمس المعارف ولطائف العوارف، في علم الحروف والخواص، من أربع أجزاء، وله اللمعة النورانية، وكتاب السلك الزاهر، وشمس المعارف الوسطى، وشمس المعارف الصغرى، وله رسالة في شرح اسم الله الأعظم، وثانية في شرح بسم الله الرحمن الرحيم، وكتاب مواقف الغايات في أسرار الرياضات .توفي سنة ٦٢٢ هجرية.

انظر ترجمته في: كشف الظنون ١٠٦٢، ومعجم سركيس ١/٦٠٧، وهدية العارفين ١/٩٠، وجامع كرامات الأولياء ١/٣١٤، والأعلام ٢/١٧٤.

ومنهم:

٩٧ - ابن برّجان *

كاشف أسرار، وكاسف بدور من غير سرار،ولم يزل للشبهة متوقيا، وعلى الشهب مترقيا، حتى تمثل الدقائق، وترفل الحقائق، وشرب من العلم اللَّدنِّيّ، وقطف من الفهم الجني، وأترعت له الحياض فارتوى من موردها، وزوى عن موردها، فأبرز الخفايا، وأخرج الخبايا، فكثرت له مؤملون، وكرت إليه متأملون، فآب بالغنائم، وآل وطرف العنا نائم، فكربت أضدادٌ له كادوا يتحملون، وكربت حسادٌ له وباطل ما كانوا يعملون.(١)

---

* هو عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن، أبو الحكم اللخمي، الإفريقي، المغربي، ثم ، الإشبيلي، الصوفي، العارف، المعروف بابن برّجان .

انظر ترجمته في: تكملة الصلة لابن الأبار رقم ١٧٩٧، ووفيات الأعيان ٤ /٢٣٦ - ٢٣٧، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٢٠، والعبر ٤ / ١٠٠، وسير اعلام النبلاء ٢٠ / ٧٢ - ٧٤، رقم ٤٤، ودول الإسلام ٢ /٥٥، وعيون التواريخ ١٢ / ٣٧١، ومرآة الجنان ٣ /٢٦٧ - ٢٦٨، وفوات الوفيات ٢ /٣٢٣، وأعمال الأعلام ٢٤٨، والقاموس المحيط مادة "برج"، ولسان الميزان ٤ /١٣ - ١٤، وتاريخ الخلفاء ٤٤٢، وذيل تذكرة الحفاظ لابن فهد ٧٣، والنجوم الزاهرة ٥ / ٢٧٠، وطبقات المفسرين للسيوطي ٢٥، وطبقات المفسرين للداودي ١ / ٣٠٠، ومفتاح السعادة ٢ /١١١ - ١١٢، وشذرات الذهب ٤ /١٣٣، وتاريخ الإسلام وفيات ٥٣٦هجرية .

(١) سمع "صحيح البخاري" من أبي عبد الله محمد بن أحمد بن منظور، وحدَّث به. روى عنه أبو القاسم القنطري، وأبو محمد عبد الحق الإشبيلي، وابو عبد الله بن جليل القيسي، وآخرون. ذكره أبو عبد الله بن الأبار فقال: " كان من أهل المعرفة بالقراءات، والحديث، والتحقق بعلم الكلام، والتصوف، مع الزهد، والاجتهاد في العبادة، وله تواليف مفيدة منها: " تفسير القرآن" لم يكمله.

قال ابن خلكان: كان أكثر كلامه فيه على طريق أرباب الأحوال والمقامات.

وقال حاجي خليفة: وقد استنبطوا من رموزاته أموراً فأخبروا بها قبل الوقوع.

وجاء في لسان الميزان وغيره: ومن ذلك ما استنبطه ابن الزكي في مدحه للسلطان صلاح الدين حين فتحه حلب بقوله:

وفتحك القلعة الشهباء في صفر مبشِّرٌ بفتوح القدس في رجب

فكان كما قال، قيل له: من أين لك هذا؟. قال: أخذته من تفسير ابن برّجان في قوله تعالى﴿ غلبت الروم في ادنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ وله شرح "أسماء الله الحسنى" وهو كتاب كبير =

ومنهم:

٩٨ - عَليُّ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ الجَبَّارِ بنِ [تَميم بنِ هُرْمُز بنِ حَاتمِ بنِ قُصَيٍّ بنِ] يُوسُفَ بنِ يُوشَعَ الحَسَنيُّ، أبو الحَسَن الشّاذليُّ الضريرُ*

وليٌّ لله، طالما أنجد بمدده وأصرح، وانجلى بفرقده الروع وأفرح، وكان عدة لشدائد، وعمدة في دفع مكايد، طالما أغص الكرب، وأراق ذنوب المصايب وقد بلغ عقد الكرب لإصابة سهام، وإجابة دعوة في مهام، لم يحرم في استفتاح السما، واستمناح النعما، بعادة متوقعة وسرعه، كم فتق بها الرقيع ورقعه،ولم يزل هذا مجربًا، وعنه حدَّثنا يعرف به أنه ممن هدى الله واجتبى.

قدم الديار المصرية من الغرب، وأقام بالاسكندرية مدة، وسافر إلى الحجاز مراراً، وهو أحد المشايخ المشهورين بمعرفة طريق القوم، وله في ذلك كلام، وتصانيف معروفة، صحبه جماعة وانتفعوا به، وتوفي بطريق الحجاز، وهو قاصد إليه، بصحراء

= جمع فيه من أسماء الله تعالى ما زاد على المائة والثلاثين، كلها مشهورة مروية، وفصَّل الكلام في كل اسم على ثلاثة فصول:

الأول: في استخراجها، الثاني: في الطريق إلى تقريب مسالكها، الثالث: في الإشارة إلى التعبد بحقائقها.

وقد وفق الله الصديق العلامة المحقق الدكتور محمد رضوان الداية للعمل على تحقيقه، قام المجمع الثقافي في ابوظبي بطبعه ـ، وقد رواهما عن المؤلف أبو القاسم القنطري.

وتوفي المترجم رحمه الله بمراكش مغرّباً عن وطنه سنة ٥٣٦هجرية، وقبره بإزاء الزاهد أبي العباس ابن العريف، رحمه الله ورضي عنه، وعنا به.

*انظر ترجمته في: الوفيات لابن قنفذ ٣٢٣ رقم ٦٥٦، والعبر ٥/٢٣٢ - ٢٣٣، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٧٤، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٥٤، ودول الإسلام ٢/١٦٠، وتذكرة الحفاظ ٤/١٤٣٨، وسير أعلام النبلاء ٢٣/٣٢٣، ونكت الهميان٢٩٣، وتاريخ ابن الوردي ٢/٢٠٠ - ٢٠١، والوافي بالوفيات ٢١/٢١٤ - ٢١٧، رقم١٣٩، ومرآة الجنان ٤/١٤٠ - ١٤٧، وعيون التواريخ٢٠/٢٠١ - ٢٠٢، وشذرات الذهب ٥/٢٧٨، وبدائع الزهور ج١ق١/٣٠٠، وتاريخ الخلفاء ٤٧٧، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٤٥٨رقم ١٤٣، وحسن المحاضرة ١/٥٢٠ رقم ٤١، والطبقات الكبرى المسمى بلواقح الأنوار للشعراني ٢/٤ - ١٠، وشجرة النور الزكية ١٨٦ رقم ٦٢٠، وجامع كرامات الأولياء ٢/١٧٥ - ٧٧

عيذاب، في العشر الأول من ذي القعدة، سنة ست وخمسين وستمائة، ودفن هناك. رحمه الله تعالى.

ومنهم:

٩٩ - عَبدُ الحَقِّ بنُ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ نصرِ بنِ محمدِ بنِ نصرِ ابنِ محمدِ بنِ سبعينَ، أبو محمد: قُطْبُ الدِّينِ المُرسيُّ الرقوطيُّ*

قربَ وداره نائية، وأصغى والنفوس نابية، فكلف وهام، وشغف بما يدق على الأفهام، وتراءى من وراء ستورها، فأحبَّ والقلوب سالية، وأطرق والعيون سامية، وطن بشارقة من طلالها، وظنَّ كل بارقة على أطلالها، إلى أن مات بها مغرما، وفات إذ رأى فراق الدنيا مغنما، وأدرج في كفنه، وأسرج بدر السما في مدفنه.

ذكره ابن اليونيني في" الذيل" فقال: "كان أحد المشايخ المشهورين بسعة العلم، وبعدد المعارف، وله تصانيف عدة، ومكانة مكينة، عند جماعة من الناس، وأقام بمكة سنين عديدة، إلى أن توفي بها في ثامن عشرين شوال سنة تسع وستين وستمائة، ومولده سنة أربع عشرة وستمائة.(١)

*انظر ترجمته في: الإحاطة في أخبار غرناطة ٤ / ٣١ - ٣٨، وذيل مرآة الزمان ٢ / ٤٦٠، وملء العيبة للفهري ٢ / ٣١٣، وعنوان الدراية ١٣٩ - ١٤٠، ونهاية الأرب ٣٠ / ١٨٢ - ١٨٣، ودول الإسلام ٢ / ١٧٢، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٦٣، والإعلام بوفيات الأعلام٢٧٩، والعبر ٥ / ٢٩١ - ٢٩٢، والبداية والنهاية١٣ / ٢٦١، وفوات الوفيات ٢ / ٢٥٣ رقم ٢٤٢، وعيون التواريخ ٢٠ / ٤٠٧، وتاريخ ابن الوردي ٢ / ٢٢٠، والوافي بالوفيات ١٨ / ٦٠ - ٦٤ رقم ٥٧، ومرآة الجنان ٤ / ١٧١، والعقد الثمين ٥ / ٣٢٦ رقم ١٧٠٠، وعقد الجمان ٢ / ٨٥ - ٨٦، والنجوم الزاهرة ٧ / ٢٣٢، وشذرات الذهب ٥ / ٣٢٩، ونفح الطيب ٢ / ١٩٧ - ٢٠٧، ولسان الميزان ٣ / ٣٩٢، ٤ / ١١١ - ٢٢٤ رقم ٤٩٥٦، وتاريخ الإسلام للذهبي وفيات ٦٥٩هجرية .

(١) ذيل مرآة الزمان ٢ / ٤٦٠ .

ومنهم:

١٠٠ - سيدي أَبُو العَبَّاس المُرسِي أحمدُ بنُ عُمَرَ الأَنصَارِيُّ المَالكِيُّ*

بحر من البحور الزاخرة، وحَبر في علوم الدنيا والآخرة، فاكتنفته العناية الإلهية فأمدته بمددها، وأقامته على حددها، فاستنار بأقمارها، واستمار من ثمارها، فضوَّأت مشارقه بأشعتها، وبوَّأت قدمه محل رفعتها، وهبَّ من المغرب هبوب الصَّبَا، ونزل الاسكندرية نزول الغيث الربى، فأصبح به الثغر باسما، وأصبح الراح وأغبق ريحه ناسما.

وكان بمدينة الاسكندرية، وقدره المتطاول علا منارها، وذكره الشائع علم نارها، وعمر حبه من كل قلب بيتاً، وأمر صفته فيها حياً وميتا(١).

ذكره ابن غانم قال: كان قطب زمانه، وعلامة أوانه، في العلوم الإسلامية وله القدر الراسخ في علم التحقيق، والكرامات الباهرة،والكلام الرائق البديع في طريق القوم،والأحوال الظاهرة، كان لا تتحدث معه في شيء من العلوم إلا تحدَّث معك فيها، حتى يقول السامع إنه لا يحسن غير هذا العلم، لا سيما علم التفسير والحديث، وكان يقول: شاركنا الفقهاء فيما هم فيه، ولم يشاركونا فيما نحن فيه.

وكان كتابه في أصول الدين" الإرشاد"، وفي الحديث:"المصابيح" للبغوي، وفي

* انظر ترجمة أبي العباس المرسي رضي الله عنه في: طبقات ابن الملقن ٤١٨،الخطط التوفيقية ٧/ ٦٩، لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري، الإمام أبو العباس المرسي للدسياوي، جامع كرامات الأولياء ١/ ٣١٤، حسن المحاضرة ١/ ٣٠٠، نيل الابتهاج ٦٤، طبقات الشعراني ٢/ ١٥ - ٢٣، النجوم الزاهرة ٧/ ٣٧١، جامع الكرامات العلية ٦١ .

(١) وقد ولد رضي الله عنه وأرضاه وعنا به في مدينة مرسية، إحدى مدن الأندلس، سنة ست عشرة وستمائة، وهذه المدينة قد اختطها عبد الرحمن الناصر الأموي، من بلاد بلنسية، وإليها نسب سيدي أبو العباس، فقيل له:" المرسي".

انظر: الدسياوي " أبو العباس المرسي" صفحة ٥٦ .

الفقه: "التهذيب" للبرادعي، و"الرسالة"، وفي التفسير: " كتاب ابن عطية".

وكان يقرأ عليه بعض المحققين في العربية، فيردٌّ عليه اللحن.

وأما علوم المعارف والأسرار؛ فقطب رحاها، وشمس ضحاها، تقول إذا سمعت كلامه: هذا كلام من ليس وطنه إلا غيب الله تعالى، هو بأخبار السماء أعلم منه بأخبار أهل الأرض.

وعن أبي الحسن الشاذلي أنه قال عن الشيخ أبي العباس: أبو العباس بطرق السماء أعلم منه بطرق الأرض.

قال ابن عطاء تلميذه: كنت لا أسمعه يتحدث إلا في العقل الأكبر، والاسم الأعظم، وشعبه الأربعة، والأسماء والحروف، ودوائر الأولياء، ومقامات الموقنين، والأملاك المقربين عند العرش، وعلوم الأسرار، وأمداد الأذكار، والمقادير، وشأن التدبير، وعلم البدو، وعلم المشيئة، وشأن القبضة، ورجال القبضة، وعلوم الأفراد، وما يكون من أفعال الله تعالى مع عباده يوم القيامة، من حلمه وإنعامه، ووجود انتقامه.

قال الشيخ تاج الدين ابن عطاء: ولقد سمعته يقول: " لولا ضعف العقل لأخبرت بما سيكون غداً من رحمة الله تعالى، وتوفيقه، وإلهامه.

وأما سداد طريقته: فكان رضي الله عنه - شديد التحرر من حقوق العباد، مسرعاً للوفاء لها، حتى أنه يوفي الدين قبل استحقاقه، ويحمل أصحابه على التخلص من حقوق العباد، إذا كان عليه دين أحسن القضاء، وإذا كان له حق أحسن الاقتضاء، منقطعاً عن أبناء الدنيا والتردد إليهم، لا يرفع قدمه لأحد منهم[١]، ولا يبعث إليهم، ولا يكاتبهم، إذا طلب منه أن يكتب إليهم، بل يقول للطالب: أنا أطلب لك ذلك من الله تعالى. فإن رضي الطالب بذلك، نجح مسعاه، ولطف به مولاه.

ومبنى طريقه على الجمع على الله تعالى، وعدم التفرقة، وملازمة الخلوة، والذكر. ولكل مريد معه سبيل؛ يحمل كل واحد على السبيل التي تصلح له، وكان لا يحب المريد

---

(١) كناية عن عزلته رضي الله عنه وعدم التردد على أبناء الدنيا لزيارة وغيرها.

لا سبب له[١]، وكان يقول عن شيخه :اصحبوني ولا أمنعكم أن تصحبوا غيري، فإن وجدتم منهلاً أعذب من هذا المنهل فرِدُوا.

وكان مكرّماً للفقهاء، ولأهل العلم وطلبته إذا جاؤوه، وكان أزهد الناس في ولاة الأمور، وكان لا يثني على مريد، ولا يرفع له علماً بين إخوانه خشية عليه أن يحسد.

وكان كثير الرجاء لعباد الله، والغالب عليه شهود وسع الرحمة.

وكان – رضي الله عنه – يكرم الناس على نحو رتبهم عند الله[٢].

وقال – وقد سئل لما أن قال عيسى عليه السلام ﴿إن تعذّبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾[٣]، ولم يقل: الغفور الرحيم؟ – .

قال: لأنه لو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم، لكان شفاعة من عيسى –عليه السلام– لهم في المغفرة، ولا شفاعة في كافر، ولأنه عبد من دون الله فاستحى من الشفاعة عنده.

وكان يقول: أتباع الحق قليلون، فأولياء الله تعالى كهف الإيواء، فقلَّ من يعرفهم.

وقال ابن عطاء – تلميذه –: سمعته يقول: " معرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى، فإن الله تعالى معروف بكماله" .

ومن زهده: أنه خرج من الدنيا وما وضع حجراً على حجر، ولا اتخذ بستاناً، ولا استفتح سبباً من أسباب الدنيا.

وقال الشيخ أبو الحسن: رأيت الصِّدِّيق في المنام؛ فقال لي: أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلوب؟. قلت: لا أدري.

قال: علامة خروج حب الدنيا من القلوب: بذلها عند الوجود، ووجود الراحة منها عند الفقد.

---

(١) اي لا يكون له مكسب او عمل يعمله كان يكون بطّالاً عالة على غيره.

(٢) ميزانه في هذا قوله تعالى:﴿ إن اكرمكم عند الله اتقاكم﴾ وهكذا شان العارفين رضي الله عنهم، ونفعنا بمحبتهم.

(٣) سورة المائدة – الآية ١١٨ .

وقال الشيخ أبو العباس المرسي – رضي الله عنه –: رأيت عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في المنام؛ فقلت: يا أمير المؤمنين! ما علامة حب الدنيا؟.

قال: خوف المذمة، وحب الثناء.

وكان يقول: " والله ما دخل بطني حرامٌ قط".

وكان يقول: " الورِع مَنْ ورعه الله تعالى".

وقال: " عزم علينا بعض الصلحاء بالاسكندرية في بستان له بالرمل، فخرجت أنا وجماعة من صلحاء الثغر، ولم يخرج معنا صاحب البستان ذلك الوقت، بل وصف لنا المكان، فتجارينا – ونحن خارجون – الكلام في الورع، فكلٌ قال شيئاً. فقلت لهم: الورِع من ورعه الله تعالى.

فلما أتينا البستان، وكان زمن التوت، كلهم أسرع إلى الأكل، وأكلت، وكنت كلما جئت لآكل أجد وجعاً في بطني، فأرجع، فينقطع الوجع، ففعلت ذلك مراراً، فجلست ولم آكل شيئاً، وهم يأكلون؛ وإذا بإنسان يصيح: كيف يحل لكم أن تأكلوا من ثمرة بستاني بغير إذني؟. فإذا هم قد غلطوا بالبستان!. فقلت لهم: ألم أقل لكم إن الورِع مَنْ ورَّعه الله تعالى؟.

وكان يقول: والله! ما جلست للخلق حتى هُدِّدْت بالسلب، وقيل لي: لئن لم تجلس لنسلبنَّك ما وهبناك.

وكان شديد الكراهية للوسواس في الطهارة والصلاة، وينقل عنه شهود من كان ذلك وصفه.

سئل يوماً فقيل له: يا سيدي! فلان صاحب علم وصلاح، كثير الوسوسة!.

فقال: وأين العلم ؟. يا فلان! العلم هو الذي ينطبع في القلب كالبياض في الأبيض، والسواد في الأسود.

وكان يقول: الناس على قسمين؛ قومٌ وصلوا بكرامة الله تعالى إلى طاعة الله تعالى.

وقومٌ وصلوا بطاعة الله تعالى إلى كرامة الله تعالى. قال الله تعالى: ﴿ يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾.(١)

ونور الله تعالى يرد على القلب، فيوجب له الاتصاف بصفة أهله في الدنيا، والإعراض عنها، ثم يثب منه إلى الجوارح، فما وصل إلى العين أوجب الاعتبار، وإلى الأذن؛ أوجب حسن الظن، وإلى اللسان؛ أورث الذكر، وإلى الأركان؛ أورث الخدمة.

والدليل على ذلك: أن النور يوجب عزوف الهمة عن الدنيا والتأني فيها، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن النور إذا دخل الصدر انشرح وانفسح. فقيل: يا رسول الله! فهل لذلك من علامة؟. قال: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود"(٢)وقال في قوله صلى الله عليه وسلم: " لصافحتكم الملائكة في طرقكم، وعلى فرشكم"(٣): إنما خص الرسول صلى الله عليه وسلم الفُرُشَ والطُّرُق، لأن الفرش محل الشهوات، والطرق محلٌّ

---

(١) سورة الشورى – الآية ١٣.

(٢) روى الحاكم في المستدرك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن النور إذا دخل الصدر انفسح، فقيل: يا رسول الله! هل لذلك من علم يعرف؟ قال: نعم، التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله) المستدرك – الحديث رقم ٧٨٦٣.

(٣) روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن حنظلة الأُسيِّدي – رضي الله عنه – قال: (وكان من كُتَّاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال: لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت؟ يا حنظلة! قال: قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. يُذَكِّرنا بالنار والجنة. حتى كأنَّا رأي عين. فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات. فنسينا كثيراً. قال أبو بكر: فو الله! إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر، حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت: نافق حنظلة يا رسول الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم" وما ذاك؟" قلت: يا رسول الله! نكون عندك. تذكرنا بالنار والجنة. حتى كانا راي عين. فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات. نسينا كثيراً. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " والذي نفسي بيده! إن لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم، وفي طرقكم. ولكن يا حنظلة! ساعةً وساعةً" ثلاث مرات. صحيح الإمام مسلم الحديث رقم ٢٧٥٠ وكذا رواه الإمام أحمد في المسند ٢/٣٠٤،و ٣/١٧٥، و٤/١٧٨، و٤/٣٤٦، والترمذي في سننه الحديث رقم ٢٥١٤.

الغفلات، فإذا صافحتهم الملائكة في طرقهم وفرشهم، الأحرى أن تصافحهم في محل طاعاتهم وأذكارهم، واقتضت حكمة الله سبحانه أن لا يستوي وقت كبوتهم عنده ووقت ذكرهم لما سواهما، حتى يعرف عظيم قدر رتبة محاضرته صلى الله عليه وسلم وعزازة الذكر وجلالة منصبهما.

وكان كثيراً ما ينشد:

يا عمرو نادِ عبد زهراء يعرفه السامع والرائي
لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي[(١)]

توفي - رحمه الله تعالى - بالاسكندرية، سنة ست وثمانين وستمائة.

قلت: أتيت قبر الشيخ أبي العباس - رحمه الله تعالى - بظاهر ثغر الاسكندرية، وزرته فيما هنالك، وأتيت الشيخ ياقوت الحبشي[(٢)]، وكان قد صحبه، فحكى لي عجائب من كراماته.

ومما حدثني به: أن رجلاً أتى أبا العباس، فجلس بين يديه، ورجلٌ عند الشيخ يكتب من أماليه، فأخذ ذلك الرجل محبرة الكاتب بيده ورفعها ليسهل عليه الاستمداد، والشيخ مقبل على الجماعة يحدّثهم، فجرى ذكر قلب الأعيان، فقال له ذاك الرجل: يا سيدي! هل لقلب الأعيان حقيقة؟ .فقال: نعم. إن لله رجالاً لو قال أحدهم لهذه المحبرة كوني ياقوتاً لكانت. فالتفت الرجل فرأى المحبرة قد صارت ياقوتاً!، فقطع كلام الشيخ ووثب خارجاً

---

(١) طبقات الأولياء لابن الملقن ٤١٩/١ .

(٢) الشيخ ياقوت بن عبد الله الحبشي الشاذلي، تلميذ الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله عنه، ولد ببلاد الحبشة، وكان عبداً رقيقاً، أهدي إلى أبي العباس رضي الله عنه، اعتقته امرأة تعرف بزوجة الشريفي، واستأذن أبا الحسن الشاذلي في الاقتداء به، ففكر وقال: وجدت اسمك في أصحاب أصحابي، أبي العباس المرسي، في الطبقة الثانية. فلما حج وقدم صحبه، قال المكين الأسمر: رأيت نور الولاية عليه. توفي رضي الله عنه سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة.

انظر ترجمته في: شذرات الذهب ١٠٣/٦، الدرر الكامنة ٤٠٨/٤ .

لاغتنام تلك الياقوتة، وظنَّ أنها تكون رأس مال لغناه!، فقال له الشيخ: ارجع فإنها محبرة، فنظر إليها فإذا هي محبرة.

والذي أقوله: إن مواهب الله عظيمة، والقدرة صالحة، وما شاء الله كان. رحمه الله تعالى.

ومنهم:

١٠١ - الحَسَنُ بنُ عليّ بنِ يُوسُفَ بنِ هُودَ الجُذَاميُّ المَغربيُّ*

الزاهد، أبو علي، وأبوه عضد الدولة، أخو المتوكل على الله أبي عبد الله محمد، ملك الأندلس.

رجلٌ كم جاب المقفر، وجاء كالصباح المسفر، وقدم من بلاد المغرب، قدوم عنقاء مغرب، وكان بجزيرة الأندلس، من أبناء ملوكها، وأجلاَّء أهل سلوكها.

وسكن دمشق حيث طاب له الوطن، وطوى ذيل أسفاره وقطن. ولأهلها فيه اعتقاد، وظنٌّ خلص من انتقاد، وكانت تغلب عليه فكره، ويغل عقله إذا ثاب إليه سكره، فيظلُّ المُدَدَ(١) شارداً لا يدري، وسائراً لا ينطق، وإنما الزمان به يجري، مع ندى سكن بصيبة السحاب الهتَّان، وهدى بكت بسببه أهل البهتان، على أن بعض الفقهاء لم يخله من لسع عقاربه، ورميه بأنه غير متق لله ولا مراقبه، ومن جهل شيئاً عاداه، ولله حقيقة عمله، وما أبوء بظلمه(٢).

---

*انظر ترجمته في: طبقات ابن الملقن ٤٢٨ "وفيه: الحسين بن علي"، وشذرات الذهب ٥/٤٤٦ - ٤٤٨، والعبر للذهبي ٥/٣٩٧، الاعلام للزركلي ٢/٢٠٣، ذيل مرآة الزمان - وفيات سنة ٦٩٩ هجرية، رسالة دكتوراه تحقيق الدكتور حمزة عباس، فوات الوفيات ١/٣٤٥ - ٣٤٨ .

(١) جمع مدة، أي الأوقات الطويلة .

(٢) وهذا هو الأسلم في حال هذا الرجل وأمثاله من الأجلاء والعارفين المختلف في أمرهم، كما جاء عن الإمام السيوطي في ترجمته لسيدي محيي الدين بن عربي رضي الله عنه بعد أن سرد ترجمته قال: وخلاصة القول فيه: اعتقاد ولايته وتحريم قراءة كتبه" أو ما هذا معناه، وفي ذلك السلامة من الوقوع في أعراض العارفين وأهل الله المقربين الذين خلطت لحومهم وأعراضهم بالسم والخذلان لمن وقع فيها نسأل الله السلامة من ذلك، وأن ينفعنا بهم في الدنيا والآخرة.

يقال: إنه من أولاد ملوك المغرب.

قال الحافظ أبو محمد البرزالي: أبو عضد الدولة أبو الحسن علي أخو المتوكل على الله ملك الأندلس أبي عبد الله، وكان عضد الدولة ينوب عن أخيه بمرسية، وتزهَّد الحسن، وترك الدنيا، واشتغل بشيء من علوم الحكمة والطب، ونظر في كلام ابن عربي، وابن سبعين، وكان من رأيه تعظيم ابن سبعين، وانتماؤه إليه.

وكان زهده وإعراضه عن الدنيا ظاهر لا ينكره أحد. وعنده غفلة كثيرة في غالب أحواله، يصحبه الرجل سنة، ويغيب عنه أياماً يسيرة، فيراه،فلا يعرفه، ويذكره بأشياء جرت له معه، فلا يذكرا، ولا يظهر عليه أنه رأى ذلك الشخص عمره.

وحجَّ مرات، وجاور، ودخل اليمن واحترمه سلطانها، وأرسل إليه وإلى أصحابه مالاً، ودخل دمشق غير مرة، وأكرم أول دخوله إليها إكراماً كثيراً، وقصده نائب السلطنة بها، والقاضي، وأعيان الناس، ثم طالت إقامته بها، فانتقص ذلك الإكرام، مع أنه كان يظهر عليه أنه لا فرق عنده بين الحالتين، وكان ينقم عليه كلام يصدر منه لا يوافق الشريعة.

وكان الشيخ تقي الدين(١) كثير الوقيعة فيه، والنقمة عليه، والتنقص به، وبمذهبه، ينفر عنه التنفير الكثير، ويحذر منه التحذير الوافر.

قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: ثم بان أمره، وقطع بأنه من رؤوس الاتحادية.

وحكى الفاضل أبو الصفاء الصفدي: قال: أخبرني الخطيب أبو محمد الحسن بن محمد

---

(١) أي ابن تيمية الحرَّاني عفا الله عنا وعنه، وهو المشتهر بوقيعته في أعراض الصوفية والعارفين، وعلى كلامه درج كثير من المعاصرين، والمتحذلقين المخذولين، المدعين الغيرة على الدين باسم تنقيته من البدع والضلالات وما إلى ذلك من مسميات ظاهرها الحق وباطنها الخذلان والحقد على أهل الله، ومسايرة الشيطان فيما وسوس لهم فيه، فما اتقوا الله في أعراض أهل الله ولا الأئمة الأعلام من هذه الأمة، فحذار يا أخي من تلك المسالك حتى لا تقع في المهالك. نسأل الله السلامة من الخذلان، والتوفيق لما فيه رضا الرحمن، وأن يجنبنا الوقيعة في أعراض المسلمين وكل من قال لا إله إلا الله بحق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن قال: آمين.

القرشي، قال: كان ابن هود يلحقه حال يشغله عن حِسِّه، ويذهله عن نفسه، حتى كان توضع في يده الجمرة ولا يشعر، فإذا أحرقته عاد إلى حسِّه. قال: وربما كان يقع في الحفاير، ولا يدري!.

وكان يقرىء في "الدلالة" للريس موسى(١)، وأسلم على يده جماعة من اليهود، فعملوا عليه حتى سقوه الخمرة في حالة غيبته، وأروه المسلمين، وهو في تلك الحال، ولا يغير ذلك عقيدة من له فيه عقيدة.

قال البرزالي: سألته عن مولده؟. فقال: في ثالث عشر شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة، بمرسية.

وتوفي عشية الاثنين السادس والعشرين من شعبان، سنة تسع وتسعين وستمائة، بدمشق.

ودفن بكرة الثلاثاء بسفح قاسيون، وتقدم في الصلاة قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة، وأنشد من شعره قوله:

علمُ قومي بي جهلُ   إن شأني لأجَلُّ

وذكر شيخنا أبو حيان، وقال: رأيته بمكة ، وجالسته، وكان يظهر منه الحضور مع من يكلمه، ثم لا تظهر الغيبة منه، وكان يلبس نوعاً من الثياب مما لم يعهد بلبس مثله بهذه البلاد، وكان يذكر أنه يعرف شيئاً من علوم الأوائل.

وأنشد عن أبي الحكم ابن هانيء عنه قوله:

خضت الدجنَّة حتى لاح لي قبس   وبان بانُ الحمى من ذلك القبسِ
فقلت للقوم هذا الربع ربعهم   وقلت للمسع لا تخلو من الحرس
وقلت للعين غُضِّي عن محاسنه   وقلت للنطق هذا موضع الخرس

---

(١) أي كتاب الدلالة وهو مصنف في أصول اليهودية، تأليف موسى بن ميمون، وكتابه هو "دلالة الحائرين" ذكر ذلك ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات ١/٣٤٦ .

قلت: أنشدني شيخنا أبو الثناء الكاتب رحمه الله تعالى هذه الأبيات، وقال: كان من خبرها أن ابن هود حجَّ، فلما أتى المدينة،وشارف أعلامها، نزل عن دابته واغتسل، ولبس ثياباً نظافاً، ثم جعل يمشي، وهو يهمهم بكلام خفي سمعه بعض من كان يمشي خلفه، فإذا هو يقول:

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن حلَّ أن نلم به ركبا

ثم لم يزل يطأ من رأسه، ويخضع حتى أتى باب المسجد وكأنه راكع، فسلَّم على النبي صلى الله عليه وسلم من ظاهر الحجرة، بأكمل الأدب، ثم صلى ركعتي التحية بالروضة، ثم خرج إلى الزيارة، فجلس على الرمل، ثم جعل يبكي ويخط على الرمل الأبيات، فقرأها بعض الحاضرين، فحفظها، وأنشدها عنه.

قلت: حدَّثت بهذا الشيخ سعيد خادم ابن هود، فقال: صحيح.

وحكى لي شيخنا أبو الثناء قال: أتى لاجين نائب الشام، وحسام الدين الرازي ابنَ هود، وهو لا يعرفهما، وكان مع لاجين سجادة، ففرشها تحت ابن هود بيده، وساعده الرازي. فقال له بعض من عنده: يا سيدي! هذا نائب الشام، وبيده قد فرش لك السجادة، وهذا الذي معه من أكابر العلماء. فقال: بارك الله فيهما، والله ما فرش إلي السجادة إلا ليجلس على سرير الملك، وصاحبه قاضي القضاة.

وكان ابن هود ذا علم جمٍّ، ولكن كانت الغيبة غالبة عليه، ولقد كان يبقى الأيام والليالي لا يأكل طعاماً، ولا يشرب شراباً، وكان كثيراً ما يقعد في مقابر كيسان مستدبراً للمدينة، متوجهاً إلى القبلة، ويبقى الأيام الكثيرة في الحر والبرد، لا يتغير من مكانه، ولقد رأيته هناك في زمان صيف شديد، وقد لفحته هواجر الحر، وأثر فيه السموم، وكانت بيني وبينه صحبة، ووقفت أمامه، وأنشدته:

أتت المنية والمنى فيك استوى ظل الغمامة والهجير المحرّق

فرفع رأسه إليّ وقال: من تكون؟ فعرَّفته بنفسي، فقال: ما أعرفك، فانصرفت، وأنا

أرثي له مما يقاسي.

وقد ذكره أبو الصفاء، وأنشد له قطعة، منها:

أروِّي بذكــر الجــزع عنه وبانة ولا البــانُ مطلوبي ولا قــصــدي الرمل
وأذكــر ســعــدى في حــديثي مــغــالطاً بليلى ولا ليلى مــرادي ولا جــمــل
ولم أرَ في العــشــاق مــثلي لأنني تلذ لي البلوى ويحلو لي العــذل
ســوى مــعــشــر حلوا النظام ومــزّقــوا الثــيــاب فــلا فــرضٌ عليــهم ولا نفلُ
مــجــانين إلا أن ذلَّ جنونهم عــزيزٌ على أعــتــابهم يســجــد العــقل

وأنشدني الشيخ سعيد له شعراً كثيراً منها قصيدته المشهورة التي أولها:

ســلامٌ عليكم صــدّق الخُــبْــرُ الخَــبَــرْ فلم يبق قــال القسُّ أو حــدَّث الحَــبــر

وهي قصيدة عسرة المسلك، متوعرة الجوانب، يحار في ظلماتها ويخبط في بهماتها، وجملة المختار منها قوله:

وأشــرق نور الحق من كل وجــهــة على كل وجــه فــاستوى الســر والجــهــر
فــهــامــوا وتاهوا بين حق وباطل يجــوزه زيد ويمنعــه عــمــرو
ولو سلمــوا ساروا على منهج الهــدى إلى حــضــرة الرضــوان لكنهم غــروا
فــقــومــوا على ساق من الجد واثبــتــوا على قــدم التــجــريد إن الغنى فــقــر
ولا تجــعــلوها راحــة دون غــاية فــلا راحــة إلا إذا بعــثــر القــبــر

ومما أنشد له ابن الكلاس قوله:

حــاشــا ثيــابك من أذى يا من له القــدر الكبــيــر ورفــده لا يمنع
لم يبــد فــيــهن الدمــامل ضلة بالقــصــد لكن ســاقــهن المطمع
لما رأت كــفــيك جــوداً هامــعــاً وســحــاب ذاك الجــود لا يتــقــشَّع
قــصــدت مــشــاركــة الأنام فــأصبحت من فــيض جــودك تســتــمــد وتجــمع

وهذا آخر من وقع في الجانب الغربي .

فأما من بمصر، فقوم:

ومنهم:

١٠٢ - أَبو الفَيضِ ذُو النُّون المِصريُّ *

واسمه ثوبان بن إبراهيم، وقيل: أبو الفيض بن إبراهيم الأخميمي(١)

قدوة للأولياء، وأسوة للعلماء ورثة الأنبياء، اتقى الله حقَّ تقاته، وقصر على الطاعة كل أوقاته، وكان من الناس جانبا، ولليأس إلى آماله جالبا، عرف الأيام حق معرفتها، وعرَّف ذوي الأفهام منح صفتها، فخلاها من يديه، وأولاها الإعراض لديه، تدارك فساد القلوب بصلاحه، وجلا سواد الدياجي بصباحه، وكان في قوم ما دانوا لله بكيا، وكانوا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خَرُّوا سُجَّداً وبُكيًّا. وطلبه المتوكل لأمر نقل إليه وكان غائبا، وذا النون إذ ذهب مغاضبا، فلما حلَّ في حضرته جلَّ في عينه، وحلّ عن الاحتجاز عليه عقد بينه، فآب مكرَّما، وغاب ولم ينل منه أحد محرما.

وكان أوحد وقته علماً وحالاً وورعاً وأدباً، سعوا به إلى المتوكل على الله فاستحضره من

---

* انظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ١٥-٢٦ رقم ٢، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٩ / ٣٣١-٣٩٥، رقم ٤٥٦، و١٠ / ٣و٤، والرسالة القشيرية ١٠، وتاريخ بغداد ٨ / ٣٩٣-٣٩٧، رقم ٤٤٩٧، وتهذيب تاريخ دمشق ٥ / ٢٧٤-٢٩١، ووفيات الأعيان ١ / ٣١٥-٣١٨، و٤٢٨، ٤٢٩و٦ / ٥٩، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٢١٨، وسير أعلام النبلاء ١١ / ٥٣٢-٥٣٦ رقم ١٥٣، والعبر ١ / ٤٤٤، والبداية والنهاية ١٠ / ٣٤٧، والمختصر في أخبار البشر ٢ / ٤١، وتاريخ ابن الوردي ١ / ٢٢٨، ومرآة الجنان ٢ / ١٤٩-١٥١، والنجوم الزاهرة ٢ / ٣٢٠-٣٢١، وشذرات الذهب ٢ / ١٠٧، وتاريخ الإسلام وفيات سنة ٢٤٥هجرية.

(١) ويقال: ابو الفيَّاض الإخميمي. والأخميمي نسبة إلى "أخميم" مدينة بصعيد مصر، كانت تعرف عند قدماء المصريين باسم " ابو" أو"خنت مين" ومنها اشتق اسمها القبطي " شمين" واسمها العربي: "إخميم" أو "أخميم" وكان اليونان يطلقون عليها " خميس" أو " بانوبوليس" وتقع هذه المدينة على الشاطيء الشرقي للنيل على خط عرض ٣٦ ، ٣٥ درجة، شمالاً، وكانت في العهد الأول للفتح الإسلامي قصبة كورة منفصلة، كما كانت منذ عهد الفاطميين إلى زمن المماليك قصبة إقليم يدعى "إخميمية" وهي اليوم في محافظة سوهاج، بمركز جرجا من مصر. انظر: دائرة المعارف الإسلامية: مادة " إخميم"، و تاريخ الإسلام ١٨ / ٢٦٥ .

مصر، فلما دخل عليه وعظه، فبكى المتوكِّل وردَّه مكرَّما؛ وكان المتوكل إذا ذكر أهل الورع بين يديه يبكي ويقول: إذا ذكر أهل الورع فحي هلا(١) بذي النون.(٢)

وكان رقيقاً نحيفاً ، تعلوه حمرة، ليس بأبيض اللحية.

ومن كلامه: " إياك أن تكون بالمعرفة مدَّعياً، أو تكون بالزهد محترفاً، أو تكون بالعبادة متعلِّقاً" .(٣)

وقال ذو النون: " قال الله تعالى في بعض كتبه: من كان لي مطيعاً كنت له وليا، فليثق بي، وليحكم علي، فوعزتي! لو سألني زوال الدنيا لأزلتها له"(٤).

وقال ذو النون: " الصوفي إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق. "(٥)

وقال: " الأنس بالله من صفاء القلب مع الله تعالى، والتفرد بالله، الانقطاع من كل شيء سوى الله. "(٦)

وقال: " من أراد التواضع فليوجِّه نفسه إلى عظمة الله، فإنها تذوب وتصفو، ومن نظر إلى سلطان الله ، ذهب سلطان نفسه ، لأن النفوس كلها فقيرة عند هيبته(٧)وقال سعيد بن عثمان : أنشدني ذو النون :

أموت وما ماتت إليك صبابتي ... ولا قُضيَتْ من صدق حبك أوطاري
مناي المنى كل المنى أنت لي مني ... وأنت الغنى، كلُّ الغنى، عند إقتاري
وأنت مدى سؤلي وغاية رغبتي ... وموضع آمالي ومكنون إضماري

---

(١) أي أسرع بذكره؛ فإنه افضلهم. (٢)وفيات الأعيان ١/٣١٦ .

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ١٧-١٨/٣ .

(٤)طبقات الصوفية للسلمي ١٨/٦، وحلية الأولياء ٩/٣٩٤، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٢٢٠/٧ .

(٥)طبقات الصوفية للسلمي ١٩/٧.

(٦) طبقات الصوفية ١٩/٨، وحلية الأولياء ٩/٣٩٥، وطبقات ابن الملقن ٣١٩/٣ .

(٧) طبقات الصوفية للسلمي ٢٠/٩ .

تحـمَّل قلبي فـيك مـا لا أبثـه وإن طال سقـمي فـيك أو طال إضراري
وبين ضلوعي منك مـالك قـد بدا ولم يبـدُ باديه لأهل ولا جـاري
وبي منك في الأحشاء داءٌ مخامرٌ فـقـد هدَّ مني الركن وأنبت أسراري
ألست دليل الركب إن هم تحيروا ومنقذ من أشفى على جُرُفٍ هارِ؟
أنرت الهدى للمهتدين ولم يكن من النور في أيديهم عشر معشارِ
وعلمتهم علماً فباتوا بنوره وبان لهم منه معالم أسرار
مهامه للغيب حتى كأنها لما غاب عنها منه حاضرة الدار
وأبصارهم محجوبة وقلوبهم تراك بأوهام حديدات أبصار
فنلني بعفو منك أحيا بقربه أغثني بيسر منك يطر إعساري (١)

وقال ذو النون: " [الصدق] (٢) سيف الله تعالى في أرضه ما وضع على شيء إلا قطعه."(٣)

وقال: " من تزيَّن بعمله كانت حسناته سيئات"(٤) وقال: " كان لي صديق فقير، فمات، فرأيته في المنام؛ فقلت له: ما فعل الله بك؟. قال: قال لي: قد غفرت لك بترددك إلى هؤلاء السفل أبناء الدنيا في رغيف قبل أن يعطوك." (٥)

وقال سالم المغربي: حضرت مجلس ذي النون، فقلت: يا أبا الفيض! ما كان سبب توبتك؟. فقال: عجب لا تطيقه، فقلت: بمعبودك إلا أخبرتني، فقال ذو النون: أردت الخروج من مصر إلى بعض القرى، فنمت في الطريق ببعض الصحارى، ففتحت عيني فإذا أنا بقنبرة (٦) عمياء سقطت من وكرها على الأرض، فانشقت الأرض، فخرج منها سكرجتان(٧)؛ إحداهما ذهب، والأخرى فضة، وفي إحداهما سمسم، وفي الأخرى ماء،

---

(١) طبقات السلمي ٢١/١٤، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٢٢٢-٢٢٣ .
(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط، استكمل من طبقات السلمي.
(٣) اللمع ٢١٧، وطبقات الصوفية ١٩/٨، وحلية الأولياء ٩/٣٩٥، وطبقات ابن الملقن ٢٢٠/٤
(٤) طبقات الصوفية للسلمي ٢٣/١٩ . (٥) طبقات السلمي ٢٥/٢٥ .
(٦) طائر صغير.
(٧) سكرجتان: مثنى والواحدة سكرجة بضم السين، وهي الصفحة التي يوضع فيها الأكل.

فجعلت تأكل من هذا، وتشرب من هذا.

فقلت: حسبي ، قد تبت ، ولزمت الباب إلى أن قبلني الله عز وجل(١)وقال: " توبة العوام تكون من الذنوب(٢)، وتوبة الخواص تكون من الغفلة.(٣)"

وقال محمد بن أحمد السميساطي: سمعت ذا النون المصري يقول: بينا أنا أسير في جبال أنطاكية، إذا أنا بجارية كأنها والهة مجنونة، عليها جبة صوف، فسلّمت عليها، فردّت عليّ السلام، ثم قالت: ألست ذا النون المصري؟.

قلت: عافاك الله، كيف عرفتيني؟.

قالت: فتق الحبيب بيني وبين قلبك فعرفتك باتصال حب الحبيب. ثم قال: أسالك مسألة. قلت: سليني. قالت: أي شيء هو السخاء؟. قلت: البذل والطاعة.

قالت: هذا السخاء في الدنيا، فما السخاء في الدين؟.

قلت: المسارعة إلى طاعة المولى .قالت: فإذا سارعت إلى طاعة المولى، يجب به الجزاء؟ .قلت: نعم!، للواحد عشرة. فقالت: مرْ يا بطّال! هذا في الدين قبيح، ولكن المسارعة إلى طاعة المولى أن يطّلع على قلبك، وأنت لا تريد منه شيئاً بشيء. ويحك يا ذا النون! ، إني أريد أقسم عليه في طلب شهوة منذ عشرين سنة فأستحي منه أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجرة، ولكن اعمل تعظيماً لهيبته، وعزاً لجلاله.

ثم ذهبت وتركتني.

وقال: أتتني امرأة فقالت لي: إن ابني أخذه التمساح الساعة!، فرأيت حرقتها، فأتيت

---

(١) الرسالة القشيرية ١ /٥٩-٦٠، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٢١٩ .

(٢) قال العروسي في شرح الرسالة: " اعلم أنهم يريدون من العوام: القائمين بما عليهم من أحكام الأوامر والنواهي"، ثم قال: " حرية العامة بالتخلص من رق الشهوات، والخاصة بالتخلص من رق العادات، وخاصة الخاصة بالتخلص من الوقوف مع الأحوال والمقامات، حيث تكون لهم أنفة لا ترضى إلا بمشاهدة الذات" .

(٣) أي الغفلة عن الطاعات، وانظر: طبقات الأولياء لابن الملقن ٢٢٠ /٥، والرسالة القشيرية ١ /٦١ .

النيل، وقلت: اللهم أظهر التمساح، فخرج إليّ، فشققت جوفه، وأخرجت ابنها صحيحاً، فقالت: كنت إذا رأيتك سخرت منك، فاجعلني في حل، فأنا تائبة إلى الله تعالى[١] وقال أحمد بن مقاتل البغدادي: لما دخل ذو النون بغداد، دخل عليه صوفية بغداد، ومعهم قوّال، فاستأذنوه أن يقول شيئاً بين يديه؛ فابتدأ يقول:

صغير هواك عذّبني ... فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت من روحي ... هوىً قد كان مشتركا
أما ترثي لمكتئب ... إذا ضحك الخليُّ بكا؟

قال: فقام ذو النون وتواجد، وطال تواجده، وسقط على وجهه، والدم يقطر من جبينه، ولا يسقط على الأرض.

ثم قام رجل من القوم يتواجد، فقال له ذو النون: ﴿الذي يراك حين تقوم﴾[٢]، فجلس في الحال.

وحكي أن جاراً لذي النون قام ليلة؛ فسمع ذا النون يقول - وهو باك - " كم من ليلة بارزتك يا سيدي! بما أستوجب به الحرمان منك؟. وأشرفت بقبيح أفعالي منك على الخذلان، فسترت عيوبي عن الإخوان، وتركتني مستوراً بين الجيران، لم تكافئني بجريرتي، ولم تهتكني بسوء سريرتي، فلك الحمد على صيانة جوارحي، وأنا أقول كما قال النبي الصالح: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾[٣].

إلهي! عرف المطيعون عظمتك فخضعوا، وألف العاصون رحمتك فطمعوا، فمن أيهما كنتُ، اغفر لي بعظمتك التي تصاغر لديها كل شيء، وبرحمتك التي وسعت كل شيء، اغفر لي وارحمني، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت".

وقال أبو عبد الله بن الجلاء: كنت مجاوراً بمكة مع ذي النون؛ فجعنا أياماً كثيرة، لم يفتح لنا بشيء، فلما كان ذات يوم، قام ذو النون قبل صلاة الظهر، ليصعد إلى الجبل يتوضأ

(١) حلية الأولياء ٩/ ٣٦٦.
(٢) سورة الشعراء - الآية ٢١٨.
(٣) سورة الأنبياء - الآية ٨٧.

للصلاة، وأنا خلفه، فرأيت شيئاً من قشور الموز مطروحاً في الوادي، وهو طري. فقلت في نفسي: آخذ منه كفاً أو كفَّين، أتركه في كمي لا يراني الشيخ. فلما صرنا في الجبل، وانقطعنا عن الناس، التفت إلي وقال: اطرح ما في كمك يا شَرِه!، فطرحته، وأنا خَجِل، وتوضَّأنا للصلاة، ورجعنا إلى المسجد، وصلينا الظهر والعصر والمغرب والعشاء، فلما كان بعد ساعة إذا أنا بإنسان قد جاء ومعه طعام عليه مكبَّة، فوقف ينظر إلى ذي النون، فقال له: مرّ. فدعه قدَّام ذاك، وأومأ بيده إلي، فتركه الرجل بين يدي، فانتظرت الشيخ ليأكل، فلم يقم من مكانه، ونظر إلي وقال لي: كُلْ، فقلت: وحدي؟. فقال: نعم، أنت طلبت، نحن ما طلبنا، يأكل الطعام من طلبه، وأقبلت آكل وأنا خَجِل مُسْتَحٍ مما جرى مني.

توفي ذو النون المصري سنة خمس وأربعين ومائتين. وقيل: سنة ثمان وأربعين ومائتين.

وقال أبو بكر محمد بن ريان الحضرمي: لما مات ذو النون بالجيزة، حمل في قارب؛ مخافة أن تنقطع الجسور من كثرة الناس مع جنازته، وكنت قائماً مع الناس على كوم أنظر، فلما رجع من القارب، ووضع على الجنازة، وحمله الناس، رأيت طيوراً خضراً قد اكتنفت الجنازة، ترفرف عليه، حتى عطف به إلى عند حمام الغار، وغاب عني.

حكى في " مناقب الأبرار" عن يوسف بن الحسين(١) قال: بلغني أن ذا النون يعلم اسم الله الأعظم، فخرجت من مكة قاصداً إليه، حتى وافيته في حدة، فأول ما نظرني رآني طويل اللحية، وفي يدي ركوة طويلة، متزراً بمئزر، وعلى كتفي مئزر، وفي رجلي [...](٢)، فاستبشع منظري، فلما سلمت عليه كأنه ازدراني، وما رأيت منه تلك البشاشة، فقلت في نفسي: ترى مع من وقعت؟ وجلست عنده، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة، جاءه رجل من المتكلمين فناظره في شيء من الكلام، واستظهر على ذي النون وغلبه، فاغتممت لذلك، وتقدَّمت، وجلست بين أيديهما، واستملت المتكلم إلي وناظرته حتى قطعته، ثم دققت حتى لم يفهم كلامي، قال: فعجب ذو النون من كلامي، وكان

---

(١) يوسف بن الحسين الرازي أحد مشايخ الري، وصاحب ذي النون المصري، انظر: طبقات ابن الملقن ٢٢١/١١.

(٢) ما بين المعقوفتين كلمة مطموسة لم أتبينها.

شيخاً وأنا شاب، فقام من مكانه، وجلس بين يدي، وقال: اعذرني فإني لم أعرف محلك من العلم، وأنت أقرب الناس عندي، ومازال بعد ذلك يجلُّني، ويرفعني على جميع أصحابه، وبقيت بعد ذلك سنة كاملة، قلت له بعد السنة: يا أستاذ! أنا رجل غريب، وقد اشتقت إلى أهلي، وقد خدمتك سنة، ووجب حقي عليك، وقيل لي: إنك تعلم اسم الله الأعظم، وقد جرَّبتني، وعرفت أني أهل لذلك، فإن كنت تعرفه فعلِّمني إياه.

قال: فسكت عني، ولم يجبني بشيء، وأوهمني أنه ربَّما علَّمني، ثم سكت عني ستة أشهر، فلما كان بعد ذلك، قال لي: يا أبا يعقوب! أليس تعرف فلاناً صديقنا بالفسطاط؟. وسمى رجلاً، فقلت: بلى. قال: فأخرج لي من بيته طبقاً فوقه مكبَّة مسدودة بمنديل، وقال: أوصل هذا إلى من سميت لك بالفسطاط.

قال: فأخذت الطبق لأودِّيه، فإذا هو خفيف، كأنه ليس فيه شيء، قال: فلما بلغت الجسر الذي بين الفسطاط والجيزة، قلت في نفسي: يوجِّه ذو النون بهدية إلى رجل في طبق ليس فيه شيء؟ لأبصرنَّ ما فيه؟. قال: فحللت المنديل، ورفعت المكبَّة، فإذا فارة قد طفرت من الطبق فذهبتْ. قال: فاغتظت، وقلت: يسخر بي ذو النون؟ ولم يذهب وهمي إلى ما أراد فيَّ للوقت. وعرف القصة، وقال: يا مجنون! ائتمنتك على فارة فخيبتني، فكيف أائتمنك على اسم الله الأعظم؟ قم عني فارتحل، ولا أراك بعدها، فانصرفت عنه(١).

ومنهم:

١٠٣ - أَبو بَكر أحمدُ بنُ نَصرٍ الزَّقّاق الكَبيرُ *

---

(١) طبقات الأولياء لابن الملقن ٢٢١/١١، وحلية الأولياء ٩/٣٨٦-٣٨٧.

*انظر ترجمته في: طبقات الصوفية ٢٣، ٢٨٩، ٤٤٨، اللباب ٢/٥٠٥، حسن المحاضرة ١/٢٩٣، اللمع ٣٣، جامع كرامات الأولياء ١/٢٩١، النجوم الزاهرة ٣/١٣١، طبقات ابن الملقن ٩١ والزقاق: بفتح الزاي والقاف المشددة، وبعد الألف قاف أخرى: اشتهر بها بين الصوفية اثنان: المترجم هنا، أبو بكر أحمد بن نصر، ويلقب بالزقاق الكبير، تمييزاً له من ثانيهما، تلميذه أبي بكر محمد بن عبد الله، الذي اشتهر بالزقاق الصغير، وكثيراً ما اختلطت نسبتهما على كثيرين فدعوا الواحد منهما الدقاق.

انظر: طبقات ابن الملقن ٩١.

أخذ من الدنيا بقصاصها، وسهر الليالي والكواكب تنظر الأيام من أخصاصها. وقام على قدم العبادة ثم ما زال، ولا زال وللشمس كل يوم زوال، فصار ذلك دأباً له لا يتكلَّفه، وديدنا ضرب له موعد لا يخلفه، هذا إلى استجلاب خواطر، واستنزال مواطر، وفتح قلوب مقفلة ضاعت مفاتيحها، وتنوير بصائر ما أضاءت مصابيحها، وإرشاد طائر، وقول حق في دهر هو السلطان الجائر، فاتسع تصريفه، وسمع منه ما يجري به القلم وصريفه. وكان من أقران الجنيد، وأكابر مشايخ مصر.

قال الكتاني: لما مات الزقاق انقطعت حجَّةُ الفقراء في دخولهم مصر.(١)

ومن كلامه: " من لم يصحبه التقى في فقره أكل الحرام المحض"(٢)وقال: " جاورت بمكة عشرين سنة، فكنت أشتهي اللبن فغلبتني نفسي، فخرجت إلى عسفان، واستضفت حياً من أحياء العرب، فنظرت إلى جارية حسناء، بعيني اليمنى، فأخذت بقلبي!، فقلت لها: قد أخذ كلُّك كُلِّي، فما فيَّ لغيرك مطمع. فقالت لي: تقبح بك الدعوى العالية، لو كنت صادقاً لذهبت عنك شهوة اللبن!.

قال: فقلعت عيني اليمنى التي نظرت بها إليها. فقالت لي: مثلك من نظر لله عز وجل، فرجعت إلى مكة، وطفت أسبوعاً(٣)، ثم نمت، فرأيت في منامي يوسف الصِّدِّيقَ — على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام —.

فقلت: يا نبي الله! أقرّ الله عينيك بسلامتك من زليخا.

فقال لي: يا مبارك! أقرَّ الله عينك بسلامتك من العسفانية!. ثم تلا عليه

---

(١) أي أن الفقراء الذين يدخلون مصر بعد وفاته يتهمون بان دخولهم مصر إنما يكون للاستزادة من خيراتها المادية الوافرة، وليس للاستفادة الروحية التي انتهت — في نظر القائل — بوفاة الزقاق.

انظر: حسن المحاضرة ١/٢٩٣، وطبقات ابن الملقن ٩٣ .

(٢) حسن المحاضرة ١/٢٩٣ .

(٣) أي سبعة أشواط.

السلام: ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنّتان ﴾(١)، فصحت من طيب تلاوته، ورخامة صوته، وانتبهت، وإذا عيني المقلوعة صحيحة!.

وقال الزقّاق: " كنت ماراً في تيه بني إسرائيل، فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين(٢) لعلم الشريعة، فهتف بي هاتف من تحت الشجرة: كل حقيقة لا تتبع الشريعة فهي كفر.

وقال أبو علي الروذباري: دخلت يوماً على أبي بكر الزقاق، فرأيته بحالة عجيبة(٣)، فسكتُّ ساعة حتى رجع إلي، فقلت له: ما لك أيها الشيخ!؟. فقال: ألم تعلم أني اجتزت بالجيزة ببعض تلك الخوخات، وإذا شخص يغني، يقول:

أبت غلبات الشوق إلا تطربا ... إليك ويأبى العذل إلا تحببا
وما كان صدى عنك صدّ ملامة ... ولا ذلك الإقبال إلا تقربا
ولا كان ذاك العدل إلا نصيحة ... ولا ذلك الإغضاء إلا تهيُّبا
عليَّ رقيب منك حلَّ بمهجتي ... إذا رمت تسهيلاً عليَّ تصعَّبا

فما هو إلا أن أنشدني الشيخ حتى صرت فيها مغلوباً لا أدري ما لحقني إلى الساعة، فلما أفقت، قال لي: لا عليك، هكذا من تحقق في بلية لم يخل من البلاء حاضروه، وإنما هو زيادة بلاء صبٌّ مني عليك، فقمت وتركته.

وقال الزقاق: كنت أبكر يوم الجمعة إلى المسجد الجامع، وأجلس عند الجنيد، فبينا أنا ذات يوم جمعة أمشي إلى المسجد إذا أنا باثنين يقولان: اذهب بنا إلى الجنيد نسأله؟. قال الزقاق: فتبعتهما، حتى دخلا سقاية يتطهران، فرأيت منهما شيئاً كرهته لهما، فقلت: " إنا لله وإنا إليه راجعون"، أخطأت فراستي فيهما، فخرجا، وأنا أتبعهما حتى وقفا على الجنيد، فقال أحدهما: بماذا يرد خاطر الانزعاج؟. وقال الآخر: كلٌ بادٍ يعود إلى باديه. فقلت في نفسي: يا ترى ما يفعل هؤلاء؟. فأقبل عليَّ الجنيد، وقال: أين المغتاب لنا؟. فقلت في نفسي: علم بي، وتكلّم على خاطري. ثم قال الثانية :أين المغتاب لنا؟. سلنا نجعلك في

---

(١) سورة الرحمن – الآية ٤٦ .

(٢) أي: مغاير، ومفارق.

(٣)كأنه رضي الله عنه كان في حالة غيبة، أو دهش واصطلام.

حِل. فقلت: يا سيدي! ما قلته إلا غيرة. فقال: يا أبا بكر! لا تتهم أقواماً انتخبهم الحق في سابق علمه، وأظهرهم بكرامة وحدانيته، حتى إذا كان في وقت بدوِّهم، استخرجهم من الذرِّ لخاصَّته، وعجن أرواحهم بأنوار قدسه، وأقامهم بين يديه، ونظر إليهم بعين رحمته، وألبسهم تيجان ولايته، فإن دعوه أجابهم، وإن سألوه أعطاهم، وإن استحجبوه غطَّاهم، لا تدركهم خفيات الألحاظ، ولا يغيرهم ترجمان الأسرار، فهم به ينظرون، وإليه في جميع الأشياء عن الأشياء مستغنون. فنظرت، فلم أرهم!.

ومنهم:

١٠٤ - أَبُو الحُسَين بنُ بَنَان *

من كبار مشايخ مصر ومقدَّميهم.

أدَّى للآخرة فرضها، ووفى من الدنيا قرضها، ولم يرض بعاجل أجله بوس، وأجن صفوه ذهاب نفوس، وحبال البلايا آسره، وعقاب المنايا كاسره، ومناسر الأهلَّة خواطف، ونواشر الأيام الممِلة غير عواطف، ونوب الليالي سجال، وريب الحدثان المتوالي عجال، فلم ير زخارف الغرور من حظه، ولا رمق رونقها الزور إلا بمؤخَّر لحظه، حتى طفئت الشرارة، وحل القرارة، وودَّع متبوعاً بالبكاء، ممنوعاً من البلاء.

صحب الخرَّاز، وإليه ينتمي(١).

مات في التيه(٢)، وسببظ ذلك: أنه ورد على قلبه وارد، فهام على وجهه، فلحقوه في وسط

* انظر ترجمته في: طبقات الصوفية للسلمي ٣٨٩، حلية الأولياء ١٠/٣٦٢، حسن المحاضرة ١/٢٩٣، الرسالة القشيرية ٣٦، نتائج الأفكار القدسية ١/١٩٩، طبقات الشعراني ١/١٣٢.

(١) الرسالة القشيرية ١/١٧٣، وطبقات الصوفية للسلمي ٣٨٩.

(٢) التيه: أرض بين أيلة ومصر، وبحر القلزم، وجبال السراة، من أرض الشام، والغالب على أرض التيه الرمال، وفيها مواضع صلبة، وبها نخيل وعيون مفترشة قليلة، يتصل حد من حدودها بالجار وحد بجبل طور سيناء، وحدر بارض بيت المقدس، وما اتصل به من فلسطين، وحد ينتهي إلى مفازة في ظهر ريف مصر إلى حد القلزم. انظر: معجم البلدان لياقوت ٢/٩١٢.

متاهة بني إسرائيل في الرمل، ففتح عينيه، وقال: اربع، فهذا مربع الأحباب، وخرجت روحه.

ومن كلامه: " كل صوفي يكون هم الرزق قائماً في قلبه، فلزوم العمل أقرب له إلى الله".

و" علامة ركون القلب، والسكون إلى الله، أن يكون قوياً عند زوال الدنيا وإدبارها عنه، وفقده إياها؛ ويكون بما في يد الله تعالى أقوى وأوثق منه بما في يده."(١)

وقال: " اجتنبوا دناءة الأخلاق كما تجتنبوا الحرام"(٢).

وقال: " ذكر الله تعالى باللسان يورث الدرجات، وذكره بالقلب يورث القربات"(٣).

وقال: " الوحدة جلسة الصِّدِّيقين"(٤).

وقال: " لا يعظِّم أقدار الأولياء إلا من كان عظيم القدر عند الله"(٥).

وقال: " الناس يعطشون في البراري، وأنا عطشان وأنا على شطِّ النيل!."(٦)

ومنهم:

١٠٥ - أبو عليٍّ الحَسَنُ بنُ أحمدَ الكَاتبُ *

من كبار مشايخ المصريين، رجلٌ كان للمعابد مصباحا، وللعابد في ظلم الليل صباحا، ولم يسود حتى بيض الصحائف، وأمن به الخائف، وكان إذا حندس(٧) الظلام، وهمس الكلام، يقف ليله كله على قدمه، ويخدد خده بدمه، ودام على هذا الحال، حتى آن له الارتحال.

---

(١) الرسالة القشيرية ١/١٧٣.

(٢) وفي نسخة للرسالة القشيرية " محارم". طبقات الصوفية ٣٩٠/٤، والرسالة القشيرية ١/١٧٣.

(٣) طبقات الصوفية للسلمي ٣٩٠/٦. (٤) المرجع السابق ٣٩٠/٧.

(٥) طبقات السلمي ٣٩٠/٩، وطبقات الأولياء لابن الملقن ٣٨٥/١.

(٦) طبقات الصوفية للسلمي ٣٨٩/٢.

* انظر ترجمته في: حلية الأولياء ١٠/٣٦٠، صفة الصفوة ٤/٢٩٤، الرسالة القشيرية ٣٥، نتائج الأفكار القدسية ١/١٩٧، طبقات الشعراني ١/١٣١، حسن المحاضرة ١/٢٩٤، المنتظم ٧/٣٧٥.

(٧) قال في القاموس: " الحِنْدِسُ بالكسر: الليل المظلم، والظلمة. جمعه: حنادس، وتحندس الليل: أظلم".

صحب أبا بكر المصري[١]، وأبا علي الروذباري، وغيرهما من المشايخ، وكان أوحد مشايخ وقته، حتى قال فيه أبو عثمان المغربي: " كان أبو علي ابن الكاتب من السالكين" . وكان يعظِّمه، ويعظِّم شأنه، مات سنة نيف وأربعين وثلاثمائة.

وقال: " إذا انقطع العبد إلى الله بكلِّيته، فأول ما يفيده الله الاستغناء به عن الناس. "[٢]

وقال: " يقول الله تعالى: وصل إلينا من صبر علينا. "[٣]

وقال: " إذا سمع الرجل الحكمة فلم يقبلها، فهو مذنب، وإذا سمعها ولم يعمل بها فهو منافق"[٤].

وقال: " إذا سكن الخوف في القلب لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه"[٥].

وقال: " روائح نسيم المحبة تفوح من المحبين، وإن كتموها؛ وتظهر عليهم دلائلها، وإن أخفوها، وتدل عليهم وإن ستروها"[٦].

وقال: " إن الله تعالى يرزق العبد حلاوة ذكره؛ فإن فرح به وشكره، آنسه بقربه، وإن قصَّر في الشكر، أجرى الذكر على لسانه، وسلبه حلاوته. "[٧]

---

(١) أبو بكر المصري هو الإمام الجليل محمد بن احمد بن محمد بن جعفر، أبو بكر بن الحداد المصري، الإمام الجليل، كان كثير التعبد ، يصوم يوماً ويفطر يوماً، كما كان عالماً بالحديث، والأسماء والكنى، والنحو واللغة، والاختلاف، وأيام الناس وسير الجاهلية، ولي قضاء مصر لمحمد بن طغج الأخشيد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وله كثير من المؤلفات، توفي بعد عودته من الحج، في شوال ، سنة خمس وأربعين وثلاثمائة." طبقات الشافعية ٢/١١٢ – ١١٥ .

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ٣٨٦/١، وطبقات ابن الملقن ٥٧/١ .

(٣) طبقات السلمي ٣٨٧/٣ .

(٤) المرجع السابق ٣٨٧/٤ .

(٥) طبقات الأولياء لابن الملقن ٥٧/ج، وطبقات السلمي ٣٨٧/٦ .

(٦) طبقات الصوفية ٣٨٧/٩، وطبقات الأولياء ٥٨/و.

(٧) طبقات الصوفية ٣٨٧/٨ .

ومنهم:

١٠٦ - ابنُ الفَارِضِ؛ أَبُو القَاسِمِ عُمَرُ بنُ أَبي الحَسَنِ عَلي بنِ المُرشِدِ بنِ عَليّ *

الحموي المولد والدار والوفاة، المعروف بابن الفارض، شرف الدين.

مظهر جمال، ومظهر تمام وكمال، إلى علو مقام، وعلو شريعة تقام، وكلام في حقيقة، وكمام(١) في حديقة، من بدائع تغازل بالحاظ المها، وتسمع من ألفاظ الغيد ألذ ما يشتهى. إلى قوة تركيب، ومناسبة ترتيب، ودقة معاني، وتوثقة مباني، وتوشيع(٢) أردية، وتوسيع أفنية، يجبر بيوت وأندية إلى دقائق عرفان، وحقائق لا يشتمل عليها من السحر أجفان، ومحاسن الخلائق فيه صفان، والناس فيها صنفان، هذا إلى زهدٍ وقناعة، وجهد أسبل عليه لباسه وقناعه، وفرط إيثار وبرٍّ من إقلال، لا من إكثار، وشرف نفس أغناه عن تحمُّل منِّه، وتحمل ذي ضعف ومنه، يتزيا من غرور يزدهي، بثيابه المعاره ويلتهي، بباطله ويحمل عاره، فمات ولو زخر لديه البحر لما شرب منه خوفاً من وباله، أو زخ عليه القطر لما علق بحباله.

وكان رجلاً صالحاً، كثير الخير، على قدم التجريد، جاور بمكة - شرَّفها الله تعالى - زماناً، وكان حسن الصحبة، محمود العشرة.

* انظر ترجمته في: التكملة لوفيات النقلة ٣/٣٨٨ - ٣٨٩، رقم ٢٥٨٦، وتكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ٢٧٠، ووفيات الأعيان ٣/٤٥٤ - ٤٥٦، والمغرب في حلى المغرب ٣٠٥، ٣٠٦، ونهاية الأرب ٢٩/٢١٠،٢١١، والمختصر في أخبار البشر ٣/١٥٧، وفيه: " القاسم بن عمر". وتابعه ابن الوردي في تاريخه٢/١٦١، والإعلام بوفيات الأعلام ٢٦١، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٣٤، والعبر ٥/١٢٩، وميزان الاعتدال ٢/٢٦٦، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٣٦٨،٣٦٩ رقم ٢٣٢، ومرآة الجنان ٤/٧٥ - ٧٩، والبداية والنهاية ١٣/١٤٣، والعسجد المسبوك ٢/٤٦٩، ولسان الميزان ٤/٣١٧، ووفيات الأعيان ٣/٤٥٤، والنجوم الزاهرة ٦/٢٨٨ - ٢٩٠، وحسن المحاضرة ١/٢٤٦، ومفتاح السعادة ١/٢٤٧، وشذرات الذهب ٥/١٤٩، وروضات الجنات ٥٠٥، وتاريخ الإسلام للذهبي ٤٦/١٠٩.

(١) قال في القاموس: "الكِمامة: وعاء الطلع وغطاء النَّور، جمعه: أكمَّة، وأكمام، وكمام". " مادة كمم.

(٢) قال في القاموس: " توشيع الثوب: إعلامه، والقطن: لفه بعد ندفه، أو أن يدار الغزل باليد على الإبهام والخنصر فيُدخَل في القصبة. انظر: مادة وشع.

قال ابن خلّكان: أخبرني بعض أصحابه: أنه ترنم يوماً وهو في خلوة ببيت الحريري - صاحب "المقامات" - وهو:

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

قال: فسمع قائلاً، ولم ير شخصه، وقد أنشد:

محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط (١)

وله ديوان شعر لطيف، وأسلوبه فيه رائق، ينحو منحا طريقة الفقراء، وله قصيدة مقدار ستمائة بيت على اصطلاحهم، وكان يقول: عملت في النوم بيتين، وهما:

وحياة أشواقي إليـ ك وحُرمة الصبر الجميلِ
لا أبصرتْ عيني سوا كَ ولا صَبَوْتُ إلى خليلِ

وحكي أنه لما رأى السهروردي بمكة أنشده بديهاً:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبّل الأرض عني فهي نائبتي
وهذه نوبة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

ويحكى أنه رأى جملاً هام به وكلف، وكان الجمل لرجل سقّاء يسقي عليه، وكان الشيخ ياتي لمورده كل يوم ليراه.

قلت: وحكى لي شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود، قال: قدم ابن الفارض فنزل بمسجد مهجور في آخر باب القرافة، ومعه خادم له، فبقيا ثلاثة أيام لم يطعما طعاماً، فعظم بالخادم الجهد، والسغب، فأتى رجل من الأمراء المسجد، فصلى فيه، ثم رمى إلى الشيخ بخرقة فيها عشرة دنانير، ففرح الخادم وهمَّ بأخذها، فمرَّ سائلٌ، فقال له الشيخ: أعطه الذهب، فقال: لو خلّينا منه ما ناكل به؟!. فقال: أعطه الذهب، فأعطاه. فلم يمض السائل حتى أتى آخر يسأل عن الشيخ، فلمّا رآه سلّم وقال: أريت البارحة في النوم من دلني على

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٤٥٥ .

مكانك، وأمرني بالمسير إليك، ودفع إليه خرقة مثل تلك الخرقة فيها مائة دينار، فقال الشيخ لخادمه: إن شئت فخذ هذا الذهب وانصرف عني، فقال: لا والله لأتبعك بهذا، فقال: بارك الله فيك، قم فاشتر بدينار حُصُراً لهذا المسجد، وبدينار ما أحببت من الأكل، وتصدَّقْ بالبقية، ففعل، وأتى بأنواع من الشواء والحلواء، وغير ذلك، فأكل، واقتصر الشيخ على أكل كسرة، وبَقْل، وقال: لو لم تحل لي الميتة لم آكل! ثم أقام ثلاث سنين لا يأكل إلا بعد كل ثلاثة أيام أكلة واحدة، غير باغ ولا عاد.

وحكي أن ابن الفارض كان قاضياً؛ فأتى يوماً المسجد الجامع، والخطيب يخطب يوم الجمعة، وشخص يغني، فنوى إقامته وتأديبه، فلما انقضت الصلاة، وانتشر الناس وأراد ابن الفارض الخروج، ناداه ذلك الرجل: أن أقبل! ، فلما وقف عليه أنشده:

قسم الإله الأمر بين عباده ... فالصَّبُّ ينشد والخلي يسبِّحُ
ولعمري التسبيح خير عبادةٍ ... للناسكين وذا لقوم يصلحُ

وكان هذا سبب زهده.

مولده: في الرابع من ذي القعدة، سنة ست وسبعين وخمسمائة، بالقاهرة، وتوفي بها يوم الثلاثاء ثاني جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، ودفن من الغد بسفح المقطم.

وأبوه يعرف بالفارض أنه كان يكتب الفروض للنساء على الرجال. ومن مختار شعره [من البحر الكامل] :-

أرج النسيم سرى من الزوراء ... سَحَراً فأحيا ميت الأحياء
أهدى لنا أرواح نجد عَرفُهُ ... فالجو منه معنبرُ الأرجاء
وروى أحاديث الأحبة، مسنداً ... عن إذخرٍ بأذاخر وسحاء (1)
فسكرت من ريا حواشي برده ... وسرت حميَّا البرء في أدوائي

(1) هذا البيت ساقط من المخطوط الأصل استكمل من الديوان، انظر القصيدة بكاملها - وهي مكونة من خمسين بيتاً - في ديوان ابن الفارض - صفحة ٣١١ - تحقيق د. عبد الخالق محمود.

يا ساكني البطحاء هل من عودة ... أحيا بها ، يا ساكني البطحاء؟
إن ينقضي صبري فليس بمنقَضٍ ... وجْدي القديم بكم ولا برحائي
ولئن جفا الوسمي ماحلَ تربكم ... فمدامعي تربي على الأنواء(١)
يا لائمي في حب مَنْ مِنْ أجله ... قد جدَّ بي وجدي وعزَّ عزائي
هلاَّ نهاكَ نُهاكَ عن لوم امريء ... لم يلفَ غير منعَّم بشقاء
لو تدرِ فيم عذلتني لعذرتني ... خفِّض عليك وخلِّني وبلائي
أسعدْ أخيَّ وغنِّ لي بحديث مَنْ ... حلَّ الأباطح إن رعيت إخائي
وكفى غراماً أن أبيت متيَّماً ... شوقي أمامي والقضاء ورائي

وقوله [من البحر الكامل] (٢)

أوميض برقٍ بالأبيرق لاحا ... أم في ربى نجد أرى مصباحا(٣)
أم تلك ليلى العامرية أسفرت ... ليلاً فصيَّرت المساء صباحا
يا ساكني نجد أما من رحمة ... لأسير إلف، لا يريد سراحا
هلاَّ بعثتم للمشوق تحية ... في طيِّ صافية الرياح رواحا
يحيا بها من كان يحسب هجركم ... مزحاً ويعتقد المزاح مزاحا(٤)
يا عاذل المشتاق جهلاً بالذي ... يلقى مليّاً لا بلغت نجاحا
أقصر عدمتك واطرح من أثخنت ... أحشاءه النجل العيون جراحا
ماذا يريد العاذلون بعذل من ... لبس الخلاعة واستراح وراحا(٥)
سقياً لأيام مضت مع جيرة ... كانت ليالينا بهم أفراحا
واهاً على ذاك الزمان وطيبه ... أيام كنت من اللغوب مراحا

---

(١) الوسمي: المطر الأول الذي يسم الأرض ويعلمها، وما بعده يقال له: الولي، لأنه يلي ما قبله" اللسان – مادة وسم". والماحل: الذي انقطع عنه المطر" اللسان مادة محل". والأنواء: جمع نوء، والمراد هنا: المطر النازل، "اللسان مادة نوء".

(٢) والقصيدة في ديوان ابن الفارض – صفحة ٣١٥ .

(٣) الأبيرق: تصغير الأبرق، وهو مكان فيه حجارة ورمل وطين مختلطة، ومنزل على طريق مكة"معجم البلدان لياقوت" .

(٤) المُزَاح: اسم مفعول من أزحت الشيء أزلته من موضعه.

(٥) الخلاعة: خلع أثواب التستر، وذلك لعدم التقيد بما عليه الناس من الحجاب ورعاية مقام المودة.

وقوله [من البسيط] (١)

هل نار ليلى بدت ليلاً بذي سلمٍ (٢) أم بارقٌ لاح بالزوراء فالعلم

أرواح نعمان هلاً نسمة سحراً وماء وجرةَ هلاً نهلة بفمي (٣)

يا سائق الظعن يطوي البيد معتسفاً (٤) طيَّ السجلِّ بذات الشيح من إضم

عُج بالحمى يا رعاك الله معتمداً خميلة الضال ذات الرند والخزم (٥)

وقف بسلع وسل بالجزع هل مُطِـ ـرت بالرُّقمتين أثيلات بمنسجم (٦)

نشدتك الله إن جزت العقيق (٧) ضحىً فاقرَ السلام عليهم غير محتشم

وقل تركت صريعاً في دياركم حيًّاً كميت يعير السقم للسقم

فمن فؤادي لهيب ناب عن قبس ومن جفوني دمعٌ فاض كالديم

وهذه سنّة العشّاق ما علقوا بشادن (٨) فخلا عضو من الألم

يا لائماً لا منى في حبهم سفهاً كفَّ الملام فلو أحببت لم تلم

وحرمة الوصل والود العتيق وبالـ عهد الوثيق وما قد كان في القدم

ما حلت عنهم بسلوان ولا بدلٍ ليس التبدُّلُ والسلوان من شيمي

رُدُّوا الرُّقاد لجفني علَّ طيفكم بمضجعي زائر في غفلة الحلم

آهاً لأيامنا بالخيف لو بقيت عشراً وواهاً عليها كيف لم تدمِ

---

(١) والقصيدة بتمامها في ديوانه رضي الله عنه – صفحة ٣١٧، وهي مكونة من ١٨ بيتاً" .

(٢) ذي سلم: موضع معروف فيه شجر السلم، والواحدة سلمة .

(٣) أرواح: جمع ريح، ونعمان: واد بين مكة والطائف" ياقوت معجم البلدان" .

(٤) المعتسف : الذي يمشي على غير طريق" اللسان مادة عسف" .

(٥) الضال : شجر معروف، " اللسان مادة ضيل" . والرند : شجر معروف من أشجار بوادي الحجاز، طيب الرائحة" السان مادة رند" . والخزم : جمع خزامى، هو نبت طيب الرائحة" اللسان مادة خزم" .

(٦) سلع: جبل بالمدينة" ياقوت – معجم البلدان" . والجزع: منعطف الوادي" اللسان – مادة جزع" . والرقمتان : روضتان بناحية الصمان" ياقوت – معجم البلدان" .

(٧) العقيق: وادي بالقرب من المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام " ياقوت – معجم البلدان" .

(٨) الشادن : الحبيب المشبه بالغزال، لأنه في اللغة موضوع على ولد الظبية إذا قوي واستغنى عن أمه"اللسان – مادة شدن" .

هيهات وا أسفي لو كان ينفعني أو كان يجدي على ما فات وا ندمي
عني إليكم ظباء المنحنى كرماً عهدتُ طرفي لم ينظر لغيرهم
طوعاً لقاضٍ أتى في حكمه عجباً أفتى بسفك دمي في الحل والحرم
أصمٌ لم يسمع الشكوى وأبكم لم يُحِرْ جواباً وعن المشوق عمي

وقوله [من البحر الطويل] (١)

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم (٢)
لها البدر كأس وهي شمس يديرها هلالٌ وكم يبدو إذا مزجت نجم (٣)
ولم يبق منها الدهر غير حشاشة (٤) كأن خفاها في صدور النهى كتم
فإن ذكرت في الحي أصبح أهله نشاوى ولا عارٌ عليهم ولا إثم (٥)
ومن بين أحشاء الدنان تصاعدت ولم يبق منها في الحقيقة إلا اسم (٦)

---

(١) وهي القصيدة الشهيرة بالخمرية ، وهو ما اسماها به شراحها، حيث ان الخمر لحمة القصيدة وسداها، وهذه القصيدة مكونة من ٤١ بيتاً، **انظرها** في الديوان – صفحة ٣٢٧ وما بعدها.

(٢) الحبيب: يعني به ذات الله سبحانه وتعالى.
والمدامة: يريد بها المعرفة الإلهية والشوق إلى الله تعالى.
يقول: طربت أرواحنا وانتعشت وانتشت على سماع﴿ الست بربكم ﴾ قبل إيجاد أشباحنا، والمقصود بالكرم هنا: الوجود الممكن الحادث.

(٣) المقصود بالبدر هنا: نبينا وحبيبنا وسيدنا وسيد الخلق محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والأنبياء بعد، ثم العارفون من أمته، وأما الهلال الذي يديرها: فهو المبلغ عن العارف كأصحاب الأنبياء وتلاميذ العارفين.
يقول: إذا مزجت المعرفة اللدنيَّة بالمدارك الشرعية ظهر نور يهتدي به مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم".

(٤) الحشاشة: بقية الروح في المريض" اللسان مادة حشش".
والخفاء: الستر والإظهار، فهو من الأضداد، والمراد هنا: الإظهار" اللسان مادة خفي".
والنهي: جمع نهية: العقل.
الكتم: الستر والإخفاء.

(٥) إشارة إلى ان ذكر الخمر يوجب النشوة لأهل حي الذكر حتى الصباح.

(٦) يقول: لم يبق منها في الحقيقة إلا الاسم، وفي هذا إشارة إلى اضمحلال الكمالات الوجودية، وفناء المعارف الإنسانية، وهذا دليل على تقاصر الهمم الروحانية عن نيلها وطلبها.

وإن خطرت يوماً على خاطر امرىء | أقامت به الأفراح وارتحل الهمّ (١)
ولو نظر الندمان ختم إنائها | لأسكرهم من دونها ذلك الختم (٢)
ولو طرحوا في فيء حائط كرمها | عليلاً وقد أشفى، لفارقه السقم
ولو قرَّبوا من حانها مُقعداً مشى | وينطق من ذكرى مذاقتها البكمُ
ولو عبقت في الشرق أنفاس طيبها | وفي الغرب مزكوم لعاد له الشمُّ
ولو خضبت من كاسها كف لامس | لما ضلَّ في ليل وفي يده النجم
ولو جليت سراً على أكمه غدا | بصيراً ومن راووقها تسمع الصُّمّ (٣)
ولو أن ركباً يمموا ترب أرضها | وفي الركب ملسوع لما ضرَّه السمّ (٤)
ولو رسم الراقي حروف اسمها على | جبين مصاب جُنَّ، أبرأه الرسمُ
تهذب أخلاق الندامى فيهتدي | بها لطريق العزم من لا له عزمُ
ويكرم من لم يعرف الجود كفه | ويحلم عند الغيظ من لا له حلمُ
ولو نال فدم القوم لثم مدامها | لأكسبه معنى شمائلها اللثم
يقولون لي صفها فأنت بوصفها | خبيرٌ، أجل، عندي بأوصافها علم
صفاءٌ ولا ماءٌ، ولطفٌ ولا هوا | ونورٌ ولا نارٌ، وروحٌ ولا جسمُ (٥)

(١) وإن خطرت هذه المدامة على خاطر سقيم، أذهبت سقامه وجلبت له الفرح إلى يوم القيامة.

(٢) كنى بالندمان عن السالكين في طريق الله تعالى، وختم إنائها عن أثر التجلي الرباني في قلب العبد والنظر إليه كناية عن التحقق به، وكنى بإنائها عن النفس الإنسانية.

(٣) الأكمه: الأعمى يولد أعمى" اللسان – مادة كمه". الراووق: المصفاء" اللسان – مادة روق"، يقول: لو جليت هذه المدامة في السر لا في الجهر على أعمى صار بصيراً، ولو أصغى الأصم الذي لا يسمع إلى صوتها وهي تسكب في الراووق لتصفى لعاد إليه سمعه.

(٤) الملسوع: من اللسع، واللسع لما ضرب بمؤخره، واللدغ: لما كان بالفم، " اللسان – مادة لسع".

(٥) هذا البيت صريح في أن المدامة التي يعنيها ابن الفارض رضي الله عنه ذات صفاء لكن ليس صفاء كصفاء الماء، بل هو صفاء معنوي ليس مما يؤخذ من الماء، وأنها ذات لطف ليس لطفاً من الهواء مأخوذ كلطف المحسوسات، وأنها ذات نور لا يؤخذ من النار، وأنها روح لا جسم لها كبقية الأرواح، ومن هذا يتضح أنها خمر معنوية وأوصافها ربانية، أذاقنا الله قطرة من شربها بجاه مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أحبنا وأحببناه.

تقـــدَّم كل الكائنات وجـــودها قـــديماً ولا شكـلٌ هـناك ولا رسـمُ
وقـامت بهـا الأشـيـاء ثَـمَّ لحكـمـة بها احتجبت عن كل من لا له فهمُ (١)
وهامت بهـا روحي بحـيث تمازجـا اتِّـحـاداً ولا جـرمٌ تـخلـله جـرمُ (٢)
فـخـمـرٌ ولا كـرمٌ وآدم لـي أب وكـرم ولا خـمـرٌ ولي أمـهـا أمُّ (٣)
وقـد وقـع التـفـريق والكلُّ واحـدٌ فـأرواحنا خـمـرٌ وأشـبـاحنا كـرمُ (٤)
مـحاسن تهـدي الواصفين لوصـفـهـا فـيـحـسن فـيـهـا منهم النثـر والنظمُ
ويطرب من لـم يدرها عند ذكـرها كـمـشـتـاق نُعْمٍ كلما ذكـرت نُعمُ (٥)
وقـالوا: شـربت الإثـم ! كـلاً وإنما شـربت التي في تركـهـا عندي الإثمُ
هنيـئـاً لأهل الدير كم سكنوا بهـا ومـا شـربوا منهـا ولكنهم همُّوا (٦)
فـعندي منهـا نـشـوةٌ قـبل نـشـأتي مـعي أبداً تبـقى وإن بلي العظمُ (٧)

---

(١) قامت: ثبتت وتعينت من غير وجود لها في نفسها، وإنما ثبوتها وتعينها بالوجود العلمي الإلهي. وقوله: ثَمَّ: أي: هناك. إشارة إلى حضرة قيوميتها على الممكنات.

(٢) الاتحاد: يقصد الناظم رضي الله عنه - بالاتحاد هنا: اتحاد العالم بالمعلوم من حيث هو معلوم لا من حيث ظهوره عنه في الخارج عن علمه، وليس الاتحاد بمعنى تخلل الجسم في الجسم، - كما شنع بذلك المحجوبون والمخذولون - على الصوفية - وهم بريئون من ذلك - رضي الله عنهم، وعنا بهم ، ونفعنا ببركاتهم في الدارين.

(٣) أي: فخمر موجودة وهي المدامة المذكورة ، ولا كرم - أي العنب -، موجود.

وكنى بالكرم عن المخلوقات وآدم أبو البشر أول مخلوق من هذا النوع الإنساني، والضمير في "أمها" للمدامة.

أي: وكرم موجودة، ولا خمر موجودة في حال كون أم الخمر، بمعنى: المدامة المذكورة أماً موصوفة بأنها كائنة لي.

(٤) وأن التفريق بينهما واقع في حال نموها وزيادتها.

وقوله: " والكل واحد " أي هو وجود واحد.

وقوله: "كرم" أي: بمنزلة الكرم وهو العنب المتضمن للعصير الروحاني، الذي يكون خمراً فيسكر العقول بما يلقى إليها من العلوم والحقائق.

(٥) قوله: لم يدرها: أي لم يعرفها بطريق الذوق، وإنما عرفها بطريق الشوق.

(٦) أهل الدير: يعني بهم أرباب المعارف الإلهية، وأصحاب المحبة الربانية، والسكر بالمدامة عبارة عن وجدان المعرفة الحقيقية.

(٧) يقول: إن نشوة هذه المدامة حصلت عنده من مباديء عمره وهي لا تزال باقية في داخل سره، وأنه لو بلي ولم يبق له أثر فلا تزول هاتيك النشوة بل تدوم بعد الجسد المعدوم.

عليك بها صِرفاً وإن شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم (١)
ودونكها في الحان واستجلها به على نغم الألحان فهي بها غُنم (٢)
فما سكنت والهمُّ يوماً بموضع كذلك لم يسكن مع النغم الغمُّ
وفي سكرة منها ولو عمر ساعة ترى الدهر عبداً طائعاً ولك الحكمُ
فلا عيش في الدنيا لمن عاش صاحياً ومن لم يمت سكراً فاته الحزمُ
على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهمُ

وقوله[رضي الله عنه – من البحر البسيط](٣)

ما بين معترك (٤) الأحداق والمهج أنا القتيل بلا إثم ولا حرجِ
ودَّعت قبل الهوى روحي لما نظرت عيناي من حسن ذاك المنظر البهجِ (٥)
لله أجفان عين فيك ساهرةٍ شوقاً إليك وقلب بالغرام شجِ (٦)
وأدمع هملت لولا التنفس من نار الهوى لم أكد أنجو من اللجج
وحبذا فيك أسقام خفيت بها عني تقوم به عند الهوى حججي

(١) حاصل هذا البيت: الأمر بتناول تلك المدامة صرفاً خالصة من غير أن يكون لها مزج بشيء من الأشياء، وحيثما أردت مزجها فلا تمزجها بغير ظلم الحبيب، فإن ذلك المزج هو الظلم منك لها. وقد تعدد شروح هذا البيت: ومنها: أن المراد من المدامة: " لا إله إلا الله".

وظلم الحبيب الذي ينبغي أن تمزج به عند إرادة المزج هو قولك" محمد رسول الله".

انظر: ديوان ابن الفارض وتعليقات العلامة الشيخ الدكتور عبد الخالق محمود جزاه الله خيراً، فعنه نقلت.

(٢) قوله: " ودونكها" إغراء بتناول المدامة المذكورة، والحان: حانوت الخمَّار، وهو هنا إشارة إلى كل شيء لأن هذه المدامة المكنى بها عن الوجود الحق الواحد لا حد له، ظهور وتجل وانكشاف، فكل شيء حانة على الاستقلال، واستجلها: اطلب جلوتها.

(٣) وهي قصيدة مكونة من أربعة وأربعين بيتاً، **انظر** الديوان صفحة ٣٣١.

(٤) المعترك: اسم موضع العراك، وهو القتال.

(٥) يقول: ودعت روحي بمجرد المشاهدة، علماً مني أن هذا الحسن لا بد أن يعشقه من يراه، ولا بد مع ذلك أن يسلب الأرواح فضلاً عن الأشباح، والمراد بقوله: " قبل الهوى" قبل حصول الهوى.

(٦) الشجو: الحزن. يقول: إن سهر أجفاني وشدة أشجاني لم يكونا لغير الله سبحانه وتعالى.

أصبحت فيك كما أمسيت مكتئباً ولم أقل جزعاً: يا أزمة انفرجي
أهفو إلى كل قلب بالغرام له شغل وكل لسان بالهوى لهجِ
وكل سمع عن اللاحي به صمم وكل جفن إلى الإغفاء لم يعجِ(١)
لا كان وجدٌ به الآماق(٢) جامدة ولا غرامٌ به الأشواق لم تهجِ
عذِّب بما شئت غير البعد عنك تجد أوفى محبٌ بما يرضيك مبتهجِ
وخذ بقية ما أبقيت من رمق لا خير في الحب إن أبقى على المهجِ
من لي بإتلاف روحي في هوى رشأ حلو الشمائل بالأرواح ممتزجِ
من مات فيه غراماً عاش مرتقياً ما بين أهل الهوى في أرفع الدرجِ(٣)
محجَّبٌ لو سرى في مثل طرته(٤) أغنته غرته الغرّا عن السرجِ
وإن ضللتُ بليلٍ من ذوائبه أهدى لعيني الهدى صبح من البلجِ(٥)
وإن تنفس قال المسك معترفاً لعارفي طيبه: من نشره أرَجي
أعوام إقباله كاليوم في قصر ويوم إعراضه في الطول كالحججِ
فإن نأى سائراً يا مهجتي ارتحلي وإن دنا زائراً يا مقلتي ابتهجي(٦)
قل للذي لامني فيه وعنَّفني دعني وشأني عن نصحك السمجِ
فاللوم لؤم ولم يمدح به أحدٌ وهل رأيت محباً بالغرام هجي؟

---

(١) عاج: عرج ومال. " اللسان – مادة عوج ".

(٢) الآماق: العيون: " اللسان – مادة أمق ".

(٣) الموت: المقصود بالموت في محبته هنا: الموت الاختياري، بفناء الإنسانية النفسية، والتحقق بوفاء العهود الربانية.

(٤) الطرة: طرف الشعر" اللسان – مادة طرر".

والغرة: بياض في الجبهة" اللسان – مادة غرر".

والغراء: الشديدة البياض" اللسان – مادة غرر".

والسرج: جمع سراج، ومن جملة أسماء الشمس السراج" اللسان – مادة سرج".

(٥) الذوائب: جمع ذؤابة، وهي الخصلة من الشعر. " اللسان – مادة ذأب".

والبلج: بياض في الجبهة بين الحاجبين" اللسان – مادة بلج".

(٦) يقول: إن بعد الحبيب يقتضي الموت، وقربه يقتضي الحياة.

يا ســاكن القلب لا تنظر إلى سكني واربح فـؤادك و احـذر فـتنة الدعجِ(١)
يا صـاحـبي وأنا البـر الرؤوف وقـد بذلت نصحي بذاك الحي لا تعجِي(٢)
فـيـه خلعت عـذاري واطّرحت به قـبـول نسكي والمقبـول من حـجـجي
فـابيضّ وجـه غـرامي في محـبّـتـه واسودّ وجـه ملامي فـيـه بالحـججِ(٣)
تبـارك الله مـا أحلى شـمـائله فكم أمـاتت وأحـيت فـيـه من مـهجِ
يهـوى لذكـر اسـمـه من لجَّ في عـذلي سـمعي وإن كان عـذلي فيـه لم يلجِ(٤)
وأرحم البـرق في مـسـراه منتـسـبـاً لثـغره وهـو مـسـتـحي من الفلجِ(٥)
تراه إن غـاب عني كل جـارحـة في كـل مـعنى لطـيف رائق بـهجِ
في نغـمـة العـود والناي الرخـيم إذا تآلفـا بين ألحـانٍ من الهـزجِ

---

(١) ساكن القلب: من قلبه غير مضطرب بلواعج المحبة والشوق.
سكني: حبيبي. فالسكن: المرأة لأنه يسكن إليها" اللسان – مادة سكن".
والدعج: شدة سواد العين مع سعها مع شدة بياض بياضها" اللسان – مادة دعج".
يقول: يا من قلبه ساكن لا تنظر لوجه حبيبي الذي أسكن إليه، فإنك لا تقدر قدر محبته وعشقه، وكف بصرك عن الطمع في رؤية جماله، واغتم قلبك لئلا يضيع من يدك، واحذر الفتنة الحاصلة من الدعج.
(٢) يخاطب في هذا البيت والذي قبله ساكن القلب في صدق ورحمة به.
يقول: لقد نصحتك ان لا تنظر إلى سكني – أي حبيبي – وازيد على ذلك نصيحتي بأن لا تعج ولا تقف بحي الحبيب مخافة عليك أن تفتن بالمحبة وتقع في شرك البلاء والمحنة، فقد خلعت عذاري – كناية عن عدم المبالاة بما يفعل – وألقيت عن قلبي الإقبال على غير الحق تعالى، وأفردت توجهي إليه سبحانه، ولم أشتغل عنه بقبول طاعة ولا عبادة.
(٣) ابيضاض وجه الغرام: بمعنى انه صار مقبولاً عنده وعند الحق تعالى.
واسوداد وجه الملام: كونه غير مقبول عنده وعند الحق تعالى لأنه صد عن سبيل الله بالغفلة والجهل.
(٤) يقول: يحب سمعي العاذل الذي لج في عذله، وبالغ في خصومته إياي من أجل سماع اسم الحبيب، مع أن العذل لم يدخل في سمعي لكمال كراهته إياه.
(٥) الفلج: تباعد ما بين الأسنان.
يقول: وارحم البرق لما حصل له من القصور الذي أوجب خجله لأنه شارك ثغر الحبيب في البريق واللمعان، ولكنه خجل لما شاهد قصوره عن الفلج الذي زان ثغر الحبيب.

وفي مسارح غزلان الخمائل في ... برد الأصائل والإصباح في البلج(١)
وفي مساقط أنداء الغمام على ... بساط نور من الأزهار منتسج
وفي مساحب أذيال النسيم إذا ... أهدى إليَّ سحيراً أطيب الأرجِ(٢)
وفي التثامي ثغر الكاس مرتشفاً ... ريق المدامة في مستنزه فرج
لم أدر ما غربة الأوطان وهو معي ... وخاطري أين كنا غير منزعجِ
فالدار داري، وحِبّي حاضرٌ ومتى ... بدا فمنعرج الجرعاء منعرجي(٣)
ليهن ركب سروا ليلاً وأنت بهم ... بسيرهم في صباحٍ منك منبلجِ
فليصنع الركب ما شاؤوا بأنفسهم ... هم أهل بدر فلا يخشون من حرجِ(٤)
بحق عصياني اللاَّحي عليك وما ... باضلعي طاعة للوجد من وهجِ
انظر إلى كبد ذابت عليك جوى ... ومقلة من نجيع الدمع في لجج(٥)
وارحم تعثُّر آمالي ومرتجعي ... إلى خداع تمني القلب بالفرجِ
واعطف على ذلّ أطماعي بهل وعسى ... وامنن عليَّ بشرح الصدر من حرج
أهلاً بما لم أكن أهلاً لموقعه ... قول المبشر بعد اليأس بالفرجِ
لك البشارة(٦) فاخلع ما عليك فقد ... ذكرت ثَمَّ على ما فيك من عوجِ

---

(١) المسارح: جمع مسرح وهو المرعى" اللسان مادة سرح".
والأصائل: جمع أصيل وهو الوقت الذي بين العصر والعشاء، يوصف باللطف كالأسحار. والبلج: أوائل ظهور الصباح، والإشراق" اللسان مادة بلج".

(٢) المساحب: جمع مسحب، وهو مكان السحب. اي: في مكان يسحب في النسيم أذياله.
سحير: تصغير"سحر" وهو للتحبيب. والأرج: توهج ريح الطيب.

(٣) الحِب: المحبوب. والمنعرج: اسم تعريج الأحباب في الجرعاء. ومكان اجتماعهم الذي هو في الوقت نفسه مكان انعراج الشاعر.

(٤) يقول رضي الله عنه في هذين البيتين: حيث كان الركب قد سروا في صباح منك منبلج فليصنعوا بأنفسهم ما أرادوا، فإنهم اهل بدر، إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله وسلم في أهل بدر: " لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، او قد غفرت لكم" رواه البخاري.

(٥) النظر هنا بمعنى الحنو، والنجيع: الدم" اللسان مادة نجع".

(٦) البشارة: الإخبار بما يوجب الفرح.

وقوله [رضي الله عنه – من البحر الكامل][(١)]

قلبي يحدثني بأنك متلفي	روحي فداك عرفت أم لم تعرفِ
لم أقضِ حق هواك إن كنت الذي	لم أقض فيه أسى ومثلي من يفي[(٢)]
مالي سوى روحي وباذل نفسه	في حب من يهواه ليس بمسرف
فلئن رضيت بها فقد أسعفتني	يا خيبة المسعى إذا لم تسعفِ
يا مانعي طيب المنام ومانحي	ثوب السقام به ووجدي المتلف
عطفاً على رمقي وما أبقيت لي	من جسمي المضنى وقلبي المدنف
فالوجد باق والوصال مماطلي	والصبر فانٍ واللقاء مسوّفي
لم أخل من حسد عليك فلا تضع	سهري بتشنيع الخيال المرجفِ
واسأل نجوم الليل هل زار الكرى	جفني وكيف يزور من لم يعرفِ
لا غرو إن شحّت بغمض جفونها	عيني وسحّت بالدموع الذرّفِ
وبما جرى في موقف التوديع من	ألم النوى شاهدت هول الموقف
إن لم يكن وصلٌ لديك فعد به	أملي وماطل إن وعدت ولا تفِ
فالمطل منك لديّ إن عزّ الوفا	يحلو كوصل من حبيب مسعف
أهفو لأنفاس النسيم تعلة	ولوجه من نقلت شذاه تشوفي[(٣)]
فلعلّ نار جوانحي بهبوبها	أن تنطفي وأود أن لا تنطفي
يا أهل ودي أنتم أملي ومن	ناداكم يا أهل ودي قد كفي
عودوا لما كنتم عليه من الوفا	كرماً فإني ذلك الخل الوفي

---

(١) وهي قصيدة مكونة من واحد وخمسين بيتاً، **انظر**: الديوان صفحة ٣٣٧ .

(٢) اقض: من قضيت فلاناً حقه، أي: وفيته.

اقض: من قضى فلان. أي: مات.

وقال رضي الله عنه في هذا المعنى: "

هو الحب إن لم تقض لم تقض مأرباً   من الحب فاختر ذاك أو خلّ خلتي

(٣) التَّعِلَّة: التعلل، بمعنى: التشاغل بالشيء" اللسان مادة علل" . والتشوف: التطلب والتطلع.

وحياتكم، وحياتكم قسماً وفي ... عمري بغير حياتكم لم أحلفِ
لو أن روحي في يدي ووهبتها ... لمبشري بوصالكم لم أنصف
لا تحسبوني في الهوى متصنِّعاً ... كلفي بكم خلق بغير تكلفِ
أخفيت حبكم فأخفاني أسى ... حتى لعمري كدت عني أختفي
وكتمته عني فلو أبديته ... لوجدته أخفى من اللطف الخفي
ولقد أقول لمن تحرَّش بالهوى ... عرَّضت نفسك للبلا فاستهدفِ
أنت القتيل بأي من أحببته ... فاختر لنفسك في الهوى من تصطفي
قل للعذول أطلت لومي طامعاً ... أن الملام عن الهوى مستوقفي
دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى ... فإذا عشقت فبعد ذلك عنِّف
برح الخفاء بحب من لو في الدجى ... سفر اللثام لقلت يا بدر اختفِ (١)
وإن اكتفى غيري بطيف خياله ... فأنا الذي بوصاله لا أكتفي
وقفاً عليه محبتي ولمحنتي ... بأقل من تلفى به لا أشتفي
وهواه وهو أليتي (٢) وكفى به ... قسماً أكاد أجله كالمصحف
لو قال تيهاً قف على جمر الغضا (٣) ... لوقفت ممتثلاً ولم أتوقَّفِ
أو كان من يرضى بخدي موطئاً ... لوضعته أرضاً ولم أستنكفِ
لا تنكروا شغفي بما يرضى وإن ... هو بالوصال عليَّ لم يتعطَّفِ
غلب الهوى فأطعت أمر صبابتي ... من حيث فيه عصيت نهي معنفي
مني له ذل الخضوع ومنه لي ... عز المنوع وقوة المستضعف
ألف الصدود ولي فؤاد لم يزل ... مذ كنت غير وداده لم يألفِ
يا ما أميلح كل ما يرضى به ... ورضابه يا ما أحيلاه بفي (٤)

---

(١) برح الخفاء: وضح الأمر وظهر" اللسان مادة برح".

سفر اللثام: أزاله وكشفه" اللسان مادة سفر".

(٢) الألية: الحلف واليمين" اللسان مادة ألا".

(٣) جمر الغضى: الرمل الذي لا تنطفيء ناره" اللسان مادة جمر ، غضا".

(٤) الرضاب: ما يرضبه الإنسان من ريقه كأنه يمتصه" اللسان مادة رضب".

لو أسمعوا يعقوب ذكر ملاحةٍ ... في وجهه نسي الجمال اليوسفي
أو لو رآه عائداً أيوب في ... سنة الكرى قدماً من البلوى شفي
كل البدور إذا تجلّى مقبلاً ... تصبو إليه وكلُّ قدٍّ أهيفِ
إن قلتُ عندي فيك كل صبابة ... قال: الملاحة لي، وكل الحسن في
كملت محاسنه فلو أهدى السنا ... للبدر عند تمامه لم يخسف
وعلى تفنن واصفيه بحسنه ... يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف
ولقد صرفت لحبه كلي على ... يد حسنه فحمدت حسن تصرفي
فالعين تهوى صورة الحسن التي ... روحي بها تصبو إلى معنى خفي
أسعد أخيٌّ وغنني بحديثه ... وانثر على سمعي حلاه وشنِّفِ
لأرى بعين السمع شاهد حسنه ... معنى فأتحفني بذاك وشرِّفِ
يا أخت سعد (1) من حبيبي جئتني ... برسالة أديتها بتلطُّفِ
فسمعت ما تسمعي ونظرت ما ... لم تنظري وعرفت ما لم تعرفي
إن زار يوماً يا حشاي تقطَّعي ... كلفاً به أو سار يا عين اذرفي
ما للنوى ذنب ومن أهوى معي ... إن غاب عن إنسان عيني فهو في

وقوله رضي الله عنه [من البحر الطويل](2)

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل ... فما اختاره مضنىً به، وله عقل
وعش خالياً فالحب راحته عنىً ... وأوله سقم وآخره قتلُ
ولكن لدي الموت فيه صبابة ... حياة لمن أهوى عليَّ بها الفضل
نصحتك علماً بالهوى والذي أرى ... مخالفتي فاختر لنفسك ما يحلو
فإن شئت أن تحيا سعيداً فمت به ... شهيداً وإلا فالغرام له أهلُ

(١) معلوم أن ابن الفارض رضي الله عنه سعدي النسب.

(٢) انظر: الديوان صفحة ٣٢٣، وعدد أبياتها ستون بيتاً.

فمن لم يمت في حبه لم يعش به ... ودون اجتناء النحل ما جنت النحل (١)
تمسك بأذيال الهوى واخلع الحيا ... وخلِّ سبيل الناسكين وإن جلُّوا (٢)
وقل لقتيل الحب وفيت حقه ... وللمدعي هيهات ما لكحل الكحل (٣)
تعرَّض قوم للغرام وأعرضوا ... بجانبهم عن صحتي فيه واعتلوا (٤)
رضوا بالأماني وابتلوا بحظوظهم ... وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا (٥)
فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم ... وما ظعنوا في السير عنه وقد كلوا
وعن مذهبي لما استحبوا العمى على الـ ... ـهدى حسداً من عند أنفسهم ضلُّوا
أحبَّةَ قلبي والمحبَّة شافعٌ ... لديكم إذا شئتم بها اتصل الحبلُ
عسى عطفة منكم عليَّ بنظرة ... فقد تعبت بيني وبينكم الرسلُ
أحبَّائي أنتم أحسن الدهر أم أسا ... فكونوا كما شئتم، أنا ذلك الخلُّ
إذا كان حظي الهجر منكم ولم يكن ... بعادٌ فذاك الهجر عندي هو الوصل
وما الصدُّ إلا الود ما لم يكن قليً ... وأصعب شيء غير إعراضكم سهلُ
وتعذيبكم عذبٌ لديَّ وجوركم ... عليَّ بما يقضي الهوى لكم عدلُ
وصبري صبرٌ عنكم وعليكمُ ... أرى أبداً عندي مرارته تحلو
أخذتم فؤادي وهو بعضي فما الذي ... يضرُّكمُ لو كان عندكم الكلُّ

---

(١) الاجتناء: إخراج أقراص العسل من مواضعها.
يقول: قبل أن تصل إلى عسل النحل في خلاياه لا بد أن تصيبك جناية النحل وأذاه، فمن لم يوطن نفسه على المرارة لا يصل إلى ذوق الحلاوة.
(٢) يقول - رضي الله عنه - لمريده: اترك طرائق العابدين الذين لا سلوك لهم في طريق المحبة وإن كانوا أجلاء.
(٣) الكَحَل: الكحل المصنوع.
(٤) اعتلوا: ذكروا علة لإعراضهم عن صحتي بالغرام.
(٥) ابتلوا بحظوظهم: صارت حظوظهم في الدنيا بلاء عليهم.

نأيتم فغير الدمع لم أر وافياً سوى زفرة من حر نار الجوى تغلو (1)
فسهدي حيٌّ في جفوني مخلَّدٌ ونومي بها ميتٌ ودمعي له غسلُ
هوىً طلَّ ما بين الطلول دمي، فمن جفوني جرى بالسفح من سفحه،وبل (2)
تباله (3) قومي إذ رأوني متيماً وقالوا: بمن هذا الفتى مسَّه الخبلُ
وماذا عسى عني يقال سوى غدا بنعم، له شغلٌ، نعم لي بها شغلُ
وقال نساء الحي: عنا بذكر من جفانا وبعد العز لذ له الذلُّ
إذا أنعمت نعمٌ عليَّ بنظرة فلا أسعدت سعدى ولا أجملت جُمْلُ (4)
وقد صدئت عيني برؤية غيرها ولثم جفوني تربها للصدا يجلو
حديثي قديم في هواها وما له كما علمت بعدٌ وليس له قبلُ
وما لي مثل في غرامي بها كما غدت فتنة في حسنها ما لها مثل
حرامٌ شفا سقمي لديها رضيت ما به قسمت لي في الهوى ودمي حلٌّ
فحالي وإن ساءت فقد حسنت بها وما حطَّ قدري في هواها به أعلو
وعنوان ما فيها لقيت وما به شقيت وفي قولي اختصرت ولم أغلُ
خفيت ضنىً، حتى لقد ضلَّ عائدي وكيف ترى العُوَّاد من لا له ظلُّ
وما عثرت عينٌ على أثري ولم تدع لي رسماً في الهوى الأعين النجلُ
ولي همةٌ تعلو إذا ما ذكرتها وروحٌ بذكراها إذا رخصت تغلو
فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى فإن قبلتها منك، يا حبَّذا البذل
فمن لم يجدْ في حبِّ نُعْمٍ بنفسه ولو جاد بالدنيا إليه انتهى البخلُ

---

(1) تغلو: تعلو، والنار توصف بالعلو والغلو.

أما كونها عالية: فذلك من كثرتها وقوتها. وأما كونها غالية: فمن غلا الأمر يغلو: إذا جاوز حده.

(2) طل: سكب، السفح: اسم موضع كانت به وقعة بين بكر وتميم.

(3) التباله: إظهار البله وعدم الإدراك والغفلة.

(4) نعم، وسعدى، وجمل: ثلاثة أسماء لمحبوبات مشهورات عند العرب.

ولولا مراعاة الصيانة غيرةً ... وإن كثروا أهل الصبابة أو قلُّوا (١)
لقلت لعشَّاق الملاحة أقبلوا ... إليها، على رأبي، وعن غيها ولُّوا
وإن ذكرت يوماً، فخرُّوا لذكرها ... سجوداً وإن لاحت إلى وجهها، صلُّوا
وفي حبها بعتُ السعادة بالشقا ... ضلالاً وعقلي عن هداي به عقل (٢)
وقلت لرشدي والتنسك والتقى ... تخلوا وما بيني وبين الهوى خلُّوا
وفرَّغت قلبي من وجودي مخلصاً ... لعلِّي في شغلي بها معها أخلو
ومن أجلها أسعى لمن بيننا سعى ... وأعدو ولا أغدو لمن دأبه العذلُ
فأرتاح للواشين بيني وبينها ... لتعلم ما ألقى وما عندها جهلُ
وأصبو إلى العذَّال حباً لذكرها ... كأنهم ما بيننا في الهوى رسلُ
فإن حدَّثوا عنها فكلي مسامعٌ ... وكلِّي إن حدَّثتهم ألسن تتلو
تخالفت الأقوال فينا تبايناً ... برجم ظنون بيننا ما لها أصل (٣)
فشنَّع قومٌ بالوصال ولم تصل ... وأرجف بالسلوان قومٌ ولم أسلُ
وما صدق التشنيع عنها لشقوتي ... وقد كذبت عني الأراجيف والنقلُ
وكيف أرجِّي وصل من لو تصورت ... حماها المنى وهماً، لضاقت بها السبل
وإن وعدت لم يلحق الفعل قولها ... وإن أوعدت فالقول يسبقه الفعلُ
عديني بوصلٍ وامطلي بنجازه ... فعندي إذا صحَّ الهوى حسن المطلُ

---

(١) يقول – رضي الله عنه – في هذا البيت والذي يليه: ولولا مراعاة الصيانة التي بها تؤدى حقيقة الأمانة، لأظهرت الحال، وقلت لعشاق الملاحة أقبلوا إلى الحبيبة بإعلان الإباحة، واتركوا ما سواها، وإذا ما سمعتم ذكرها فاسجدوا تعظيماً لوصفها، وإن ظهر وجهها للناظرين فكونوا إليه من المصلين، ولكني تركت ذلك المقال ستراً لما عندي من الحال، فإن صيانة الهوى مطلوبة.

(٢) العقل: المنع" اللسان مادة عقل".

(٣) يقول – رضي الله عنه – في هذا البيت والذي يليه: لقد اختلفت في حالي والمحبوبة أقوال الوشاة اختلاف تباين، فقد شنع قوم منهم بالوصال، والحال أنها لم تصل، وأرجف بالسلوان قوم آخرون، والحال أنني ما سلوت، فأما التشنيع عنها بالوصال فما صدق، وعدم صدقه لشقوتي، وأما الأراجيف والنقل عني بالسلوان فهي أحاديث كاذبة.

وحـرمـة عـهـدٍ بيننا عنه لم أحُلْ ... وعـقـدٍ بأيدٍ بيننا مـا له حلّ(١)

لأنتِ على غـيظ النوى ورضى الهـوى ... لديَّ وقلبي سـاعـةً منك ما يخلو(٢)

ترى مـقلتي يومـاً ترى من أحبـهـم ... ويعتبني دهري ويجتمع الشمل(٣)

ومـا برحـوا مـعنى أراهم مـعي، فـإن ... نأوا صورةً، في الذهن قام لهم شكل(٤)

فـهم نصب عيني ظاهراً حيثـما سروا ... وهم في فـؤادي باطناً أينمـا حلُّوا

لهـم أبداً مـني حنوٌ وإن جـفـوا ... ولي أبداً مـيلٌ إليـهـم وإن ملُّوا

وقوله رضي الله عنه [من البحر الخفيف](٥)

تـه دلالاً فـأنت أهلٌ لـذاكـا ... وتحكَّم فـالحـسن قـد أعطاكـا

ولك الأمـر فـاقضِ مـا أنت قـاضٍ ... فـعليَّ الجـمـال قـد ولأكـا

وتلافي إن كـان فـيـه ائتـلافي ... بك، عـجِّل به، جُـعلتُ فـداكـا

وبما شـئت في هواك اخـتـبـرني ... فـاخـتـبـاري ما كـان فـيـه رضاكـا

فـعلى كل حـالـة أنت مـني ... بي أولى إذ لـم أكـن لـولاكـا

أبقِ لي مـقلةً لعلي يومـاً ... قـبل مـوتي أرى بهـا من رآكـا

أين مني مـا رمت، هيـهـات بل أيـ ... ـن لعـيني بالجـفن لثم ثراكـا

فـبـشـيـري لو جـاء منك بعطف ... ووجـودي في قـبـضـتي قلت: هاكـا

(١) العهد: المقصود به قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بين آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ سورة الأعراف – الآية ١٧٢".

والعقد: قوله: وعقد بأيد: وضع اليد الإنسانية والقوة، والقدرة الروحانية والجسمانية في اليد الإلهية الربانية، وهو تسليم الأمر كله لله، وهو معنى: "لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم".

(٢) غيظ النوى: ما يترتب على البعاد من غيظ العواد.

(٣) أعتبه: أزال سبب عتابه، أي: ترى يزيل الدهر ما أوجب عتبي عليه من تفريق الشمل فيرفع التفريق ويجمع الشمل بالحبيب. " اللسان مادة عتب".

(٤) يقول – رضي الله عنه –: إنني أراهم من جهة المعنى لا من جهة الحس، فإن المعية تحتمل الوجود معك في الحس أو في المعنى، فإن بعدوا في الصورة والحس، قام لهم شكل في الذهن. وقوله: "معي" من قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾.

(٥) **انظر**: ديوان ابن الفارض – صفحة ٣٤٠، وهي مكونة من سبعة وخمسين بيتاً.

هبك أن اللاحي نهاه بجهلٍ … عنك قل لي: عن وصله ما نهاكا؟
أترى من أفتاك بالصدّ عني … ولغيري بالودِّ من أفتاكا
كنت تجفوا وكان لي بعض صبر … أحسن الله في اصطباري عزاكا
كل من في حماك يهواك، لكن … أنا وحدي بكل من في حماكا

وقوله – رضي الله عنه –[من البحر البسيط][(١)]

قف بالديار وحيّ الأربع الدُّرسا … ونادها فعساها أن تجيب عسى[(٢)]
فإن أجنَّك ليلٌ من توحُّشها … فاشعل من الشوق في ظلمائها قبسا

ومنها[(٣)]:

فإن بكى في قفار خلتها لججا … وإن تنفَّس عادت كلها يبسا
كم زارني والدجى يربدُّ من حنق … والزهر تبسم عن وجه الذي عبسا[(٤)]
وابتزَّ قلبي قسراً قلت مظلم … يا حاكم الحب هذا القلب لم حبسا
زرعت باللحظ ورداً فوق وجنته … حقاً لطرفي أن يجنى الذي غرسا[(٥)]
فإن أبى فالأقاحي منه لي عوض … من عوَّض الدُّرَّ هم زهرٍ فما بخسا
تلك الليالي التي أعددت من عمري … مع الأحبة كانت كلها عرسا
لم يحل للعين شيء بعد بعدهم … والقلب مذ آنس التذكار ما أنسا
وألزم الصبر مني النفس مكرهة … لولا التأسي بدار الخلد متُّ أسى

---

(١) انظر: الديوان – صفحة ٣٧٥، والقصيدة مكونة من أربعة عشر بيتاً.

(٢) الأربع: جمع ربع، وهي المنازل. وإن كانت في أصل اللغة خاصة بالمنازل التي تسكن في زمن الربيع، إلا ان المراد بها هنا مطلق المنازل.

(٣) أي: من القصيدة السينية نفسها.

(٤) قوله يربدُّ: من الربدة بضم الراء وسكون الباء، وهي معدودة من السواد لكنها غبرة ليس سوادها قوياً، "اللسان مادة ربد".

(٥) أراد بزرعه باللحظ ورداً فوق وجنته: نظره إلى الموجب احمرار وجنته، فهو بمنزلة زرع الورد فوق وجنته.

وقوله(١):

يميناً بما في الثغر من رائق اللمى … لقد ذبت من شوقي إلى وجهه ظما
ولولا النسيم الحاجري يمر بي … يبشرني بالقرب من ساكني الحمى
لهدمت أركان الصبابة والتقى … ولكنني عللت نفساً بربما
ومحتجب من خلف سمر ذوابل … وكم مات فيه من محب متيَّما
إذا جاز في ترب له بعد هجعة … يريك الضحى في غيهب قد تبسما
سل الغصن من أعطاه لين قوامه … ومن قد أعار الجيد واللحظ للدما
شكوت إلى عينيه وجدي ولوعتي … فقال لك البشرى إذا مت مغرما
يرى أن قتلي في هواه محللاً … وأن وصالي والسلام محرَّما
يرق لما ألقاه في الليل طيفه … فما ضره من طيفه لو تعلما
تلطَّف بي حتى تملَّك مهجتي … وعذبني بالتيه والصدٌّ عندما
بنى في فؤادي مسكناً غير أنه … لركن اصطباري بالقطيعة هدَّما
بوجه تعالى الله أتقن خلقه … فكم نسخت آياته آية السما

وقوله(٢):

أعلنت ما تسره الآماق … حين أضمت مقاتلي الأحداق
وكتمت الغرام شحاً وصوناً … فأقرت بنشوتي العشّاقُ
يا أهيل الحمى شكاية صبٍّ … فتكت في فؤاده الأحداقُ
وده قد علمتموه سليماً … ما اعتراه بعد البعاد محاق
وهو مذ بايع الغرام قديماً … مؤمن العشاق لم يشبه نفاقُ
لا وعصر الصبا وحرمة ليلٍ … ضمنا حين نامت الطرّاق
ما أفاد الملام فيكم ولا ملَّ … غرامي ولا وهى الميثاقُ

(١) لم أجد القصيدة في طبعات الديوان المتوفرة لدي.
(٢) لم أجد هذه الأبيات ولا التي بعدها أيضاً في طبعات الديوان، والله أعلم.

وقوله:

حسب المحب من الصبابة ما لقي ... لما تخلف بعده في الأبرق

ساروا فما والله ما كتم الدجى ... نور أضاء من الجبين المشرق

ولقد رجوت الصبر يبقى بعد ما ... بانوا فلجَّ بي الغرام وما بقي

أمروا بإطلاق الدموع لبينهم ... وأسير سحر عيونهم لم يطلقِ

سعدت حداتهمُ بكل ممتع ... في ركبهم والربع بعدهمُ شقي

حاشا فؤاد خلَّصوه لودِّهم ... واستوطنوه لذكرهم لم يخفق

يا قلب صبراً تحت أعباء الهوى ... قبل الممات لعلَّنا لا نلتقي

ولربَّما نهدي الصبا في طيِّها ... من نشرها روحاً لقلب شيِّقِ

خلق التصبر عنهم وهواهمُ ... بين الضلوع جديده لم يخلقِ

وقوله – رضي الله عنه –[من البحر الطويل](١)

أشاهد معنى حسنكم فيلذُّ لي ... خضوعي لديكم في الهوى وتذللي

وأشتاق للمعنى الذي أنتم به ... ولولاكم ما شاقني ذكر منزلِ

فلله كم من ليلة قد قطَّعتها ... بلذة عيش والرقيب بمعزل

ونلت مرادي فوق ما كنت راجياً ... فوا حسرتا لو تم هذا ودام لي

وقد ذكره أبو الصفاء الصفدي وقال: قال الشيخ شمس الدين يعني الحافظ الذهبي: أنشدنا غير واحد أنه قال عند موته لما انكشف له الغطاء:

إن كان منزلتي في الحب عندكمُ ... ما قد لقيت فقد ضيَّعت أيامي

أمنية ظفرت روحي بها زمناً ... واليوم أحسبها أضغاث أحلامِ(٢)

قال: ومن شعره مما ليس في ديوانه:

---

(١) **انظر**: الديوان صفحة ٣٧٧، وهي مكونة من سبعة أبيات.

(٢) روى هذين البيتين الشيخ إبراهيم الجعبري عن الشيخ رضي الله عنه لما حضر وفاته وشاهد حاله وما فاته، ورأى موته في المحبة، وحياته، وقد ذكرا في ديوانه – رضي الله عنه – ص ٣٧٧ تحقيق د. عبد الخالق محمود.

وإذا قـيل من تحب؟ تخطاك لساني وأنت في القلب ذاكـا
عـميت عين من رأى مثل عينيـ ـك وطوبى لعين من قد رآكـا

ولد رضي الله عنه بالقاهرة سنة ست وسبعين وخمسمائة، وتوفي بها سنة اثنتين وثلاثين وستمائة.

ودفن تحت العارض – مكان بالقرافة – ورثاه الجزار، فقال :–

لم يبق صيب مزنه إلا وقد وجبت عليه زيارة ابن الفارض
لا غرو أن يسقى ثراه وقبره باق ليوم العرض تحت العارض (١)

---

(١) وقال أحد الفضلاء أيضاً – شعراً –:

جز بالقرافة تحت ذيل العارض وقل السلام عليك يا ابن الفارض
أبرزت في نظم السلوك عجائباً وكشفت عن سر مصون غامض
وشربت من كأس المحبة والولا فرويت من بحر محيط فائض

وقال ولده رحمه الله تعالى: رأيت الشيخ نائماً مستلقياً على ظهره وهو يقول: صدقت يا رسول الله! ويكررها: صدقت يا رسول الله!. صدقت يا رسول الله!، رافعاً صوته ، مشيراً بإصبعيه اليمنى واليسرى، واستيقظ من نومه وهو يقول ذلك، ويشير بإصبعيه كما كان يفعل وهو نائم، فأخبرته بما رأيته، وسمعته منه، وسألته عن سبب ذلك؟. فقال: يا ولدي! رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، وقال لي: يا عمر! لمن تنتسب؟ فقلت: يا رسول الله! أنتسب إلى بني سعد قبيلة حليمة السعدية مرضعتك يا رسول الله!. فقال: لا . بل أنت مني ونسبك متصل بي، فقلت: صدقت يا رسول الله، إني أحفظ نسبي عن أبي وجدي إلى بني سعد، فقال: لا ، ماداً بها صوته، بل أنت مني، ونسبك متصل بي، فقلت: صدقت يا رسول الله! مكرراً لذلك مشيراً بإصبعي كما رأيت وسمعت. انظر: مقدمة ديوان ابن الفارض ص ١٥٨، ١٥٩ .

ومنهم:

١٠٧ - أبو القاسم بن منصور بن يحي المكي الاسكندري المعروف بالقباري *

حطّ رجله بالآخرة وأناخ، ولم يتخذ الدنيا غير مناخ، فلم يأنس من أهلها بقبيل. ولا سلك في سبلها إلا عابر سبيل، لعدم اغتراره ببرقها الجهام، وفرط حذاره من رشقها بالسهام، فلم يستطب فيها الملاذ، ولم يستطل بها العود والملاذ، وأقام لا يرشف من ورد زلالها ريقا، ولم يقبل من برد ظلالها طريقا.

وكان أحد العباد المشهورين بكثرة الورع والتحري في المآكل والمشرب والملبس، معروفاً بالانقطاع، والتخلي وترك الاجتماع بأبناء الدنيا، والإقبال على ما يعنيه من أمر نفسه، وطريقه الذي سلكه، قلّ أن يقدم أحد من أهل زمانه عليه من خشونة عيشه، وما أخذ نفسه به من الوحدة، وعدم الاجتماع بالناس، والجدّ، والعمل، والاحتراز من الرياء، والسمعة، لا يعلم في وقته من وصل إليه، وكانت الملوك ومن دونهم يقصدون زيارته، ورؤيته، والتبرك به، فلا يكاد يجتمع بأحد منهم(١)،وأخباره في الورع والعبادة مشهورة.

وكان مقيماً بجبل "الصيقل" بظاهر الاسكندرية، وبه مات(٢)، ولم يزل عمره كله على

---

*انظر ترجمته في: ذيل الروضتين ٢٣١، وذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٥، ٣١٦، وتكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ٢٧٢، ٢٧٣ رقم ٢٦٥، والمشتبه في اسماء الرجال ١/ ٤١٤،٤٣١، ودول الإسلام ٢/ ١٦٨، والعبر ٥/ ٢٧١، والإعلام بوفيات الأعلام٢٧٧، وتذكرة الحفاظ ٤/ ١٤٤٣، والإشارة إلى وفيات الأعيان ٣٥٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٢١٧، ومرآة الجنان ٤/ ١٦٠، والوافي بالوفيات ٥/ ٧٦ رقم ٢٠٧٠، والبداية والنهاية ١٣/ ٢٤٣،٢٤٤، وعيون التواريخ ٢٠/ ٣١٦ - ٣١٧، وتوضيح المشتبه ٧/ ١٦٦و٢٤٧، وتاريخ الخلفاء ٤٨٣، وشذرات الذهب ٥/ ٣١٢، والقاموس المحيط مادة قبر، تصحفت هذه النسبة في شذرات الذهب إلى القياري بالياء المثناة من تحتها.

(١) ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٥ -٣١٦

(٢) ودفن به بوصية منه، وقبره يزار، ويتبرك به، قال اليونيني: وزرته في شهر ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وستمائة، ودعوت الله تعالى عند قبره بدعوات توسلت به فيها، وظهر لي أثر بركة زيارته والتوسل به في إجابة دعائي في بعض ما سألته، وأرجو الإجابة في جملته إن شاء الله تعالى. انظر: "ذيل مرآة الزمان ٢/ ٣١٦".

قدم واحدة في الاجتهاد والعبادة، وقلة المبالاة بعيشه كيف كانت، ودنياه كيف نقصت، متقللاً من قليلها بجهده، مقبلاً على الآخرة بكليته، يتصدَّق بفضله، ويواسي في كفافه، ويؤثر من قوته، إلى كرم عزيز، وقنع باليسير.

ومما حكي عنه من الورع أنه لما رأى ما ينال الناس من الظلم في كرى[١] الخليج الواصل إلى الاسكندرية من النيل، أعرض عن مائه، وحمله التدقيق في الورع على أن حفر له بئراً كان يشرب منها، وينقل الماء منها بالجرار، على دابة ليسقي بستانه، وكان إذا وجد رطبة ساقطة تحت نخلة ولم يشاهد سقوطها منه لا يرفعها، ولا يأكلها، لاحتمال أن طائراً جناها من نخل غيره، وسقطت منه تحت نخله، وبالجملة لم يخلف بعده مثله[٢]وحكى علي بن حمزة النقيب ، عن أبي المظفر يوسف بن عبد العزيز الدمنهوري ، قال: أتيت الشيخ أبا القاسم وتهيبته أن أطرق عليه الباب، فوقفت لعلي أجد من يستأذن لي عليه، فسمعته يبكي وينشد:

كيف برئي وداء وجدي عضال ... ونهوضي وعثرتي لا تقالُ
وعزيز على أهون شيء في هوا ... ه ما قالت العُذَّالُ
يا نسيم الشمال من أرض نجد ... فيك للصب صحة واعتلالُ
لي بالجزع حاجة ليس تقضى ... وغريم يلذ منه المطالُ
يا لقومي كم ذا تسل سيوفٌ ... لقتالي وكم تراش نبالُ
أنت أحلى في القلب من أمل ... القلب إذا ما تناهت الآمالُ

قال: ولم يزل يرددها وهو يبكي ويشهق، حتى خفت عليه، فطرقت عليه الباب، فقطع إنشاده وسكَّن زفراته، وغيَّض عبراته، ثم أذن لي، فدخلت عليه، فقال: لعلك سمعت شعراً كنت أنشده؟ فقلت: كان ذلك، ولقد خشيت عليك والله مما كنت فيه. فقال: يا هذا! تذكرت عشقة منذ عهد الصبا أنا إلى الآن في سكرها، وربما كانت في وقت أشد من

---

(١) الكرى: الحفر.

(٢) ذيل مرآة الزمان ٢/٣١٦ .

وقت، والعاقل يستروح بمثل ما رأيت من أرواح الأشعار، وأنفاس الأشجار، وسألتك الله إلا ما كتمت.

قال: فوالله ما ذكرتها حتى مات.

وتوفي ليلة الاثنين سادس شعبان سنة اثنتين وستين وستمائة، ببستانه بجبل "الصَّيقل"، بظاهر الاسكندرية. ودفن به، بوصية منه، وقبره يزار ويتبرك به.

وبيع الأثاث الموجود في منزله، وقيمته دون خمسين درهماً، ورقا بما يزيد عن عشرين ألف درهم تزايد الناس فيه رجاء البركة حتى بلغ الإبريق الذي كان يستعمله ويتوضأ فيه للصلاة جملة كبيرة، وقيمة مثله لا يبلغ ثلاثة فلوس!.

وقد رأيت خرقة من أثره عند بعض المصريين، وذكر أنها بيعت في أثاثه بمائة وعشرين درهماً.

ومنهم:

١٠٨ - الفُضَيلُ بنُ فُضَالَةَ

صميم علم أغرق في الحسب، وأغبق في كَرم الحسب، ترقى للحيرة فعرف الحقيقة، وتوقى الحيرة فوقف على الطريقة.

قال: " إذا شئت أن تصير من الأبدال، فحوِّل خُلُقَكَ إلى بعض خلق الأطفال؛ ففيهم خمس خصال لو كانت في الكبار لكانوا أبدالاً، وهي: أنهم لا يغتمون للرزق. ولا يشتكون من خالقهم إذا مرضوا. ويأكلون الطعام مجتمعين. وإذا تخاصموا لم يتحاقدوا وتنازعوا إلى الصلح. وإذا خافوا جرت عيونهم بالدموع".

وكان يقول للمريد إذا أتاه: تصحبني على أربعة خلائق هنَّ كنوز الجنة؛ كتمان الفاقة، وكتمان المصيبة، وكتمان المرض، وكتمان السر.

وكان يحب الخلوة، فإذا خلا رفع عقيرته، وأنشد قول الرضي:

حادثته فضل العتاب وبيننا ... كبر الملوك ورقة المملوك
من لي به والدار غير بعيدة ... والمال غير قليل

وحكي أن رجلاً كان يصحبه، فسمعه يقول يوماً في دعائه: "اللهم حقق أملي"، فقال: يا سيدي! أيكون المحقَّقُ أملاً؟.

فقال: اعلم أن الأمل العمل.

وقيل: إن الفضيل بن فضالة سأل ربه أن يرفع عنه الأمل، فاستجاب له، فترك الأكل والشرب، فلم تستقم له العبادة، فدعا ربه أن يرد عليه أمله، فأكل وشرب.

وأتاه نعي بعض إخوانه وهو يأكل طعاماً، فقال للمخبر له: اقعد فكل، فقد علمت. قال له: ومن أعلمك؟ وما سبقني إليك أحد!. قال: بلى، قوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾[1] والعجب من يده في سلة الأفاعي كيف ينكر اللسع؟!!.

ومنهم:

١٠٩ - مُحَمَّدُ بنُ عَبدِ الله بنِ الجدِ المُرشِديُّ الدَّهَروطي*

الشيخ أبو عبد الله، رجلٌ من أهل منية مرشد[2]، من الوجه البحري من ديار مصر.

ظهر فيها ظهور الشمس في السماء، وصدر عنه الناس صدورهم عن الماء، وترامت إليه الفجاج بالوفود، وشُدَّت إليه الركائب من أقطار الوجود، وغصت طرق البر والبحر إليه، ونصَّت ألسنة المشرق والمغرب عليه، وظهرت له كرامات لم تظهر فيها معه لبشر بارقة، ولا غدت بها لابن أدهم سابقة، ولا جاء الجنيد منها إلا جيش ليس له به قِبَل، ولا وسع ذا النون

(١) سورة آل عمران - الآية ١٨٥ .

* انظر ترجمته في: الوفيات للسلامي ١/١٧٣،١٧٤، المختصر في أخبار البشر ٤/١٢٠، ودول الإسلام ٢/١٨٩، وذيل العبر للذهبي ١٩٨-١٩٩، وتاريخ ابن الوردي ٢/٤٥١، والوافي بالوفيات ٣/٣٧٢-٣٧٣، والدرر الكامنة ٣/٤٦٣، ومرآة الجنان ٤/٢٩٢-٢٩٦، وطبقات الشافعية للسبكي ٥/٢٣٧، والبداية والنهاية ١٤/٢٧٩، وشذرات الذهب ٨/٢٠٣، والعبر للذهبي ٦/١٩٨، والبداية والنهاية ١٤/١٧٩، وطبقات الأولياء ٥٦٨، والسلوك للمقريزي ٢/٢/٤٢٧، والنجوم الزاهرة ٩/٣١٣، وجامع كرامات الأولياء ١/١٤٠، والخطط التوفيقية ١٦/٨٢

(٢) منية مرشد: إحدى قرى مركز فوة بمحافظة الغربية بمصر" ذيل العبر للذهبي ١٩٧ الهامش ٤ والدهروطي: نسبة إلى دهروط، قرية قرب البهنسا من ناحية الصعيد.

المصري البحر ولا البرّ ولا السهل ولا الجبل.

والناس فيه على قسمين: حتى أهل بلده؛ فأناس يقولون: إن أموره كانت رحمانية.

وأناس يقولون: إنها شيطانية!. وسواد الجمهور: على حسن الاعتقاد فيه، وسأحكي من أموره ما فيه غنيٌ للواقف عليه.

قدمت مصرَ وهذا الرجل قد طارت سمعته، وطرقت الشام، وأسمعت الخاص والعام، ولم تبق أذن إلا وفيها منه صالح، وذاكر له بذكر صالح، وكنت أتمنى لقاءه، وقصدت هذا في قدمتي الاسكندرية، فحالت دون ذلك شواغل خدمة السلطان، وتمادى عليٌ ذلك الأمد، فقدم مصر حاجًّا، وأتى إلى خدمة السلطان، واجتمع به في الميدان المجاور للاسطبل، وكان فخر الدين ناظر الجيوش الجامع بينهما، وقام السلطان له، وأكرمه، وأجلسه إلى جانبه، وأقبل عليه يحدِّثه لما قرره فخر الدين في صدره، فلم يكن للشيخ حديث يحدِّث به السلطان، ولا موعظة يعظه بها، ولا مصلحة من مصالح الدنيا والآخرة يوصيه بها، إلا الإطناب في شكر فخر الدين، وذكر دينه وزهده وصلاحه، وأنه يتعين على السلطان أن يغتبط به، ويعتمد عليه، ويمسكه بيديه، وجعل كل مجلسه في هذا. فنزل من عين السلطان، وقال لألجاي الدواداري: هؤلاء يتقارضون الشهادات!. ثم قال له: لو كان هذا ولياً من أولياء الله أوصاني بسائر عباد الله، ولم يقتصر على ذكر الفخر، وكم في الناس من رجل قدمه خير من الفخر!.

وقال لبكتمر الساقي(١): والله لولا الحياء من الناس كنت ضربه على فمه!.

ثم خرج المرشدي إلى الحج،وخرج السلطان إلى سرياقوس، فخرجنا معه، وأتانا الخبر بأن

---

(١) بكتمر بن عبد الله الركني الساقي الناصري، كان من مماليك الملك المظفر بيبرس، ثم انتقل إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون، فحظي عنده، وجعله ساقياً، كان وافر العقل والسكون والحرمة والحشمة، قريباً من الناس، يتلطف بهم، ويسوسهم أحسن سياسة، وكان يمنع السلطان عن كثير من المظالم والعسف، توفي سنة ٧٣٣هجرية. انظر: " المنهل الصافي ٣ / ٣٩٠".

الشيخ في البركة، فقمت أنا ووالدي رحمه الله تعالى، وركبنا لنراه، فلحق بنا الداوداري، وقال: متى رحتم إليه ما يعجب السلطان، وذكره بأمور لا أحب ذكرها، ولم يزل حتى عدنا، ثم لم يقدر لي به اجتماع حتى مات في شعبان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، إلا أنه ومنذ قدم مصر وإلى أن مات لم تزل كتبه إليَّ متواصلة، وحوائجه لديَّ مقضية.

قلت: ولقد يحكى عنه من الغرائب ما لم نسمع مثله عن أحد من أهل زمانه، ولا ممن تقدمهم بزمان سالف.

وكان الناس إذا قصدوه تشهَّوا في نفوسهم أنواع المآكل والمشارب، فإذا أتوه أتاهم به. على أنه في منقطع رمل، وقرية صغيرة لا يوجد فيها مثل تلك الأنواع!، والشائع الذائع عند عامة أهل مصر أنه كان يأتيه الجماعة، وكل واحد قد يشتهي شيئاً، واقترح ما لا يوجد مثله إلا أن يكون في القاهرة، أو دمشق، فإذا حضروا عنده، وسلموا عليه، غاب عنهم هنيهة، ثم حضر وأحضر لكل واحد منهم ما اقترح ، ويقولون: إن أكثر ما كان يحضره للناس في كمه، أو هو حامل له بيده، من غير خدام له، ولا من يستعين بهم، حتى زعموا أنه كان يحضر من أنواع الأطبخة عدة الألوان، وليس عنده من يطبخ له، ولا يعرف له قدرة ولا معرفة، ولا زبدية، ولا موقد نار، مع اشتغاله طول نهاره وليله بالناس، ويزعمون أن هذا المدد ما هو في وقت دون وقت، بل إنه يأتي في اليوم الواحد بعدَّة من الألوان لا يعرف من أين أتى بها، ولا من طبخها!. إلى غير ذلك مما يحكون عنه من هذا ومثله، مما أظن أكثره من باب الخراف في القول.

وحكى لي صاحبنا القاضي شمس الدين القيسراني كاتب الإنشاء، وكان قد توجَّه قصداً لزيارته، قال: كنت قد أكلت في الطريق قبل إشرافي على بلده بقليل، فاشتهيت أقسما سكرية(١) مبردة، فحال ما وصلت، وسلمت عليه، غاب عني هنيهة، وأتى معه أقسما

(١) الأقسما: بفتح الهمزة وسكون القاف وكسر السين، وميم بعدها ألف: نقيع الزبيب، معروف بهذا الاسم،قال المحبي: وأظنه معرَّباً: "آبسما" – وفي الفارسية "آب سياه" أو "آب سيه" يطلق على النبيذ الأسود، وآب بمعنى ماء، وسياه بمعنى أسود، أو سكران، وقيل: معرف:" أوكسوملي" في اليونانية، وهو اسم مزيج من الخل والليمون.

انظر: قصد السبيل فيما في اللغة العربية من الدخيل "للمحبي" ١/ ٢٠٢ .

سكرية مبرَّدة، مثل الأقسما التي تعمل للسلطان، وقال لي: اشرب هذه فإنك قد جئت من حر الطريق.

وحكى لي الشيخ أحمد بن عمر الأنصاري قال: الشيخ محمد المرشدي يتوجَّه في كل سنة إلى "كوم فرح" أظنه قال: في نصف شعبان، ويأتيه من الخلائق ما لا يحصى كثرة، ومعهم دوابُّهم، و"كوم فرح" في مكان منقطع، شاسع، ويقيم الناس عند الشيخ ثلاثة أيام، وهو يقوم بهم، وبما يحتاجون إليه من طعام وشراب، وعليق، كل هذا يتولاه بنفسه، ولا يعرف من أين يأتي به؟!.

وحكى لي الأمير الوزير مغلطاي الجمالي(١)- رحمه الله تعالى - قال: توجَّهت إلى زيارة الشيخ محمد، فلما قربت منه، اشتهيت قمحية بلبن حليب، بلحم خروف رميس، فلما وصلنا، جاء ومعه زبدية كبيرة فيها قمحية بلبن حليب بلحم خروف رميس، وقال لي: كلْ، ثم بقي يغيب ويجيب أشياء أخر، ويضعها قدام مماليكي. وكلما جاب شيئاً إلى واحد منهم يعجب منه ويقول: والله أنا كنت قد اشتهيته!. وأحضر أكثر من عشرين لوناً ما يطبخ إلا في مطبخ السلطان.

وحكى لي شهاب الدين أحمد بن مليح الاسكندري بالاسكندرية، قال: نويت زيارة الشيخ محمد في نفسي، وقلت: لعلِّي أصادف عنده هيطلية بسمن وعسل آكل منها؟. فجاء كتاب وكيل الخاص باستعمال حوائج السلطان أعاقني عن ما عزمت عليه، فلم يمضِ غير يومين أو ثلاثة، وإذا أنا برجل قد أتاني من عند الشيخ، وقال: الشيخ يسلم عليك، وقد بعث لك هذا السمن والعسل لتعمل لك هيطلية، وتأكلها بهما، ولو كانت تحمل إليك بعث لك بها.

---

(١) هو علاء الدين مُغْلَطاي بن عبد الله الجمالي، المعروف بخرز، توفي بعقبة أيلة، وهو عائد من الحج في المحرم سنة ٧٣٢هجرية ثم حمل إلى القاهرة فدفن فيها.

انظر ترجمته في: الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٤/ ٣٥٤-٣٥٥، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٩/ ٢٩١-٢٩٢.

قال ابن مليح: والله الذي لا إله إلا هو، لم أكن قد أطلعت أحداً على ما نويت ولا على ما كنت قد اشتهيت. وأخباره في مثل هذا كثيرة.

وكان - على ما ذُكِرَ لي - رجلاً مبدناً. ربعة من الرجال، حسن الشكل، منوَّر الصورة، جميل الهيئة، حسن الخلائق، يحفظ القرآن الكريم، و"التنبيه" في مذهب الشافعي، وكان فقيه النفس، مختصراً لكثير من المسائل، يتلو في أكثر الأوقات، ويفتي من استفتاه من غير أن يكتب خطه بشيء، وكان لا يرد نفسه عن الشفاعات إلى أرباب الدولة، وحاشية السلطان، وشفاعاته مقبولة، والوسائل به لا ترد.

وقد زعم قومٌ أن هذه الكرامات إنما كانت بصناعة مقررة بينه وبين قاضي فوّه، فإنهما كانا روحين في جسد واحد، وكان قد تحصَّن بالشيخ، فلا يقدر قاضي القضاة ولا أحد غيره على عزله، وطال ذيله، وأكثر من تسجيل البلاد والتجارة، والولاة ترعاه إما للاعتقاد في الشيخ، أو لرجاء العناية من الشيخ بهم عند الدولة، فتمت أمواله، وصلحت حاله، واتسعت دائرة سعادته، فلم يبق له دأب إلا تلقي من يصل من ذوي الأقدار قاصداً زيارة الشيخ، لأن "فوّه" طريق "منية المرشد"، فإذا وصل الزائر أنزله وأضافه، وشرع في محادثته، ومحادثة من معه، حتى يقف ما في خواطرهم اقتراحه على الشيخ، ثم يبعث به إلى الشيخ، على دواب مركزه في الطريق بينهما، وعدة من الأوصاف بما لعله لا يكون عنده، ثم يعطيه حلية كل رجل من المذكورين واسمه!.

قالوا: فكان بهذه الصنعة تم له ما أراد، فيشهد له من أتاه بما كان في نفسه، ويقول غيره بالتقليد كعادة العوام في ذلك، وعندي في كل أمره نظر، ولو رأيته لكنت وقفت على بعض الخبر.

وبالجملة فكان ذا فضل وبرّ، ومعروف، ومذهب غير مألوف، رحمه الله تعالى.

ومنهم:

١١٠ - عَبدُ الله [بنُ مُحَمَّدٍ بن سَلمَانَ] المَنُوفيُّ*

جمع بين العلم والصلاح، وطلع نيره المشرق فلاح، فارقت مصر وهو قطب رحاها، وشمس ضحاها، وهو ممن تفقه واعتزل.

قرأ الفقه على مذهب الشافعي، وانقطع بالمدرسة الصالحية مقتصراً على خويصة نفسه، لا يكاد يخرج إلا إلى الصلاة مع الجماعة، أو الجمعة.

تقلل من متاع الدنيا، ولا يستكثر من الناس، ولقد أراد السلطان الاجتماع به فلم يرد،وعيّن لجلائل التدريس والمناصب، وكنت المتحدِّث معه في ذلك فأبى، وعقد على الامتناع.

ولقد اقمت بديار مصر ما أقمت من السنين، أرى أبناءها وأسمع أنباءها، فلم أرض أحداً مثله لعلمه وعمله، وصلاحه، وانقطاعه، وإن كان ابن اللبان أشهر وأوسع علماً، وأطول باعاً في علوم الشريعة والحقيقة، إلا أنه لا يخلو من متكلم فيه، والشيخ عبد الله مجمَعٌ، وما ذاك إلا لعظم زهده، وتخليه، وقطع علائقه من الناس، وقطعهم عنه.

ولقد يحكى عنه كرامات ظاهرة كفلق الصبح، كان يحكى لي منها، ولكنني لم أضبطها؛

ومنها: ما حكى الأمير سيف الدين الجابي الدوادار(١) - رحمه الله - قال: وقع في

---

* انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ١٧ / ٧٠٠، وطبقات الأولياء ٥٥٤، الدرر الكامنة ٢ / ٣١٢، والنجوم الزاهرة ١٠ / ٢٠٥، ٢٣٩، والمنهل الصافي ٧ / ٩٠، والسلوك ٢ / ٣ / ٧٨١، ٧٩٥، حسن المحاضرة ١ / ٤٢٥، نيل الابتهاج ١٤٣، جامع كرامات الأولياء ٢ / ١١٩، واسمه عبد الله بن محمد ابن سلمان، وقد أفرد له تلميذه الشيخ خليل ابن إسحاق المالكي المعروف بالجندي ترجمة له. منها أخذ المناوي في طبقات الصوفية ترجمته ٣ / ٣٩ .

(١) هو سيف الدين أرغون بن عبد الله الدوادار الناصري، توفي بحلب في ربيع الأول سنة ٧٣١هجرية. آخر كانون الأول سنة ١٣٣٠ ميلادية.

انظر ترجمته في: ذيل العبر ٩٠، البداية والنهاية ١٤ / ١٥٥، الدرر الكامنة ١ / ٣٥١-٣٥٢، المنهل الصافي ٢ / ٣٠٦-٣٠٨ .

نفسي إشكال في مسألة، وكان لي صاحب من الفقهاء الحنفية أتردد إليه زمن الاشتغال، فنزلت إليه، وليس لي مهم إلا أن أسأله عن تلك المسألة، ليحل لي الإشكال فيها، فأتيته، فلم أجده، فأتيت المدرسة التي بها الشيخ عبد الله المنوفي لأراه. فلما دخلت عليه، وسلمت عليه، وجلست، قال لي: كأنك مشتغل بشيء من الفقه؟ . فقلت: نعم. فقال: ما قولك في كذا وكذا؟– لتلك المسألة بعينها! –؛ فقلت: منكم يستفاد.

فأخذ يتكلم في تلك المسألة وما عليها من الإيرادات، وذكر الإشكال الذي وقع في نفسي، ثم شرع يجيب عن تلك الإيرادات، حتى جلى ذلك الإشكال، وحل المسألة. فسألته عن شيء آخر؟. فقال: لا، قم مع السلامة، والقصد قد حصل.

وهذه كرامة ظاهرة لا تنكر. رحمه الله تعالى.

ومنهم:

١١١ - أَبُو عَبْدِ الله مُحَمَّدُ بنُ اللَّبَّانِ *

شمس الدين الشاذلي، طراز مصر المذهّب، وفرد أهلها في علم الحقيقة والمذهب، والفائز المعلى قدحه، والسيد المحلى بذائب الذهب مدحه، طاب غرسه، وأشرقت ملء المشارق والمغارب شمسه، وطال لواؤه، وحسن دواؤه، وكثرت شيعته تتوالى منه ولياً تروى أنواؤه، وتجود الأرض سماؤه، وتعود بالفرض والنوافل نعماؤه.

صحب الشيخ ياقوت الحبشي(١)، وغيره من مشايخ الاسكندرية، ومصر، والشام، وأخذ

*انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ٢ /١٦٨، وطبقات الأسنوي ٢ /٣٧٠، ومرآة الجنان ٤ /٣٣٣، والدرر الكامنة ٣ /٣٣٠ – ٣٣١، وحسن المحاضرة ١ /٤٢٨، وشذرات الذهب ٨ /٢٧٩ تحقيق الأرناؤوط.

(١) هو ياقوت بن عبد الله العرشي الحبشي الشاذلي، أجلُّ تلامذة العارف بالله أبي العباس المرسي. وهو الذي شفع في الشمس ابن اللبان حين سلبه البدويُّ – رضي الله عنهما – حاله وعلمه، بعد أن توسل بجميع أولياء عصره، فلم يقبل البدويُّ شفاعتهم، فسافر من إسكندرية إلى قبر البدوي، فسأله، فاجابه، وردَّ عليه حاله وعلمه. توفي بالاسكندرية سنة ٧٣٢هجرية، ذكر الشعراني في طبقاته ٢ /٢٠ أنه زوج ابنته لشمس الدين ابن اللبان، صاحب الترجمة.

انظر ترجمته في: السلوك ٢ /٢ /٣٥٥، ومرآة الجنان ٤ /٢٨٤، وطبقات الأولياء ٤٧٨، وحسن المحاضرة ١ /٢٥٠، وطبقات الشعراني ٢ /٢٠، و الدرر الكامنة ٥ /١٨٣، والشذرات ٨ /٢٧٩ .

عنهم من علوم الطريقة والحقيقة ما تقدم، تمهيد العلوم الشرعية، لسلوكه فيه، حتى برع وبزَّ أهل زمانه،وساد على أبناء دهره، وأطلق قلمه بالإفتاء، واشتغل عليه أنواع الطلبة، وأخذت عنه طوائف المريدين، وتكلم على رؤوس الأشهاد، وحضر مجلسه الخاص والعام، ولم يزل يشار إليه بالإجلال، ويذكر بالتعظيم.

وكنت أسمع به ولا يقيض لي به لقاء، ثم أصيب بما لم يخل منه مثله، فخلى في بعض مجالسه وقد شرع في كلام ما كمَّله، وأخذ في قول ما أتمَّه، فقام ابن الكاتب المالكي وقطع عليه الكلام، وأخذ في الإنكار عليه، وقام معه أناس قلائل، وهمَّ بهم السواد الأعظم حتى كادوا يثبون بهم، ثم حجز بين الفريقين، ورفع ابن الكاتب القضية إلى الحكام، وكان كلاماً يقتضي قبل تمامه ما أوقد حميَّة بعض الحكام عليه، فتحدَّث مع البقية، ثم حدَّثوا السلطان فيه، فاستشاط غضباً وأمرهم فيه بأمر كاد لا يستدرك، فقيض له من بلَّغ السلطان القضية وأوصل إليه الخبر على حقيقته، وعرَّفه بمكانة الشيخ، وما هو عليه من العلم، والدين، فسخَّره الله له، وقلب تلهُّبَ غيظه عليه برداً وسلاماً له، وبعث إلى الحكام بالتمهل في أمره، ثم طلبه السلطان، وادَّعى عليه لديه، وسأله عما قال؟. فاعترف ، فحكم بصحة إسلامه، وقبول دولته وإبقائه على ماله وزوجته، وعدالته، ومناصبه، بعد استيفاء الشرائط الشرعية، وفعل كما يجب شرعاً.

ثم عقد له مجلس بالمدرسة الصالحية، عند قاضي القضاة جلال الدين القزويني(١)، فطلبه؛ فنزل من القلعة إليه، والناس حوله، وقد ملأ سواد الناس ما بين القلعة والمدرسة، فلما حضر مجلس الحكم العزيز، ادَّعى عليه، فأجاب بما حكم به السلطان، وأوصل حكم السلطان بالقاضي القزويني، وحكم حكماً آخر مستقلاً للشيخ بمثل ذلك، وامتنع من

---

(١) هو جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد القزويني، توفي بدمشق في جمادى الأولى سنة ٧٣٩هجرية.

انظر ترجمته في: الوافي بالوفيات ٣/ ٢٤٢-٢٤٣، والبداية والنهاية ١٤/ ١٨٥، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٥٦-٥٧، بغية الوعاة ١/ ٥٦-٥٧، الدرر الكامنة ٤/ ٣-٦ .

الكلام في المجالس العامة، ثم تكلم، وهو رجل قد جمع الله عليه من القلوب، وجمع له من أشتات ما لا هو في ظنٍّ ظانٍّ، هذا إلى حسن الشكل، وتنوير الوجه، والصورة، وجمال الذات والهيئة، وجودة الخط، وحسن اللفظ، وبراعة اللسان، وكرم النفس، وجميل السجايا، فآهاً لدهر فرَّق بيننا وبينه، وزمان أبعد المدى عنه.

وله نظر ثاقب في الأدب، ونظم بديع[فمن شعره ما أورده في كتابه المتشابه في الربانيات قوله:

تشاغل عنا بوسواسه	وكان قديماً لنا يطلبُ
محبٌّ تناسى عهود الهوى	وأصبح في غيرنا يرغبُ
ونحن نراه ونملي له	ويحسبنا أننا غُيَّبُ
ونحن إلى العبد من نفسه	ووسواس شيطانه أقربُ[(١)]

(١) ما بين المعقوفتين استكملناه من طبقات السبكي ٩/ ٩٥ عند ترجمة الشيخ، وهو آخر ما وجدنا من النسخة المخطوطة المعتمدة في التحقيق، وبه ينتهي السفر الثامن من مسالك الأبصار والذي موضوعه: ترجمة طوائف الفقراء" والحمد لله على التمام، وعلى نبينا وحبيبنا محمد خير الأنام أفضل الصلاة وأتم السلام.

مصادر التحقيق

و

فهرس الأعلام

مصادر التحقيق

١- آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني.
٢- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا للمقريزي.
٣ - أخبار الدول وآثار الأول للقرماني.
٤- أخبار الدول المنقطعة، لابن ظافر الأزدي.
٥ - أدب الإملاء والاستملاء، لابن السمعاني.
٦ - الاستدراك لابن نقطة.
٧ - الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، لابن شداد.
٨- الأعلام للزركلي.
٩- الإعلام بتاريخ أهل الإسلام، لابن قاضي شهبة.
١٠- الإعلام بوفيات الأعلام، للذهبي.
١١- الإعلان بالتوبيخ، للسخاوي.
١٢- أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام،لابن الخطيب.
١٣- أعيان الشيعة، لمحسن الأمين.
١٤- الإكمال، لابن ما كولا.
١٥- أمراء دمشق في الإسلام، للصفدي.
١٦- الإنباء في تاريخ الخلفاء، لابن العمراني.
١٧- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقفطي.
١٨- الأنساب ، للسمعاني.
١٩- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، للحنبلي.
٢٠- بدائع الزهور في وقائع الدهور، لابن إياس.

٢١- البداية والنهاية في التاريخ، لابن كثير.
٢٢- بغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم .
٢٣- بغية الملتمس، للضبي.
٢٤- بغية الوعاة للسيوطي.
٢٥- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري.
٢٦- تاج التراجم ، لابن قطلوبغا.
٢٧- تاج العروس للزبيدي.
٢٨- تاريخ آداب اللغة العربية، لجرجي زيدان.
٢٩- تاريخ ابن خلدون.
٣٠ - تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان.
٣١- تاريخ إربل، لابن المستوفي.
٣٢ - التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، لابن الأثير .
٣٣- تاريخ جرجان، لدوزي.
٣٤- تاريخ حلب، للعظيمي.
٣٥- تاريخ الخلفاء، للسيوطي.
٣٦- تاريخ الخميس، للديار بكري.
٣٧- تاريخ دولة آل سلجوق، للبنداري.
٣٨- تاريخ الزمان، لابن العبري.
٣٩- تاريخ مختصر الدول، لابن العبري.
٤٠- تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر.
٤١- تاريخ نيسابور، للحاكم النيسابوري.
٤٢- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر.
٤٣- تبيين كذب المفتري، لابن عساكر.

٤٤- تتمة المختصر في أخبار البشر، لابن الوردي.

٤٥- التحبير في المعجم الكبير، لابن السمعاني.

٤٦- التدوين في أخبار قزوي، للرافعي القزويني.

٤٧- تذكرة الحفاظ، للذهبي.

٤٨- التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، لابن نقطة.

٤٩- تكملة إكمال الإكمال ، للصابوني.

٥٠- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي.

٥١- تهذيب تاريخ دمشق، لبدران.

٥٢- توضيح المشتبه، لابن ناصر الدين.

٥٣- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، للحميدي.

٥٤- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، للقرشي.

٥٥- الجوهر الثمين، لابن دقماق.

٥٦- حاضر العالم الإسلامي ، لشكيب أرسلان.

٥٧- حسن المحاضرة، للسيوطي.

٥٨- الحلة السيراء، لابن الأبار.

٥٩- خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الأصفهاني.

٦٠- حلية الأولياء للأصفهاني.

٦١- خلاصة الذهب المسبوك للإربلي.

٦٢- الدارس في تاريخ المدارس، للنعيمي.

٦٣- الدرة المضية، لابن أيبك الدواداري.

٦٤- دمية القصر، للباخرزي.

٦٥- دول الإسلام للذهبي.

٦٦- الديباج المذهب ، لابن فرحون.

٦٧- ديوان الإسلام للعزي.

٦٨- الذخيرة ي محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام.

٦٩- ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار.

٧٠- ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي.

٧١- ذيل تجارب الأمم، للروذراوري.

٧٢- الرسالة القشيرية،للإمام القشيري.

٧٣- الرسالة المستطرفة ، للكتاني.

٧٤- رفع الإصر عن قضاة مصر، لابن حجر.

٧٥- روضات الجنات، للخوانساري.

٧٦- الروض المعطار، للحميري.

٧٧- الروضتين، لابن أبي شامة.

٧٨- زبدة التواريخ، للحسيني.

٧٩- زبدة الحلب في تاريخ حلب، لابن العديم.

٨٠- السلوك لمعرفة دول الملوك، للمقريزي.

٨١ - سير أعلام النبلاء، للذهبي.

٨٢- شجرة النور الزكية، لمخلوف.

٨٣- شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي.

٨٤- صبح الأعشى للقلقشندي.

٨٥- الصلة، لابن بشكوال.

٨٦- الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي.

٨٧- طبقات الأولياء، لابن الملقن.

٨٨- طبقات الحفاظ، للسيوطي.

٨٩- طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى.

٩٠– الطبقات السنية، لابن الغزي.
٩١ – طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة.
٩٢ – طبقات الشافعية ، لابن هبة الله.
٩٣– طبقات الشافعية ، للإسنوي.
٩٤– طبقات الشافعية، للنووي.
٩٥– طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي.
٩٦– طبقات فقهاء الشافعية، لابن الصلاح.
٩٧– طبقات المفسرين، للداودي.
٩٨– طبقات المفسرين، للسيوطي.
٩٩– العبر في خبر من غبر، للذهبي.
١٠٠– العقد الثمنين ، لقاضي مكة.
١٠١– العقد المذهب، لابن الملقن.
١٠٢– عقود الجمان، للزركشي.
١٠٣– عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة.
١٠٤– عيون التواريخ، لابن شاكر الكتبي.
١٠٥– غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري.
١٠٦– الغنية، للقاضي عياض.
١٠٧– الغيث المنسجم، للصفدي.
١٠٨– الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي.
١٠٩– فهرس الفهارس للكتاني.
١١٠– فهرس ما رواه عن شيوخه، لابن خير الإشبيلي.
١١١– الفوائد البهية في تراجم الحنفية، للكنوي.
١١٢– فوات الوفيات ، لابن شاكر الكتبي.

١١٣- القلائد الجوهرية.

١١٤- قلائد العقيان، لابن خاقان.

١١٥- الكامل في التاريخ، لابن الأثير الزري.

١١٦-كشف الظنون ، لحاجي خليفة.

١١٧- الكنى والألقاب، للقمي.

١١٨- اللباب ، لابن الأثير.

١١٩- لسان الميزان، لابن حجر.

١٢٠- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، للقلقشندي.

١٢١- مختصر التاريخ، لابن الكازروني.

١٢٢- مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور.

١٢٣- المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء.

١٢٤- مرآة الجنان، لليافعي.

١٢٥- مرآة الزمان، لسبط ابن الجوزي.

١٢٦- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، للدمياطي.

١٢٧- المشتبه في الرجال، للذهبي.

١٢٨- المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، لياقوت الحموي.

١٢٩- المطرب، لابن دحية.

١٣٠- معالم الإيمان، للدباغ.

١٣١- المعجب، للمراكشي.

١٣٢- معجم الأدباء، لياقوت الحموي.

١٣٣- معجم البلدان ، لياقوت الحموي.

١٣٤- معجم السفر، للسلفي.

١٣٥- معجم طبقات الحفاظ والمفسرين، لسيد كسروي.

١٣٦- معجم ما استعجم، للبكري.

١٣٧- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة.

١٣٨- معرفة القراء الكبار، للذهبي.

١٣٩- المعين في طبقات المحدثين، للذهبي.

١٤٠- مفتاح السعادة ، لطاش كبري زادة.

١٤١- منازل السائرين، للهروي.

١٤٢- منتخبات التواريخ لدمشق، للحصني.

١٤٣- المنتظم لابن الجوزي.

١٤٤- المواعظ والاعتبار، للمقريزي.

١٤٥- ميزان الاعتدال، للذهبي.

١٤٦- النجوم الزاهرة،لابن تغري بردي.

١٤٧- نزهة الألباء ، لابن الأنباري.

١٤٨- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، للمقري.

١٤٩- نكت الهميان في نكت العميان، للصفدي.

١٥٠- نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري.

١٥١- هدية العارفين، للبغدادي.

١٥٢- الوافي بالوفيات ، للصفدي.

١٥٣- الوفيات ، لابن قنفذ.

١٥٤- وفيات الأعيان، لابن خلكان.

١٥٥- ولاة دمشق في العهد السلجوقي، للدكتور المنجد.

وغير ذلك من المصادر ذكرت في مواضعها من حواشي الكتاب.

فهرس الأعلام